

الحروف العربية وتبدلها الصوتية والصرفية وعلاقتها  
بظاهرتي المماثلة والمخالفة الصوتية  
دراسة صوتية استقرائية تحليلية  
بحث مقدم لنيل درجة التخصص الثانية (دكتوراه)  
في علم اللغة

إشراف  
أ.د. يحيى علي محمد الفادني

إعداد الطالب  
ياسر سر الختم عبد الحفيظ

العام  
٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

## مقدمة

الحمد لله الرَّبِّ الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد. وبعد:

لقد شرف الله اللّغة العربيّة بأن جعلها لغة كتابه العزيز، ذلك الكتاب الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾<sup>(١)</sup>.

وحسبها سموّاً وكمالاً أنها بلّغت رسالة السماء إلى الأرض، فأصبحت بهذه المنزلة لغة عقيدة وشريعة.

ومن أجل هذا قام الدرس اللّغويّ في القديم والحديث، وتنافس العلماء في البحث عن أسرار هذه اللّغة، وخصائصها، ومميزاتها، ونالت من العناية ما هي به قميّنة، وله مستحقة.

ولمّا كانت اللّغة ظاهرة اجتماعية، لأنّها لا تكون إلا حيث يوجد مجتمع، وهي وسيلة من وسائل ربط هذه المجتمعات ومعين لها على قضاء حوائجها، وحيث كان التطور وعدم الجمود هو سنّة الحياة وكانت المجتمعات تتغير وتتطور من حال إلى حال. فقد كانت اللّغة هي إحدى الظواهر الاجتماعية التي تتطور تبعاً لذلك.

ولما كان التغير اللغوي يحدث للغة في كل مقوماتها من الأصوات والبنى الصرفية، والتراكيب النحوية ودلالات المفردات على مستويات متفاوتة فقد اتجه هذا البحث إلى دراسة نوع واحد من أنواع التغير - وهو الذي يعرض لبعض أصوات الكلمة عند تألفها أو تركيبها في نسق معين ينتج عنه عدم احتفاظ الأصوات في الكلام المتصل بخصائصها التي تعرف بها حين تكون أصوات مستقلة بل تكتسب خصائص جديدة حيث تتغير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام فيحدث عند ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو الصفات وتهدف من ذلك إلى تحقيق نوع من التشابه أو التماثل وقد يحدث عكس ذلك وهو تغير أحد الصوتين المتثلين في كلمة من الكلمات إلى صوت آخر مخالف وهو ما يعرف بالمخالفة ولذلك كان من أهم العوامل التي سببت إبدال الحروف هي التشابه بين حروف الكلمة أو تخالفها.

(١) [فصلت: ٤٢].

وتعد هذه الظواهر الصوتية ضاربة بجذورها في أعماق العربية فقد اهتم بها العلماء العرب النحاة والمصرفيون وأهل القراءات فرصدوا مظاهرها وأوجهها ووضعوا لها الكثير من الضوابط والقواعد إلا أنهم لم يعالجوها معالجة شاملة مستقرة بل كانت جزئياتها موزعة على أبواب متفرقة منها ما كان مبنوياً ضمن بحوثهم لظواهر الإدغام والإبدال والإعلال والإمالة وغيرها من المسائل الصوتية والصرفية والنحوية كما أنهم لم يستقروا على مصطلح مقيد لهذه الظاهرة.

كما أهتم بها المحدثون مستفيدين من صنيع لغويينا القدامى، فكانت لدراستهم نتائج مشجعة أسهمت في التعرف على حقيقة الأصوات ومدى تفاعلها بعضها ببعض. ومع علمي أنني قليل بضاعة فقد رأيت مستعينا بالله أن أطرق هذا المجال وعزائي في ذلك أن النقص البشري يقف دليلاً على الكمال الإلهي عسى أن نقدم شيئاً مفيداً في مجال الدراسات الصوتية واللغوية بوجه عام.

## أهمية البحث:

١- يعتبر هذا البحث إسهاماً متواضعاً في خدمة كتاب الله من خلال علاقة هذا العلم بعلم القراءات.

٢- يستمد هذا البحث أهميته من أهمية اللغة العربية التي هي لغة التنزيل وماعون الشريعة.

٣- تتبع أهميته من أهمية علم الأصوات ذلك العلم الذي حافظ على الأداء الصوتي للقرآن الكريم.

٤- إن هذا اللون من الدراسة لم يجد بعد العناية الكافية في عالمنا العربي وجامعاتنا بما يتناسب مع أهميته وفوائده حيث ما زالت جامعاتنا تخرج كثير من معلمي اللغة العربية دون أن تمكنهم من دراسة أصواتها ونظامها الصوتي.

## أسباب اختيار الموضوع:

١- محاولة تفسير أسباب التبدلات الصوتية والصرفية التي تحدث في بعض الكلمات.

٢- محاولة تفسير ظواهر المماثلة والمخالفة التي يجنح إليها المتكلم بغية التخلص من النقل وإدراك أقصى ما يمكن من الخفة.

٣- جمع الجهود الرائدة التي عرفها البحث الصوتي عند العرب في وقت مبكر ثم تقديمها في ضوء المنهج الصوتي الحديث.

٤- القيام بدراسة مستفيضة تحاول أن تستقصي مجهودان القدماء والمحدثين حول ظاهرة المماثلة والمخالفة.

٥- القيام بدراسة تأصيلية تبرز إسهامات المتقدمين من علماء اللغة العربية في مجال علم الأصوات وعلم اللغة بوجه عام.

## منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون منهجه المنهج الوصفي الاستقرائي.

## مشكلة البحث:

يمكن تحديد المشكلة من خلال التساؤل التالي:

ما التبدلات والتغيرات التي تحدث للحروف العربية ولصفات ومخارجها وما علاقتها بظاهرتي المماثلة والمخالفة؟

## تساؤلات البحث:

- ١- ما الفرق بين الصوت والحرف؟
- ٢- ما الأسس التي تشكل الصفات الصوتية للحروف؟
- ٣- ما أسباب الخلاف في عدد المخارج وتحديد مخارج بعض الحروف العربية؟
- ٤- هل تختلف صفات الحروف وهي مفردة عنها وهي مركبة؟
- ٥- ما أسباب الخلاف في تحديد صفات بعض الحروف؟
- ٦- ما إسهامات المتقدمين من علماء اللغة العربية في علم الأصوات؟
- ٧- ما العوامل المتحكمة في التغيرات الصوتية؟
- ٨- ما المقصود بمصطلحي المماثلة والمخالفة؟
- ٩- ما أنواع المماثلة؟
- ١٠- ما علاقة التبدلات الصوتية والصرفية بظاهرة المماثلة؟
- ١١- ما علاقة إدغام المثليين وإدغام المتقاربين بظاهرة المماثلة؟
- ١٢- لماذا امتنع الإدغام مع حروف الحلق بينما جاز مع غيرها من الحروف؟
- ١٣- ما علاقة التبدلات الصوتية والصرفية بظاهرة المخالفة؟
- ١٤- ما أنواع المخالفة؟
- ١٥- ما العلة من حدوث المخالفة والمماثلة؟

## الدراسات السابقة:

دراسة بعنوان (الدراسات الصوتية عند علماء العربية) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم اللغة الحديث للأستاذ: عبد الحميد الهادي إبراهيم الأصيبي.

## أهداف الدراسة:

١- استقراء واستقصاء أفكار المتقدمين من علماء العربية وآرائهم ومصطلحاتهم فيما يتعلق بالدراسات الصوتية.

٢- جمع الأفكار والآراء في مؤلف واحد، حتى يسهل تتبعها ومناقشتها وإعادة تقييمها بما يواكب التطور العلمي.

٣- تقييم تلك الأفكار والآراء في ضوء ما توصلت إليه الدراسات الصوتية الحديثة.

## أهم نتائج الدراسة:

١- أن الوسيلة المتبعة في الدراسات العلمية عند المتقدمين من علماء العربية هي الملاحظة الذاتية والوصف النظري، وقد كانت هي الوسيلة الوحيدة المستخدمة في القديم سواء عند الهنود أو اليونانيين أو العرب. وأن هذه الطريقة رغم قدم عهدها لا زالت تستعمل كخطوة أولى في الأبحاث العلمية في العصر الحديث.

٢- كان المتقدمون كثيراً ما ينجحون إلى التعميم في وصف أعضاء النطق الخفية على العين المجردة كالحلق، حيث يطلقونه للدلالة على منطقة واسعة من جهاز النطق في حين يحدده المحدثون في منطقة صغيرة.

٣. أن هناك دوراً للأوتار الصوتية الكاذبة في نطق بعض الأصوات العربية كالحاء.

مقارنة بين هذه الدراسة والدراسة الحالية:

بالرغم من أن هذه الدراسة تعتبر دراسة قيمة غطت كثيراً من الجوانب إلا أنها كغيرها من الجهد البشري تحتاج إلى استكمال حيث ركزت الدراسة على صفات الحروف وهي مفردة وذلك ما يعرف في علم الأصوات ب (الفونتكس) بينما أنني إضافة إلى ما سبق قد تناولت في الدراسة الحالية ما يحدث من تغيير لصفات الأصوات وهي في درج الكلام وذلك ما يعرف في علم الأصوات بعلم وظائف الأصوات (فونولوجي) كما تعرضت لوسائل التخلص من الثقل الناتج بسبب النقاء بعض الأصوات من خلال ظاهرتي المماثلة والمخالفة.

## هيكل البحث:

اتخذت لإنجاز هذا البحث خطة تألفت من مقدمة ومدخل وأربعة أبواب وثمانية فصول وثمانية عشر مبحثاً وخاتمة.

فأما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهجه، والدراسات السابقة ومستخلص الدراسة.

وأما المدخل فقد اشتمل على النقاط الآتية.

\* التغيرات الصوتية.

\* العوامل المتحكمة في التغيرات الصوتية.

\* ظاهرة اقتران الأصوات وتنافرها.

\* وصف الجهاز الصوتي وكيفية الأداء النطقي.

الباب الأول: الإطار النظري. يشتمل على فصلين.

الفصل الأول: في الحروف العربية.

المبحث الأول: الحروف العربية.

المبحث الثاني: الحركات ونظم الكتابة العربية.

الفصل الثاني: تصنيف الأصوات العربية.

المبحث الأول: الصوامت والصوائت الماهية والسمات.

المبحث الثاني: أسس تصنيف الأصوات العربية.

المبحث الثالث: الوصف الصوتي للصوامت العربية.

الباب الثاني: التماثل عند علماء اللغة يشمل فصلين.

الفصل الأول: التماثل عند سيبويه.

المبحث الأول: التماثل بين الأصوات الصامتة في صورته الإبدالية.

المبحث الثاني: الإدغام عند سيبويه.

الفصل الثاني: التماثل عند ابن جني.

المبحث الأول: الإدغام الأصغر عند ابن جني.

المبحث الثاني: الإدغام الأكبر عند ابن جني.

الباب الثالث: التماثل عند علماء القراءات ويشمل فصلين.

الفصل الأول: التماثل عند مكي ابن أبي طالب القيسي.

المبحث الأول: الإبدال عند مكّي بن أبي طالب القيسي.  
المبحث الثاني: الإدغام عند مكّي بن أبي طالب القيسي.  
الفصل الثاني: التماثل عند ابن الجزري.  
المبحث الأول: صور التماثل عند ابن الجزري.  
المبحث الثاني: الظواهر الصوتية في الصوائت عند ابن الجزري.  
المبحث الثالث: مقارنة بين علماء القراءات وعلماء اللّغة في التماثل بصفة عامة والإدغام بصفة خاصة.

الباب الرابع: المخالفة الصوتية ويشمل فصلين.  
الفصل الأول: المخالفة في التراث اللساني العربي.  
المبحث الأول: المخالفة الصوتية التعريف والدواعي.  
المبحث الثاني: مصطلحات المخالفة في التراث اللساني العربي.  
الفصل الثاني: المخالفة الصوتية على ضوء الدرس الصوتي الحديث.  
المبحث الأول: مصطلحات المخالفة الصوتية عند اللغويين المحدثين.  
المبحث الثاني: أنواع المخالفة.

الخاتمة

الملاحق

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث.

فهرس الأشعار.

فهرس الأعلام.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.



## المدخل:

### التغيرات الصوتية:

#### اللغة نظام متغير.

اللغة كسائر الظواهر الاجتماعية خاضعة للتغير، فلا تتوقف عن التطور إلا إذا انقطعت عن الاستعمال فتغدو لغة ميتة<sup>(١)</sup> ويرتبط تغيرها بتطور المجتمع الذي يتكلمها، ذلك أنها ظاهرة تتميز بكونها اجتماعية في ماهيتها<sup>(٢)</sup>، وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته، فهي كائن حي تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانه منه، ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفرادها، كما تتطور بتطوره، وترقى برقيه، وتتخط بانحطاطه<sup>(٣)</sup>. يعود هذا التغير في اللغة إلى طبيعتها الاجتماعية، حيث إنها تحيا على ألسنة متكلميها، ومن ثم فهي تخضع لسنة التغير التي يخضع لها الكائن الحي سواء في نشأته أوفي نموه<sup>(٤)</sup>. وهذه التغيرات التي تطرأ عليها لا يمكن شرحها وتفسيرها إلا في إطار التحولات التي يعرفها المجتمع. وقد أكد ذلك لسانيون منهم، فرديناند دي سوسير الذي ركز في مقالاته على العلاقة القائمة بين التغير اللغوي والتطور المجتمعي وأنطوان مابيه الذي يعتبر أن اللغة انعكاس للثقافة المجتمعية، فتبدو اللغة من هذه الزاوية بالذات تمظهراً لثقافة المجتمع الذي يتكلمها<sup>(٥)</sup> وما دامت اللغة أصواتاً يعبر بها كل قوم عن أغراضهم<sup>(٦)</sup>، والأغراض لا تنتهي والمعاني لا تنفد والحضارة تهدي الناس كل يوم بمخترع جديد والعلوم تطالبهم بمصطلحات جديدة، فإن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين ولا أن تستقل استقلال الحي، فكل نبأ وهمسة في حياة الجماعة التي تتكلم لغة تترك أثراً في تطورها<sup>(٧)</sup> ويظهر التغير في الكلام المنطوق ويؤكد هذا المعنى أحمد مختار إذ يقول: "إن الجانب المنطوق في اللغة يمارس حرية أكثر من الجانب المكتوب بالإضافة إلى أن اللغة تصادف في تركيبها وتجمعاتها الصوتية ظروفاً سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب، ولهذا ينفصل الصوت عن صورته ويتطور دونه"<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. نور الهدى لوشن، المكتبة الجامعية، الاسكندرية، ط٢٠٠٢، ص١٩٤.

(٢) ينظر: اللغة والتواصل، د. عبد الجليل مرتاض، دار هومة الطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ص٥١.

(٣) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١٩٨٣، ص٥.

(٤) ينظر: علم الأصوات، د. حسام البيهناوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١٤٢٥، هـ ٢٠٠٤م، ص١٤٧.

(٥) ينظر: الألسنية المبادئ والأعلام، د. ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط٢، هـ ١٣٠٤، م١٩٨٣، ص١١٣.

(٦) ينظر: الخصائص، ابن جني، محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، ج١، ص٣٣.

(٧) ينظر: عوامل تنمية اللغة العربية، د. توفيق محمد شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، هـ ١٤٠٠، م١٩٨٠، ص١٧٧.

(٨) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار، عالم الكتاب، ط٣، هـ ١٤٠٥، م١٩٨٥، ص٣١٧.

## أنواع التغيرات الصوتية:

يطرأ على الأصوات تغيرات وتبدلات عديدة، منها ما يكون داخل النظام الصوتي للغة، ومنها ما يقع داخل الوحدات الكلامية الكبرى، ومن هنا قام اللغويون المحدثون بتقسيم تلك التغيرات إلى قسمين رئيسيين: أولاهما-تغيرات ناتجة من جراء التحول في النظام الصوتي للغة، وهي التي تحدث على مر التاريخ اللغوي، دون أن تكون مقيدة بشروط، أو بمواقع صوتية محددة. وتسمى بـ"التغيرات التاريخية"، أو: غير المشروطة"، أو المطلقة"

والأخرى - تغيرات ناتجة من التقاء الأصوات في مواقع وسياقات صوتية معينة، وهي التي تحدث في الأصوات حالة تركيبها مع بعضها في الكلمة الصوتية<sup>(١)</sup>. وتسمى "التغيرات التركيبية أو المشروطة، أو المقيدة"<sup>(٢)</sup> إلا أن سوسير - اللغوي السويسري يرى أن تقسيم التغيرات إلى: مطلقة، ومقيدة إنما هي نظرة سطحية للأمور، والأقرب إلى المنطق أن تقسم إلى ظواهر صوتية تلقائية، وأخرى تعاملية. ويعرّف سوسير الظواهر التلقائية بأنها التي تنتج عن علة داخلية-أما الظواهر التعاملية فتنتج عن علة خارجية<sup>(٣)</sup>.

ومن الطبيعي أن تلك التغيرات الصوتية لا تحدث غفلاً من خصائص وسمات.

## خصائص التغير الصوتي:

أ. يتسم التغير الصوتي بأنه بطيء في سيره وتدرجه، لا يحدث بين يوم وليلة، ولا يحصل إلا في الآماد الطويلة، وتظهر آثاره بعد أجيال، والتطور المعين لا يشمل كل الصيغ اللغوية، فقد يحدث في صيغة، ولا يحدث في أخرى<sup>(٤)</sup> فتغيّر الأصوات لا يحدث فجأة، وإنما يظهر أثره بعد أجيال<sup>(٥)</sup>. يقول على عبد الواحد وافي: (فلغتنا لا تكاد تختلف في أصواتها عن لغة آبائنا المباشرين ولكنها تختلف اختلافاً بينا في هذه الناحية عما كانت عليه في أسنة أجدادنا في العصور الوسطى أو في صدر العصور الوسطى أو في صدر العصور الحديثة)<sup>(٦)</sup>.

ب- التغير الصوتي تغير تلقائي: يحدث من تلقاء نفسه لا دخل فيه للإرادة الإنسانية يقول فندريس:(فالطفل يعتقد أنه يقوم بنفس الحركات الصوتية التي يقوم بها أبواه مع أنه

(١) اعني بالكلمة الصوتية الكلمة الحية التي يمكن من خلالها دراسة الظواهر اللغوية حيث تمثل إحدى وحدات الكلام التي يحدث بداخلها تفاعل صوتي سواء كان ذلك معها وحدها أم مع غيرها من الوحدات الكلامية ينظر: علم الأصوات (د. عبد الله ربيع وزميله) ص ٢٦٠، ٢٦٥.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، ص ٤٨-٥٤.

(٣) ينظر: دروس في الألسنية العامة فردينان دي سوسير، ٢١٩-٢٢١.

(٤) ينظر المدخل إلى علم الأصوات - دراسة مقارنة - د. صلاح الدين صالح حسين، دار الاتحاد العربي للطباعة. الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص ٧١.

(٥) ينظر: التطور اللغوي: علله ومظاهره وقوانينه، د. رمضان عيد التواب، ص ١٦.

(٦) ينظر: علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ط ٧ دار نهضة مصر، ص ٢٦١.

يخالفهما، فعدم شعوريّة التغير هو الذي يفسر لنا استمراره، لأن الطفل قد يسعى إلى تصحيح خطئه لو أنه شعر به<sup>(١)</sup>.

ج . أنه مقيد بزمان ومكان معينين: يرتبط التغير الصوتي بمكان وزمان معينين: فنجد أنّ "معظم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة، وعصر خاص، ولا نكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلاً إلى همزة (قلت: ألت) لم يظهر إلا في بعض المناطق العربية، وتحول صوت "a" في بعض الكلمات اللاتينية إلى صوت "e" لم يظهر إلا عند الفرنسيين ولم يبدأ أثره لديهم إلا في أثناء المدة المحصورة بين نهاية القرن الثامن والرابع عشر<sup>(٢)</sup>.

د- يتسم التغير الصوتي بأنه مطرد، فما يصيب الصوت من تغير في بيئة معينة، يسري عليه في جميع أحواله، ويظهر أثره في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت، وعند جميع الأفراد التي تكتنفهم تلك البيئة (إذا لاحظنا مثلاً أن القاف الفصحى قد اختفت من لهجة القاهرة وحلت محلها الهمزة، فهذا قانون صوتي مطرد لا يعرف الشذوذ أو الاستثناء<sup>(٣)</sup>) وذلك أنه لما كان التغير لا ينحصر في كلمة منعزلة، بل في آلية النطق نفسها، فإنّ جميع الكلمات التي تتبع آلية واحدة في النطق تتغير بالصورة نفسها<sup>(٤)</sup>.

هـ - من خصائص التغير الصوتي أنه اجتماعي، وليس تعبيراً فردياً كما كان يسود الاعتقاد لفترة طويلة من الوقت يقول فندريس (ساد شرطاً طويلاً من الزمن، الاعتقاد بأن كل تغير صوتي، إنما يصدر عن الفرد، وأنه لم يكن إلا تغيراً فردياً ثم عمم وهذا إدراك غير صحيح فليس في وسع أي فرد أن يفرض على جيرانه نطقاً تنبو عنه فطرتهم، وليس هناك من قسر جدير بتعميم تغير صوتي، فلأجل أن يصير تغير ما قاعدة لمجموعة اجتماعية، يجب أن يكون لدى كل أفراد هذه المجموعة ميل طبيعي من تلقاء أنفسهم، بل إن سلطان المحاكاة نفسه لا يقدر هنا على شيء، فإن النطق الشاذ لا يجلب إتباعاً لصاحبه، بل لا يجلب له بوجه عام إلا السخرية منه)<sup>(٥)</sup>.

### العوامل المتحكمة في التغيرات الصوتية:

تتحكم في التغير الصوتي مجموعة من العوامل منها ما يتعلق بالجانب البيئي أو

(١) ينظر: اللغة، لفندريس، ترجمة، عبد الحميد الدواخلي ومحمد قصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ٦٥.

(٢) علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي، ص ٢٦٢.

(٣) علم اللغة العربية-مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية - د. محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٦٥.

(٤) اللغة، لفندريس، ص ٦٩.

(٥) اللغة، فندريس، ص ٦٩.

الجغرافي ومنها ما يتعلق بالحالة النفسية للمتكلم، كما تتدخل عوامل أخرى كنظرية السهولة ونظرية الجهد الأقوى.

### أ- أثر البيئة الجغرافية في التغير الصوتي:

للظروف الجغرافية والمناخية تأثير كبير على أصوات اللغة، فشدة الطبيعة أو ليونتها تنعكس على الناس فتطبعهم بطباعها، ويظهر ذلك في الأصوات المنطوقة<sup>(١)</sup>، وممن نادي بهذه النظرية (كولتس) "فقد عزا تطور الأصوات الشديدة في اللغة الألمانية ونظائرها الرخوة للطبيعة الجغرافية في بعض جهات ألمانيا، وقد أكد في مقالاته أن الجهات الجبلية تميل لغاتها إلى التخلص من أمثال b.d . g . فتهمس أولاً وتصبح على الترتيب p.t. k ثم تقلب إلى نظائرها الرخوة، الفاء، الثاء.هاء على الترتيب"<sup>(٢)</sup> وتفسير ذلك مرده إلى أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطاً في عملية التنفس ما يتبع في ذلك ميل بالأصوات من الشدة إلى الرخاوة<sup>(٣)</sup>.

وقد تصدى لهذه النظرية علماء منهم "يسبرسن" الذي اعتبر أن هذا التفسير لا يؤازره العلم، ذلك أن التطور الذي أشار إليه "كوليتس" قد حدث مثله في البيئات السهلية<sup>(٤)</sup>.

### ب- الحالة النفسية وأثرها في التغير الصوتي:

يرجع بعض اللغويين التغيرات الصوتية التي أصابت لغات كثيرة إلى أسباب نفسية، فالاستنفار الدائم الذي يعيشه مجتمع معين يولد قلقاً و توتراً نفسيين، يحددان نوع العلاقة الاجتماعية بين الأفراد، واعتزاز الشعب بقوته، وعنفوانه يؤديان إلى أسلوب خاص من التراكيب اللفظية التي تميل إلى الشدة، وكذلك الرخاء والاستقرار يولدان حالة الاسترخاء والميل إلى الدعة وبالتالي تميل أصوات اللغة إلى الانتقال إلى الرخاوة.

ويلتمس أصحاب هذه النظرية أدلتهم من التطور التاريخي الذي مر به الشعب الألماني<sup>(٥)</sup>. ومن هؤلاء اللغوي الألماني "جريم grim" الذي عزا التغيرات الصوتية في اللغة الألمانية إلى النزعة التقدمية التي يمتاز بها الشعب الألماني، فهو شعب تواق إلى الحرية، ولذا فهو لا يعرف الثبات ومن ثم فقد تغيرت أصواتهم اللغوية<sup>(٦)</sup>. فإذا مال الشعب إلى الدعة و الاستقرار مالت أصواته إلى الشدة. ومن اللغويين العرب اللذين يتفقون مع هذا

(١) ينظر: علم اللغة بين التراث والمعاصرة، د. عاطف مذكور، ص ٢٧٩.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١٩٧١، ص ٢٣٤.

(٣) ينظر: الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص ٢٧٨.

(٤) ينظر الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس، ص: ٢٣٥.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢٣٤.

(٦) علم اللغة بين التراث والمعاصرة، د. عاطف مذكور، ص ٨٠.

الطرح إبراهيم أنيس إذ يقول "غير أنه يستأنس لهذا الرأي بما نعرفه عن اللهجات العربية القديمة، وميل البيئات المتحضرة في جزيرة العرب إلى الأصوات الرخوة في حين أن البيئات البدوية كانت تميل إلى الأصوات الشديدة"<sup>(١)</sup>.

### ج- اختلاف أعضاء النطق من جيل إلى جيل باختلاف البيئات والأجيال:

يكاد علماء اللغة يجمعون أنّ أعضاء النطق تختلف بعض الشيء في بنيتها واستعدادها باختلاف الشعوب، وباختلاف الظروف المحيطة بكل شعب فحاجرتنا، وأوتارنا الصوتية وأسنتنا وحلقنا تختلف عمّا كانت عليه عند آبائنا الأولين من حيث بنيتها الطبيعية واستعدادها للنطق، غير أن هذا الاختلاف لا يبدو أثره بشكل واضح إلا بعد زمن طويل باعتبار أنّ التطور الطبيعي المطرد لأعضاء النطق يسير ببطء وتدرج<sup>(٢)</sup> وأنّ تغير الأصوات من جيل إلى جيل ليس إلا نتيجة تطور عضلي في أعضاء النطق، فقد تبع الاختلاف في أعضاء النطق تغير في الأصوات<sup>(٣)</sup>. ويرجع الفضل في توجيه الأنظار إلى أثر التغيرات الجسمية الخاصة بأعضاء النطق في تطور أصوات اللغة من ناحيتها الصوتية إلى العالم اللغوي التجريبي "روسلو roussetot"، وكان ذلك عام ١٨٩٠<sup>(٤)</sup>.

يقول على عبد الواحد وافي: "تختلف أعضاء النطق في بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب، والتي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف"<sup>(٥)</sup>.

ومن الأدلة التي تثبت هذا التوجيه تشعب اللغة اللاتينية إلى عدة لهجات تحمل صفات الشعوب الأوربية الناطقة بها وخصائصها، وكذلك اللغة العربية التي تبرز فيها اليوم عدة لهجات تنسب إلى البلاد الشامية والعراقية والحجازية والمغربية، لما في هذه اللهجات من خصائص البيئة والشعب التي تنتسب إليهما. و"مبلغ اختلاف هذه اللهجات بعضها عن بعض في أصواتها يتبع إلى حد كبير مبلغ اختلاف الناطقين بها بعضهم عن بعض في أصولهم الشعبية، فكلما كان هؤلاء متجانسين في أصولهم ضاقت مسافة الخلف بين لهجاتهم في ناحيتها الصوتية، وكلما تعددت الأصول الشعبية التي ينتمون إليها اتسعت هذه المسافة"<sup>(٦)</sup> إلا أن إبراهيم أنيس يعارضها الطرح قائلاً "ومثل هذه النظرية على ما بها من

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢٣٥.

(٢) ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص ٢٦٥.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢٣٢.

(٤) ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص ٤١ وما بعدها.

(٥) السابق الصفحة نفسها.

(٦) علم اللغة، وافي، ص ٢٧١.

جاذبية وطرافة لم يستطيع أحد من علماء التشريح البرهنة عليها، بل لقد برهن معظمهم على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح<sup>(١)</sup>.

### د - نظرية الجهد الأقوى وتأثيرها في التغير الصوتي:

يذهب أنصار هذا القانون إلى القول إن الصوت الذي يمتلك هيمنة، وقوة في صفاته وخصائصه الصوتية يؤثر في الصوت المجاور له<sup>(٢)</sup>. وقد صاغ اللغوي الفرنسي "موريس قرامون" Maurice garment في كتابه "رسالة في الصوتيات" القواعد التي بمقتضاها تعمل هذه الظواهر المختلفة للصوتيات التجميعية، ويعتبرها المؤلف قواعد عامّة في كل اللغات، وسجل ملاحظاته في الاقتصاد الصوتي وصاغها في قانون سماه: قانون الغلبة للأقوى<sup>(٣)</sup> THE LAW OF STRONGER، ويقضي هذا القانون بأنه إذا أثر فونيم في آخر بطريقة، أو بأخرى فإنّ أضعفها بحكم موقعه في المقطع أو شدة النطق به هو الذي يقع تحت تأثير الآخر<sup>(٤)</sup>. وقد تحدث عن الصفات التي تجعل صوتاً معيناً أقوى من غيره، فجعلها منحصرة في القوة، رافضاً بذلك التفسير النفسي مستبعداً أن تكون لنفسية المتكلم دخل في إحداث عملية التأثير بين الأصوات، بل يرجع ذلك إلى صفات يمتاز بها الصوت المؤثر دون غيره<sup>(٥)</sup>. وإذا عدنا إلى تراثنا اللغوي، فإننا نجد أن النحويين العرب أشاروا إلى نظرية الأقوى، في سياق حديثهم عن مقاييس الإدغام حيث جعلوا التأثير الإدغامي دائماً للصوت الأقوى. فقد نص أبو محمد البطليموسي "ت ٥٢١ هـ" على أن الصوت الأضعف يقلب إلى الأقوى ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف يقول: "وقد أجاز النحويون في كل سين وقعت بعدها عين أو خاء معجمتان، أو قاف، أو طاء أن تبدل صاد، فإذا كانت صاداً في الأصل لم يجز أن تقلب سيناً، نحو سخرت منه، وصخرت ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾<sup>(٦)</sup> وأصبغ ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَهُ﴾<sup>(٧)</sup> وبسطه ومتى رأيت من هذا النوع ما يقال بالصاد والسين، فاعلم أن السين هي الأصل، لأن الأضعف يرد الأقوى، ولا يرد الأقوى إلى الأضعف"<sup>(٨)</sup>.

(١) الأصوات اللغوية، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص ٢٦٨.

(٣) ينظر: الصوتيات، برتيل مالبرج، ص ١٨١.

(٤) ينظر: السابق الصفحة نفسها.

(٥) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي - أبو عمر بن العلاء - تأليف عبد الصبور شاهين، ص ٢٣٣.

(٦) [لقمان: ٢٠].

(٧) [الأعراف: ٦٩].

(٨) الاقتصاب في شرح أدب الكتاب، أبو محمد عبد الله بن السيد البطليموسي، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد القادر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١، ج ٢، ص ١٩٧.

## هـ- نظرية السهولة وأثرها في التغير الصوتي:

يميل الإنسان بطبعه إلى الاقتصاد في المجهود العضلي عند التعبير فيتلمس أيسر السبل وأسهلها محاولاً التخلص من الأصوات العسيرة، للوصول إلى ما يهدف إليه من إبراز المعاني وإيصالها إلى المتحدثين معه<sup>(١)</sup> فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات لسانه بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكثر، ومثل الإنسان في هذا مثله في كل الظواهر الاجتماعية، فهو يحاول الوصول إلى غرضه في أقصر الطرق كلما أمكن ذلك<sup>(٢)</sup>.

وممن نادى بهذه النظرية ويتبني CURTIUS WHITHNEY الذي يرى أن كل ما نكشفه من تطور اللغة، ليس إلا أمثلة لنزعة اللغات إلى توفير المجهود الذي يبذل في النطق، وأن هناك استعداد للاستغناء عن أجزاء الكلمات التي لا يضر الاستغناء عنها بدلالاتها<sup>(٣)</sup>. وقد أشار النحويون العرب القدامى إلى مثل هذه النظرية عندما صنفوا الحركات إلى خفيفة كالفتحة وثقيلة كالضمة والكسرة، وعندما وصفوا الحرف بالخفة كالحروف الشفوية، وجعلوا الحروف تتدرج في الصعوبة كلما أوغلت عمقا في جهاز النطق. يقول ابن دريد<sup>(٤)</sup> "واعلم أن أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والمهمزة، وأقل ما يستعملون لثقلها على ألسنتهم الظاء ثم الذال ثم التاء ثم القاف ثم الخاء ثم العين ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم، فأخف هذه الحروف كلها ما استعمله العرب في أصول ابنيتهم من الزوائد لاختلاف المعنى<sup>(٥)</sup> فالثقيلة كالمهمزة والهاء والعين أعمق الحروف، وأكثرها جهداً في النطق، لأنها تخرج من الحلقوم، وتزفر منها كمية من الهواء، وقد استنقلوا توالي المتحركات في الكلمة الواحدة أو توالي الأصوات المتماثلة وقد انقسم الباحثون إذا هذه النظرية بين مؤيد ومعارض، فالمؤيدون فهموا أن التطوير الصوتي غير إرادي دون أن يشعر به المتكلم فالمرء في الحقيقة حين ينطق بالصوت السهل بدل الصعب، يخيل إليه دائماً أنه ينطق بالصوت الأصلي دون تغير فيه، فالعملية إذن لاشعورية، وهي لهذا بعد تكررها تترك أثراً في تطوير كثير من أصوات اللغات، كما أنها ليست عملية ذات أثر سريع، بل تمر في أطوار من اللغة حتى يظهر أثرها واضحاً جيلاً بعد أجيال"<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢٣٥.

(٢) الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص ٢٨٠.

(٣) التطور اللغوي، رمضان عبد التواب، ص ٤٧.

(٤) جمهرة اللغة، ابن دريد، دار صادر، لبنان، بيروت، ج ١، ص ١٢.

(٥) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢٣٦.

## ظاهرة اقتران الأصوات وتنافرها:

من الملاحظات الدقيقة لدى علماء العربية، التي تعد إحدى مجالات البحث الصوتي المتخصص "مسألة اقتران الأصوات وتنافرها".

وقد كشفت لنا هذه الملاحظات على أوليتها القيود التي فرضت على البناء الصوتي للكلمة العربية، وأوضحت مذهبهم في مزج الأصوات بعضها ببعض بما يتلاءم وذوق الإنسان العربي في ترتيب الأصوات التي ينطق بها.

وقد جاءت هذه الملاحظات نتيجة من نتائج دراستهم لمخارج الأصوات، وفي هذا قال ابن دريد: "وإنما عرفتك المجاري لتعرف ما يأنف منها مما لا يأنف فإذا جأعتك كلمة مبنية من حروف لا تؤول مثلها العرب، عرفت موضع الدخول منها، فرددتها غير هائب لها" (١).

### ومن أساليب علماء العربية في تحديد معالم هذه الظاهرة هي:

أولاً: حصر صور الاقترانات غير المسموح بها من دون ضابط محدد:  
من ذلك:

قول الجاحظ: "فأما في اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء، ولا القاف، ولا الطاء، ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء، ولا السين، ولا الضاد، ولا الذال بتقديم ولا بتأخير" (٢).

وبيان هذا: أنه لا يوجد تراكيب (جظ، طج، جق، قج، جط، طج، جغ، غج).  
ولا توجد (زظ، ظز، زس، سز، رض، ضر، زذ، ذز).

ومما يلاحظ أنه قد يكون في بعضها تقارب غير أن الأغلب لم يندرج تحت باب تقارب المخارج. أما أسلوب الجاحظ في تحديد هذه الاقترانات غير الموجودة، فهو في أغلب الظن قد اعتمد أسلوب الإحصاء للتراكيب الصوتية الواردة في اللغة العربية في مجموعة معينة من النصوص، نظير ما استخدمه من أسلوب في إحصاء نسبة ترداد الوحدات الصوتية، وذلك بعد الأصوات الواردة في جملة من خطب الناس ورسائلهم (٣).

### ثانياً: حصر صور الاقترانات غير المسموح بها بسبب تقارب المخارج:

أي: أن النطق بصوتين متواليين متقاربين في مخرجيهما، يماثل إلى حد ما نطق صوتين

(١) جمهرة اللغة، لابن دريد: المقدمة ٨: ١.

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ، ج ١، ٦٩، ينظر: الإيضاح (الاقترانات غير المسموح بها) التي رصدها شهاب الدين الخفاجي في كتابه شفاء العليل ص ٦-٧.

(٣) البيان والتبيين، للجاحظ، ج ١، ص ٢٢.



متمائلين متواليين، وفي كلتا الحالتين يشكل نطقهما صعوبة على اللسان، لأنه يرتفع من نقطة ما لنطق صوت معين، ما أن ينتهي من نطقه حتى يعود إلى النقطة نفسها التي ارتفع منها، أو ملاصقة، أو مجاورة لها، ليعيد العملية النطقية، وفي هذا تكلف ومشقة، وهو أمر أدركه اللغويون ووقفوا على كراهة العرب لهذا النطق، حتى جنحوا إلى أسلوب يعالج هذه المشقة: كالإبدال، والإدغام كراهة اجتماع مثلين<sup>(١)</sup>.

ولاقتزان الصوتين عندما يتواليان صورتان، هما:

### ١ - الثقل غير المستساغ:

نظير اقتران أصوات الحلق، وأقوال علماء العربية في هذا كثيرة منها:

قول الخليل بن أحمد: "العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما"<sup>(٢)</sup>.

وقول المبرد: "واعلم أنه ليس من كلامهم أن تلتقي همزتان فتحققا جميعا"<sup>(٣)</sup>.

والعلة في ذلك هو مسألة وحدة المخرج.

وقد شمل ابن دريد الصوتين المتقاربين بهذا الاستئصال أيضا، إذ قال: "واعلم أن الحروف إذا تقاربت مخرجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت، لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق، دون حروف الفم، ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا..<sup>(٤)</sup>.

وأكد ابن جني هذا الاستئصال، فقال: "وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولاسيما حروف الحلق"<sup>(٥)</sup>.

وأثقل صور هذا التقارب هو تجاوز صوتي حلق، كما جاء في النصوص السابقة، وعلة هذا الثقل كما يرى السيرافي أن "حروف الحلق أشد علاجاً، وأصعب إخراجاً وأحوج إلى تمكين آلة الصوت من غيرها"<sup>(٦)</sup>.

وواضح أن الذي يريده السيرافي من "شدة العلاج" و "صعوبة الإخراج" هو التعبير عن إحساسه بعدم سهولة نطق أصوات الحلق نتيجة صلابة عضل الحلق بخلاف عضل اللسان. ولمح ابن جني سببا آخر يزيد من كراهة ائتلاف أصوات الحلق، هو "تقارب مخرجها قريبا لم يحدث في غيرها من

(١) المنصف، ابن جني، ج ١، ص ٩٠.

(٢) العين: باب العين مع الحاء ٦٨: ١.

(٣) المقتضب، المبرد، ج ١، ص ٢٩٥.

(٤) جمهرة اللغة، المقدمة، ج ١، ص ٩.

(٥) سر صناعة الإعراب، ج ٢، ٨١٢.

(٦) شرح الكتاب للسيرافي، ج ٦، ص ٥٣١.

الأصوات، إذ قال: "...حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد، لتقارب مخارجها"<sup>(١)</sup>.

ولم يغفل علماء العربية من ورود بعض صور هذه الاقترانات التي اشتملت على أصوات حلق متجاورة. قال ابن دريد: "... وأصعبها حروف الحلق، فأما حرفان فقد اجتمعا في كلمة مثل (أخ) بلا فاصلة، واجتمعا في مثل "أحد، وأهل، وعهد، ونخع..."<sup>(٢)</sup>.

وجاء ابن جني وأخذ هذه الألفاظ وأضاف إليها ، ونظمها في قسمين:

أ - اقتران مع فصل، نحو: هداً.

ب- اقتراناً بدون فصل، نحو:

١- أن تبدأ الهمزة ويجاورها ثلاثة من أصوات الحلق هي: الهاء، والحاء، والخاء، نحو

أهل، أحد، أخذ.

٢- ائتلاف الهاء مع العين، في حالة تقدم العين، نحو: عهد- ائتلاف العين مع الخاء،

في حالة تقدم الخاء، نحو: نخع<sup>(٣)</sup>.

ونضيف إلى ائتلاف الهمزة مع غيرها من أصوات الحلق مجاورتها إلى العين، والغين،

نحو: أعلم، وأغنى.

وشمل ابن دريد بهذا الاستئصال أصوات أقصى الفم، وهي عنده: القاف، والكاف، والجيم،

والشين<sup>(٤)</sup>، وفي ائتلاف هذه الأصوات قال: "لم تأتلف الكاف والقاف في كلمة إلا بحواجز ...

وكذلك حالهما مع الجيم... إلا أنها قد دخلت على الشين لتنقشي الشين..."<sup>(٥)</sup>.

وتابعه ابن جني في تعليل عدم ائتلاف الكاف، والقاف، والجيم بالمشقة والكلفة في

النطق، وأضاف إليها ما رفض استعماله لتقارب حروفه، نحو: سص، وطمس، وظث، وقال:

"وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه"<sup>(٦)</sup>.

أمّا حالة الأصوات الأخرى إذا لزم السياق اقترانها، فإنها تنضوي عندهم تحت مبدأ القوة

والضعف في الأصوات، فلا بد من تقديم الأقوى على الأضعف، وأقوالهم واضحة:

قال ابن السراج: "فمتى تألف منها شيء بدعوا بالأقوى من الحرفين"<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن دريد: من شأنهم إذا أرادوا هذا، أن يبدعوا بالأقوى من الحرفين، ويؤخروا الألين"<sup>(٨)</sup>.

(١) الخصائص، لابن جني، ج ١، ص ٥٤.

(٢) جمهرة اللغة، المقدمة، ج ١، ص ٩.

(٣) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ٢، ص ٨١٢.٨١٣.

(٤) جمهرة اللغة، المقدمة، ج ١، ص ٦ جمع (الجيم والشين) مع (القاف والكاف) في مخرج واحد و أقصى الفم أمر لم يوفق فيه

ابن دريد، والجيم والشين كما قرر سيبويه وكذلك المحدثون من وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى).

(٥) السابق، المقدمة، ج ١ ص ٦-٧.

(٦) الخصائص، ابن جني، ج ١، ص ٥٤.

(٧) الاشتقاق، ابن السراج، ص ٤٦.

(٨) جمهرة اللغة، المقدمة، ج ١، ص ١٢.

وقال ابن جني: "فينبغي إذا تدانى الحرفان أن يبدأ بالأقوى منهما"<sup>(١)</sup>.  
ثم إننا نجد ابن جني قد حاول تطبيق فكرة تقديم الأقوى على اقتران أصوات الحلق أيضا على قلة الصور التي أحصيت، قال: "وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد... فإن جمع بين اثنين منهما قدم الأقوى على الأضعف، نحو: أهل، وأحد، وأخ، وعهد..."<sup>(٢)</sup>.

## ٢- ما هو سهل مستساغاً:

وهو النوع الثاني من اقتران الأصوات المتقاربة المتوالية، وقد جاءت منه صور اعترف بفصاحتها، نحو:

ف، م	فم
ت، د	المتحد
ج، ش، ي	جيش
ش، ي	شين

ولم أقف على تعليقات من علماء العربية لورود هذه الاقترانات التي تخالف ما ذهبوا إليه من "أن الحروف إذا تقاربت مخرجها كانت أثقل على اللسان"<sup>(٣)</sup> سوى ما جاء عن ابن دريد من أن دخول "الشين" على "الجيم" في "الشج" و"الجش" كان بسبب نقشي الشين"<sup>(٤)</sup>، وهي تمثل حالة انبساط الفم معها، وانتشار الصوت عليه، وأنها أقرب إلى داخل الفم. أي: إنها ليست ملاصقة له، ففيها نوع من البعد.

يرى بعض المتأخرين ك"ابن الأثير" أن مثل هذه الألفاظ مع حسنها وجمالها ألفاظ شذت عن القاعدة العامة التي ترى الحسن مع تباعد المخارج"<sup>(٥)</sup>.

وخلاصة ما مر فإن أساس ظاهرة اقتران الأصوات وتنافرها - كما تبين لنا من أقوالهم - قد بنيت على فكرة تقارب المخارج وتباعدها، فكل ما تباعد مخرجه كان تأليفه أحسن، وعلى العكس فإن تقارب الأصوات مرغوب عنه لثقله في النطق، خاصة في أصوات الحلق، وأقصى الحنك، لغلظ عضل الوضعيين وصلابتهما.

ولا يعني هذا أن التقارب مرغوب عنه دائماً، فقد وردت ألفاظ متقاربة المخارج، وما نال هذا التقارب من فصاحتها وحسنها وجمالها.

(١) سر صناعة الإعراب، ج ٢، ص ٨٨١.

(٢) الخصائص، ابن جني، ج ١، ص ٥٤.

(٣) جمهرة اللغة: المقدمة ج ١، ص ٩.

(٤) لسابق: ج ١، ص ٦.

(٥) المثل السائر، ابن الأثير: ص ٦٠.

وفي مقابل ذلك لا يعني أن التباعد سبب للحسن دائماً، فقد أشكل "ابن الأثير" عليه بورود كلمة (ملع)، قال: "فإن هذه اللفظة مكروهة الاستعمال ينبو عنها الذوق السليم، ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة، وهنا نكتة غريبة، وهو إنا إذا عكسنا حروف هذه اللفظة صارت "علم"، وعند ذلك تكون حسنه لا مزيد على حسنها، وما ندرى كيف صار القبح حسناً، لأنه لم يتغير من مخرجها شيء<sup>(١)</sup>.

والإجابة عن حيرة "ابن الأثير" لا تعدو أمرين:

أولهما: هو إدراك مسألة الإهمال والاستعمال في العربية، فهناك ألفاظ أهملت ولم تستعمل، وقد رصدت هذه الألفاظ في المعاجم العربية، وإذا كان هذا الإهمال لم يشمل مادة (ملع) حيث جاء في "جمهرة ابن دريد" أن الملع: السرعة<sup>(٢)</sup>، يبقى عندنا الأمر الثاني: وهو الحس المرهف بالميل إلى اللفظة، والإحساس بجمالها وعذوبتها.

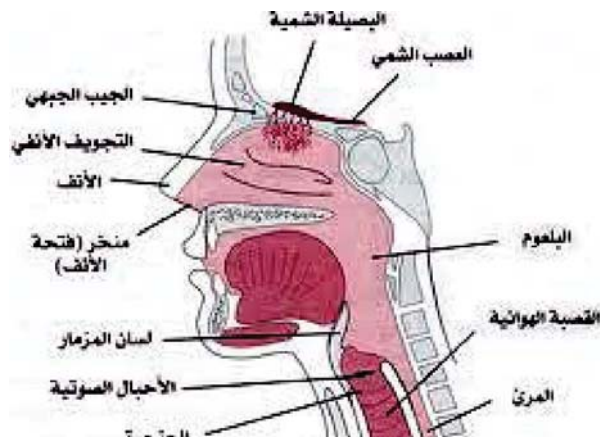
أما إذا لزم اقتران الأصوات المتقاربة ولا محيص عنه، فقد لاحظوا أن الصوت المتقدم هو الأقوى، والمتأخر هو الأضعف، علماً أنهم لم يخلفوا لنا دراسة دقيقة المعالم في قوة الأصوات وضعفها أسوة بدراساتهم الصوتية الأخرى، فإن اقترن الصوتان ولم يستطيعوا فيهما مجارة تقديم الأقوى على الأضعف، لجئوا إلى الإبدال أو الإدغام تحقيقاً للانسجام الصوتي، وتيسيراً لعملية النطق من الاستثقال المكروه.

### وصف الجهاز الصوتي، وكيفية الأداء النطقي:

وعلى هذا ففي تسمية هذه الأعضاء بأعضاء النطق كثير من التجوّز والتساهل، فليس من بينها عضو واحد يعتبر النطق وظيفة أصلية له، فالنطق في الواقع ليس أكثر من وظيفة ثانوية تؤديها هذه الأعضاء إلى جانب قيامها بوظائفها الرئيسية التي خلقت من أجلها. ولهذا فإن عجز الإنسان عن الكلام لإصابته بالكم لا يعني على الإطلاق عجز أعضائه عن القيام بوظائفها الأخرى التي تحفظ على صاحبها الحياة، فلسان الأخرس يقوم بجميع الوظائف التي يقوم بها لسان غير الأخرس، فيما عدا الكلام بطبيعة الحال<sup>(٣)</sup>.

وأنتقل بعد هذا إلى وصف الجهاز الصوتي - إجمالاً وتفصيلاً:

رسم توضيحي للجهاز الصوتي رقم (١):



(١) السابق: ص ٦١.

(٢) جمهرة اللغة: ج ٣، ص ١٣٩.

(٣) أصوات اللغة، د. عبد الرحمن.

- أ- الشفتان.  
ب- الأسنان العليا والسفلى.  
ج- مقدم الحنك - اللثة -.  
د- وسط الحنك - الحنك الصلب - أو الغار.  
هـ- أقصى الحنك - الحنك اللين - أو الطبقة.  
و- اللهاة.  
ز- الحلقوم.  
ح- الحلق.  
ط- لسان المزمار.  
ي- الأوتار الصوتية  
ك- الحنجرة.  
ل- القصبة الهوائية.  
م- طرف اللسان - مقدمه -.  
أقصى اللسان - مؤخره- (١).
- نجد أنه يتكون - على وجه العموم - من الآتي:

الحنك	٦	الشفتان	١
الحنجرة	٧	الأسنان	٢
القصبة الهوائية	٨	الحنك	٣
التجويف الأنفي	٩	اللسان	٤

(١) مسميات أعضاء النطق منقول - بتصريف - عن: الأصوات اللغوية (د. إبراهيم أنيس) ص ١٦ - ١٧. ومناهج البحث في اللغة (د. تمام) ص ٧٢، أصوات اللغة (د. أيوب) ص ٤١-٨٦، علم اللغة (د. السعران) ص ٤٢-١٥٠، علم اللغة العام - الأصوات - (د. كمال بشر) ص ٦٦ - ٦٧.

ويمكن توضيح ذلك - مفصلا - على النحو التالي:

أولاً: الشفتان: وهما من أعضاء النطق المتحركة. وتلعب الشفتان دورا مهما في إصدار بعض الأصوات، وذلك نتيجة لتحركهما بكل سهوله، فهما مرتتان للغاية، حيث تجدهما يتخذان أوضاعا مختلفة، كالانطباق، والانفراج، والاستدارة. وهذه الأوضاع المتعددة تؤثر في إصدار الأصوات، سواء أكانت صامتة أم صائتة، وإن كانت أهميتها تبدو أكثر في نطق الصوائت.

والصوت الصادر من هذه المنطقة يسمى "الصوت الشفوي"، أو "الشفطاني"، أو "الشفوي الثنائي"<sup>(١)</sup>. وأفضل استخدام "الشفوي"؛ لسهولته، ودلالته على المقصود.

ثانياً: الأسنان: وهي من أعضاء النطق الثابتة. وتنقسم إلى قسمين:

أ- أسنان عليا.

ب- أسنان سفلى.

وللأسنان العليا دور مميز في نطق كثير من الأصوات.

ونظرا لقرب الأسنان من الشفة، إضافة إلى اتخاذها موضعا ثابتا من اللثة، فإن هناك قدرا

مشتركا بينها وبين الشفة واللثة في إصدار بعض الأصوات.

ثالثاً: الحنك: ويسمى ب"سقف الفم" أو "الحنك الأعلى"، أو "سقف الحنك"<sup>(٢)</sup>، وبه يتصل

اللسان، فتكون كثير من المخارج الصوتية. ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

أ- مقدم الحنك - اللثة -: وهو من أعضاء النطق الثابتة، وموقعه من الحنك خلف

الأسنان العليا مباشرة، ويسمى الصوت الصادر من هذه المنطقة "الصوت اللثوي".

ب- وسط الحنك - الحنك الصلب -: ويطلق عليه - الغار -، والصوت الصادر من هذه

المنطقة يسمى "صوتا غاري".

ج- أقصى الحنك - الحنك اللين -: وهو من الأعضاء القابلة للحركة ويطلق عليه الطبق،

ويسمى الصوت الصادر من هذه المنطقة "الصوت الطبقي".

وأضاف بعض المحدثين قسما رابعا لما تقدم: هو اللهاة<sup>(٣)</sup> وتقع في نهاية

الحنك اللين، وهي من أعضاء النطق المتحركة، والصوت الصادر من هذه المنطقة

(١) دراسة الصوت اللغوي: (د. أحمد مختار عمر) ص ٢٦٩.

(٢) علم اللغة (د. السعران) ص ١٤٢.

(٣) المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٢٥-٢٦.

يسمى "الصوت اللهوي"

رابعاً: اللسان: وهو عضو عضلي متحرك، ويقوم بدور رئيس في تكوين أكثر أصوات اللغة، ولأهميته سميت اللغات به. فيقال في العربية "اللسان العربي" أو "لسان العرب". ويقصدون بذلك اللغة العربية<sup>(١)</sup>.

ويعد اللسان من أعضاء النطق المرنة، فتراه يتخذ أشكالاً متعددة، وأوضاعاً مختلفة من التحريك الأمامي والخلفي، والعلوي والسفلي، وهذه الأوضاع تمكنه من الوصول إلى أي منطقة في الفم، مما يجعله يصدر مجموعة كبيرة من الأصوات. وعلى الرغم من مرونته، فهو لا ينفرد بإصدار أي صوت لغوي، بل يشترك معه الحنك - بأقسامه الثلاثة-.

### وينقسم اللسان إلى ثلاثة أقسام:

أ- طرف اللسان: وهو الجزء المقابل للثة، ويسميه القدماء "ذلق اللسان" أو "ذولقه"  
ب- وسط اللسان: وهو الجزء المقابل لوسط الحنك - الغار-.  
ج- أقصى اللسان: وهو الجزء المقابل لأقصى الحنك - الطبق -.  
خامساً: الحلقوم: ويقع بين الطبق والحلق. ويسمى الصوت الصادر منه "الصوت الحلقومي".

سادساً: الحلق: وهو عبارة عن منطقة تقع بين أقصى اللسان، وبين الجدار الخلفي للحلق، ويطلق عليه "التجويف الحلقي" أو "الفراغ الحلقي"<sup>(٢)</sup>، وقد كان للقدماء مفهوم أوسع لهذه المنطقة، حيث تشمل الحنجرة، والحلق، وأقصى الحنك - الطبق -، كما أنهم وزعوا هذه المنطقة إلى ثلاثة أحياز، هي - أدنى الحلق، أوسطه، أقصاه وجعلوا لكل حيز أصوات معينة. و للمحدثين مفهوم مغاير لحدود منطقة الحلق، و ما تختص به من أصوات<sup>(٣)</sup>، ويسمى الصوت الصادر من هذه المنطقة "الصوت الحلقي".

سابعاً: الحنجرة: وتقع في أسفل الفراغ الحلقي، وفوق القصبة الهوائية، وهي "عبارة عن حجرة متسعة نوعاً ما، ومكونة من ثلاثة غضاريف الأول أو العلوي منها ناقص الاستدارة من خلف، وعريض بارز من الأمام، ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم. أما الغضروف الثاني فهو كامل الاستدارة، والثالث مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من خلف"<sup>(٤)</sup>. ويقع فوق

(١) الأصوات (د. بشر) ص ٦٩.

(٢) علم اللغة (د. السعران) ص ١٤٤.

(٣) مناهج البحث في اللغة (د. تمام) ص ١١١، ١٢٩، الأصوات (د. بشر) ص ١٢٢ - ١٢٤.

(٤) الأصوات (د. أنيس) ص ١٧، وللمزيد ينظر: أصوات اللغة (د. أيوب) ص ٤٧ فما بعدها.

الحنجرة ما يسمى بـ"السان المزمار"، أو "الغصمة"، وهو عبارة عن قطعة لحمية تتحرك بحركة اللسان، ويقوم بوظيفة حماية الحنجرة أثناء عملية البلع. وليس للسان المزمار - فيما يبدو - أي دور في عملية إصدار الأصوات<sup>(١)</sup>. وتقوم الحنجرة بدور رئيس في عملية النطق؛ وذلك لوجود ما يعرف بالوترين الصوتيين.

والوتران الصوتيان، أو الحبلان الصوتيان هما "رباطان مرنان يشبهان الشفتين، يمتدان أفقياً من الخلف إلى الأمام حيث يلتقيان عند ذلك البروز الذي نسميه بتفاحة آدم. أما الفراغ الذي بين الوترين فيسمى بالمزمار"<sup>(٢)</sup>. وهما من أعضاء النطق المتحركة. ويختلف سمكهما ودرجة توترهما من جنس لآخر، فهما عند الرجال غيرهما عند النساء، وعند الأطفال - أيضاً - ونتيجة لمرونتهما فإنهما يتخذان أوضاعاً متعددة تؤثر في إصدار الأصوات الكلامية، ولعل من أهم تلك الأوضاع هو ما يحدث لهما عند مرور النفس بهما من حيث اهتزازهما أو عدمه، فإن تذبذباً سمي الصوت مجهوراً، وإن لم يتذبذباً سمي مهموساً<sup>(٣)</sup>.

ثامناً: القصبة الهوائية: وهي عبارة عن "أنبوبة مكونة من غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الخلف، متصل بعضها ببعض بواسطة نسيج غشائي مخاطي، خلاياه السطحية هديبية"<sup>(٤)</sup>.

ودورها في الكلام أنها ذات أثر واضح في درجة الصوت، حيث تعتبر بمثابة صندوق رنين مع بعض الأصوات، إضافة إلى أن الهواء الخارج من الرئتين يمر بها - أولاً - في طريقه إلى الحنجرة.

تاسعاً - التجويف الأنفي: وهو من أعضاء النطق الثابتة. ويتم إصدار بعض الأصوات من هذه المنطقة حينما ينخفض الحنك اللين "الطبق"، مما يتيح للهواء القادم من الرئتين بالمرور من المجرى الأنفي<sup>(٥)</sup>. ويسمى الصوت الصادر من هذه المنطقة "التجويف الأنفي". (الصوت الأنفي).

عاشراً - الرئتان: تعد الرئتان المصدر الأول لانطلاق الصوت، حيث يقوم الحجاب الحاجز بالضغط عليهما، فيخرج هواء الزفير الذي معه تحدث عملية الكلام.

والرئة عبارة عن جسم مطاط، قابل للحركة - امتداداً وانكماشاً - عن طريق الحجاب

(١) علم اللغة (د. السعران) ص ١٤٥.

(٢) الأصوات (د. أنيس) ص ١٧.

(٣) للمزيد ينظر: علم اللغة (د. السعران) ص ١٤٥ فما بعدها، أصوات اللغة (د. أيوب) ص ٥٦ فما بعدها، علم الصوتيات (د. عبد الله ربيع محمود، د. عبد العزيز أحمد علام) ص ٩٣ فما بعدها.

(٤) أصوات اللغة (د. أيوب) ص ٤٦.

(٥) الأصوات (د. بشر) ص ٧١.



الحاجز والقفص الصدري. وهي من أعضاء النطق المتحركة .  
وتؤدي الرئتان دورا حيويا وهاما للجسم، هو التنفس.  
ويتم ذلك بتخليص الجسم من ثاني أكسيد الكربون عن طريق الزفير، وإمداده بالأوكسجين  
- بواسطة عملية الشهيق-(<sup>١</sup>).  
هذه هي أعضاء النطق التي تشترك في إصدار الصوت الإنساني، والتي أثبتتها الدراسات  
الصوتية الحديثة من خلال الاستعانة بعلم التشريح، واستخدام الأجهزة الصوتية الدقيقة.

---

(١) أصوات اللغة (د. أيوب) ص ٤٥.٤٠.

الباب الأول  
الإطار النظري للدراسة  
الفصل الأول  
في الحروف العربية  
المبحث الأول  
الحروف العربية  
المبحث الثاني  
الحركات ونظم الكتابة العربية  
الفصل الثاني  
تصنيف الأصوات العربية  
المبحث الأول  
الصوامت والصوائت الماهية والسماة  
المبحث الثاني  
أسس تصنيف الأصوات العربية الصامتة  
المبحث الثالث  
الوصف الصوتي للصوامت العربية

المبحث الأول

الحروف العربية

معاني الحروف

بين الصوت والحرف عند اللغويين القدماء

بين الصوت والحرف عند اللغويين المحدثين

الحروف العربية بين التوقيف والاصطلاح

أشكال الحرف العربي وتشكيلاته

المبحث الثاني

الحركات ونظم الكتابة العربية

علاقة الحركة بالحرف

كيفية نطق الحركات

الحركات العربية عند المحدثين

مقاييس أصوات اللين

الصوائت المعيارية الأساسية عند جونز

وصف الحركات المعيارية الأساسية

الحركات العربية على ضوء درس الصوتي الحديث

وصف الحركات العربية

## معاني الحروف:

في المعجم الوسيط في مادة حرف: حرف عنه مال وعدل، وأحرف استغنى بعد فقر، وخورف فلان قدر عليه رزقه، وحرف الشيء أماله، وحرف القلم قطعه محرفاً، وحرف الكلام غيره وصرفه عن معانيه، وفي الترتيل ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾<sup>(١)</sup>، واحترف اتخذ حرفاً، وانحرف مال، وتحرف عنه انحرف، والحرافة تحرق اللسان، والحرف من كل شيء طرفه وجانبه، ويقال فلان على حرف من أمره: ناحية منه إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه، وفي الترتيل ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾<sup>(٢)</sup>، والحرف من الدواب الضامرة، والمنحرف في الرياضيات شكل رباعي لا يوجد به ضلعان متوازيان، وشبه المنحرف رباعي له ضلعان متوازيان.<sup>(٣)</sup>

وقال ابن جنى: "أما الحرف، فالقول فيه وفيما كان من لفظه أن "ح ر ف" أينما وقعت في الكلام يراد بها حد الشيء وحدته." ويقول: "ويجوز أن تكون سميت حروفاً - يعني حروف الهجاء - لأنها جهات الكلم ونواح كحرف الشيء وجهاته المحدقة به"<sup>(٤)</sup>. ومن معاني الحرف الطرف من كل شيء<sup>(٥)</sup>، ولكن المقصود بالطرف عند الحديث عن الحرف اللغوي لم يحدده الدارسون، وخاصة إذا اعتمدنا مبدأ التثليث في أصل الصيغة الفردية.

ففي الثنائي يمكن أن يطبق هذا المفهوم على أساس أن كل حرف طرف في الكلمة، الأول طرف في صدرها، والثاني طرف في عجزها، ولا حشو فيها.

ولكنّ العرب القدامى لم يقولوا بالثنائية، وهل هذا المصطلح يعني ذلك ثنائية الكلمة؟ وهذا ما لم تقل به المصادر والروايات.

وقد يكون الطرف يعني طرف الأصل، المأخوذ منه الجزء المعبر عنه، الدال عليه؛ وبذلك تكون الباء هي طرف الكلمة الأصلية المأخوذة منها، فهي طرف كلمة بيت في "بيت"، ويكون الطرف هو المقطع المتطرف من الصورة الأصلية الكلية التي أخذ منها ليدل جزؤه على مجموعها.

وقد يكون لفظ الحرف مأخوذاً من معنى الحفر، إذا كان الحرف في الأصل نقشا على الحجارة أو الأخشاب، والنقش حفر؛ ثم أصابه قلب مكاني، فتقدمت الراء على الفاء هنا كما

(١) [النساء: ٤٦].

(٢) [الحج: ١١].

(٣) المعجم الوسيط: ج ١، ص ١٦٨.

(٤) سر صناعة الإعراب: لابن جنى، م ١، ص ٢٦.

(٥) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٨٧.

تقدمت في غرضوف من غرضوف، وسروال من شلوار.

ويجح هذا الاحتمال، ما يروى على أن الكتابة العربية كانت في بداية أمرها نقشا على الحجارة والرقاع والعسب؛ وكل هذه مواد صلبة يثبت النقش عليها بالحفر أكثر ما تثبت الكتابة بالسوائل؛ ومما يروى في هذا، أن «رسول الله ﷺ لم يدخل الكعبة يوم الفتح حتى أمر بالزخرف فمحي، وأمر بالأصنام فكسرت، أراد النقوش والتصاوير، وقد - روي كذلك أن الكلابي أخذ بعض علمه بأنساب العرب، مما وجده على جدران كنائس الحيرة»<sup>(١)</sup>.

ومن الألفاظ الدالة على الكتابة، استعمال كلمة (رسم) كمصطلح للكتابة، ومن معاني الرسم في اللغة، الآثار الباقية عن الإنسان<sup>(٢)</sup> ومن معاني الرسم أنه (أثر خطو الإبل على الرمل في رسيمها أو سيرها على العموم)<sup>(٣)</sup> والحرف أثر حركة آلة الرسم على المادة الصلبة أو اللينة، وتدلّ هذه الآثار على أن العرب كانوا يستخدمون ضربا آخر من الأقلام يكتبون به دون الحبر<sup>(٤)</sup>.

هذه دلالة الحرف اللغوي، وتبقى بعد ذلك دلالة صورته المنطوقة باعتبارها رمزا معبرا عن صوت، أو أنها صورة بصرية جامعة لتلوينات صوتية منطوقة، لصوت واحد، سماها بعض المحدثين (الفونات الفونيم) وهي أنواع<sup>(٥)</sup>.

إنّ المصادر والنصوص العربية، مختلفة في تحديد معنى الحرف اختلافا بينا، في تصويره وصورته، ومعظمها تعتبره صورة صوتية جامعة لتلوينات صوتية متعددة؛ ومن هذا المنظور، يصبح مفهوم الحرف يقابل مفهوم الفونيم، عند المحدثين، حيث يجمع هذا الرمز عائلة صوتية تحت عنصر أساسي، ومن الآثار التي تؤكد هذه النظرة في اللغة العربية، ما جاء به الحديث الشريف في فضائل تلاوة القرآن، قول: الرسول ﷺ «أما أني لا أقول - الم - يعني ألف، لام، ميم حرف؛ ولكن، ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف، وألف، ولام، وميم، ثلاثون حسنة»<sup>(٦)</sup>.

لقد اعتبر الرسول ﷺ الألف حرفا مع اختلاف صورته من تفخيم، وترقيق، وتوسط، وفتح، وإمالة؛ وهي تلوينات صوتية تنطوي جميعها تحت مصطلح "حرف ألف" العضو الرئيس في العائلة الصوتية، ومثله اللام والميم؛ ومعنى هذا أيضا أن الحرف يقاس مستقلا عن اللسان،

(١) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٨٧ - ٨٨.

(٢) من ذلك ما ورد في مطلع قصائد الشعراء العرب ووقوفهم على الأطلال وقولهم (لم يعف رسمها).

(٣) عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، ص ٤٥.

(٤) ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي، ص ٤٣.

(٥) عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ٩٧ وما بعدها.

(٦) القرطبي، التذكار في فضائل الأذكار، ص ٣.

مفردا غير مركب، وذلك لأن التبدلات الصوتية تصيب الحرف عند تركيبه في نسق لغوي منطوق، حين يتأثر ويؤثر.

كان هذا أول الآثار العربية الإسلامية وأقواها صدقا ومصداقية، وصحة وحجة، كما تعد أقدمها تاريخا، في مفهوم الحرف وتحديد دلالاته واختصاصه بالأداء، لما فيه من الإيماءات والإشارات إلى القراءة والصوت؛ وثاني الآثار العربية في تحديد الحرف ما نقل عن أبي الأسود في قوله لكاتبه "إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، وان ضمنت شفتي فأنقط نقطة بين يدي الحرف"<sup>(١)</sup>.

هذا النص يؤكد سابقة في مفهوم الحرف، من حيث مبدؤه ومنتهاه، ومن حيث إنه علامة على مجموعة تلوينات صوتية؛ فالباء عند أبي الأسود حرف واحد في صورتها الكتابية، مع اختلاف تلويناتها الصوتية في مختلف الأنسجة اللغوية، فالباء في سبر، وقبر، وصبر، صوت واحد في رأيه؛ مع إن لكل رمز مكتوب كمية صوتية منطوقة يختلف فيها عن غيره. ومؤدي هذا، إنَّ العرب انطلقوا من الفونيم في وحدته الصوتية القاعدية التأليفية (صامت + صائت) حرف مع حركته. والفونيم عند المحدثين وحدة صوتية تدرس داخل السياق اللغوي؛ وأبو الأسود نقط الحروف داخل أنساقها وأنسجتها اللغوية؛ ولكن هناك وجها للاختلاف بين أبي الأسود والمحدثين وهو، إنَّ أبا الأسود لا تختلف نظرتة للحرف، سواء كان داخل السياق أم خارجه، أما المحدثون، فالصامت عندهم تختلف صورته الصوتية لكونه داخل السياق أو خارجه، وتختلف تبعا لذلك طريقة دراسته.

## بين الصوت والحرف:

### أولاً: - بين الصوت والحرف عند اللغويين القدماء:

يذكر ابن منظور في معجمه (لسان العرب) في باب ألقاب الحروف: "إنَّ عدد الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا، منها خمسة وعشرون حرفا صحاح ولها أحياء ومدارج. وأربعة أحرف جوف ثم ينقل ترتيبها عن الخليل بن أحمد هكذا: "ع ح خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م ي و"<sup>(٢)</sup>.

وقد أطلق ابن منظور وغيره على أصوات اللغة العربية اسم الحروف كما يذكر كذلك الخليل بن أحمد وابن كيسان وابن سيده وسيبويه وغيرهم من القدماء وكانوا يرون إنَّ الصوت

(١) أبو عمر الداني، المحكم في نقط المصاحف، ص ٧، وينظر: ابن النديم، الفهرست، ص ٤٠، باختصار، وعلى اختلاف الرويات.

(٢) لسان العرب، ج ١، ص ٧.

والحرف مدلولهما واحد ولا فرق بينهما، فيطلق أحدهم الصوت على الحرف كما يطلق الحرف على الصوت. وتسوية الحروف بالأصوات هي نظرة الغالبية العظمى من القدماء وبعض المحدثين<sup>(١)</sup>.

وهناك كثيرٌ من المحدثين من المشتغلين بالدرس الصوتي وبعض القدماء يفرّقون بين الصوت والحرف. فهذا العالم اللغوي الكبير (ابن جنّي) المتوفى في العام الثاني والتسعين بعد المائة الثالثة من الهجرة - يذكر الفرق بينهما فيقول: "اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً حتى يعرض له في الحلق والشم والشفيتين مقاطع تشبه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً... الخ."<sup>(٢)</sup>.

والذي نستطيع أن نفهمه من كلام ابن جنّي باختصار شديد هو أنّ الصوت خلاف الحرف. لأنّ الصوت عرضاً يجري مع النفس ينتهي بخروج الحرف، فالحرف إذاً يبدأ بانتهاء الصوت.

### ثانياً: - الصوت والحرف عند اللغويين المحدثين:

ويذكر الفروق من المحدثين تمام حسان فيقول: "الصوت عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصحبها آثار سمعية تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي ومركز استقباله وهو الأذن"<sup>(٣)</sup>.

أمّا الحروف: فهي وحدات من نظام، وهذه الوحدات أقسام ذهنية لا أعمال نطقية على نحو ما تكون الأصوات. والفرق واضح بين العمل المركزي الذي للصوت وبين الإدراك الذهني الذي للحرف أي بين ما هو مادي محسوس وبين ما هو معنوي مفهوم<sup>(٤)</sup>. وعلى ذلك، "فالصوت ينطق فيكون نتيجة تحريك أعضاء الجهاز النطقي، وما يصاحب هذا التحريك من آثار سمعية، ولكن الحرف لا ينطق وإنما يفهم في إطار من الحروف يسمى النظام الصوتي للغة كما أنّ: "الصوت جزء من تحليل الكلام، أما الحرف جزء من تحليل اللغة"<sup>(٥)</sup>.

ويرى محمود فهمي حجازي أنّ هناك اختلافاً كبيراً بين مجموع الأصوات ومجموع الحروف، فالأفعال الماضية "سافروا، ذهبوا، .." تنتهي بحرف الألف التي ليست لها أية دلالية صوتية، فجميع حروف الكلمة هنا أكثر عدداً من الأصوات المكونة لها. وعلى النقيض من

(١) د. ناجح مبروك، الأصوات اللغوية في لسان العرب، ط القاهرة، ١٩٨١، ص ٥١.

(٢) ابن جنّي: سر صناعة الإعراب، ص ٥١.

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها، طبعة ثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١، ص ٦٦.

(٤) السابق، ص ٧٣.

(٥) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٧٤.

ذلك نجد بعض الحركات الطويلة لا تكتب في بعض الكلمات، مثل: هذا، هذه، لكن، و... الخ<sup>(١)</sup>، فعدد حروفها هنا أقل من مجموع أصواتها المكونة لها. وكان الأولى أن تكتب هكذا: (هاذا، هاذة، لا كن). ويتضح هذا بوضوح في الكتابة العروضية حيث إننا نقطع كلمة "لكن" هكذا (لا كن) لأن ما ينطق يكتب وما لا ينطق لا يكتب، فبعد الكلام توجد فتحة طويلة يهملها الخط العربي، وهي عيب من عيوب الكتابة العربية.

ويذكر محمود فهمي حجازي<sup>(٢)</sup> فرقا آخر بين الحروف والأصوات، ويتضح هذا الفرق في حرف الواو والياء. فحرف الواو يرمز في الخط العربي إلى ظاهرتين مختلفتين في اللغة العربية. فالواو ترمز في تدوين الكلمات: ولد، ورد إلى صوت صامت في العربية بينما ترمز في نحو شهور، مجهول إلى حركة طويلة في اللغة العربية. وكذلك حرف الياء الذي يرمز تارة إلى صوت صامت في: "يذهب، يلعب، ويكتب". وتارة أخرى إلى حركة طويلة كما في: "مساكين، عسافير، في".

ولا يجوز في بحث اللغة العربية أو أية لغة أخرى أن نتعامل بالحروف المكتوبة ونترك الأصوات المنطوقة، بل علينا وعلى كل دارسي العربية أن ندرس الأصوات اللغوية التي تتكون منها هذه اللغة التي هي ظاهرة صوتية منطوقة تدون بالحروف<sup>(٣)</sup>.

وأخيرا نقول: إن اللغة العربية هي كما عرفها ابن جني "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>(٤)</sup>.

إذا فاللغة أصوات والأصوات بطبيعتها منطوقة والعبرة عند دارسي اللغة العربية بالنطق وليست بالكتابة فمثلا: "لم يخش الطالب من اللصوص".  
فإننا نعرب هكذا:

يخش: فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وهي (الألف) والدليل هو بقاء الفتحة على الشين دليلا على أن المحذوف ألف.

كذلك فيمكننا القول إن الصوت متعلق بالنطق والنطق لغة وهي تعتمد على حاسة السمع وهي ملكة في اللسان. والحرف متعلق بالخط والخط كتابة والكتابة تعتمد عليها حاسة البصر وهي صناعة ملكتها في اليد.

(١) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٢٤.

(٢) السابق، ص ١٢.

(٣) السابق الصفحة نفسها.

(٤) ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٣.



## الحروف العربية بين التوقيف والاصطلاح:

إنّ حديث الحروف العربية غير ثابت ولا منفق عليه في آثار القدماء، ووفقاً لذلك فقد خضعت دراستها لما خضعت له الدراسة اللغوية العربية بعامة، إلى نظريتي التوقيف والاصطلاح؛ وذلك عندما شرع الباحثون والمهتمون، في تنظيم الدراسة اللغوية العربية وتعيدها، لتحديد مصطلحاتها، وموضوعاتها، في العصور المتأخرة لنشأتها.

لقد ذهب بعض الدارسين إلى أنّ الحرف العربي موقوف منزل من عند الله؛ أنزله الله على آدم ﷺ، على ما هو عليه شكلاً وعدداً؛ وإنّه ليس لبني الإنسان دخل في نشأته وتطوره، وإنّ سلموا له بشيء من ذلك، حصره في تحسين شكل الحرف وتجميله؛ وأحاطوا الحرف العربي بهالة من التقديس، ودعموا آراءهم بأحاديث في الموضوع يظهر عليها الوضع والاختلاق، كالذي نجده عن ابن الصائغ<sup>(١)</sup>. وروى أحمد بن فارس، أنّ ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: "أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل وضعه على لفظه ومنطقه"<sup>(٢)</sup>.

ويرجح ابن فارس هذا الرأي من بين الآراء التي تحدثت عن الخط العربي، ويؤيده بقوله: "والروايات في هذا الباب تكثر وتختلف. والذي نقوله فيه إنّ الخط توقيف"<sup>(٣)</sup> وفي الموضوع نفسه، يروي ابن الصائغ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "أول من وضع العربية ثلاث رجال من لولان، اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة، ثم نقل هذا العلم إلى مكة وكثر فيه الناس وتداولوه"<sup>(٤)</sup>.

والاختلاف في محتوى الروايتين واضح، مع انتسابهما إلى رجل واحد؛ مما يؤكد أنّ القوم كانوا يبحثون عن جهة متينة يسندون إليها ظهورهم لتقوى بها حججهم وآراؤهم؛ حتى ولو كانت بأحاديث غير صحيحة. وابن عباس رضي الله عنهما ما نراه ينحو هذا النحو في الغلط؛ فينسب الخط لإسماعيل مره وإلى رجال من لولان مرة أخرى؛ الخط من عمل أفراد جاءوا به فنشروه وتداوله الناس عنهم وطوروه؛ وهذه سمية العلوم الإنسانية وسنتها في الظهور والنشوء الانتقاء.

والاختلاف في الروايتين، مرده إلى موقف صاحبيه من نظريتي التوقيف والاصطلاح؛ وقد كان ولا يزال لكل نظرة منهما رجالها المدافعون عنها، المؤلفون الأحاديث لدعمها وإقناع الناس

(١) ابن الصائغ تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب. ص ٢٩ وما ب

(٢) أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص ٣٤.

(٣) السابق الصفحة نفسها.

(٤) ابن الصائغ، تحفة أولي الألباب، ص ٣١-٣٢ والعد جاء هكذا في النص وصوابه (ثلاثة رجال).

بها؛ وكان ابن فارس من أنصار نظرية التوقيف.

وبين نظريتي التوقيف والإصلاح، نظرية وسطي متوسطة. لا تقول بوحدة منهما، وإنّ بدا عليها الميل نحو التوقيف، حين تربط الحروف العربية بالمظاهر الكونية كحركة الفلك وعدد البروج والمنازل والأقمار؛ ويقدم القلقشندي عدد الحروف العربية بقوله: "إنّ حروف المعجم، ثمانية وعشرون حرفاً، سوى "لام ألف" وإنّ ذلك على عدد منازل القمر الثمانية والعشرين؛ وإنّ المنازل أبداً منها أربعة عشر فوق الأرض، وأربعة عشر تحت الأرض؛ ثمّ إنّه لا بد أن يبقى مما فوق الأرض منزلة مختفية تحت الشفق؛ فكانت الحروف المنطوقة خمسة عشر حرفاً بعدد المنازل المخفية"<sup>(١)</sup>.

وفي هذا النص، يظهر التكلف جلياً، في ربط عدد الحروف بأوضاع الأجسام الفلكية؛ وحديثه عن المعجم والمهمل من الحروف لا يسنده دليل علمي تاريخي؛ ذلك أنّ نقط الحروف العربية جاء متأخراً عن ظهورها، وإنّ الذين نقطوا الحروف لم يراعوا هذا التقسيم، وإنما راعوا مناسبة الأشكال لتمييز صوت من صوت في ما تشابه منها وتمائل في الشكل. والقلقشندي من متأخري العصر العباسي، ومن الذين عاشوا في أيام الغزو الأجنبي للعرب والمسلمين، فكان من الذين ثارت ثائرتهم، وانبروا للدفاع عن العرب وتراثهم، فبالغوا في تأصيله وتقديسه، حبا فيه وتعلقاً به، حتى أساءوا إليه من بعض الجوانب.

وما يعيب الحرف العربي أن يكون أتى إلى الجزيرة من خارجها، ثم نما وتطور فيها. وأضاف إليه العرب من فنهم وذوقهم وثقافتهم ما أضافوا ليتلاءم وطبيعتهم<sup>(٢)</sup>، وللعرب أثر في كل ما نقلوه عن غيرهم من أمم الأرض علماً كان أو فناً؛ ومن عرض الآراء السابقة، وتتبع مسيرة الدراسات العربية في تاريخها اللغوي؛ يتأكد أنّ عدد الحروف العربية، وضعي لا توقيفي؛ يدعم هذا الرأي الإضافات التي لحقت بالحرف العربي في صورته وعدده. فقد ألحق أبو الأسود الدؤلي بالحرف العربي علامات الإعراب في شكل نقط وضعها على أواخر الكلمات؛ وقام تلاميذه من بعده بإعجام الحروف، ثم قاموا بإضافات وتغييرات في أشكال العلامة الإعرابية، انتهت إلى ما قام به الخليل من إتمام وإصلاح وإضافات.

وبعد الخليل، يتحدث سيبويه عن توزيع جديد للحروف، ويقسمها إلى أصلية وفرعية؛ ويقسم الفرعية إلى مستحسنة ومستقبحة، قال فيها: "أصل حروف العربية تسعة وعشرون

(١) القلقشندي . صبح الأعشي في صناعة الإنشاء ، ج ٣ ، ص ١٥٢ .

(٢) المعروف أنّ الخط العربي مقتبس من الخط الأرمي. ينظر: يحي عبّانة، النظام السيمائي للخط العربي، في ضوء النقوش السامية.

حرفاً؛ وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين؛ وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار؛ وتكون اثنين وأربعين حرفاً، بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر<sup>(١)</sup>.

ومما يدعم الرأي القائل بعدم التوقيف أنّ سيبويه قد رتب الحروف العربية في كتابه ترتيباً صوتياً، على ما ذهب إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي من قبل؛ والتوقيف يقتضي الحفاظ على الترتيب الذي جاءت عليه الحروف العربية في تنزيلها إنّ كانت منزلة.

إضافات سيبويه إلى الحروف العربية الأصلية حروفاً فرعية مستحسنة ومستقبحة، لا يقبله هو، ولا غيره من العلماء العرب، لو كان الحرف العربي توقيفاً، لأن عمله هذا يعد إضافة للأصل ما ليس فيه، لنقصه واحتياجه إليه؛ والأصل المنزل تام لا نقص فيه، لأنه منزل من حكيم خبير.

إنّ ما قام به سيبويه، عمل مهم، لو لقي من يتقبله ويتعهده ويطوره ويرعاه؛ حتى يصبح لكل تلوين صوتي مسموع، رمز بصري مرسوم؛ وبذلك يرقى الحرف العربي في عدده ووظيفته، ويصبح التعبير به عن أكثر الأصوات إنّ لم تكن كلها خاصة عربية متميزة، ويتقلص إنّ لم يخفف ما يشكو منه الدارسون والباحثون العرب من نقص في تعبير الرمز المرسوم عن النطق المسموع.

والظاهر من جهود سيبويه أيضاً، أنّه عمل على أنّ يدخل للعربية رموزاً بصرية جديدة تدل على ألوان صوتية مستجدة؛ بتقعيد أصواتها وتقيداً وتحدد طريقة نطقها؛ ومن تلك الرموز علامات الاختلاس، والإشمام والروم، والوقف.

هذه العلامات التي لا تزال مكنونة في كتابه، لو اعتنى بها الدارسون المحدثون بأن أعطوا لكل مصطلح صوتي منطوق صورة بصرية، وجعلوا لكل صوت مسموع علامة صوتية منظورة، لكان لذلك أثره الفعال في مجال التعليم وتقويم اللسان بعامته، وفي مجال تعليم اللغات بخاصة، ولأصبح للعربية من علامات التلوين البصرية ما يماثل عدد العلامات الصوتية السمعية.

ويتضح مما سبق، أنّ الحرف العربي من عمل الدارسين؛ نشأ، ونما، وتطور، وتفرع كغيره من المعارف والصناعات العربية، بين مستعمليه حتى استوى واكتمل على الشكل الذي

(١) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٢.

نراه اليوم عليه؛ ولا يزال العلماء المختصون يبحثون له عن شكل أليق وأكمل، ليعبر تعبيراً صوتياً دقيقاً عن فحوى الكلمة والجملة، مع المحافظة على أصالته<sup>(١)</sup>.

### أشكال الحرف العربي وتشكيلاته:

هناك جانب مهم يتعلق بالحرف العربي وهو شكله؛ وما للباحثين والدارسين من آراء في ذلك؛ وهل الحروف العربية نزلت بأشكالها الحالية عند أهل التوقيف، وكيف صارت إلى ما هي عليه عند القائلين بالوضع.

والمتتبع لحديث القائلين بالتوقيف، لا يجد في آثارهم وآرائهم نظرة واضحة محددة، تقيم العلاقة العملية العلمية بين الحرف المنطوق وشكله المرسوم؛ إلا عند بعض المشتغلين بالشعوذة والسحر والطلاسم؛ ويستثنى من هؤلاء بعض علماء التصوف؛ وهم الذين ربطوا رسم الحرف بدلالته، ولم يهتموا بشكله. فالتاء عندهم تراب، والنون نار، والميم ماء، والهاء هواء، وهي جميعها تشكيلات تمثل العناصر الأربعة الأساسية في الطبيعة، التي هي: التراب والماء والهواء والنار؛ وجماعة من غير هؤلاء، ربطت أشكال الحروف بصور إنسانية وشبهتها بها، معبرة عما تحسه من مقابلة بين شكل الحرف وهيئة عضو أو جزء من جسم الإنسان، ومن ذلك قول الرازي<sup>(٢)</sup>:

وضاق صدري مثل الميم من حزن      فهل أراني وحببي مثل لام ألف  
قد صرت كالنون في الهجران منحنيا      وكنت في الوصل عند الألف كالألف

وفي البيت الثاني يظهر ما يلفت الانتباه وهو، تشبيه ظهر المنحنى بالنون؛ ومعلوم أنّ شكل النون هلالى عندنا، أي أنّ طرفيها يتجهان إلى أعلى، والنون التي يتجه قرناها إلى أسفل هي النون عند الرياضيين، ومن هنا يصبح عندنا للنون شكلان، أحدهما علمي وآخر أدبي.

أما القائلون بالوضع، فجميعهم متفقون على أنّ الحروف العربية من وضع البشر؛ ولكنهم اختلفوا في أصل هذه الحروف وأصولها، وكيف كانت قبل أن تصل إلى ما هي عليه في أشكالها الحالية، وهم في ذلك فئتان أيضاً: -

أ- منهم من اهتم بالوصف التاريخي، لتطور الحرف العربي في شكله، منذ أن استعمل في التعبير عن المعاني، وارتبطت رموزه بالأصوات المعبرة عن الطبيعة، وقد اكتفى هؤلاء

(١) تنظر مجهودات تطوير الخط العربي، محمد رشاد الحمزاوي. أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطبعة دار الغرب الإسلامي ١٩٨٨.

(٢) رمضان عبد التواب: ثلاثة كتب في الحروف، ص ١٤٨.

بالإشارة إلى أنّ شعوباً تداولت الحروف الكتابية وأخذها بعضهم عن بعض، بالتطوير والتوظيف، ومن ذلك "أنّ الأكاديين - مثلاً - أخذوا كتابتهم عن السومريين، وتمتاز الكتابة السومرية بأنها كتابة شبه مقطعية، تدون أصوات المد فيها، في صلب تلك الرموز، وعندما أخذ الأكاديون هذه الكتابة أبقوا على طبيعتها تلك"<sup>(١)</sup>.

ب- وتتبع طائفة أخرى تطور الحرف العربي عبر العصور التي اجتازها، وكيف كان حتى وصل إلى ما هو عليه، ولخصوا هذه المراحل في أنّ "الكتابة العربية مرت بأربعة أدوار حتى انتهت إلينا على ما هي عليه، وهذه الأدوار هي:

١- الدور الصوري الذاتي، وفيه تدل الصور على المعاني الذاتية.

٢- الدور الصوري الرمزي، وفيه - فضلاً - عن الصور الذاتية، صور رمزية، تدل على المعاني المعنوية التي لا صور لها في الخارج.

٣- الدور المقطعي، وفيه تدل الصورة على أول مقطع من اسمها، وهي خطوة كبرى في اختراع الكتابة.

٤- الدور الهجائي، وفيه أصبحت تلك المقاطع حروفاً، وهو آخر خطوة بلغتها الكتابة حتى الآن"<sup>(٢)</sup>.

إنّ صاحب هذا الرأي يتحدث عن الأدوار التي قطعتها الكتابة الإنسانية ويحلها ويوضحها في مواضع مختلفة من كتابه، ومفاد حديثه في جميع المواضع، هو أنّ أشكال الحروف وحتى بعض أسمائها الحالية، مستوحاة من عمل الفينيقيين، الذين أخذوها عن المصريين الذين كانوا في بداية عهدهم بالكتابة يرسمون ما يعبرون عنه بتمام شكله، ثم عوضوا ذلك برموز تجمع بين الصورة ومعنى ما يعبرون عنه.

لقد "اتخذوا شكلاً مربعاً يشبه البيت؛ ويدل عند المصريين على البيت، واسمه عندهم (با) فرسموا شكلاً يقاربه ودلوا به على مقطع الباء، وسموه (بيت) أي بيت"<sup>(٣)</sup>، ويدل هذا النص على أنّ الحرف تخلى عن بعض أجزائه في مختلف الأدوار والأطوار التي مر بها، وإنّه يحمل في شكله الحالي رمزه الأصلي المأخوذ منه؛ وفي اسمه دلالة الصورة الأصلية التي كان يدل عليها، وفي مثل هذا ما يضيفه العقاد في قوله: "الباء هي الحرف الأول من كلمة "بيت" التي كانت ترسم على شكل بيت للدلالة على المبيت أو المساء، ثم تولد منها مقطع

(١) غالب فاضل المطلبي، دراسة أصوات المد، ص ١٢٢.

(٢) جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص ٦٣ وما بعدها باختصار، وينظر يحيى عباينة، النظام السيميائي للخط العربي، في ضوء النقوش السامية.

(٣) جرجي زيدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، ص ١٨٦.

بحروفه الثلاثة، ثم تولد من المقطع حرف واحد هو الذي بقي من الصورة كلها، وهو الذي نسميه الآن حرف (الباء) ونسمعه فلا يخطر لنا رسم البيت على بال، لأننا تخطينا بالكتابة عهد الصورة الهيروغليفية وعهد المقطع إلى عهد الحروف الأبجدية<sup>(١)</sup>.

ومن مجموع ما سبق، يفهم أنّ الحروف العربية بقايا صورة مجسمة كانت ترسم للدلالة على أسمائها أو أعمالها، أو هما معا؛ وأنّ في الحروف العربية دلالات صورها وأصولها القديمة التي تقلصت واختزلت وعوضت بجزئيات منها، ومن ثمة، لم يبق من (البيت إلا الباء، ومن الجمل إلا الجيم، ومن اليد إلا الدال)<sup>(٢)</sup> ويقول صاحب هذا النص في موضع آخر إنّنا نكتب الكاف (ك) ولا نفكر في كف اليد، كما نكتب الجيم، والحاء، والحاء، ولا نفكر في عنق الجمل والحصان والخروف؛ ومن هذه النصوص والآراء، يظهر جليا أنّ لأهل الوضع آراء صائبة في موضوع نشأة الحروف وتطورها، وأنّ لهم نظرة صائبة وقاعدة صلبة ينطلقون منها من واقع الدراسة العلمية والشواهد العملية، وإنّ حججهم وآراءهم مبنية على التتبع التاريخي والاستقراء الميداني. ومن هذه النظرة اعتبر هؤلاء الحروف مجرد وسيلة لتقيد المعنى وتسجيل الفكرة، واهتم الدارسون منهم بشكل الحروف فطوروها وحولوها من مجرد رسم معبر عن صورة إلى فن معبر عن أدواق الناس وبراعة الكتاب، واتخذها بعضهم مادة طيبة لرسم أشكال إنسانية أو حيوانية أو نباتية، ومن ثمّ ظهرت فئة ثالثة اهتمت بالحرف العربي من حيث هو فن<sup>(٣)</sup>.

حيث عمل رجال هذه الفئة على تطوير أشكال الحروف وتحسينها واستغلالها في رسوم وصور مختلفة الأشكال والأحجام والدلالات، واستطاع "الفنان العربي أنّ يبلغ غايته، إذ أدرك ما في الحروف العربية من خصائص فنية جمالية في الاستقامة، والرشاقة، والتناسق، والامتداد، والتدوير، والتناسب؛ فساعده ذلك على إعطائها أشكالاً مختلفة، تخلع عليها جمال الحياة، وانقلبت بعد حين إلى قامات، وأغصان، وأزهار؛ فبعد أنّ كان الخط وسيلة للفهم أصبح مظهرا من مظاهر الجمال، تفور فيه الحياة ويجري معه السحر"<sup>(٤)</sup>.

(١) عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، ص ٤١.

(٢) السابق، ص ٩٤.

(٣) حسن شحاتة، مجلة الدوحة، ع ٨٥: ٠٢: ١١٠: ١٢٢، من مقال بعنوان (ثلاثة من رواد الحرف العربي).

(٤) خاد قطيش، الخط العربي وأفاق تطوره، ص ٦٤، ويحي عباينة، النظام السيمائي للخط العربي في ضوء النقوش السامية ولغاتها، ص ٣٧.



المبحث الثاني  
الحركات العربية  
الحركات ونظم الكتابة العربية  
علاقة الحركة بالحرف  
كيفية نطق الحركات  
الحركات العربية عند المحدثين  
مقاييس أصوات اللين  
الصوائت المعيارية عند جونز  
وصف الحركات المعيارية الأساسية  
الحركات المعيارية الثواني  
الحركات العربية على ضوء الدرس الصوتي الحديث  
وصف الحركات العربية



## الحركات ونظم الكتابة العربية:

الحركة علامة صوتية متغيرة تلتحق الصامت "الحرف" عند النطق به لتغير صوته أو دلالاته أوهما معا وقد اتخذت مصطلحات عدة في الدرس الصوتي فالصوائت والمصوتات والطلائقات والعلامات الإعرابية والبنائية كلها مصطلحات لمفهوم واحد.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام إنّ اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية التي عرفت باعتمادها على الصوائت أكثر من اعتمادها على الصوائت" ومن ثم لم تصطنع الساميات للمصوتات رموزا، بعكس المجموعة الهندية - الأوروبية، التي أبرزت دائما وجود هذه العناصر الصوتية<sup>(١)</sup>.

وهذا العيب في الخط العربي يرجع إلى أصوله التي أخذ منها، وهي الخط النبطي الذي كان منتشرا في شمالي الجزيرة العربية في الحيرة والأنبار قبل مجيء الإسلام، والنبط قوم من الساميين كانوا يتكلمون لهجة آرامية من تلك اللهجات الآرامية التي كانت شائعة في سوريا والعراق في ذلك الوقت، وقد اشتقوا خطوط أبجديتهم من الخط الفينيقي، فقد وضع الفينيقيون وهم من الأقوام السامية القديمة- نظاما من الرموز لأبجديتهم، ورثها عنهم بعض شعوب العالم القديم بعد أن أحدثوا فيها بعض التغييرات على مر الزمان.

وعلى الرغم من أنّ أصوات العلة قصيرها وطويلها أوضح في السمع من الأصوات الساكنة بكثير، فإن هؤلاء الساميين لم يرمزوا لها منذ البداية في خطوطهم، سواء في ذلك القصير منها والطويل<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا انصب الاهتمام - في بادئ الأمر - على الصوائت التي ظلت بؤرة الدراسة فترة غير قليلة من الزمن، وقد أطلقوا عليها مصطلح "الحروف" ثم عمم هذا المصطلح حتى شمل الصوائت فيما بعد؛ فسميت الصوائت الطويلة "حروف المد" ثم سميت الصوائت القصيرة (الحركات) "حروفا صغيرة"<sup>(٣)</sup>.

أي أنّ ظهور الحركات في الكتابة العربية مر بمرحلتين:

الأولى: ظهور الحركات الطويلة، وقد سماها المتقدمون "حروف المد" (ألف المد، ياء المد، واو المد).

الثانية: ظهور الحركات القصيرة، وقد سميت "الحروف الصغيرة" (الألف الصغيرة، الياء

(١) عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٢٥٩ .

(٢) رمضان عبد التواب: في أصوات اللغة، محاضرات لطلبة الفرقة الثالثة بكلية الآداب، جامعة عين شمس قسم اللغة العربية القاهرة ١٩٧٠، ص ٤٢.

(٣) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ١٧.

الصغيرة، الواو الصغيرة). ثم سميت بالحركات (الفتحة، الكسرة، الضمة).

ولقد كان القرآن الكريم هو المحور الذي تدور حوله الدراسات والأبحاث اللغوية، والقرآن كان ينتقل في مراحل الأولى عن طريق الرواية والمشافهة، وعندما ظهرت الكتابة تحملت أوجه الاختلاف في الرواية - في مراحلها الأولى - لأنها كانت تعتمد على الصوامت أكثر من اعتمادها على الصوائت؛ فلم تكن هناك في البداية إلا ثلاثة رموز فقط للحركات الطويلة (حروف المد) بل إن المصحف العثماني كثيرا ما تحذف فيه الحركات الطويلة وخاصة الألف<sup>(١)</sup>.

وعندما وضعت رموز للصوائت القصيرة (الحركات) ظهرت الاختلافات في رواية القرآن الكريم، وخير مثال على ذلك ما ورد في الخطوط العربية القديمة كالخط العثماني الذي كتب به القرآن الكريم على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ففيه كلمات مثل "أموال" و "كلالة" وغيرهما كتبت: "أمول" و "كللة" بدون ألف.

ومثل "يدعو" و "يأتي" كتبت "يدع" و "يأت" مع عدم وجود جازم قبل هذه الأفعال<sup>(٢)</sup>. ومن ذلك ما ورد في الكلمة "عبد" في قوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾<sup>(٣)</sup>، من أوجه لقراءات مروية عديدة بين صحيحة وشاذة<sup>(٤)</sup>.

وهذه بعض الأمثلة منها:

قرأ ابن مسعود وابن وثاب "عَبَدَ الطَّاغُوتَ" بفتح العين، وضم الباء، وفتح الدال في "عبد"، - وقرأ النخعي ﴿عَبْدُ الطَّاغُوتِ﴾ - بضم العين، وفتح الباء، وضم الدال، - وقرأ الحسن ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ - بفتح العين، وسكون الباء، وفتح الدال، وفتح التاء في الطاغوت، - وقرأ حمزة ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ - بفتح العين والدال، وكسر التاء في الطاغوت، - وقرأ ابن عباس ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ - بضم العين، وفتح الباء والدال، وكسر التاء في الطاغوت، - وقرأ أيضا ﴿عَبِيدَ الطَّاغُوتِ﴾، وقرأ علقمة ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ - بضم العين وفتح الباء والدال، وكسر التاء في الطَّاغُوتِ، - وقرأ أبي ﴿عَبَدُوا الطَّاغُوتِ﴾، وقرأ أبو واقد ﴿عَبَادَ الطَّاغُوتِ﴾، وقرأ ابن بريدة ﴿عَابِدَ الطَّاغُوتِ﴾.

إن هذه الروايات على اختلافها وتعددتها كانت تتحملها الكلمة "عبد" عندما كانت تقتصر على الصوامت فقط، ولكن عندما ظهرت الصوائت "الحركات" برزت أوجه الاختلاف،

(١) عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٢٦١.

(٢) رمضان عبد التواب: أصوات اللغة، ص ٤٣.

(٣) [المائدة: ٦٠].

(٤) عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية، ص ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩.

وانعكست على الكتابة أيضا بعد أن كانت لا تظهر إلا في المشافهة "النطق فقط".  
 إلا أن النابهين من علماء العربية انتبهوا إلى هذا القصور الذي ساد نظام الكتابة العربية  
 فاخترعوا هذه الحركات التي تعبر عن الأصوات التي قصر عنها نظام الكتابة العربية وتعالج  
 مشكلة اللحن التي تفتشت فكانت المبادرة الأولى التي قام بها أبو الأسود الدؤلي - على أرجح  
 الأقوال-؛ وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، مع اختلاف في البواعث  
 والأسباب بين الدارسين والباحثين؛ ولكن الذين اختلفوا في الأسباب والبواعث، لم يختلفوا في  
 الباعث الأساس إلى هذه المبادرة، وهو ظهور اللحن الذي بدأ على السنة " طائفة من  
 الموالي والعبيد، الذين لا ينتسبون إلى أصل عربي، وتعلموا اللغة العربية محاكاة وتقليدا،  
 غير أن ألسنتهم لم تكن تنطق بعربية خالصة... " (١).

ويعظم خطر اللحن عندما يتسرب إلى العرب الأصلاء، حين يسمع أبو الأسود ابنته  
 تقول "ما أحسنُ السَّمَاءَ" - برفع النون في ما أحسن - فيجيبها، نجومها " (٢) ثم يعلم أنها  
 متعجبة غير مستفسرة، مع اختلاف في سرد هذه الرواية وترتيب عناصرها في مختلف  
 الروايات؛ ولكن جميع الروايات تتفق على أن الأخطاء التي شاعت ودعت إلى التفكير في  
 إنشاء ضوابط لغوية، كانت في أواخر الكلمات، وأن منها ما سمعه الناس في الكلام العادي،  
 ومنها ما سمعوه في القرآن الكريم.

ولقد كان أبو الأسود الدؤلي مقرئا "أخذ القراءة عرضا عن عثمان بن عفان، وعلى بن أبي  
 طالب" (٣).

وكان يتلو القرآن ويرتله يترنم به، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (٤)، ويقول  
 رسوله الكريم: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به.. " (٥)  
 وقوله لأبي موسى الأشعري: "لو رأيتني وأنا أسمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزار من  
 مزامير آل داود... (٦) كان ذلك من البواعث الأساسية لعمل أبي الأسود؛ ولما عزم على  
 تحقيق مبادرته في وضع ضوابط تحفظ القرآن من اللحن اختار كاتباً من بني عبد قيس،  
 وشرع يتلو عليه القرآن؛ ومن قبل قال له: "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة  
 فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف؛ وإن كسرت فاجعل النقطة

(١) عبد العال سالم مكرم: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، ص ٤٧.

(٢) يحيى عبد الفتاح الدجني: أبو الأسود ونشأة النحو العربي، ص ١٦٢.

(٣) ابن الجزري: غاية النهاية، في طبقات القراء، ج ١، ص ٣٤٦.

(٤) [المزمل: ٤].

(٥) صحيح مسلم: ج ٦، ص ٧٩.

(٦) السابق: ص ٨٠.

من تحت الحرف"<sup>(١)</sup>؛ وتضيف رواية أخرى إلى هذا "فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة- تنويناً- فأجعل مكان النقطة نقطتين"<sup>(٢)</sup> ومما يلاحظ على عمل أبي الأسود الدؤلي ما يلي:

١- إنه نقط المصحف ليهتدي بعمله القراء إلى الأداء الصحيح السليم لكتاب الله؛ وخاصة المتعلمين من غير العرب. وليتفق الجميع على طريقة واحدة في الأداء حفاظاً على معاني القرآن الكريم دون تعليل لذلك.

٢- اقتصر عمل أبي الأسود على ضبط أواخر الكلمات؛ وعندما تطوّر هذا العمل من بعده، وظهرت الدراسة النحوية بقواعدها ورجالها، وانكب اللغويون على أواخر الكلمات يحددون أشكالها لدلالاتها؛ لاحظوا سبق أبي الأسود لهذه العملية، وأنّ ما يقومون به مجرد تطوير وتنويع شكلي لعمل أبي الأسود، فقالوا: وضع أبو الأسود النحو باعتبار نوع العملية؛ ثم أضافوا إليه كثيراً مما لم يقدّم به وعد في مقدمة النحاة<sup>(٣)</sup>.

٣- عبارة نقط أبي الأسود المصحف، فهمها بعضهم أنها ضبط لجميع حروف الكلمة؛ ونسبوا إليه طريقة في النقط يظهر عليها التكلف وعدم ملاءمتها لعصره<sup>(٤)</sup>.

٤- اقتصر عمل أبي الأسود على الحرف المتحرك من آخر الكلمة، ووصف الأوضاع التي تكون عليها أعضاء الجهاز الصوتي أثناء النطق بالحرف.

ومن ثم يعد عمل أبي الأسود دراسة صوتية؛ وإذا كان الدرس اللغوي قام على عمل أبي الأسود، اقتداء به، فمعنى ذلك أنّ الدراسة اللغوية النحوية، انطلقت منطلقاً صوتياً.

٥- الصوائت العربية "الحركات" التي سماها النحاة فيما بعد حركات بناء؛ هي في أصلها أوصاف للعملية التي يقوم بها الجهاز الصوتي في مختلف وضعياته عند النطق بالصوائت "الحروف"، فكانت الفتحة من فتح الشفتين، والكسرة من انكسارهما وإرجاعهما للوراء في شكل ابتسام، والضمّة من انضمامهما لبعضهما في استدارة من غير التقاء.

ثم جاء بعده الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أعطى للحركات "الصوائت" العربية أشكالها الحالية، فهو الذي "جعل للفتحة ألفاً قصيرة مضطجعة فوق الحرف، وللكسرة رأس ياء صغيرة تحته، وللضمّة واوا صغيرة فوقه، فإذا كان الحرف المحرك منونا كرر الحرف الصغير يكتب مرتين فوق الحرف أو تحته"<sup>(٥)</sup>؛ هذا في إصلاح أشكال الحركات "الصوائت" العربية.

(١) أبو سعيد السيرافي: في أخبار النحويين البصريين، ط ١، ١٩٥٥، تحقيق طه محي الدين، ومحمد عبد المنعم خفاجي، ص ١٢.

(٢) أبو عمر عثمان الداني: المحكم في نقط المصاحف، ص ٧، وينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص ١٦.

(٣) محمد خير الحلواني: المفصل في تاريخ النحو، ج ١، ص ٣٩.

(٤) وردت هذه الأشكال في كتاب (أبو الأسود ونشأة النحو العربي)، فتحي عبد الفتاح الدجني، ص ٧٥، ١٩١.

(٥) عبد العال سالم مكرم: القرآن وأثره في الدراسات النحوية، ص ٢٦٦.

ولكن عمل الخليل لم يتوقف عند حد الاصطلاح، بل تجاوزه إلى الاختراع كعادته فوضع "للتشديد رأس شين بغير نقط "س"، وضع للسكون دائرة صغيرة، ووضع للهمزة رأس عين "ع" لقرب الهمزة من العين في المخرج، ووضع لألف الوصل رأس صاد "ص" معه جزء من الدال، فكان مجموع ما تم وضعه ثماني علامات: الفتحة، والكسرة، والضمة، والسكون، والشدة، والهمزة، والصلة، والمد"<sup>(١)</sup>؛ وكان هذا الاختراع لإتمام طريقة الأداء، وتنويع الأصوات وتلوينها. ويتبين من جميع ما سبق، أنّ الخليل تحرك في ميدان الأصوات اللغوية حركات موفقة علمية دقيقة.

اهتم الخليل بالحركات "الصوائت" العربية فأعطاهما أشكالها الحالية لإزالة الشبه الذي لحقها بعد ما تم إعجام الحروف؛ وفي مستوى الأداء أضاف علامات تحدد نوع الأداء، وتلون الصوت؛ كل ذلك في نظام محكم، واختراع علمي دقيق، ويروى عنه أنّه كان يقول "أريد أن أعمل نوعا من الحساب تمضي به الجارية إلى القاضي فلا يمكنه أن يظلمها"<sup>(٢)</sup> وتوفي الخليل وهو يفكر في هذا الموضوع؛ وبقي من الإسرار التي غابت مع الخليل، ولعل المنتبِع لآثار الخليل يجد صورة توحى بما كان يفكر فيه في الميدان اللغوي.

ونوع الخليل أسماء الحركات "الصوائت" وعددها حتى تجاوز بها العشرين، وهو في ذلك لم يضع "أسماء للرفع والنصب والجر و حسب، بل وضع أسماء كثيرة لأحوال الكلمة في وجوها الإعرابية وما يتبعها"<sup>(٣)</sup> ومما وضعه الخليل في هذا المجال موزعا بحسب مواضعه من الكلمة مايلي:

### أولاً: حركات أوائل الكلم (ثلاث).

- ١- التوجيه: مصطلح الحركة التي تكون في صدر الكلمة كحركة "عين" عمر.
- ٢- القصر: مصطلح الحركة التي تكون في أوائل الكلمة الصحيحة كحركة "ضاد" ضرب.
- ٣- الإشمام: حركة أوائل الكلمات المعتلة، كحركة "قاف" قيل.

### ثانياً: حركات وسط الكلمة (خمس).

- ١- الحشو: حركة وسط الأسماء كحركة "جيم" رجل.
- ٢- التسكين: حركة وسط الأفعال كحركة "فاء" يفعل.
- ٣- الاضجاع: حركة وسط الكلمة مرادفة لحركة الحشو، إلا إنّ تلك في الاسم المفرد كما

(١) السابق: ص ٢٦٧، ٢٦٦.

(٢) جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ١، ص ٥٦.

(٣) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٣٠٤.

جاء بها صاحبها، وهذه في الجمع.

- ٤- الجر: حركة التخلص من الساكنين كحركة "الباء" الساكنة في مثل "لم يذهب الرجل".
- ٥- التفخيم: مصطلح الحركة التي تقع على الألفات في وسط الكلمات في مثل "ألف" صام، وتقابلها بالتضاد الإمالة.

### ثالثاً: حركات أواخر الكلمات (ثلاث عشرة).

- ١- الرفع: حركة أواخر الكلمات المنونة، في مثل "دال" زيد.
  - ٢- الضم: حركة أواخر الكلمات غير المنونة في مثل "لام" يفعل .
  - ٣- النصب: حركة أواخر الكلمات المنونة كحركة "دال" زيد.
  - ٤- الفتح: حركة أواخر الكلمات غير المنونة كحركة "باء" ضرب .
  - ٥- الخفض: كحركة أواخر الكلمات المنونة في مثل "دال" زيد.
  - ٦- الكسر: حركة أواخر الكلمات غير المنونة كحركة "لام" بالخيّل.
- (والملاحظ أنّ هذه الحركة شبيهة بحركة الخفض، وهي تقابل ما سبقت الإشارة إليه في الحشو والإضجاع، وكأنّ الخليل كان يعطي للحركات أسماء الحيوان، وذلك ما يستقى من الأمثلة التي جاء بها؛ زيد حشو، إبل إضجاع، زيد خفض، بالخيّل كسر<sup>(١)</sup>.)
- ٧- النحو: حركة أواخر الأسماء، غير المنونة كحركة لام الخيل، وهي كالكسر، إلا أنّ ذلك جر بالإضافة، أو الإتياع.
  - ٨- الجزم: حركة أواخر الأفعال كحركة "باء" أضرب (الأمر من الفعل ضرب).
  - ٩- الإرسال: حركة أواخر الكلمات المهموزة في مثل "قرأ" في الماضي.
  - ١٠- التيسير: حركة الألفات المستخرجة من أعجاز الكلم، كالذي في قوله تعالى: ﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ وهي ما يسميها العروضيون بحركة الإشباع.
  - ١١- التوقيف: حال أواخر الأدوات، كسكون الميم في "نعم".
  - ١٢- الإمالة: حركة الحروف التي قبل الياءات المرسلة كحركة السين في موسى وعيسى.
  - ١٣- النبر: حركة الهمزة التي تقع في أواخر الأفعال والأسماء مطلقاً كحركة الهمزات في مثل: قرأ، وملاً، والملاحظ هنا أنّ الإرسال (رقم ٩) هو أيضاً يقصد به أواخر الكلمات المهموزة في مثل قرأ<sup>(٢)</sup>.

(١) لقد حافظت على المثال الذي ساقه مهدي المخزومي، وتصرفت في الترتيب.

(٢) هذه المصطلحات أوردها مهدي المخزومي في كتابه مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، ص ٣٠٤، والحديث عن مفاتيح العلوم للخوارزمي، ص ٣٧، ولقد حافظت على العدد والأمثلة، وتصرفت في الترتيب والشرح.

إنّ لهذه العلامات قيمتها في الدراسات اللغوية والصوتية لما تقوم به من وظائف في التركيب أهمها:

١- أنها تحدد موضع الحرف من خلال ذكر علامته، صدرا أو حشوا أو عجزا.  
٢- تحدد نوعه من حيث الصحة والإعلال، ومن حيث هو مهموز أم سالم أو ممال أو مفخم.

٣- تحدد تمكنه من حيث هو معرفة أو نكرة، ونوع العامل فيه بالجر أو الإتياع؛ كما تبين نوع الكلمة، اسما أو فعلا.

هذه خلاصة عمل الخليل في الميدان الصوتي؛ وهو خلاصة ملاحظات سابقيه، وإضافات لما جادت به قريحته. كما أنّ عمله هذا، له أثره على من جاء من بعده.

### علاقة الحركة بالحرف:

إنّ نظام الكتابة العربية يجعل الحركة إما فوق الحرف أو تحته. وقد أدى ذلك إلى ظهور خلاف بين المتقدمين من علماء العربية حول مرتبة الحركة القصيرة من الحرف؛ هل هي قبل الحرف أو معه أو بعده؟

وقد تعرض لهذه القضية ابن جني حيث يقول: "واعلم أنّ الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أنّ تكون في المرتبة، قبله، أو معه، أو بعده، فمحال أنّ تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف، وذلك أنّ الحرف كالمحل للحركة وهي كالعرض فيه فهي لذلك محتاجة إليه، ولا يجوز وجودها قبل وجوده، وأيضا لو كانت الحركة قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلا، ألا ترى أنك تقول قطع، فتدغم الطاء الأولى في الثانية، ولو كانت حركة الطاء الثانية في الرتبة قبلها لكانت حاجزة بين الطاء الأولى وبين الطاء الثانية، ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في الثانية، لأنّ الحركة على هذه المقدمة مرتبتها أنّ تكون قبل الطاء الثانية، بينها وبين الأولى، وإذا حجز بين الحرفين حركة بطل الإدغام، فجواز الإدغام في الكلام، دلالة على إنّ الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها. فقد بطل ما ذكرناه إنّ تكون حركة الحرف في المرتبة قبله، وبقي أنّ تكون معه أو بعده، وفي الفرق بينهما بعض الإشكال. فالذي يدل على أنّ حركة الحرف في المرتبة بعده، أنك تجدها فاصلة بين المثليين أو المتقاربين إذا كان الأول منهما متحركا، فالمثلان نحو قولك: قصص ومضض وطلل وسرر وخضض ومرر وقدد، فلولا أنّ حركة الحرف الأول في هذين المثليين بعده، لما فصلت بينه وبين الذي هو مثله بعده، ولو لم تفصل لوجب الإدغام، لأنه لا حاجز بين

المثلين، فإن ظهر هذان المثلان ولم يدغم الأول منهما في الآخر منهما، فظهورهما دلالة على فصل واقع بينهما، وليس هاهنا فصل البتة غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول<sup>(١)</sup>. أما أبو علي الفارسي فإنه لم يستطع أن يفرق بين الصوتين هذه التفرقة ولم يتصور إمكان نطق الحركة مستقلة عن الصوت الساكن، فكان يري أن (الحركة تحدث مع الحرف) يقول ابن جنى: "واستدل أبو علي على أن الحركة تحدث مع الحرف، بأن النون الساكنة إذا تحركت زالت عن الخياشيم إلى الفم، وكذلك الألف إذا تحركت انقلبت همزة، فدل ذلك عنده على أن الحركة تحدث مع الحرف، وهو لعمرى استدلال قوي"<sup>(٢)</sup>.

وقد أيد هذا الرأي عبد الوهاب القرطبي حيث يقول: "ومما بينه أيضا أن الحركات الثلاث إنما عملهن بالفم، فإذا ضمته حدث الضم، وإن كسرت حدث الكسر، ومتى فتحته حدث الفتح، وفي حال تحريك الحرف بالضم يكون اللفظ به قاطعا للصوت على مخرج الحرف وضاما شفثيه معا في حالة واحدة، من غير أن يتخلل بينهما زمان محسوس. وكذلك في حال كسر الحرف يكون كاسرا بفمه مع قطع الصوت على مخرج الحرف المكسور، وكذلك في حال الفتح يكون قاطعا للصوت على مخرج الحرف مع فتح فمه من غير فصل بينهما، وهذا دليل على أن الحركة تحدث مع الحرف المتحرك من غير تقدم عليه ولا تأخر عنه"<sup>(٣)</sup>.

ولا شك في أن ملاحظة عبد الوهاب القرطبي السابقة صحيحة ودقيقة، فلو تأملنا حالة أعضاء النطق عند التلفظ بهذه الكلمات: قرب، وقول، وقسم. لوجدنا أن شكل أعضاء النطق عند بداية التلفظ يختلف في كل كلمة عنه في الكلمة الأخرى، على الرغم من أن الكلمات الثلاث تنفق في البدء بصوت القاف. فحين تنطق الكلمة الأولى نجد إن الناطق يضم شفثيه في ذات الوقت الذي يبدأ بنطق صوت القاف، بينما يفتح شفثيه في الكلمة الثانية، ويكسرهما في الكلمة الثالثة. وهذا أمر يؤيد ما ذكره عبد الوهاب القرطبي في النص السابق. ولكني لا أعتقد أن ذلك لا يدل على أن الحركة تحدث مع الحرف بقدر ما يدل على شدة اتصال الحركة بالحرف بحيث إن أعضاء النطق تبدأ بالتهيؤ للصوت الثاني قبل الفراغ من نطق الصوت الأول. وذلك لأن عملية النطق الاعتيادية سريعة جدا بحيث لا تدع فرصة لنطق الصوت مستقلا ثم البدء بنطق الصوت الذي يأتي بعده، وذلك لشدة اتصال الأصوات

(١) ابن جنى: سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٣٧. وينظر في أصوات اللغة، رمضان عبد التواب، ص ٤٣.

(٢) ابن جنى: سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٣٧. وينظر في أصوات اللغة: ص ٤١.

(٣) الموضح في التجويد، القرطبي، مخطوط في مكتبة الأوقاف في الموصل، ط دار عمان الأردن، تحقيق، د. غانم قدوري الحمد، ص ١٥١.



المتجاورة. ولولا ذلك التداخل وشدة الاتصال لما حدث تأثير الأصوات بعضها ببعض بحيث يؤثر الصوت الثاني في الأول<sup>(١)</sup>.

ورغم أنّ ابن جني يعجب برأي أستاذه الفارسي وبدليله حيث يصفه بقوله: (وهو لعمرى استدلال قوي) إلا أنه يبطله ويدحضه - ويؤيد رأي سيبويه، حيث يقول: قد ثبت أنّ الحركة "بعض الحرف، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمّة بعض الواو. فكما أنّ الحرف لا يجامع حرفاً آخر فينشأ معاً في وقت واحد، فكذلك بعض الحرف لا يجوز أن ينشأ مع حرف آخر في وقت واحد"<sup>(٢)</sup>.

والحقيقة أنّ هذا الدليل ينسجم مع الدراسات الصوتية الحديثة. إذ إنّ "الحركات صوائت قصيرة مجهورة فكل منها صوت قائم بنفسه، وأي حرف من حروف المعجم صوت مستقل أيضاً فكيف يتصور خروج صوتين مختلفين في آن واحد، وقد يكون الصامت مهموساً فيختلفان حينئذٍ مخرجاً وصفة"<sup>(٣)</sup>.

### كيفية نطق الحركات:

لما كان الدرس اللغوي قد انطق من وجهة نظر صوتية، تمثلت في ضبط المصحف الشريف لتحقيق النطق وتصحيح الأداء كما أسلفنا كان من الطبيعي أنّ يهتم اللغويون بصفة عامة والقراء وعلماء التجويد بصفة خاصة بكيفية نطق الحركات خصوصاً عندما تتوالى لما بينها وبين الحركات من تقارب وحين تجاور أصوات اللين والمد خاصة.

وفي ذلك يقول ابن جني: "وبدلك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه، وذلك نحو فتحة عين عمر، فإنك إن أشبعتها نشأت بعدها ألف، فقلت عامر. وكذلك كسرة عين (عنب) إنّ أشبعتها حدثت بعدها ياء ساكنة. وذلك قولك (عينب)، وكذلك ضمة عين (عمر) لو أشبعتها لأنشأت بعدها واوا ساكنة وذلك قولك (عومر) فلولا أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف وأوائل لها لما نشأت عنها، ولا كانت تابعة لها"<sup>(٤)</sup>.

أما الداني فيزيد الأمر تفصيلاً حيث يقول: "فأما المحرك من الحروف بالحركات الثلاث: الفتحة والكسرة والضمّة فحقه أنّ يلفظ به مشبوعاً، وبؤتى بالحركات كوامل، من غير اختلاس ولا توهين يؤولان إلى تضعيف الصوت بهن، ولا إشباع زائد، ولا تمطيط بالغ يوجبان الإتيان بعدهن بألف وياء وواو غير ممكنات فضلاً عن الإتيان بهت ممكنات.

(١) وهذا ما سنتناوله لاحقاً

(٢) ابن جني: الخصائص، ج ١، ص ٣٢٧.

(٣) حسام سعيد النعيمي: الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، ص ٣٣٥.

(٤) ابن جني: سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ١٩.

وأما المسكن من الحروف فحقه أن يخلى من الحركات الثلاث ومن بعضهن، من غير وقف شديد ولا قطع مسرف عليه سوى احتباس اللسان في موضعه قليلا في حال الوصل"<sup>(١)</sup>.

ومثل ذلك قول عبد الوهاب القرطبي في أول الباب الثالث الذي خصصه للكلام عن الحركات: " قد بينا أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وكشفنا فيما تقدم عن حقيقة السكون، فلا حاجة إلى اقتصاصه ثانيا، والذي يخص هذا الباب التنبيه على كيفية أداء ذلك واللفظ به، فنقول: الذي ينبغي أن يعتمد القارئ من ذلك أن يحفظ مقادير الحركات والسكنات، فلا يشبع الفتحة بحيث تصير ألفا، ولا الضمة بحيث تخرج واوا، ولا الكسرة بحيث تتحول ياء، فيكون واضعا للحرف موضع الحركة ولا يوهنها ويختلسها ويبالغ فيضعف الصوت عن تأديتها ويتلاشى النطق بها وتتحول سكونا"<sup>(٢)</sup>.

وكذلك نبه علماء التجويد على العناية بالحركات حين تتوالى، فيؤتى بها على وزن واحد، قال عبد الوهاب القرطبي: "إذا توالى الحركات في مثل ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوَكْبًا﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتًا﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿رُسُلَكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> و ﴿رُسُلَهُمْ﴾<sup>(٧)</sup>، وما أشبه ذلك من قليل التوالي وكثيرة، ينبغي أن يتعمل للتسوية بينهن بحيث لا تنفرد إحداهن بإشباع وتمطيط والأخرى باختلاس وتوهين، لأن ذلك يظهر ويبين أكثر من بيانه وظهوره فيما إذا لم تتوالى الحركات"<sup>(٨)</sup>.

ولاحظ علماء التجويد أن الحركات في آخر الكلمات قد يطغى بها اللسان، فحذروا عن ذلك واستثنوا بعض المواضع التي يحتاج فيها إلى العمل لإظهار الحركة في أواخر الكلمات في الدرج لا الوقف. وقد جمع ذلك كله عبد الوهاب القرطبي في قوله: "اعلم إن أواخر الكلم إذا كانت متحركة وجب أن تكون حركتها مطففة لان اللسان عند انقضائها يكاد يطغى، لأن النفس لما تستشعره من الفراغ من الكلمات تجد راحة من اللفظ فتلقي بعض ما عندها من الصوت المعد ويخرج النفس معه، فتتوفر الحركات، فنبه على اجتناب طغيان اللسان بها بترك التمكن فيها لذلك، كقولك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾<sup>(٩)</sup> ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾<sup>(١٠)</sup> بكسر الباء هذا هو

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: د. غانم قدوري، ص ٤١٨.

(٢) الموضح: ص ١٨٣.

(٣) [يوسف: ٤].

(٤) [الأنبياء: ٢٢].

(٥) [التوبة: ٩٩].

(٦) [غافر: ٥٠].

(٧) [الأعراف: ١٠١].

(٨) ينظر الداني: التحديد في الإتقان والتجويد، مخطوط ص ٣١.

(٩) [الفاحة: ١].

الأصل، إلا أن يمنع مانع، والمانع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- أن يكون آخر الكلمة حرفاً خفياً، والحروف الخفية أربعة: الألف، الواو، الياء، والهاء. إلا إن الألف لا يتحرك، فمتى كان حرف من هذه الحروف في آخر كلمة أو في أي موضع كان منها تعين إشباع حركته وسكونه، لأن الحركة والسكون يختلفان بحفائه، فتعين إظهارهما.

٢- أن يكون آخر الكلمة حرفاً من حروف الحلق، فإن الحركات والسكنات تنقل بثقلها فلا تظهر، فحذف أئمة القراء على إظهارهما لذلك، وسواء جاءت هذه الحروف، أعني الحلقية وسطاً أو طرفاً، فإن إشباع حركتها وسكونها ليتعين كقوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَ سَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿أَوْ نَسْمَعُ لَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿يَسْبَحُ لَهُ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿فَسَبَّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾<sup>(٨)</sup>، ﴿لَسِبَا فِي﴾<sup>(٩)</sup>، ﴿وَاتَّبَعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾<sup>(١٠)</sup>، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾<sup>(١١)</sup>، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَنْتُوبُ عَلَيْهِ﴾<sup>(١٢)</sup>، ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾<sup>(١٣)</sup> وما أشبه ذلك.

الثالث: اجتماع حرفين مثلين في آخر الكلمة وأول أخرى، كقوله تعالى: ﴿الرَّحِيمِ مَالِكِ﴾<sup>(١٤)</sup>، ﴿الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾<sup>(١٥)</sup>، ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾<sup>(١٦)</sup>.

وسواء وقع المثلان وسطاً أو طرفين تتعين توفية حركتهما، كقوله تعالى: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ﴾<sup>(١٧)</sup>، ﴿أَمَرَ رَبِّكُمْ﴾<sup>(١٨)</sup>، ﴿قَالَ لَهُمْ﴾<sup>(١٩)</sup>، ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾<sup>(٢٠)</sup>، ﴿حَيْثُ

(١) [الفاحة: 7].

(٢) [الكهف: ٨٥].

(٣) [مريم: ٩٨].

(٤) [المائدة: ١٦].

(٥) [النور: ٣٦].

(٦) [الواقعة: ٧٤].

(٧) [طه: ١٢].

(٨) [الكهف: ٦٠].

(٩) [يس: ٣٧].

(١٠) [سبأ: ١٥].

(١١) [يونس: ١٠٩].

(١٢) [مريم: ٣٨].

(١٣) [المائدة: ٣٩].

(١٤) [الأنعام: ٩٠].

(١٥) [الفاحة: ٣ - ٤].

(١٦) [البقرة: ٧٩].

(١٧) [هود: ٤٩].

(١٨) [الأعراف: ١٧٦].

(١٩) [الأعراف: ١٥٠].

(٢٠) [طه: ٦١].

(٢١) [الشورى: ٢٨].

(٢٢) [البقرة: ١٩١].

«ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ»<sup>(١)</sup>، «تَعْرِفُ فِي»<sup>(٢)</sup>، «حَقَّ قَدْرُهُ»<sup>(٣)</sup>، «الْحَقُّ قُلٌّ»<sup>(٤)</sup>، وما أشبه ذلك، لأن تكرار الحرف الواحد ثقيل في اللفظ لما فيه من الشبه بمشي المقيد الذي يرفع رجله ويردها إلى الموضع الذي منه رفعها. وهذا دليل الثقل، ولأجله استخف الإدغام. ومتى لم توفَّ الحركة حقها سبق السكون والإدغام، لأن اللسان يفر إلى الأخف ويطلبه، سيما إذا كان الحرفين خفيفين، كقوله تعالى: «وَالْبَغْيُ يَعْظُمُ»<sup>(٥)</sup>، «وَوُضِعَ الْكِتَابُ»<sup>(٦)</sup>، أو حرفي حلق، كقوله تعالى: «فُرِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ»<sup>(٧)</sup>، «لَا أَبْرُحُ حَتَّى»<sup>(٨)</sup>، وقد يكونان حرفي حلق ومن الحروف الخفيفة، كقوله تعالى: «فِيهِ هُدًى»<sup>(٩)</sup>. وذلك أولى أن تكون حركته وآفيه. وجميع ما ذكرناه احتياجه إلى إظهار الحركة عليه من الحروف هو محتاج إلى إظهار السكون عليه أيضا، فإن الحروف الخفية وحروف الحلق يتعين إظهار السكون عليهما كما تعين إظهار الحركة<sup>(١٠)</sup>.

والحركات إذا وقعت قبل الواو والياء أو بعدهما وجب العناية بنطقها خشية ذهابها أو الزيادة في تمكينها حتى يتولد عنها حرف من جنسها. وقد عقد كثير من علماء التجويد فصولا ومباحث لتوضيح كيفية النطق بالحركات في مثل ذلك<sup>(١١)</sup>.

وكان السعدي أكثر علماء التجويد عناية بهذا الموضوع حيث عقد أربعة أبواب في كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) لمعالجة ما يتعلق بهذا الموضوع. وقد خصص السعدي الباب الأول للواو إذا انفتحت وما قبلها مضموم، كقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي»<sup>(١٢)</sup>، و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»<sup>(١٣)</sup>، و«هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»<sup>(١٤)</sup>، و«إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» ينبغي أن تكون الضمة قبل هذه الواوات وما أشبهها مختلصة غير مشبعة، ولا يزداد على لفظها فتزول عن حد الاختلاس إلى الإشباع، فإنها إذا أشبعت الضمة قبلها صارت في

(١) [المائدة: ٧٣].

(٢) [الحج: ٧٢].

(٣) [الأنعام: ٩١].

(٤) [الأنعام: ٦٦].

(٥) [النحل: ٩٠].

(٦) [الزمر: ٦٩].

(٧) [سبأ: ٢٣].

(٨) [الكهف: ٦٠].

(٩) [البقرة: ٢].

(١٠) الموضح: ١٨٣، ١٨٤.

(١١) ينظر: السعدي، التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي، مخطوط، ص ٤٨، مكي بن أبي طالب، الرعاية، والداني، التحديد، ص ٢٩، والقرطبي، الموضح، ص ١٨٥.

(١٢) [التوبة: ٣٣].

(١٣) [الإخلاص: ١].

(١٤) [الحج: ٥٨].

(١٥) [الأنفال: ٦١].

اللفظ واوين، الأولى ساكنة والثانية مفتوحة، كقوله: هو الذي، وقل هو الله احد، ولهو خير الرازقين، وما أشبهها وذلك غير جائز عند أهل الضبط.

وكذلك إذا كانت الواو مشددة و قبلها ضمة تختلس الضمة قبلها، ولا يزداد على لفظها ، كقوله تعالى: ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾<sup>(١)</sup>، و ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، و ﴿النُّبُوَّةَ﴾<sup>(٣)</sup>، في قراءة من لا يهمز، وما أشبهها. فإنها إن أزيلت عن حد الاختلاس ضعف تشديد الواو بعدها، وإنما تحريك ضمة هذه القاف بمقدار ضمة القاف من قولك: قد، والصاد من قولك: صد ، وما أشبههما<sup>(٤)</sup>.

وذكر الداني في كتابه (التحديد) مجموعة من الحالات التي يجب على القارئ أن يعتني بها ويحافظ على الحركات فيها<sup>(٥)</sup> وقد أوردها القرطبي في كتابه (الموضح) بعد أن زاد عليها وأعاد ترتيبها على هذا النحو: "والحركة تشبع في الياء والواو إذا كانتا خفيفتين، في أول الكلام كانتا أو في وسطه أو في آخره. مثل قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ﴾<sup>(٨)</sup>، ﴿وَتَشَاوُرُ﴾<sup>(٩)</sup>... فأشبعها في جميع ذلك.

ولا تنهيب الضمة في الواو سواء كانت لانقاء ساكنين أو لغيره، في مثل قوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾<sup>(١٠)</sup>، ﴿وَلَا تَتَسَوَّا الْفَضْلَ﴾<sup>(١١)</sup>، و ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾<sup>(١٢)</sup>. وأشبع بيان حركة بتكلف وتثبت في مثل قوله تعالى: ﴿وَوَرَّثَ سُلَيْمَانُ﴾<sup>(١٣)</sup> وما أشبه ذلك.

وإذا انضم ما قبل الواو الساكنة منهما فأشبع ضمة الأولى لتخلص إلى سكون الثانية، كقوله تعالى: ﴿مَأْوِرِي عَنْهُمَا﴾<sup>(١٤)</sup>، وما أشبه ذلك.

وكذلك أشبع الحركة من غير تشديد في الياءين والواوين في مثل قوله تعالى: ﴿لِنُحَىٰ بِهِ﴾<sup>(١٥)</sup> و ﴿وَمَنْ خَزَىٰ يَوْمَئِذٍ﴾<sup>(١٦)</sup>، و ﴿وَالْبَغْيَ يَعْظَكُمُ﴾<sup>(١)</sup> و ﴿مَنْ اللَّهْوِ وَمَنْ التَّجَارَةِ﴾<sup>(٢)</sup>،

(١) [الذاريات: ٥٨].

(٢) [هود: ٥٢].

(٣) [آل عمران: ٧٩].

(٤) السعيدي، التنبيه: ٤٨.

(٥) التحديد، الداني، ص ٢٩.

(٦) [البقرة: ١٠٤].

(٧) [البقرة: ٢٢٥].

(٨) [البقرة: ٢١٩].

(٩) [البقرة: ٢٣٣].

(١٠) [البقرة: ٩٤].

(١١) [البقرة: ٢٣٧].

(١٢) [التكاثر: ٦].

(١٣) [النمل: ١٦].

(١٤) [الأعراف: ٢٠].

(١٥) [الفرقان: ٤٩].

(١٦) [هود: ٦٦].

الْعَفْوُ وَأُمْرٌ بِالْعُرْفِ»<sup>(٣)</sup>، «أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ»<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان بعدها حرف مشدد في مثل قوله تعالى: «يَا صَاحِبِي السَّجْنِ»<sup>(٥)</sup> تعين تخليص تخفيف الياء وكسرها من تشديد السين، وكذلك «مَنْ تَلَّتِي اللَّيْلُ»<sup>(٦)</sup>، «بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ»<sup>(٧)</sup>.

ومتى كانت الواو والياء مشددتين وبعدهما مثلهما فدونك الإشباع فيهما من أجل حراسة الإدغام، كقوله تعالى: «بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ»<sup>(٨)</sup>، و«الْعَشَى يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»<sup>(٩)</sup> (١٠).

ويؤكد علماء التجويد ترك التكلف في نطق الحركات حتى لا تخرج عن حدها، وحتى تأتي القراءة سهلة خالية من التكلف. وقد قال ابن البناء في "باب في تعديل الوزن والترتيل": "يجب على قارئ القرآن أن يأتي بحروف القرآن في وزن عادل وترتيل متمائل، يجعل مفتوح الحروف ومنصوبها لبقة التعالي خفيفة التوالي، ومضمومها ومرفوعها إشارة لطيفة، وكذلك مكسورها ومخفوضها حركة خفيفة، إلا ما كان من ذلك محتاجا إلى الإشباع فإنه حينئذ يشبع من غير تعد" (١١).

### الحركات العربية عند المحدثين:

لقد اهتم المحدثون في دراستهم اللغوية بالصوائت (الحركات)، ولكنهم لم يجددوا فيها ولم يضيفوا إليها ما ينقصها من علامات للاستعمال كما فعل المتقدمون من علماء العربية "أبو الأسود - والخليل" ولكنهم استفادوا من التقدم العلمي في تسجيل الأصوات وتصوير حركة أعضاء النطق بأجهزة دقيقة ومتطورة وبالتالي تمكنوا من تمييز خصائصها وتحديد مناطق صدورها ووصفها وصفا دقيقا<sup>(١٢)</sup>، وإن كان المتقدمين قد وصفوا حركة بعض أعضاء كما أسلفنا إلا أنهم لم يتمكنوا من وصف حركة بعضها وصفا دقيقا كاللسان لأنه من العسير ملاحظة حركة اللسان بدقة - داخل الفم - بدون وسائل "تكنولوجية" يقول أحد الباحثين

(١) [النحل: ٩٠].

(٢) [الجمعة: ١١].

(٣) [الأعراف: ١٩٩].

(٤) [البقرة: ٢٥٤].

(٥) [يوسف: ٣٩].

(٦) [المزمل: ٢٠].

(٧) [الحجرات: ١].

(٨) [الأعراف: ٢٠٥].

(٩) [الكهف: ٢٨].

(١٠) القرطبي، الموضح، ص ١٨٥.

(١١) بيان العيوب التي يجب أن يتجنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء، مخطوط، ص ١٧٦.

(١٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٣٥.

المحدثين: إنّ الحركات "كانت صعبة الوصف عند اللغويين الأوائل. وقد كان التصوير بأشعة اكس هو أفضل سبيل لبيان كيفية نطق العلل (الحركات) (١).

وقد كان اهتمامهم بالحركات للأسباب الآتية:

١- أصوات العلة أكثر شيوعاً في اللغة، وأي انحراف في طريقة أدائها، يبعد المتكلم عن الطريقة المألوفة في نطقها، عند أهل اللغة المتحدثين بها، فمثلاً في اللغة الإنجليزية إذا لم يتمكن المتحدث من نطق حركاتها الرئيسية نطقاً سليماً اتضح الانحراف في نطق ألفاظها، فتتفر منها الأذن الإنجليزية لغرابية ذلك النطق عمّا اعتادت سماعه، مما يسبب سوء الفهم لمعنى تلك الألفاظ، وشبيه بذلك يحصل مع لغتنا العربية، فعندما يتحدث بها شخص غير عربي يظهر الانحراف واضحاً في نطقه، والسبب الرئيس في ذلك الاختلاف هو عدم معرفتهم نطق أصوات العلة، وتأثرهم بما اعتادوا عليه عند نطقهم لها في لغتهم.

٢- الخطأ في نطق أصوات العلة يكون أكثر وضوحاً في السمع من الخطأ في الأصوات الصامتة، لأن أصوات العلة أكثر وضوحاً سمعياً من الأصوات الصامتة، فأى خلل في نطقها يظهر بصورة أوضح مما في الأصوات الأخرى (٢).

٣- الحركات أصعب في النطق من الأصوات الصامتة، وإذا كانت الحركات الأساسية في اللغة العربية الفصحى ثلاثة أصوات، فهناك حركات فرعية أخرى توجد في اللهجات العربية المختلفة هي التي تميز كل لهجة من اللهجات، على حين إنّ الحركات الرئيسية في اللغة الإنجليزية إحدى وعشرون حركة (٣).

٤- إنّ الفروق بين أصوات اللين في اللغات بصفة عامة، كبيرة ولا تكاد تشترك لغة من اللغات مع أخرى في كيفية النطق بأصوات اللين بل إنّ لهجات اللغة الواحدة تختلف فيها اختلافاً يميز كل لهجة من هذه اللهجات. فليست أصوات اللين في لهجات اللغة الإنجليزية ذات طريقة واحدة في نطقها، وكذلك الحال في الفرنسية والعربية وهكذا (٤).

### تعريف الحركات العربية عند المحدثين:

(١) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار، ص ١٠٢.

(٢) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٣٠.

(٣) علم الأصوات اللغوية، مناهي مهدي محمد، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص ٩١.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢٠.

لقد عرف اللغويون المحدثون الصوائت بتعريفات متعددة؛ فعرفها بلوم فيلد بأنها "تعديلات للصوت المنطوق لا تتضمن غلقا ولا احتكاكا ولا اتصالا من اللسان أو الشفتين"<sup>(١)</sup> وعرفها دانيال جونز بأنها "أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها على شكل مستمر من البلعوم والفم دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلا يمنع خروجه أو يسبب احتكاكا مسموعا"<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت هذه التعريفات تعبر عن خصائص الحركات التي تضمنت في هذه التعريفات فمن ناحية المخرج "مكان النطق" تكون مخرجها واسعة.

والتعديلات التي تقوم بها أعضاء النطق في طريق الهواء لا تؤدي إلى إعاقة تامة تمنع مرور الهواء؛ فيحدث انفجار، أو تضيق مجراه؛ فيحدث احتكاك مسموع. كما هو الحال بالنسبة إلى الصوامت. بل إنّ الهواء مع الصوائت يكون حرا طليقا، ويتخذ اللسان والشفتان أوضاعا ثابتة<sup>(٣)</sup>. وقد لاحظ المتقدمون من علماء العربية هذه الخاصية بالنسبة إلى الصوائت حيث يقول ابن جني: "الحروف التي اتسعت مخرجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو. وأوسعها وألينها الألف"<sup>(٤)</sup>.

ومن ناحية طريقة النطق. فإنّ الصوائت لا توصف بأنها شديدة أورخوة أو انحرافية. كما هو الحال بالنسبة إلى الصوامت. ومرد ذلك إلى إنّه لا يصحب نطقها انفجار أو احتكاك مسموع.

وترتب على هذه الخصائص قوة الوضوح في السمع، أي أنّ الصوائت أقوى وأوضح في السمع من الصوامت. ومعنى هذا أنّ الصوائت تسمع من مسافة أبعد مما تُسمع الصوامت<sup>(٥)</sup>، ومفاد ذلك أنّ السامع يستطيع أن يميز الصوائت من مسافة لا يستطيع عندها تمييز الصوامت. وهذا الفارق السمعي مترتب على الفارق العضوي في جهاز النطق؛ لأنه كلما كانت درجة الانفتاح في مجرى الهواء أوسع كانت نسبة الوضوح في السمع أعلى. يدلنا على ذلك التفاوت في نسبة الوضوح السمعي بين الصوائت نفسها؛ فإنّ الفتحة وهي أوسع الصوائت تكون نسبة وضوحها في السمع أعلى من الكسرة والضمة؛ لأنّ الضمة والكسرة

(١) علم الأصوات اللغوية، مناف مهدي محمد، ص ٩١.

(٢) الأصوات اللغوية، مناف، ص ٩١، وفي أصوات اللغة، رمضان عبد التواب، ص ٣٨.

(٣) عبد الرحمن أيوب: الكلام إنتاجه وتحليله، ص ٢٩٦.

(٤) سر صناعة الإعراب: ابن جني، ج ١، ص ٨.

(٥) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٢٦، ٢٧.



تكون درجة اتساع مجرى الهواء معهما أقل منها مع الفتحة.

## مقاييس أصوات اللين:

عني المحدثون من علماء الأصوات اللغوية بالبحث في أصوات اللين وضبطها بصرف النظر عما تنتمي إليه من لغة خاصة، لأنهم لاحظوا أنها تختلف من لغة إلى أخرى اختلافاً يجعل محاولة النطق بلغة أجنبية عسيراً يحتاج إلى مران كبير. فنسبة الخلاف بين أصوات اللين في اللغة الإنجليزية والفرنسية كبيرة، تجعل نطق الإنجليزي للغة الفرنسية شاقاً مشوباً بلهجة غريبة ثقيلة على أذان الفرنسيين، وكذلك العكس بالعكس.

وأصوات اللين في كل لغة كثيرة الدوران والشيوع، وأي انحراف عن أصول النطق بها يبعد المتكلم عن الطريقة المألوفة بين أهل هذه اللغة. فأقل انحراف في نطقها لأصوات اللين في اللغة الإنجليزية، يجعل نطقنا لهذه اللغة غريباً لا تستسيغه الآذان<sup>(١)</sup>.

وبما أنّ هناك فروقا بين الأصوات الساكنة في معظم اللغات؛ ولكنها ليست من الوضوح أو الشيوع بحيث تقف حجر عثرة في نطق الأجنبي عن اللغة، كما يحدث عند النطق بأصوات اللين. حيث إن الأصوات الساكنة سهل ضبطها متى تحدد مخرجها. وفي معظم الأحيان تشترك اللغات في كثير منها، فمعظم الأصوات الساكنة في اللغة الفرنسية تماثل إلى حد كبير نظائرها في اللغة العربية.

لهذا لم يعن المحدثون بوضع أقيسه عامة للأصوات الساكنة في اللغات البشرية، كما عنوا بها في بحث أصوات اللين. فقد اكتفوا بوصف مخرج الصوت الساكن وكيفية النطق به في اللغات التي يراد تعلمها وفي معظم الأحيان كان هذا الوصف ينطبق تمام الانطباق على نفس الصوت في لغة المتعلم<sup>(٢)</sup>.

وقد كان روبرت روبنسون من أوائل الكتاب الذين حاولوا وصف مواضع أعضاء النطق خلال نطق العلل. وقد ضمن بحثه رسماً توضيحياً للأعضاء المتداخلة. ولم تعط دراسة روبرت ما تستحقه من تقدير إلا مؤخراً، حتى لقد عدّه بعضهم أول عالم أصواتي حديث<sup>(٣)</sup>.

وقد أقام روبرت رسمه للعلل الرئيسة في الإنجليزية على موضع اللسان حيث النطق بالعلة، وهو أساس ما يزال مستعملاً حتى الآن.

(١) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص ٢٩.

(٢) السابق: ص ٣٠.

(٣) دراسة الصوت اللغوي: أحمد مختار عمر، استاذ علم اللغة - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص ١٤٥.

إلا إنَّ أهم من عني بهذه المقاييس "دانيال جونز" في جامعة لندن إذ أستطاع بعد تجارب دقيقة وبحوث متواصلة أن يخرج لنا تلك المقاييس العامة لأصوات اللين، وسجلها فوق اسطوانات هي الآن في متناول كل من يبغى تعلمها<sup>(١)</sup>.

وبذلك فهو من أشهر هؤلاء اللغويين، (الانجليزي دانيال جونز) إذا قام سنة ١٩٧١م بوضع مقاييس أو معايير للحركات سميت ب(النظام المعياري للحركات) أو(الحركات المعيارية) أي تكون هذه الحركات المقترحة معياريا يقاس عليه مشابهها من حركات اللغات المختلفة. وساعده في ذلك طبيب خاص، باستخدام الأشعة السينية لمعرفة أقصى ارتفاع لمقدمة اللسان أو مؤخرته، وكذلك ادنى انخفاض له في الفم عند النطق بهذه الحركات، فتوصل إلى وجود ثماني حركات، لها صفات صوتية واضحة ومحدده بصورة دقيقة<sup>(٢)</sup>.

وقد نظر دانيال إلى اللسان في اتجاهين: علوي وسفلي وأمامي وخلفي، فحدد أعلى نقطة داخل الفم يمكن أن يصل إليها مقدم اللسان عند النطق بالصوائت، ورمز إليها بالرمز (i). وحدد أسفل نقطة يمكن أن يصل إليها مقدم اللسان عند النطق بالصوائت، ورمز إليها بالرمز (a).

كما حدد أعلى وأسفل نقطة يمكن أن يصل إليها أقصى اللسان، ورمز للأولى بالرمز (u) وللثانية بالرمز (α). فهو بذلك يحدد منطقة معينة داخل الفم لاينتج خارجها أي صائت آخر، ويرى أن "توعيات الصوائت تعتمد على شكل اتساع الممر، أن اللسان يتدرج في ارتفاع أو انخفاض مقدمته أو مؤخرته في أربع درجات متفاوتة"<sup>(٣)</sup> وقد رمز للصائت الذي ينطق عندما يكون أدنى اللسان مرتفعا ولكن بنسبة أقل مما في الصائت (i) بالرمز (e). ورمز للصائت الذي ينطق عندما يكون أدنى اللسان منخفضا ولكن بنسبة أعلى مما في الصائت (a) بالرمز (E). كما رمز للصائت الذي ينطق عندما يكون أقصى اللسان مرتفعا ولكن بنسبة أقل مما في الصائت (u) بالرمز (o). ورمز للصائت الذي ينطق عندما يكون أقصى اللسان منخفضا ولكن بنسبة أعلى مما في الرمز (α) بالرمز (d).

الصوائت المعيارية الأساسية عند جونز:

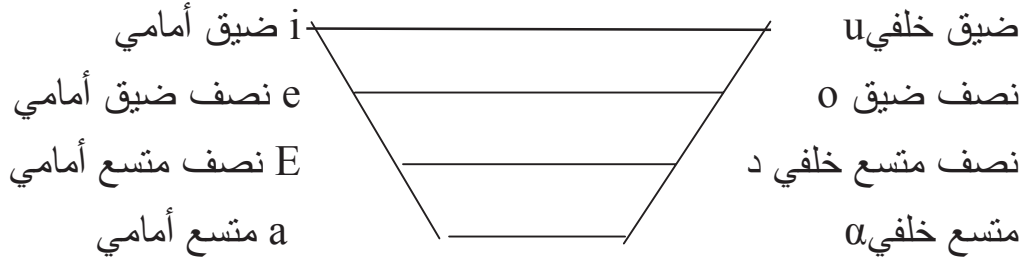
لقد حدد جونز ثماني صوائت هي (u, o, d, α, a, E, e, i) ولكنه "اكتشف أيضا أن هناك حركات غامضة الصفة نوعا ما، وغير واضحة الحدود نسبياً إذا قيست بالحركات

(١) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص ٣١.

(٢) علم الأصوات اللغوية: د. مناف مهدي محمد، ص ٩٢.

(٣) محمد منصف القماطي: الأصوات ووظائفها، ص ٦٩، ٧٠.

الثماني المشار إليها سابقاً. أهم هذه الحركات الغامضة، والمثال النموذجي لها ما يرمز له كتابة بالرمز (a) وبذلك تكون الحركات المعيارية التي ارتضاها جونز تسع حركات<sup>(١)</sup>. وفي الشكل التالي توضيح للصوائت المعيارية الأساسية وموقعها من اللسان كما نطق بها دانيال جونز نفسه<sup>(٢)</sup>.



### رسم تخطيطي للحركات المعيارية الأساسية

ويلاحظ من خلال الشكل الموضح أعلى نقطة يمكن أن يصل إليها أدنى اللسان، وتكون عند النطق بالحركة المعيارية التي يرمز إليها بالرمز (i). ثم يتدرج أدنى اللسان إلى أسفل حيث الحركة (e) ثم إلى الحركة (E) ثم إلى أسفل نقطة يمكن أن يصل إليها أدنى اللسان وتكون عند الحركة (α). وفي المقابل فإن أعلى نقطة يمكن أن يصل إليها أقصى اللسان تكون عند النطق بالحركة المعيارية ذات الرمز (u) ويتدرج إلى أسفل حيث الحركة (0) ثم أسفل منها الحركة (د) حتى يصل إلى أسفل نقطة يمكن أن يصل إليها أقصى اللسان وهي الحركة (a). أما الحركة المركزية فإنها لا تظهر في الرسم لأنها وسطية (مركزية) يكون معها وسط اللسان مرتفعاً نسبياً، ويرمز إليها بالرمز (a). ومما يلاحظ كذلك أن الحركة المعيارية الرابعة (a) والتي تقابل الفتحة المرفقة في العربية - يكون موضعها من اللسان في الوسط تقريباً. إذ إنّ تدرج الحركات المعيارية الأمامية من أعلى إلى أسفل يكون مصحوباً بتراجع مقدم اللسان إلى الخلف قليلاً. حتى إذا وصل إلى أسفل نقطة - وهي عند الحركة (a) فإنها تكون في وسط الفم إنّ لم تكن أدخل من ذلك قليلاً - وهذا مما دعا بعض<sup>(٣)</sup> الباحثين إلى تسمية الفتحة المرفقة في العربية أي الحركة المعيارية (a) بأنها (وسطية) بدلاً من (أمامية) كما

(١) كمال محمد بشر: علم اللغة العام - الأصوات، ص ١٤٠.

(٢) عبد الرحمن أيوب: الكلام انتاجه وتحليله، ص ٧٣، ٧٤، واخذ الشكل من علم الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي محمد.

(٣) سلمان العاني: التشكيل الصوتي في العربية، ترجمة: ياسر الملاح، ص ٢٣، وينظر: جان كانينيوي، دروس في علم الأصوات، ترجمة القرمادي، ص ١٤٤.

نعتها دانيال جونز ومعظم الأصواتيين<sup>(١)</sup>.

وهذه الحركات المعيارية الأساسية ليست حركات لغة معينة، ولكنها مقاييس عامة يمكن قياس حركات أي لغة من اللغات عليها، ومع ذلك فإن اللغويين<sup>(٢)</sup> لاحظوا وجودها جميعا في اللغة الفرنسية، وكل حركة منها تمثل وحدة صوتية مميزة (phoneme).

### وصف الحركات المعيارية الأساسية:

إنّ تصنيف ووصف الحركات يعتمد على المعايير الآتية:

#### المعيار الأول:

تحديد الجزء المرتفع أو البارز من اللسان، وهذا الجزء قد يكون مقدمة اللسان أو وسطه أو مؤخرته، وانطلاقا من هذا المعيار تنقسم الحركات إلى أمامية ومركزية وخلفية.

#### المعيار الثاني:

تحديد المسافة التي تفصل الجزء البارز من اللسان من سقف الحنك الأعلى، وهذه المسافة تنقسم إلى أربعة مسافات فرعية  
أ- واسعة: وتعني أنّ المسافة بين أعلى نقطة على سطح اللسان وسقف الحنك قد وصلت إلى أقصى اتساع لها.

ب- ضيقة: وتعني أنّ الجزء المرتفع من اللسان قد وصل إلى أقصى مداه من الارتفاع بحيث إذا تجاوز هذا المدى أحدث احتكاكا مسموعا.

ج- نصف واسعة وتشير إلى وصول اللسان إلى مستوى أعلى قليلا مما كان عليه في حالة الحركة الواسعة.

د- نصف ضيقة وتشير إلى أنّ نقطة ارتفاع اللسان لم تصل إلى أقصى درجة من الارتفاع وإنما وصل إلى نقطة دونها بقليل.

#### المعيار الثالث:

وينبني على شكل الشفاه أثناء النطق بالحركات وقد لوحظ إنّ الشفتين تتخذان أثناء النطق بالحركات الأوضاع الأربعة الآتية: الانفراج التام - الاستدارة الضيقة - الحياد - الاستدارة الواسعة.

#### المعيار الرابع: الزمن:

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص٣٦، وينظر: كمال بشر: علم اللغة العام - الأصوات - ص١٤٣.

(٢) السابق: ص٣٠.

ويعني به المدة التي يحتفظ فيها شكل الفراغات العليا بوضع معين أثناء النطق وانطلاقاً من هذا أمكن تقسيم الحركات إلى قصيرة، وطويلة<sup>(١)</sup>.

أولاً: مجموعة الصوائت الأمامية:

وسميت أمامية لأنها تنسب إلى الجزء الأمامي من اللسان. وتوصف جميع هذه الصوائت بأنها غير مدورة، لأن الشفتين لا تستديران حال النطق بها. وهذه الصوائت هي:-

١- الحركة (i) وهي صائت أمامي، مرتفع، ضيق، غير مدور. مثل كسرة الكاف في (كتاب)، أو الحركة التي في الكلمة الفرنسية (ii) ومعناها (هو) ضمير الغائب للمذكر.

وسمي هذا الصائت مرتفعاً لارتفاع أول اللسان إلى أعلى نقطة من الفم، بحيث لو ارتفع أكثر من ذلك لضاق مجرى الهواء فيحدث حينئذ احتكاك مسموع، وتكون النتيجة حدوث صوت آخر هو الياء، وسمي ضيقاً لأن درجة انفتاح الفم معه تكون أضيق درجة يمكن أن يصل إليها الفم عند النطق بالصوائت.

٢- الحركة (e) وهي صائت أمامي، متوسط الارتفاع، نصف ضيق، غير مدور. ومثاله الحركة التي في الكلمة العربية (هوى)<sup>(٢)</sup> وهي الإمالة الكبرى أو الشديدة. ومثاله في اللغة الفرنسية. الحركة التي في الكلمة (ble) ومعناها (قمح).

وسمي هذا الصائت متوسط الارتفاع لارتفاع اللسان إلى نقطة هي أقل ارتفاعاً من النقطة التي يصل إليها مع الصائت المرتفع (i) فهو متوسط الارتفاع وليس مرتفعاً. وسمي نصف ضيق لأن درجة انفتاح الفم معه تكون أوسع قليلاً مما في الصائت الضيق (i) فهو نصف ضيق وليس ضيقاً.

٣- الحركة (E) وهي صائت أمامي، متوسط الانخفاض، نصف متسع غير مدور. ومثاله الحركة التي في الكلمة العربية (أدراك)<sup>(٣)</sup> وهي الإمالة الصغرى، ومثاله في اللغة الفرنسية الحركة التي يرمز إليها برمزين كتابيين في الكلمة (lait) ومعناها (حليب)، وسمي هذا الصائت متوسط الانخفاض لانخفاض اللسان حال النطق به، ولكن هذا الانخفاض لا يبلغ أسفل نقطة يمكن أن يصل إليها اللسان. لذلك سمي متوسط الانخفاض.

وسمي نصف متسع لأن درجة انفتاح الفم معه تكون أوسع منها مع الحركتين السابقتين (e,i). ولكنها لا تبلغ أوسع درجة ينفتح فيها الفم. لذلك سمي نصف متسع.

(١) ينظر: علم الأصوات، د. محمد أحمد محمود، ص ١٣٧ - ١٣٨، الطبعة الأولى.

(٢) محمد منصف القماطي: الأصوات ووظائفها، ص ٧٥.

(٣) المصدر نفسه.

٤- الحركة (a) وهي صائت أمامي، منخفض، متسع، غير مدور. ومثاله فتحة التاء في الكلمة العربية (كتب) وهي الفتحة المرققة. ومثاله في اللغة الفرنسية الحركة التي في الكلمة (plat) ومعناها (صحن أو طبق).

وسمي هذا الصائت منخفضا لانخفاض اللسان حال النطق به حتى يبلغ أسفل نقطة يمكن أن يصل إليها اللسان في قاع الفم. وسمي متسعا لأن درجة انفتاح الفم معه تكون أوسع درجة يمكن أن يبلغها الفم عند النطق بالصوائت.

### ثانيا: مجموعة الصوائت الخلفية:

وسميت خلفية لأنها تنسب إلى الجزء الخلفي من اللسان، فهو الجزء المتحرك في إنتاجها؛ عن طريق ارتفاعه في اتجاه أقصى الحنك بدرجات متفاوتة حسب كل صائت. والصائت الأول منها لا تستدير الشفتان حال النطق به، لأن إنتاجه يتطلب انفتاح الفم إلى أقصى درجة ممكنة، واستدارة الشفتين تحول دون تحقيق ذلك. ولذلك يوصف بأنه (غير مدور). أما بقية الصوائت الخلفية الثلاثة الأخرى، فتستدير الشفتان معها بدرجات متفاوتة، ولذلك توصف بأنها (مدورة). والصوائت الخلفية هي:

١- الحركة (a) وهي صائت خلفي، منخفض، متسع، غير مدور ومثاله فتحة اللام في الكلمة العربية (الصلاة) وهي الفتحة المفخمة. ومثاله من اللغة الفرنسية الحركة الأولى التي في الكلمة (pabe) ومعناها (عجين).

وسمي هذا الصائت منخفضا لأن اللسان يهبط في قاع الفم حال النطق به، بحيث يصل إلى أسفل نقطة مع تراجع إلى الخلف قليلا لإعطاء القيمة التخيفية لهذا الصائت، وهي العملية العضوية التي يسميها المحدثون بالتحليق<sup>(١)</sup>.

وسمي متسعا لأن درجة انفتاح الفم معه تكون أوسع درجة، أي كالتي في الصائت الأمامي المنخفض (a). فكلاهما منخفض غير أن هذا خلفي وذاك أمامي، أي أن اللسان يتراجع إلى الخلف قليلا عند النطق بهذا الصائت (a)، ولا يتراجع إلى الخلف عند النطق بذاك الصائت (a). فكلاهما منخفض ومتسع، ولكن أحدهما خلفي والآخر أمامي.

٢- الحركة (د) وهي صائت خلفي، متوسط الانخفاض، متوسط الاتساع، مدور. ولا يوجد هذا الصائت في العربية، أما في الفرنسية فموجود ومثاله الحركة التي في الكلمة (mort)

(١) سلمان العاني: التشكيل الصوتي في العربية، ترجمة ياسر الملاح، ص٤٧.

ومعناها (موت).

سمي هذا الصائت متوسط الانخفاض لأن أقصى اللسان ينخفض حال النطق به، ولكن هذا الانخفاض لا يصل إلى أسفل نقطة كالتى تكون مع الصائت (α). لذلك وصف بأنه متوسط الانخفاض وليس منخفضاً. ويوصف بأنه متوسط الاتساع لأن درجة انفتاح الفم معه تكون متسعة، ولكنها لا تصل إلى الدرجة القصوى في الاتساع كالتى تكون مع الصائت (α). لذلك وصف بأنه متوسط الاتساع، وليس متسعا.

٣- الحركة (o) وهي صائت خلفي، متوسط الارتفاع، نصف ضيق، مدور. ولا يوجد هذا الصائت في العربية أيضاً، ولكنه موجود في الفرنسية التي قلنا أنها تشتمل على جميع الصوائت المعيارية، ومثاله الحركة الأولى التي في الكلمة (dome) ومعناها (قبة). وصف هذا الصائت بأنه متوسط الارتفاع لأن أقصى اللسان يكون مرتفعاً حال النطق به، ولكنه لا يبلغ أعلى نقطة يمكن أن يصل إليها أقصى اللسان عند النطق بالصوائت. لذلك سمي متوسط الارتفاع وليس مرتفعاً.

ووصف كذلك بأنه نصف ضيق، لأن درجة انفتاح الفم معه تكون ضيقة، ولكنها لاتصل إلى أضيق درجة يمكن أن يبلغها الفم. لذلك سمي نصف ضيق وليس ضيقاً.

٤- الحركة (u) وهي صائت خلفي، مرتفع، ضيق، مدور. ومثاله في العربية الضمة الطويلة التي بعد الراء في الكلمة (روح). ويقابل الضمة المرققة سواء كانت قصيرة أم طويلة، ومثاله في الفرنسية الحركة الثانية - التي يرمز إليها برمزين كتابيين - في الكلمة (genou) ومعناها (ركبة أو مفصل).

وصف هذا الصائت بأنه مرتفع لبلوغ أقصى اللسان أعلى نقطة يمكن أن يصل إليها عند النطق بالصوائت، إذ لو ارتفع أكثر من ذلك لضيق مجرى الهواء فيحدث حينئذ احتكاك مسموع، وتكون النتيجة حدوث صوت آخر (ليس من الصوائت) وهو الواو<sup>(١)</sup>.

ووصف كذلك بأنه ضيق لأن درجة انفتاح الفم معه تكون أضيق درجة يمكن أن يصل إليها الفم حال النطق بالصوائت، إذ لو زادت في الضيق لأدى ذلك إلى تضيق مجرى الهواء. فيحدث احتكاك مسموع، وتكون النتيجة حدوث صوت الواو أيضاً.

أما الحركة المركزية (a) فإنها لا تنسب إلى أول اللسان أو آخره، بل إلى وسطه، لأن وسط اللسان هو الذي يكون مرتفعاً نسبياً<sup>(٢)</sup> عند النطق بها، كما أن درجة انفتاح الفم معها

(١) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص ٣٣.

(٢) كمال محمد بشر: علم اللغة العام - الأصوات -، ص ١٤١.

تكون وسطى أيضا. فهي لا توصف بأنها أمامية أو خلفية أو مرتفعة أو منخفضة أو مدورة ... فهي في جميع الأحوال وسطى. لذلك سميت مركزية أو وسطى.

وهذه الحركة موجودة في العربية، ومن أمثلتها تلك الحركة الخفيفة التي تلتق أصوات القلقة عند الوقوف عليها. كما في الوقوف على صوت الدال في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾<sup>(١)</sup>.

ومثالها في اللغة الفرنسية الحركة الأولى التي في الكلمة (premier)<sup>(٢)</sup> ومعناها (أول).

### الحركات المعيارية الثواني:

إذا ما قارنا بين الصوائت الأمامية والخلفية - في الحركات المعيارية الأساسية - وجدنا أنّ لكل صائت - أمامي أو خلفي - ما يقابله ولا يختلف عنه إلا في صفة واحدة؛ فالصائت الأمامي (i) يقابله الصائت الخلفي (u) ولا يختلف عنه - من حيث الصفات - إلا في صفة واحدة وهي أنّ الخلفي مدور، والأمامي غير مدور، أي أنّ حركة الشفتين هي التي تفرق بينهما. وهذا ينطبق على الصوائت المرتفعة والمتوسطة الأخرى الأمامي (e) ومقابله الخلفي (o) والأمامي (E) ومقابله الخلفي (د).

أما الحركتان الواسعتان المنخفضتان الأمامية "a" والخلفية "α" فإن حركة الشفتين ليست هي عامل التفریق بينهما بل إنها حركة اللسان فقط؛ فإن الجزء الخلفي من اللسان يتأخر قليلا مع الحركة الخلفية ليعطيها القيمة التقخيمية التي تتميز بها في السمع في حين لا يتأخر أقصى اللسان مع الأمامية، بل يكون منبسطا في قاع الفم، فتبقى الحركة مرققة؛ فالفرق بينهما هو التقخيم والترقيق، وهذا ما يقوم به اللسان ولا تقوم به الشفتان.

وقد لاحظ اللغويون أنّ الناطق إذا نطق بالحركات المعيارية الأساسية التي تكون فيها الشفتان غير مستديرتين وهي خمسة؛ أربعة أمامية وواحدة خلفية (i, e, a, α)، إذا نطقها بشفتين مستديرتين لنتجت خمس حركات أخرى جديدة. وإذا نطق بالحركات المعيارية التي تكون فيها الشفتان مستديرتان - وهي الثلاثة الباقية (u, o, د) - بشفتين غير مستديرتين لنتجت ثلاث حركات أخرى جديدة. فيكون المجموع ثمان حركات معيارية أخرى وهي ما تسمى: الحركات المعيارية الثواني<sup>(٣)</sup>.

(١) [الإخلاص: ١ - ٣].

(٢) د. جبور عبد النور و د. سهيل إدريس، قاموس المنهل (فرنسي عربي) ط. دار الآداب ودار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثالثة، ١٩٧٣ م.

(٣) محمد منصف القماطي: الأصوات ووظائفها، ص ٧٣.



وقد لاحظ المتقدمون من علماء العربية أنّ هناك حركات تظهر نتيجة لمزج بين خصائص الحركات الأساسية وصفاتها.

يذكر ابن جني أنّ "ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث. وهي: الضمة والكسرة والفتحة. ومحصلها على الحقيقة ستة. وذلك أنّ بين كل حركتين حركة" (١).

ويرى أنّ هناك حركة بين الكسرة والضمة ويمثل لها بكسرة القاف في (قيل) (٢) حركة أمامية ضيقة تنطق بشفتين مدورتين. ويذكر أنّ هناك حركة بين الضمة والكسرة ويسميتها الضمة المشمة كسرا، ويمثل لها بضمة العين في "مدعور" (٣) وهي حركة خلفية تنطق بدون استدارة الشفتين. ويرى أنّهما كالصوت الواحد (٤). والحقيقة أنّهما صوتان مختلفان لأن الأول يبدأ بكسرة وينتهي بضمة، ويرمز إليه بالرمز (y)، والثاني يبدأ بضمة وينتهي بكسرة، ويرمز إليه بالرمز (w).

ويرى ابن جني أيضا أنّه "ليس في كلامهم ضمة مشربة فتحة، ولا كسرة مشربة فتحة" (٥). وهذه حقيقة مهمة لاحظها ابن جني، وتؤيدها الدراسات الصوتية الحديثة؛ لأنه من خصائص الكسرة والضمة "الضيق" ومن خصائص الفتحة "الاتساع" فلا يمكن الجمع بينهما، فهما كالضدين.

### الحركات العربية على ضوء الدرس الصوتي الحديث:

تتخذ اللغة العربية الفصيحة ثلاث حركات فقط تختلف في الطول والقصر، وتسمى الفتحة والكسرة والضمة، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة (٦).

ونبه ابن جني على الحركات الفرعية، فقال: "أما ما في أيدي الناس، في ظاهر الأمر، فثلاث وهي: الضمة والكسرة والفتحة، ومحصلها على الحقيقة ست، وذلك أنّ بين كل حركتين حركة" (٧).

وهذه الأصوات الفرعية التي أشار إليها ابن جني هي أصوات ثانوية موجودة في اللهجات المحلية، القديمة منها والحديثة، والأصوات الستة هي:

١- الضمة: وهي المشابهة للحركة المعيارية (u) رقم (٨).

(١) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط. دار الهدى للطباعة والنشر، ج٢، ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) السابق: الصفحة نفسها.

(٣) السابق: الصفحة نفسها.

(٤) السابق: الصفحة نفسها.

(٥) الخصائص: ابن جني، ص ١٢١.

(٦) سر صناعة الإعراب، ١، ص ١٧.

(٧) الخصائص: ابن جني، ج٢، ص.

- ٢- الكسرة: وهي المشابهة للحركة المعيارية (i) رقم (١).
- ٣- الفتحة: وهي المرققة المشابهة للحركة المعيارية (a) رقم (٤).
- ٤- ألف التخميم: (الفتحة المفخمة قصيدة أطويلة) وهي الفتحة التي تأتي مع أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ) والمشابهة للحركة المعيارية (α) رقم (٥).
- ٥- الألف المماله: (الفتحة المشوبة بالكسر قصيرة أو طويلة) كالألف في قراءة (مرساها) بالإمالة. وتشبه الحركة المعيارية (e) رقم (٢).
- ٦- الكسرة المشمة ضمماً وتكون بين الكسرة والضمه، كحركة القاف في (قيل). ويضاف إليها الضمة المماله نحو الكسر، وعند نطقها نبدأ بنطق الضمة ثم ننتقل لنطق الكسرة، فنسمع ضمة مماله نحو الكسر، كحركة العين في (مذعور)، ونطقها بعكس نطق الحركة السابقة لها. فتصبح سبعة أصوات<sup>(١)</sup>.
- ويحدد نطق الحركات بحركة مقدمة اللسان أو مؤخرته نحو سقف الحنك<sup>(٢)</sup> كما في الشكل التالي<sup>(٣)</sup>.

سقف الحنك	_____	
الواو و	_____	ي الياء سقف الحنك
الضمه u	_____	i الكسرة
الضمه المماله o	_____	e الكسرة المماله
الفتحة المفخمة α	_____	a الفتحة المرققة

### وصف الحركات العربية:

الفتحة: (α) صوت أمامي، منخفض، متسع، غير مدور، يكون اللسان عند نطقها مستويا في قاع الفم مع انحراف قليل في أقصاه، نحو أقصى الحنك، وعندما يمر الهواء القادم من الرئتين تهتز الأوتار الصوتية، فيكون الصوت مجهوراً.

الكسرة: (i) صوت أمامي، مرتفع، ضيق، غير مدور، ينطق عندما ترتفع مقدمة اللسان نحو وسط الحنك الأعلى، بحيث يكون الفراغ بينهما كافياً لمرور الهواء دون أن يحدث حفيفاً أو احتكاكاً مسموعاً عند مروره، مع تذبذب الأوتار الصوتية عند ذلك، فينتج صوت الكسرة الخالصة المرققة<sup>(٤)</sup>.

الياء: يكون اللسان تقريباً في موضع النطق بصوت اللين (i) غير أن الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى، حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بصوت اللين (i)

(١) علم الأصوات اللغوية: د. مناف مهدي محمد، ص ٣٣.

(٢) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص ٣٤.

(٣) المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، ص ٩٤.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، د. مناف مهدي محمد، ص ١٠٠.

فذلك نسمع حفيفا ضعيفا لهذا اصطلاح المحدثون تسميته بشبه صوت اللين<sup>(١)</sup>.

الكسرة الممالة: - (e)

صوت أمامي، متوسط الارتفاع، نصف ضيق، غير مدور، عند نطقه تكون مقدمة اللسان مرتفعة بصورة أقل مما يحدث مع الكسرة الخالصة.

الضمة: - (u)

صوت خلفي، مرتفع، ضيق، مدور عند نطقه يرتفع مؤخر اللسان نحو سقف الحنك ارتفاعا لا يسبب أي نوع من الحفيف.

الضمة الممالة: (o)

صوت خلفي، متوسط الارتفاع، ضيق، مدور، عند نطقه تكون مؤخرة اللسان مرتفعة بين الوضع المستوي الذي يحصل مع الفتحة والوضع الذي يحصل مع الضمة الخالصة. ومما سبق يتضح لنا:

- تخضع اللغة بفصحاها و عاميتها إلى تغيرات صوتية تتحكم فيها عدّة عوامل.
- يؤدّي تقارب المخارج في الحروف المتوالية في الكلمة إلى صعوبة وثقل تميل العربية إلى التخلص منه بواسطة الإبدال والإدغام.
- إذا اجتمعت الحروف المتحدة المخارج أو المتقاربة قدّم الأقوى على الأضعف نحو أهل وأحد -.

- مفهوم الحرف يعادل مفهوم الفونيم عند المحدثين الذي هو عبارة عن تلوينات صوتية تتطوي جميعاً تحت مصطلح حرف نحو الألف بكل صورته (من تقخيم، وترقيق، وتوسط، وإمالة).

- تسوية الحرف بالصوت هي نظرة الغالبية العظمى من القدماء وبعض المحدثين على حين إنّ معظم المحدثين وبعض القدماء يفرّقون بين الصوت والحرف.

- إنّ الحرف العربي من عمل الدارسين نشأ، ونما، وتطور، وتفرّع كغيره من المعارف العربية بين مستعمليه حتى استوى واكتمل على الشكل الذي نراه اليوم.

- الحركات العربية هي في أصلها أوصاف للعملية التي يقوم بها الجهاز الصوتي من فتح الشفتين وانكسارهما وانضمامهما.

- إنّ الحركة التي يتحملها الحرف هي في المرتبة بعده.

- إنّ للحركات مقادير يجب الحفاظ عليها عند الأداء خصوصا عند تواليها أو وقوعها

قبل الواو أو الياء، فإنّ الاختلاس والتوهين يؤولان إلى ضعف الصوت وإنّ الإشباع والتمطيط يوجبان الإتيان بعدهن بألف وياء وواو.

(١) الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ص ٤٢.

- إنّ الحركات في أواخر الكلمات قد يطغى بها اللسان لذلك يجب عدم التمكنث إلا أن يمنع مانع كخفة الحرف أو كونه حرف حلقي أو اجتماع مثلين تعين إشباع حركته.
- لم يعن المحدثون بوضع أقيسة للأصوات الصامتة كما فعلوا في الصوائت.
- الصوائت أقوى وأوضح في السمع من الصوامت.

الفصل الثاني  
تصنيف الأصوات في اللغة العربية  
المبحث الأول  
الصوامت والصوائت الماهية والسماة  
المبحث الثاني  
تصنيف الأصوات العربية الصاممة  
المبحث الثالث  
الوصف الصوتي للصوامت العربية

## المبحث الأول

الصوامت والصوائت الماهية والسماط  
تصنيف الأصوات إلى صوامت وصوائت  
معايير التقسيم إلى صوامت وصوائت

## تصنيف الأصوات إلى صوائت وصوامت:

تعدّ قضية تصنيف الأصوات اللغوية من المسائل الأساسية في علم الأصوات؛ إذ بموجبها يتم تحديد الخصائص والسمات العامة لها، وتمييز الفروق بينها. وقد أثارت هذه المسألة كثيراً من الاختلافات بين القدماء من علماء اللغة و المحدثين، وخاصة فيما يتعلق بمصطلحات هذا التصنيف. ولم يقتصر هذا الاختلاف على الفريقين فحسب، بل تجاوزهم إلى أفراد المحدثين أنفسهم. ويتتبع الأسباب التي أدت إلى ذلك الاختلاف بين القدماء والمحدثين، نجد أنّ من بينهما ذلك التعميم الذي تميزت به دراسات الأقدمين للأصوات اللغوية. وعندما تصدت طائفة من الباحثين اللغويين لدراسة هذا الجانب بالتقييم والتقويم، اختلفت المفاهيم، وتعددت وجهات النظر، مما أدى إلى ما يشبه الارتباك، والحيرة، والخلط - أحيانا - يستوي في هذا الباحثون من العرب والغربيين.

وقد يكون من جملة تلك الأسباب - أيضا - ذلك البعد الزمني السحيق الذي يفصل بين الفريقين، والذي ربما كان حائلا دون المقدرّة على فهم ما قاله الأقدمون.

وإذا انتقلت إلى تصنيف الأصوات في اللغة العربية، فعليّ - في البداية - أن أذكر أنّ علماء اللغة قاموا بتقسيم الأصوات اللغوية إلى قسمين رئيسيين، هما: الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة<sup>(١)</sup>.

وقد أخذ هذان التقسيمان عند القدماء والمحدثين اصطلاحات متعددة، فبعض القدماء أطلق على القسم الأول "صامتا"، والثاني "مصوتا"<sup>(٢)</sup> وبعض المحدثين أسمى الأول "ساكنا"، والثاني "لينا"<sup>(٣)</sup>، وبعضهم قبل المصطلح القديم، الأول "صححا"، والثاني "عللا"<sup>(٤)</sup> إلى غير ذلك من التسميات الاصطلاحية<sup>(٥)</sup>.

ولا أريد أن أخوض في مناقشة هذه الاصطلاحات، فقد سبقني إلى ذلك بعض الباحثين والدارسين<sup>(٦)</sup>، إلا أنني أود الإشارة إلى أنّ هذه التسميات المتعددة أمر طبيعي؛ حيث إنّ لكل باحث مفهومه الخاص.

ومن هنا فإن المصطلحات الصوتية تثير مشكلة لدى الباحثين في هذا المجال، إذ إنّ

(١) ينظر: علم اللغة د. السعران، ص ١٦٠، دراسة السمع والكلام د. سعد مصلوح، ص ١٧٨.

(٢) أسباب حدوث الحروف (ابن سينا) ص ١٦، وينظر: الخصائص لابن جني، ج ٣، ص ١٢٤، ١٢٥.

(٣) الأصوات: د. أنيس، ص ٢٦.

(٤) مناهج البحث في اللغة: د. تمام، ص ١٤١.

(٥) للمزيد ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار، ص ١١٣، المدخل إلى علم اللغة: رمضان عبد التواب، ص ٤٢.

(٦) ينظر: الأصوات، د. بشر، ص ٧٣ (الهامش)، الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، ص ١٥٩.

"من المسلم به في محيط الدراسات اللغوية العربية إنّ مشكلتها مشكلة "مصطلحات" فمزال أساتذة علم اللغة الحديث من العرب يحاولون أن يضعوا ترجمات ومقابلات لما يصادفون من مصطلحات غربية، نتجت من اختلاف التقسيمات، أو تصحيح المدلولات، ولعل أشد الناس إحساسا بهذه المشكلة هم الباحثون في علم الأصوات؛ نظرا إلى حاجتهم إلى الأخذ بمصطلحات محددة المضمون، ولأنّ القدماء قد أطلقوا مصطلحات معينة بناءً على مذهب في الفهم والتقسيم، على حين أسفرت البحوث الحديثة عن فهم وتقسيمات مغايرة<sup>(١)</sup>.  
وأراني أميل إلى تسميتها بالصوامت والصوائت؛ وذلك لما في هذين المصطلحين من الوضوح، والدلالة على المقصود.

### معايير التقسيم إلى صوامت وصوائت:

وقد بني هذا التقسيم على عدة اعتبارات هي:  
الاعتبار السمعي، والاعتبار الفسيولوجي(العضوي)، والاعتبار الفيزيقي (الفيزيائي)، والاعتبار الوظيفي.

وهذه الاعتبارات الأربعة بعضها يراعي حالة الصوت وهو في النظام اللغوي، كما يراعي بعضها حالته وهو في الأداء اللغوي (الكلام). فمن حيث الاعتبار السمعي يعد الصوت الصائت أكثر وضوحاً في السمع من الصوت الصامت، ويختلف بطبيعة الحال مقدار الوضوح السمعي بين أصوات كل نوع على حدة، فالصوت المجهور أوضح من المهموس، والفتحة أوضح من الضمة والكسرة، وهكذا...<sup>(٢)</sup>.

وأما الاعتبار الفسيولوجي فإن الصوت الصامت هو الذي يحدث في نطقه أن يعترض طريقه عارض كلي أو جزئي يسمح للهواء بالمرور، مسبباً نوعاً من الصفير أو الاحتكاك المسموع.  
أما الصوت الصائت فهو الذي يجري فيه الهواء، دون أن يعترض طريقة عائق - من أي نوع كان -، ودون أن يضيق مجري الهواء، فيسبب حفيفاً مسموعاً<sup>(٣)</sup> والذي يبدو أن هذا الاعتبار ليس كافياً للتفريق بين الصوامت والصوائت، وقد أنكر تمام حسان هذين الاعتبارين، ووصف الاعتبار الفسيولوجي بالاصطناع، والسطحية، والقصور، وعدم الوفاء بالغرض، معللاً ذلك بأنهما يعتمدان على مادة من خارج اللغة<sup>(٤)</sup>. أما الاعتبار الفيزيقي فيفرق بين النوعين على أساس أنّ الصوامت تتميز بأنّ الاهتزازات الصوتية "الذبذبات" فيها قليلة في عددها، وغير منتظمة - أيضاً -، في - حين أنّها في الصوائت كثيرة، ومنتظمة<sup>(٥)</sup>.

(١) العربية الفصحى، هنري فليش، ص ١٥، ١٤ (مقدمة المعرب).

(٢) ينظر: الأصوات، د. أنيس، ص ٢٦-٢٦، علم اللغة، د. السمران، ١٦٠-١٦٥.

(٣) ينظر: علم اللغة السمران، ص ١٦٠-١٦٥، الأصوات، د. بشر، ٧٤.

(٤) مناهج البحث في اللغة، ص ١٤١-١٥٣.

(٥) ينظر دراسة السمع والبصر والكلام، ص ١٩٠، ١٩١، علم الصوتيات، د. عبد الله ربيع وزميله، ص ١٥٦، ١٥٧.



وبالنسبة للاعتبار الوظيفي فله أهميته في التفريق بين النوعين. فالصوامت تكون أصولاً للكلمات العربية، أي أنها تكون فاء الكلمة، أو عينها، أو لامها، كما أنها تكون بداية للمقطع العربي.

وأما الصوائت فإنها تعد مركز المقطع العربي، ونواته التي تولف حولها عناصر المقطع<sup>(١)</sup>. إن تصنيف الأصوات إلى صوامت وصوائت موجود في اللغات، وتختلف - بطبيعة الحال - صوامت كل لغة وصوائتها، من حيث عددها، وصفاتها وأحيازها. وقد أدرك هذا التقسيم اليونانيون، الرومان، الهنود، والعرب، وكان لكل منهم مصطلحه الخاص في هذه التقسيمات، عدا العرب فهم بالرغم من تنبهم لذلك التقسيم "إلا أنهم لم يطلقوا على كل قسم اسماً يعرف به"<sup>(٢)</sup> وهذه العبارة الأخيرة لا أعتقد صحتها، ومطابقتها للواقع، فقد استخدموا تسميات مختلفة لهذين القسمين<sup>(٣)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ العرب اهتموا بدراسة الأصوات الصامتة أكثر من الصائتة؛ ولعل هذا يرجع إلى أنهم ورثوا الكتابة السامية خالية من الشكل، كما أنهم وجدوا في تقليب الصيغ الصرفية من مادة اشتقاقها أنّ الصوامت ثابتة، والصوائت متحركة. ففي مادة (ض ر ب) يشتق منها ضرب، ويضرب، واضرب، وضارب، ومضروب، وضراب ٠٠٠ الخ، فالصامت هنا كالجوهر والصائت كالعرض<sup>(٤)</sup>. وقبل أن انتقل إلى الدراسة التصنيفية للأصوات الصامتة، أود أن أبين أنه يحدث - أحياناً - تداخل بين الصوائت، وخاصة في الواو والياء، فمرة يكونان صامتين، وأخرى صامتين، ولذا يطلق على هذين الحرفين "أشباه أصوات اللين أو "أشباه الصوائت" أو "أنصاف صوامت" أو "أنصاف الحركات"<sup>(٥)</sup> وهذه المصطلحات تدل على أنّ الذي يحدد نوعها هو الاستعمال اللغوي، ومن هنا تبدو أهمية التفريق بين النوعين لا في النظام اللغوي، وإنما في المستوى التحليلي للأداء اللغوي.

(١) للمزيد ينظر: اللغة العربية، د. تمام حسان ص ٦٨-٧٢، علم الصوتيات، د. ربيع وزميله، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٢) علم اللغة، (السعران) ص ٩٤.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ٦٢، أسباب حدوث الحروف، ص ١٦.

(٤) للمزيد ينظر: تاريخ اللغات السامية، د. إسرائيل ولفنسون، ص ١٤، الأصوات، د. أنيس، ص ٣٧.

(٥) نظر: الأصوات، د. أنيس، ص ٤٢، علم اللغة، د. السعران، ص ١٩٧.

## المبحث الثاني

تصنيف الأصوات العربية الصامتة

أسس تصنيف الأصوات العربية الصامتة

تصنيف الصوامت العربية وفقاً لمخارجها

تصنيف الصوامت العربية وفقاً لوضعية الأوتار الصوتية

تصنيف الصوامت العربية وفقاً لكيفية مرور الهواء

## أسس تصنيف الأصوات العربية الصامتة.

هناك ثلاثة أسس لتصنيف الأصوات العربية الصامتة هي:

أولاً: المخرج.

ثانياً: وضعية الأوتار الصوتية.

ثالثاً: كيفية مرور الهواء.

فالأصوات الصامتة - من الناحية العضوية - هو الذي يحدث معه انسداد في أي نقطة من نقاط القناة الصوتية، سواء أكان هذا الانسداد كلياً بحيث يتوقف الهواء عنده، ويلزم موضعه، أم جزئياً يسمح للهواء بالمرور معه، محدثاً احتكاكاً مسموعاً.

وهذا التعريف يشمل المجهور والمهموس، وما يخرج من الفم والأنف، أو أحد جانبي الفم<sup>(١)</sup>. وهناك تعريف آخر للأصوات الصامتة عند قدماء اليونان والهنود، حيث يرون أنه الصوت الذي لا يمكن النطق به دون الاعتماد على صائت<sup>(٢)</sup>. وهذا وإن كان ينطبق على بعض اللغات - كما يذكر السعران<sup>(٣)</sup> - لكنه لا يجري على اللغات جميعاً<sup>(٤)</sup>.

والأصوات الصامتة في اللغة العربية يمكن تقسيمها إلى تقسيمات رئيسية ثلاثة، يعتمد كل تقسيم على اعتبار معين، ووضعية خاصة، ونمط محدد من أنماط الأداء الصوتي. وذلك على النحو التالي:

### تصنيف الصوامت العربية وفقاً لمخرجها:

ويؤخذ الاعتبار هنا أقصى، نقطة يلتقي فيها عضوان من أعضاء النطق، أحدهما ثابت، والآخر متحرك. وهذا ما يعرف ب (المخرج، أو) موضع النطق<sup>(٥)</sup>.

فهواء الزفير الذي يخرج من الرئتين، متجهاً عبر مجرى النفس إلى الفم، والأنف، يحدث بينه وبين موضع ما من هذا المجرى احتكاك، قد يكون قوياً، وقد يكون ضعيفاً، فحيثما يكون هذا الاحتكاك يكن مخرج الصوت.

وتعد معرفة مخرج الصوت مرحلة أولى للكشف عن ماهيته، أما الصفة فتعتبر مرحلة تالية للمخرج. ومن هنا أطلق القدماء والمحدثون - أيضاً - القاب الأصوات بناء على

(١) ينظر: علم اللغة، د. السعران، ص ١٦١، ١٦٠، الأصوات، د. بشر، ص ٧٤، ٧٥.

(٢) علم اللغة، السعران، ص ٩٤، الأصوات، د. بشر، ص ٧٥.

(٣) علم اللغة، ص ٩٤.

(٤) السابق، الصفحة نفسها، الأصوات، د. بشر، ص ٧٥.

(٥) الأصوات، د. بشر، ص ٨٩.

مخارجها، فيقال: صوت شفوي، وحلقي... الخ

على أنّ هذا لا يعني أنّ صفة الصوت ليست لها أهمية بل إنّ كلا الأمرين لا غنى لأحدهما عن الآخر. ومن المعروف إنّ لكل لغة من لغات العالم عدد أصوات يختلف عن غيرها من اللغات الأخرى، وبالتالي فإنّ عدد المخارج يختلف - أيضا - من لغة لأخرى. وقد أثارت مخارج الأصوات العربية إشكالا كبيرا بين اللغويين القدماء، وعلماء القراءات، والمحدثين، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل وصل إلى المحدثين أنفسهم، وكان لكل شرعة ومنهاج. نجد أنّ الخليل بن احمد (١٧٥هـ) جعلها - فيما يبدو - تسعة مخارج جدول (١)، وذلك على النحو التالي:

حلقي	ع، ح، ه، خ،
لهوي	ق، ك
شجري	ج، ش، ض
أسلي	ص، س، ز
نطعي	ط، ت، د
لثوي	ظ، ذ، ث
ذلقي	ر، ل، ن
شفوي	ف، ب، م
هوائي	ي، و، ا، ء

وفي الحقيقة إنّ في كلام الخليل عن المخارج اضطرابا وخللا، مما جعل الآراء تتفاوت في تحديد المخارج عنده، ومنهم من قال: إنها سبعة عشر مخرجا<sup>(١)</sup> وآخر يذكر أنها ستة عشر<sup>(٢)</sup>، وثالث يحدد أنها ثمانية فقط<sup>(٣)</sup>.

أما سيبويه وبعض علماء اللغة، فقد جعلوها ستة عشر مخرجا<sup>(٤)</sup>، وبعضهم كقطرب "٢٠٦ هـ"، والفراء "٢٠٧ هـ"، وغيرهم جعلها أربعة عشر<sup>(٥)</sup>، وذهب فريق من علماء القراءات إلى أنها سبعة عشر مخرجا<sup>(٦)</sup>، ووافقهم بعض المحدثين<sup>(٧)</sup>، كما ذهب بعض

(١) النشر: لابن الجزري، ج ١، ص ١٩٨، لطائف الإشارات للقسطاني، ج ١، ص ١٨٨.

(٢) همع الهوامع: السيوطي، ج ٦، ص ٢٩١.

(٣) البحث اللغوي عند العرب: د. أحمد مختار عمر، ص ١٠٢، المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ص ٣١.

(٤) الكتاب: لسبويه، (طبعة بولاق) ج ٢، ص ٤٠٥، الجمل: للزجاجي، ص ٣٧٦، الواضح في علم العربية: للزبيدي، ص ٢٨١، سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٤٦، أسرار العربية: لابن الأنباري، ص ٤١٩، ارتشاف الضرب من لسان العرب: لأبي حيان النحوي "مخطوط" ج ١، ص ٣.

(٥) لمعرفة آراء العلماء في المخارج. بصفة عامة. ينظر: الهمع: ج ٦، ص ٢٩١، نهاية القول المفيد في علم التجويد: محمد مكي نصر، ص ٣١.

(٦) النشر: ج ١، ص ١٩٨، لطائف الإشارات: ج ١، ص ١٨٨.

(٧) الاشتقاق: عبد الله الأمين، ص ٣٣٧، دراسات في فقه اللغة: د. صبحي الصالح، ص ٣٢١.

العلماء إلى أنها ثلاثة عشر مخرجا<sup>(١)</sup>.

ومن العلماء كابن الحاجب من عدها تسعة وعشرين مخرجا، لكل حرف مخرج خاص به تحقيقا، فكل حرف عندهم مخرج يخالف الآخر وإلا كان إياه.

وهذا مذهب جدير بالاعتبار، لأن المتأمل في الحروف التي تشترك في مخرج واحد كالجيم والشين والياء على رأي ابن الجزري: يجد أن لكل منها مخرجا، فالجيم أدخل، والياء أخرج، والشين بينها، والثلاثة من وسط اللسان، وكذا حروف الحلق و طرف اللسان وغيرها. وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

فمن عدها سبعة عشر مخرجا، فإنه جعل:

للجوف: مخرجا لثلاثة أحرف، هي الألف والياء والواو - المديتين -

والحلق: ثلاثة مخارج لستة أحرف هي الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء.

وللسان: عشرة مخارج لثمانية عشر حرفا، هي القاف، والكاف، والجيم والشين والياء -

غير المدية-، والضاد، واللام، والراء، والنون، والطاء والذال والتاء، والصاد والسين والزاي، والطاء والذال والتاء.

وللشفتين: مخرجين لأربعة أحرف، هي الفاء، والميم والباء والواو - غير المدية -.

وللخيشوم: مخرجا واحدا لصفة تجمع بين حرفين، هي الغنة، وتكون في الميم والنون -

الساكنتين-.

ويتضح من خلال التوزيع السابق أنه جعل لبعض الأصوات مخرجين، كالواو، والياء،

والميم، والنون.

فأما الواو، والياء، وتقيدهما ب"مدية" و" غير المدية"، فذلك قيد من نظام اللغة، لا من

دراسة الأصوات، وفرق كبير بين الأصوات في النظام، والأصوات في الأداء اللغوي. وعلى

الرغم من خلط القدماء بين هذين المستويين، فهو يعطي تصورا لمعرفة القدماء لحقيقة هذين

الصوتين، وأنها يستعملان صوامت، وصوائت.

وأما الميم والنون فمخرجهما الرئيس اللسان، والخيشوم مخرج لصفتهما، وفي ذلك تداخل

بين المخرج والصفة.

وأما من جعلها ستة عشر مخرجا، فقد اسقط مخرج الجوف، ووزع أصواته الثلاثة على

بقية المخارج، فألحق الألف بأقصى الحلق، والياء بوسط اللسان، والواو بالشفتين، مع اتفاقهم

(١) البرهان في وجوه البيان: لابن وهب الكاتب، ص ٤٣٠، ٤٣١.

في بقية المخارج وتوزيع الأصوات عليها.

ولعل هذا الفريق أدرك أنّ التفريق بين الواو - والياء - في النظام الصوتي غير مجد، فاستغنى عن ذلك، واكتفى بعلاجهما داخل هذا النظام.

وقد لحظت أنّ علماء القراءات يختلفون في الترتيب التوزيحي للأصوات داخل المخرج الواحد، وكذا الحال بالنسبة لعلماء اللغة.

وقد يقول قائل: إنه لا معني ولا قيمة لهذا الاختلاف، فالمهم في هذا المخرج ذاته، وما يختص به من أصوات؛ يقول ابن خروف "٦٠٩ هـج" - معلقا على من يرى أنّ سيبويه عني بتقديم بعض الأصوات على بعض في المخرج الواحد - : "إنّ سيبويه لم يقصد ترتيبا فيما هو من مخرج واحد<sup>(١)</sup>.

والجواب على هذا - إنّ ترتيب الأصوات داخل المخرج الواحد أفاد القدماء منه - كما تبين لي - في دراسة بعض صور الإدغام، وإنّ كانت التجارب الحديثة - كما يذكر إبراهيم أنيس - برهنت على عدم أهمية ذلك<sup>(٢)</sup>.

وأما من عدها أربعة عشر مخرجا، فنقطة الخلاف تكمن في مخرج بعض حروف الذلاقة - حسب اصطلاح القدماء - وهي: اللام، والراء، والنون، فكل حرف مخرج قائم بذاته، عند من جعل المخارج سبعة عشر، أو ستة عشر، في حين إنّ لها مخرجا واحدا، عند من جعلها أربعة عشر، يضاف إلى هذا إسقاطهم لمخرج الجوف وبذا تكون المخارج عندهم على النحو التالي:

للحلق ثلاثة مخارج، وللسان ثمانية مخارج، وللشفيتين مخرجان، وللخيشوم مخرج واحد. أما من جعلها ثلاثة عشر فتوزيعه لها لا يختلف عن جعلها أربعة عشر، إلاّ أنّه يجعل للشفيتين مخرجا واحدا.

وقد أثارت هذه الآراء الصوتية إعجاب علماء الغرب، حيث وصفت بالصحة، وبالضبط المحكم<sup>(٣)</sup>.

إلاّ إنّ ما ذكره برجستراسر "١٩٣٢م" من إنّ في نظرية مخارج الحروف نقصا مخلأ، عازيا ذلك إلى عدم اقتران دراسة مخارج الحروف بصفات<sup>(٤)</sup> فذلك مما لا أقره عليه؛ إذ إنّ في هذا - فيما أراه - خلطا بين الدراستين.

(١) نقلا عن النشر: ج١، ص١٩٩.

(٢) الأصوات: إبراهيم أنيس، ص١١٤، ١١٥.

(٣) التطور النحوي للغة العربية (برجستراسر) ص١٣، دروس في علم أصوات العربية (جان كانتينو) ص٣١، ٣٢.

(٤) التطور النحوي: ص٣١.

وقد فرق علماء اللغة والقراءات بين هاتين الدراستين، ووضعوا لكل دراسة مبحثاً خاصاً بها، ففقّدوا باباً لمخارج الحروف، وآخر لصفاتها، وبينوا ما كان حلقياً، وما كان شفويّاً، وما كان مجهوراً، وما كان رخوا... الخ، ورغم هذا

التفريق فإنهم خلطوا - أحياناً - بين المخرج والصفة، فجعلوا - مثلاً - للغة - وهي صفة - مخرجاً رئيساً هو الخيشوم.

ولست أنكر أنّ بعض الأصوات تتمايز في الصفات داخل المخرج الواحد، كالدال والناء، أو الباء والفاء، وذلك شيء فطن له القدماء، وأشاروا إليه في تلك الدراسات<sup>(١)</sup>، ولكن ليس كما يرى برجشتراسر، وإنما عالجوا كل مبحث في موضعه، دون خلط، أو تداخل في القضايا.

فما موقف علماء اللغة المحدثين من آراء الأقدمين ونظرياتهم في مخارج الحروف؟ وللإجابة عن هذا التساؤل أقول: إنّ للمحدثين في ذلك وجهة تختلف عن القدماء، وقد اعتمدت بحوثهم - في هذا المجال - على الأجهزة الصوتية الحديثة، مما أدى إلى تحديد المخارج الصوتية تحديداً دقيقاً، بيد أنّ هؤلاء لم يتفقوا بشأن ذلك، بل حدث بينهم اختلاف يسير، فبعضهم يرى أنها عشرة<sup>(٢)</sup>، وآخرون - وهم الأكثرية - يرون أنها أحد عشر<sup>(٣)</sup>، ويظهر أنّ مرجع الخلاف يعود إلى التجارب الخاصة لكل باحث، والتأثر الشخصي بنطق كل صوت، ولن أدخل في نقاش هذا الخلاف - بالرغم من أهميته؛ وذلك لعدم وجود الوسائل المساعدة على اكتشاف الوجهة الصحيحة في هذا. ومما تجدر الإشارة إليه أن الخلاف بين المحدثين ليس مقتصرًا على تحديد المخارج فحسب، بل تجاوزه إلى توزيع الأصوات على تلك المخارج، على النحو الذي تطالعه في الجداول التي وضعت لذلك<sup>(٤)</sup>.

غير إنّ هذا لا يمنع من الأخذ برأي من يقول: إنها أحد عشر، جدول (٢) كالاتي<sup>(٥)</sup>:

المخرج	أصواته
شفوي	ب، م، و
شفوي أسناني	ف

(١) ينظر - على سبيل المثال - : لطائف الإشارات، ج ١، ص ١٩٦.

(٢) المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، ص ٣٠، ٣١.

(٣) علم اللغة: د. السعمران، ص ١٩٩، ٢٠٠، الأصوات: د. بشر، ص ٨٩، ٩٠، دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار، ص ٢٦٩ - ٢٧٣.

(٤) ينظر - على سبيل المثال - الأصوات: د. بشر، ص ١٣٦، دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار، ص ٢٧٥.

(٥) د. السعمران: علم اللغة العام، ص ١٩٩، و د. كمال بشر: علم اللغة العام، ص ٨٩.

أسناني	ذ، ث، ظ
أسناني لثوي	د، ت، ط، ز، س، ص، ض
لثوي	ل، ر، ن
غاري "وسط الحنك"	ش، ج، ي
طبقي "أقصى الحنك"	ك
لهوي	ق
حلقومي "لهوي"	غ، خ
حلقي	ع، ح
حنجري	ء، هـ

وبمقارنة آراء القدماء في ذلك بما توصل إليه الباحثون المحدثون - بصفة عامة - فإن الفروق بينهما تبدو على النحو الآتي:

أولاً- استخدم القدماء مصطلحات للمخارج الصوتية تختلف عن مصطلحات المحدثين، حيث رأى هؤلاء أنها غير دقيقة، وليست وافية بالعرض.

فعلى سبيل المثال أطلق بعض القدماء على مجموعة (ذ، ظ، ث) الأصوات اللثوية، في حين أطلق عليها المحدثون الأصوات الأسنانية، أو ما بين الأسنان.

كما أطلق بعض القدماء على مجموعة "د، ط، ت" الأصوات النطعية، في حين أطلق المحدثون عليها - بالاشتراك مع بعض الأصوات - الأصوات الأسنانية اللثوية... الخ.

ثانياً- اعتمد القدماء في ترتيب المخارج الصوتية على الترتيب التصاعدي. وأعني به البدء من الحلق، ثم وسطه، ثم أدناه، وانتقلوا بعد ذلك إلى أقصى اللسان، ثم أوسطه، ثم طرفه، حتى وصلوا إلى الشفتين.

أما المحدثون فعلى عكس ذلك، إذ اعتمدوا على الترتيب التنازلي، أي من الأعلى إلى الأسفل، بدءاً بالشفيتين، وانتهاءً بأصوات الحلق والحنجرة.

ثالثاً: ذكر القدماء حرف الألف ضمن الأبجدية العربية، وعدوه من حروف الحلق، أما المحدثون فقد استبعدوه من الأبجدية، لأنه من الصوائت الطويلة فتحة طويلة<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من هذه الفروق - وغيرها مما لم يرد ذكرها<sup>(٢)</sup> فإن كثيراً مما ذكره الأقدمون في المخارج والصوتية قد أيدته الدراسات الصوتية الحديثة.

(١) قضية الألف والهمزة في اللغة العربية من القضايا المهمة في الدرس الصوتي، وكثيراً ما يقع الخلط بينهما. للمزيد حول هذه القضية ينظر: دراسات في علم اللغة . القسم الأول . (د. كمال بشر) ص ٤٨-٦٣، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، ص ١٧. ٢٥.

(٢) للمزيد حول معرفة الفروق بين دراستي القدماء والمحدثين في هذه الناحية ينظر: الأصوات (د. بشر) ص ٨٩-٩٨.



وطبيعي ألا ترقى هذه الدراسة إلى مستوى الصحة المطلقة، والدقة المتناهية، ولكن حسبها أنها سبقت عصرها بقرون طويلة، في وقت لم تختراع فيه الآلة، ولم تكن الأجهزة الصوتية الدقيقة قد عرفت بعد.

تصنيف الأصوات العربية الصامتة وفقاً لوضعية الأوتار الصوتية: يبنى هذا التقسيم على وضعية الأوتار الصوتية حال مرور النفس بها، من حيث حدوث اهتزازات صوتية، أو عدم حدوثها.

وبهذا الاعتبار تنقسم الأصوات الصامتة إلى قسمين، هما:

أ- الأصوات المجهورة.

ب- الأصوات المهموسة<sup>(١)</sup>.

وللقدماء تعريف لهذين القسمين يختلف عن تعريف المحدثين. فهم يرون أنّ المجهور (حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت)، أما المهموس، ف "حرف أضعف الاعتماد في موضعه، حتى جرى النفس معه"<sup>(٢)</sup>.

أما المحدثون، فيرون بأن المجهور هو "الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به"<sup>(٣)</sup>.

وبالنظر إلى تعريف القدماء لكل من المجهور والمهموس على ضوء الدرس الصوتي الحديث نجد أنّ ما ذكره القدماء في تحديد معنى الجهر والهمس قد وجد اهتماماً كبيراً ومن ذلك عندما شرع الباحثون الغربيون في دراسة العربية وأصواتها، ظهر بينهم خلاف حول تحديد معنى الجهر والهمس عند سيبويه، فبعضهم يرى إنّ الجهر عنده يقابل مصطلح (voiced) (sonore).

والهمس يقابل مصطلح (voiceless) (soured) ومن هؤلاء الألماني (شادة) وبعضهم لا يرى ذلك ويعتبر أنّ لفظ (مجهور) مرادف للفظ (قوي) ولفظ (مهموس) مرادف للفظ (ضعيف أو خفيف). ومن هؤلاء (غاردينير) و(برافمان) ويحتج هؤلاء بأن سيبويه كان لا يعرف الدور الذي تقوم به الأوتار الصوتية<sup>(٤)</sup>.

وقد تصدى للرد عليهم وتأييد الرأي الأول اللغوي (جان كانتنيو) الذي يرى أنّ ارتباط لفظ الجهر بالقوة ولفظ الهمس بالضعف "لا يعني استحالة استعمال العرب لفظ مجهور في معنى ما

(١) ينظر: علم اللغة، د. السعران، ص ١٥٠ - ١٥٣، الأصوات، د. كمال بشر، ص ٨٧.

(٢) الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٤، وينظر: سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦٠.

(٣) الأصوات، د. بشر، ص ٨٧، ٨٨.

(٤) ينظر: جان كانتنيو، دروس في علم أصوات العربية. ترجمة، القرمادي، ص ٣٤.

نسميه (sonore) واستعمالهم لفظ مهموس في معنى ما نسميه (sourde)<sup>(١)</sup>.

ونحن نجد تعريف سيبويه يقوم على دعائم أساسية أربع اثنتان للجهر واثنتان للهمس، كل واحدة منهما مرتبطة بالثانية وهي: إشباع الاعتماد في حالة الجهر وإضعافه في حالة الهمس، ومنع النفس في حالة الجهر وجريه في حالة الهمس.

وفي الدعامة الأولى لكل من الجهر يظهر من المقابلة بين الإشباع والإضعاف، أنّ الإشباع معناه: التقوية (strengthening) وأنّ الإضعاف معناه: إزالة القوة (weakening) ويظهر من إسناد الإشباع والإضعاف إلى الاعتماد واتفاق منع جري الصوت مع إشباع الاعتماد، وجري النفس مع إضعاف الاعتماد أنّ: الاعتماد معناه الضغط (pressure)<sup>(٢)</sup>. وعلى هذا فإن معنى (إشباع الاعتماد) هو: قوة الضغط، ومعنى (إضعاف الاعتماد) هو: ضعف الضغط. وهذا يوافق ما توصلت إليه الدراسات الحديثة فقد توصل الباحثون إلى "ربط الضغط أسفل الحنجرة بدرجة الصوت خارج الفم وسماعه"<sup>(٣)</sup>.

بمعنى أنه كلما كان الضغط أسفل الحنجرة قوياً، كانت درجة الصوت ووضوحه في السمع أعلى.

والأصوات المجهورة أوضح في السمع من المهموسة<sup>(٤)</sup> كذلك دلت الدراسات الحديثة على أنّ "الجهر ينتج عندما تتحرك الثنايا الصوتية (الأوتار) تحركاً منتظماً نتيجة لتوترها وقوة دفع الهواء"<sup>(٥)</sup> كما أنّ "زيادة الضغط أسفل الحنجرة تكون عاملاً في زيادة التردد في الموجة الأساسية للأصوات المجهورة"<sup>(٦)</sup>.

كذلك فقد أثبتت التجارب الفيزيائية الحديثة أن الأصوات المهموسة يكون ضغط الهواء أسفل الحنجرة معها مساوياً لضغط الهواء أعلى الحنجرة. أما الأصوات المجهورة فإن ضغط الهواء أسفل الحنجرة معها يكون أقوى من الضغط أعلى الحنجرة"<sup>(٧)</sup> وهذا الفرق في الضغط هو الذي يمكن الهواء من عبور المزمار إلى الفم محدثاً الجهر"<sup>(٨)</sup>.

وهكذا يتضح لنا أن سيبويه قد أحس بوجود ضغط قوي للهواء يصاحب نطق الأصوات

(١) السابق الصفحة نفسها.

(٢) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٦٠، ٦١.

(٣) عبد الرحمن أيوب، الكلام، إنتاجه وتحليله، ص ٣٧٧.

(٤) ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ٢٧.

(٥) عبد الرحمن أيوب، الكلام، إنتاجه وتحليله، ص ٥٧.

(٦) السابق، الصفحة نفسها.

(٧) ينظر: السابق، ص ٦٦.

(٨) السابق، الصفحة نفسها.

المجهورة، وهو ما عبر عنه (بإشباع الاعتماد). وضغط ضعيف للهواء يصاحب نطق الأصوات المهموسة وهو ما عبر عنه (بإضعاف الاعتماد) وهذا ما أثبتته علم الأصوات الحديث عن طريق التجارب العملية، وتطبيق القوانين الفيزيائية.

والدعامة الثانية لكل من الجهر والهمس والتي قام عليها تعريف سيبويه هي (منع النفس في حالة الجهر، وجريانه في حالة الهمس). ومنع النفس (الهواء) قد يكون منعاً تاماً، وذلك عندما تتطبق الأوتار الصوتية انطباقاً تاماً، فتمنع الهواء من أن يمر إلى أعلى هنيهة من الزمن، ثم تتفتح فجأة فينطلق الهواء إلى خارج الفم دون أي اعتراض في طريقه، كما في حالة صوت الهمزة. لذلك يعده سيبويه مجهوراً وقد يكون المنع ناقصاً، كما في حالة الأصوات المجهورة غير الهمزة والقاف، حيث يعترض الوتران الصوتيان طريق الهواء بأن يقتريا من بعضهما، بحيث تكون بينهما فجوة صغيرة يندفع الهواء خلالها بقوة، فتحدثذبذبة كثيفة فيهما.

يتضح لنا مما تقدم أن معيار الأصوات المجهورة عند سيبويه - بالإضافة إلى قوة ضغط الهواء - هو: اعتراض الهواء اعتراضاً تاماً أو ناقصاً وهذا معنى قوله "منع النفس أن يجري معه" وأما المهموسة فهي الحالة الثالثة للوترين الصوتيين، وذلك عندما يكونان متباعدين، فتكون بينهما فجوة كافية لمرور الهواء بحرية دون اعتراض.

وتتضح المقارنة بين سيبويه والمحدثين لحالات فتح الحنجرة وما ينبني عليها من خلال

الجدول رقم (٣) التالي:

سيبويه		المحدثون				حالات فتحة الحنجرة ما بين الوترين الصوتيين
		هفنز وأتباعه		جونز وأتباعه		
مجهور	الصفة	مهموس	الصفة	لامجهور ولامهموس	الصفة	القفل التام
مجهور	الصفة	مجهور	الصفة	مجهور	الصفة	القفل الناقص
مهموس	الصفة	مهموس	الصفة	مهموس	الصفة	الفتح التام

نلاحظ من خلال الجدول أن المحدثين يتفقون مع سيبويه في حالتين، ويختلفون معه في

حالة واحدة، بل إنهم يختلفون فيما بينهم في تلك الحالة.

ففي حالة الفتح التام للوترين الصوتيين نجد أن المحدثين وسيبويه يجعلونها أساساً للهمس، ويعبر

عنها المحدثون (بعدمذبذبة الأوتار الصوتية حين النطق بالصوت). ويعبر عنه سيبويه (بعدم اعترض النفس حين النطق بالصوت) وهو ما يفهم من قوله: "وَجَرى مَعَه النَّفْسُ". أما الحالة الثانية التي يتفق فيها سيبويه مع المحدثين فهي حالة القفل الناقص لفتحة الحنجرة عن طريق اقتراب الوترين أحدهما عن الآخر. ويعبر عنها المحدثون (بذبذبة الأوتار الصوتية حين النطق بالصوت). ويعبر عنها سيبويه باعتراض النفس حين النطق بالصوت، وهو ما يفهم من قوله: "ومنع النفس أن يجري معه".

ووجه الاتفاق بين المحدثين وسيبويه أن معيار المحدثين يفسر معيار سيبويه، ومعيار سيبويه يفسر معيار المحدثين، بمعنى أن عدمذبذبة الأوتار الصوتية. معناها أن الهواء غير معترض، لأن الوترين الصوتيين متباعدان. وإنذبذبة الأوتار الصوتية. معناها أن الهواء معترض، لأن الوترين الصوتيين متقاربان. وتقاربهما يؤدي إلىذبذبتهما. وتباعدهما يؤدي إلى عدمذبذبتهما. فبان وجه الاتفاق بين المحدثين وسيبويه في الحالتين.

أما الحالة التي يختلف فيها سيبويه مع المحدثين، كما يختلف فيها المحدثين فيما بينهم، فهي حالة القفل التام لفتحة الحنجرة. وذلك عندما ينطبق الوتران الصوتيان انطباقاً تاماً، فيمنع الهواء من أن يمر منعاً تاماً هنيهة من الزمن ثم يبتعد الوتران الصوتيان فجأة فينطلق الهواء إلى أعلى. هذه الحالة جعلها سيبويه أساساً للجهر بالإضافة إلى حالة القفل الناقص ويصف الصوت الذي ينطق بهذه الكيفية بالجهر، لأن شرط الجهر عنده هو (منع النفس). والمنع متحقق تماماً، لأنه منع تام.

أما المحدثون فلا يجعلونها أساساً للجهر كما فعل سيبويه ولكنهم يذهبون في ذلك مذهبين، فيجعلها فريق منهم أساساً للهمس، فيضيفها مع حالة الفتح التام. ويصف الصوت الذي ينطق بهذه الكيفية بالهمس، لأن شرط الهمس عندهم هو (عدمذبذبة الأوتار الصوتية) ولا تحدثذبذبة في هذه الحالة.

أما الفريق الثاني فلا يجعلها أساساً للجهر، ولا للهمس فلا يضيفها إلى أي من الحالتين وإنما يعتبرها حالة خاصة، وبناء على هذا فلا يصف الصوت الذي ينطق بهذه الكيفية بالهمس ولا بالجهر، بل يصفه بأنه (صوت لا مهموس ولا مجهور) لأن الحالة التي تصاحب الصوت تكون مخالفة لحالة الجهر والهمس، فلا ينبغي أن يوصف الصوت بالهمس ولا بالجهر.

وقد ترتب على جعل سيبويه حالة القفل التام لفتحة الحنجرة أساساً للجهر، ونفى صفة الجهر مع تلك الحالة عند المحدثين، أن وصف صوتان من أصوات العربية بالجهر عند

سيبويه، في حين نفيت عنهما تلك الصفة عند المحدثين. والصوتان هما: الهمزة والقاف. وكما وقع الخلف بين القدماء والمحدثين في تعريف المجهور والمهموس، فقد حدث - أيضاً - في تحديد أصوات كل قسم.

فالأصوات المهموسة - عند القدماء - عشرة، هي: -ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ف، ك، هـ، ويجمعها قولك "فحته شخص سكت"، أما المجهورة فهي البقية، وعددها تسعة عشر (١).

أما المحدثون فقد وجدوا أنّ الأصوات المهموسة ثلاثة عشر هي: -ء، ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ، وأما المجهورة فخمسة عشر صوتاً، هي: -ب، ح، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، و، ي (٢) - مع اختلاف يسير في هذا بينهم - وبمقارنة هذا برأي القدماء يتضح الآتي:

أولاً: عد القدماء الهمزة صوتاً مجهوراً، في حين اختلف المحدثون فيه فبعضهم جعله مهموساً (٣)، وآخرون اعتبروه صوتاً ليس بالمجهور ولا بالمهموس (٤).

ثانياً: عد القدماء الطاء صوتاً مجهوراً، في حين أنّه عند المحدثين مهموس. وقد علل بعض اللغويين المحدثين ذلك بأنه قد يكون كذلك في نطق القدماء، ثم أصابه عبر أزمنة التاريخ تطور لغوي، نقله من الجهر إلى الهمس (٥).

ثالثاً: عد القدماء، وكثير من المحدثين الهاء صوتاً مهموساً، في حين اعتبره بعض المحدثين مجهوراً (٦).

رابعاً: عد القدماء صوت القاف مجهوراً، أما المحدثون فعدوه مهموساً. تصنيف الصوامت العربية وفقاً لكيفية مرور الهواء: يراعى في هذا التقسيم ما يحدث للهواء عند مروره بالمجرى من عوائق واعتراضات جزئية أو كلية، أو ما يصيبه من تغيرات، فيجري في جانبي الفم أو الأنف.

وبناء عليه، فالأصوات الصامتة يمكن توزيعها إلى المجموعات الآتية:

أ- الأصوات الشديدة (الانفجارية).

ب- الأصوات الرخوة (الاحتكاكية).

(١) ينظر: الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٤، سر صناعة الإعراب ج ١، ص ٦٠.

(٢) ينظر: علم الأصوات، برتيل مالمبرج، ص ١١٠.

(٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام، ص ١٢٥، أصوات اللغة، د. أيوب، ١٨٣.

(٤) ينظر الأصوات، د. أنيس، ص ٩١، علم اللغة السعري، ص ١٧٠، ١٧١.

(٥) ينظر: الأصوات، د. أنيس، ص ٦٢ وما بعدها.

(٦) ينظر: مناهج البحث في اللغة، د. تمام، ص ١٣١.

ج- الأصوات المتوسطة.

د- الصوت المركب (شديد - رخو) (انفجاري - احتكاكي).

هـ- الصوت الجانبي(المنحرف).

و- الأصوات الأنفية.

ز- الصوت المكرر<sup>(١)</sup>.

وسنتناول هنا المجموعات الأربعة الأولى، أما البقية فسيكون الحديث عنها في نهاية المبحث.

وإذا انتقلنا إلى تعريف كل نوع - عند القدماء - فإننا نجد أنّ الصوت الشديد - أو كما يطلق عليه ابن سينا (٤٢٨هـ) "المفرد"<sup>(٢)</sup> هو "الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه"، أما الرخو - أو كما يسميه ابن سينا "المركب"<sup>(٣)</sup> - فهو "الذي يجري فيه الصوت"<sup>(٤)</sup> وأما المتوسط فهو الذي "لا يجري الصوت في موضعه عند الوقف، بل تعترض له أعراض توجب خروج الصوت باتصاله بغير موضعه"<sup>(٥)</sup>، وأما المركب فليس له وجود عندهم. وللمحدثين تعريف آخر لهذه الأنواع، فالصوت الشديد هو الذي يتكون "بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حسباً تاماً في موضع الحبس أو الوقف التام أي أن يضغط الهواء، ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثاً صوتاً انفجارياً"<sup>(٦)</sup>.

وأما الرخو فهو الذي يتكون "بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكاً مسموعاً"<sup>(٧)</sup>.

أما الأصوات المتوسطة، فهي التي "يمر الهواء بمجره دون انحباس أو احتكاك من أي نوع كان، إما لأن مجراه في الفم خال من المعوقات، كما في صوتي الواو والياء، وإما لأن مجراه في الفم يتجنب المرور بنقطة السد أو التضيق، كما في صوت اللام، وإما لأن هذا التضيق غير ذي استقرار على حاله، كما في صوت الراء، أو لأن الهواء لا يمر بالأنف، كما في صوتي الميم والنون"<sup>(٨)</sup>

والصوت المركب هو الذي "ينغلق مجرى الهواء معه لمدة قصيرة، وبدل أن ينفصل العضوان بشكل سريع وفجائي، يتم الانفصال ببطء، مما يعطي الفرصة لهواء الرئتين بعد الانفجار من

(١) ينظر: علم اللغة، د. السعران، ص ١٦٥، الأصوات، د. بشر، ص ٩٨.

(٢) أسباب حدوث الحروف، ص ٦.

(٣) السابق، الصفحة نفسها.

(٤) سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦١.

(٥) التبصرة والتذكرة، للصيمري، ج ٢، ص ٩٢٩، شرح المفصل، ابن يعيش، ج ١٠، ص ١٢٩.

(٦) علم اللغة، السعران، ص ١٦٦.

(٧) السابق، ص ١٨٩.

(٨) مناهج البحث في اللغة، د. تمام، ص ١١٣.

الاحتكاك بالعضوين المتباعدين، احتكاكاً شبيهاً بما يسمع من صوت الجيم الشامية<sup>(١)</sup>.

وبمقارنة هذه التعريفات بما سبق يتبين الآتي:

أولاً: إنّ تعريف القدماء للشدة والرخاوة يتفق في المعنى مع تعريفات المحدثين، غير أنّ الصياغة الدقيقة تنقص تعريف القدماء. وذلك ما جعل بعض المحدثين يعتقد أنه لا فرق بين المجهور والشديد في كلام القدماء، حيث إنّ فكرة المجهور عند القدماء تقوم على منع النفس من الجريان، في حين أنها قائمة في الشديد على منع الصوت من الجريان، وفي هذا من الالتباس والتداخل ما يجعل التفريق بين النوعين على هذا الأساس غير واضح تماماً<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: أطلق المحدثون على الصوت الشديد مصطلح "الانفجاري"، أو "الآني"، أو "الوقفي"، في حين أطلقوا على الصوت الرخو مصطلح "الاحتكاكي" أو "المتماذج"، أو "الاستمراري". وينبغي الإشارة إلى أنّ القدماء أدركوا أنّ الأصوات الشديدة أصوات وقفية (آنية)، بمعنى أنّ الصوت يسمع في آن، ثم ينقطع، - كما قال بهذا الاستريادي (٦٨٨ هـ)<sup>(٣)</sup>، كما أدركوا أنّ الرخوة أصوات استمرارية (متماذج)، بمعنى أنه يمكن مدّه، وتطويله<sup>(٤)</sup>.

ثالثاً: فسّر القدماء الأصوات المتوسطة بأنها متوسطة بين الشديدة والرخوة، في حين يرى بعض المحدثين أنّ التوسط يعني أنها ليست شديدة ولا رخوة<sup>(٥)</sup>.

وبعضهم يرى أنها متوسطة بين الصوامت والصوائت<sup>(٦)</sup>. ويبدو أنّ التعليلين الأولين من الممكن جريانها على هذا النوع من الأصوات، بيد أنّ مفهوم التوسط بأنه بين الصوامت ليس مناسباً في هذا المقام؛ حيث إنّ الحديث عن الشدة والرخاوة، وليس عن الصوامت والصوائت.

وتثار قضية أخرى في هذا التقسيم، وهي تحديد أصوات كل مجموعة من المجموعات الأربع عند القدماء والمحدثين.

ويمكن توضيح ذلك في الجدول الآتي رقم (٤):

المركب	المتوسطة		الرخوة		الشديدة	
	محدثو	قدماء	محدثو	قدماء	محدثو	قدماء
محدثون						

(١) السابق: د. تمام، ص ١٣١، ١٣٢.

(٢) ينظر: فقه اللغة، محمد المبارك، ص ٥١. المدخل إلى علم اللغة، د. رمضان عبد التواب، ص ٤٠، النظريات الصوتية في كتاب سيوييه (الطيب البكوش) حوليات الجامعة التونسية، العدد الحادي عشر، ١٩٧٤، ص ١٧٤.

(٣) شرح شافية ابن الحاجب، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٤) ينظر: الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٤، ٤٣٥، سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦١.

(٥) الأصوات، أنيس، ص ٢٤، ٢٥، مناهج البحث في اللغة، د. تمام، ص ١١٣.

(٦) الأصوات، د. بشر، ص ١٣١، ١٣٢.

ج	ر	ا	ث	ث	ء	ء
	ل	ر	ح	ح	ب	ب
	م	ع	خ	خ	ت	ت
	ن	ل	ذ	ذ	د	ج
	و	م	ز	ز	ض	د
	ي	ن	س	س	ط	ط
		و	ش	ش	ق	ق
		ي	ص	ص	ك	ك
			ظ	ض		
			ع	ظ		
			غ	غ		
			ف	ف		
			ه	ه		

وبعد مقارنة بين الفريقين، نجد أنّ النتائج تكون على النحو التالي: أولاً- عدّ القدماء الألف صوتاً متوسطاً، في حين أسقطه المحدثون من تصنيفهم وتوزيعهم للأصوات، لأنه من الصوائت (الحركات).

ثانياً: اعتبر القدماء الجيم صوتاً شديداً (انفجارياً)، في حين عدّه المحدثون صوتاً مركباً، أي شديداً - رخوياً (انفجارياً - احتكاكياً).

وتفسير ذلك أنّ الصوت الشديد يتميز بالتقاء العضوين حين مرور الهواء بهما، مما ينتج عنه انطلاق الهواء، وإحداث صوت انفجاري، فسرعة الانفراج ومفاجأته شرط لحدوث الصوت الشديد.

ولكن هناك في اللغة العربية صوت لا يتحقق فيه هذا الشرط، بل يتصف حين انطلاق الهواء بعد حبسه بالانفراج البطيء، مما يتيح الفرصة للهواء بالاحتكاك بالعضوين اللذين انفرجا، احتكاكاً قريب الشبه بذلك الذي يحدث مع الأصوات الرخوة<sup>(١)</sup>.

وعليه فإن صوت الجيم يتصف بالشدة الجزئية، لانحباس الهواء مدة يسيرة من الزمن، ومن ثم ينفرج العضوان انفراجاً بطيئاً، كما يتصف بالرخاوة الجزئية - أيضاً -، لأنه يسمح للهواء - بعد هذا الانفراج البطيء - احتكاك غير واضح كوضوحه مع الأصوات الرخوة، وبذا يكون صوت الجيم مركباً من عنصري الشدة والرخاوة.

(١) مناهج البحث في اللغة، د. تمام، ص ١١٢، ١١٣.



ثالثاً: عدّ القدماء الضاد صوتاً رخواً، في حين عدّه المحدثون صوتاً شديداً.  
رابعاً: عدّ القدماء العين صوتاً متوسطاً بين الشدة والرخاوة، في حين جعله المحدثون صوتاً رخواً.

وفي ضوء ما تقدم، فإنني أستطيع القول: أنّ ما ذكره القدماء، في وصف الأصوات يتفق - في معظمه - مع نتائج البحوث الصوتية الحديثة. وما وقع من اختلاف في ذلك فيمكن إرجاعه إلى عدة أمور، لعلّ أهمها: ما أصاب الأصوات العربية من تطور لغوي عبر الأزمنة<sup>(١)</sup>.

فهذه هي التقسيمات العامة للأصوات العربية الصامتة، اعتمدت فيها على اعتبارات صوتية معينة، وخواص نطقية محددة.

وهناك تقسيمات أخرى جانبية، وبالذات فيما يتعلق بصفات الأصوات، يمكن تقسيمها إلى نوعين:

١- صفات مشتركة (مجموعات): وهي التي يتحقق فيها صفة معينة تنطبق على صوتين فأكثر.

٢- صفات منفردة: وهي التي يختص بها صوت واحد فقط.

فأما صفات المجموعات، فيمكن توضيحها على النحو الآتي:

الإطباق: وهو عند القدماء "أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له"<sup>(٢)</sup>.

في حين أنّه عند المحدثين "ارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطباق بحيث لا يتصل به، على حين يجري النطق في مخرج آخر غير الطباق، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه"<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ على تعريف القدماء أنّه عام يشمل الإطباق والطبقية أما المحدثون فقد فرقوا بين هذين المصطلحين، فالإطباق - كما تقدم - ارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطباق دون أن يتصل به، أما الطباقية فهي ارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق، ويكون طرف اللسان في وضع محايد<sup>(٤)</sup>.

وأصوات الإطباق أربعة، هي - الصاد، والضاد، والطاء، والظاء<sup>(٥)</sup>.

(١) للمزيد ينظر: دراسات في علم اللغة - القسم الثاني - د. بشر، ص ١٢١، ١٣٦.

(٢) سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦١، شرح المفصل، ج ١٠، ص ١٢٩.

(٣) مناهج البحث في اللغة، د. تمام، ص ١١٥.

(٤) السابق الصفحة نفسها.

(٥) يرى بعض الباحثين أنها خمسة، بإضافة القاف. ينظر: علم اللغة العربية، د. محمود فهمي حجازي، ص ١٤١.

وينتج عن هذا الإطباق قيمة صوتية، تعرف. التفخيم إذن التفخيم: أثر سمعي ناشئ عن حركات عضوية معينة.

ولكل من هذين المصطلحين مقابل له، فالإطباق يقابله الانفتاح، والتفخيم يقابله الترقيق، فكل مطبق مفخم وكل منفتح مرقق، والأصوات المنفتحة هي ما عدا المطبقة.

الاستعلاء: وهو عند القدماء "ارتفاع اللسان بها (أي بأصوات الاستعلاء) عند النطق إلى أعلى الحنك"<sup>(١)</sup>. أما عند المحدثين فهو "صفة لبعض الأصوات الخلفية، وهي القاف والغين والخاء (يشركها فيه حروف الإطباق) وفيها يرتفع اللسان بجزئه الخلفي نحو اللهاة ليخرج الصوت غليظاً مفخماً، ولكن دون مبالغة في تغليظ النطق"<sup>(٢)</sup> وأصوات الاستعلاء سبعة، هي أصوات الإطباق الأربعة، يضاف إليها القاف، والغين، والخاء. والفرق بين الإطباق والاستعلاء أن "الإطباق أبلغ من الاستعلاء وأخص، إذ لا يلزم من الاستعلاء الإطباق، ويلزم من الإطباق الاستعلاء"<sup>(٣)</sup>.

وينبغي الإشارة إلى أن التفخيم في الأصوات يمكن توزيعه - بصفة عامة - على النحو الآتي:

- ١- أصوات كاملة التفخيم، وهي أصوات الإطباق، حيث يبلغ ارتفاع اللسان مداه.
- ٢- أصوات ذات تفخيم جزئي - أي إن لها بعض القيم التفخيمية -، وهي الغين، والخاء، والقاف، حيث يكون ارتفاع اللسان معها أقل مما هو عليه مع أصوات الإطباق.
- ٣ - أصوات ذات تفخيم موقعي، أي أنها تفخم في بعض المواقع، وترقق في بعضها الآخر، وهي اللام، والراء<sup>(٤)</sup>.

ويقابل الاستعلاء الاستفال، وأصواته هي ما عدا الأصوات المستعلية.

الصفير: وهو عند القدماء "صوت زائد من بين الشفتين يصحبها عند خروجها"<sup>(٥)</sup>.

وأصواته ثلاثة، هي - السين، والصاد، والزاي.

أما المحدثون فيرون إن الصفير ما هو إلا تضيق لمجرى بعض الأصوات، مع احتكاك الهواء معها بالمخرج احتكاكاً شديداً، مما ينتج عنه ذلك الصفير، الذي تختلف نسب علوه

(١) سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦٢.

(٢) علم الأصوات، مالمبرج، ص ١١٧.

(٣) نهاية القول المفيد، ص ٥١.

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، ص ١٣٦، دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار، ص ٢٧٨.

(٥) لطائف الإشارات، ج ١، ص ١٩٩.

ووضوحه من صوت لآخر<sup>(١)</sup>.

يرى بعض المحدثين أنّ الأصوات التي يسمع لها صفير واضح هي: - ث، ذ، ز، س، ش، ص، ظ، ف، مع اختلاف بينهما في علو الصفير ووضوحه<sup>(٢)</sup>.

وأحسب أنّ ما ذكره القدماء في تحديد أصوات الصفير هو الأنسب للقبول، وذلك لأنّ الصفير واضح فيها، لا يحتاج إلى بيان نسبة. وتعد صفة الصفير من الصفات التي لا مقابل لها.

القفلقة: وهي التي إذا وقف عليها "خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه"<sup>(٣)</sup>، أي أنها عبارة عن حركة مجتلبة مع الصوت الساكن - وسطاً كان أو آخر-، وقد ناقش المحدثون هذا بشيء من التفصيل<sup>(٤)</sup>.

غير أن الذي أود ذكره هو أن هذه الصفة - وإن كانت تحافظ على جهر الصوت حتى لا يلحقه شيء من الهمس، كما أنها قد تحول دون حدوث بعض ظواهر اللغة - كالتماثل - ، إلا أنها لا تؤثر في الأصوات من حيث القوة أو الضعف - وأصواتها خمسة، مجموعة في قولك: "قطب جد".

الغنة: وهو خروج الصوت من الأنف (الخيشوم)<sup>(٥)</sup>.

وأصواتها اثنان، هما - الميم، والنون، ويطلق عليهما "الأصوات الغناء" أو المغنونة"، أو الأنفية"، وليس لهذه الصفة مقابل.

اللين: وهو امتداد المخرج واتساعه، بحيث يخرج الصوت دون كلفة أو مشقة على اللسان، وحروفه اثنان، هما . الواو، والياء، الساكنتان المفتوح ما قبلهما<sup>(٦)</sup>، وليس لهذه الصفة مقابل.

### أما الصفات المنفردة، فهي على النحو التالي:

الانحراف: وهو تسرب الهواء من أحد جانبي الفم أو كليهما، لوجود عقبة في وسط المجرى الهوائي، ويسمى "منحرف"، أو "جانبي"، وتختص به اللام<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: الأصوات، د. أنيس، ص ٧٥، علم الأصوات، مالمبرج، ص ١٢٠.

(٢) ينظر: الأصوات: د. أنيس ص ٧٥.

(٣) الكتاب: ج ٤، ص ١٤٤، (هارون)، وينظر: سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦٣، النشر: ج ١، ص ٢٠٣.

(٤) ينظر - على سبيل المثال - علم الأصوات عند سيبويه وعندنا (شاده) ص ١١، علم اللغة (د. السعران) ص ١٧٤، الأصوات (د. بشر) ص ١١٦.

(٥) ينظر: علم اللغة (د. السعران) ص ١٨٤، الاشتقاق (عبد الله أمين) ص ٣٤٤.

(٦) ينظر: الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٥، (هارون)، الرعاية: (مكي ابن أبي طالب القيسي) ص ١٢٦، الاشتقاق (عبد الله أمين) ص ٣٤٤، وذكر العلماء أن هناك صفة مشتركة أخرى، هي: المد واللين: وأصواتها: الألف، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، الرعاية ص ١٢٥.

(٧) ينظر: الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٥، هارون، مناهج البحث في اللغة (د. تمام) ص ١٣٣، علم اللغة (د. السعران) ، ص ١٨٥.

التكرار: وهو تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعاً سريعاً، وتختص به الراء<sup>(١)</sup>.  
التفشي: "وهو أن يشغل اللسان أثناء النطق بالصوت مساحة أكبر، ما بين الغار واللثة"<sup>(٢)</sup>  
ويتحقق هذا في صوت الشين، إلا أن بعض العلماء ذكر أن هناك من يرى أن التفشي ليس  
خاصاً بالشين وحدها، بل يشاركها - أيضاً - أصوات آخر<sup>(٣)</sup>.  
الاستطالة: وهي عند القدماء امتداد الصوت من أول حافة اللسان حتى يتصل بمخرج اللام<sup>(٤)</sup>.  
أما عند المحدثين فهي امتداد مخرج الحرف حتى يتصل بمخرج آخر<sup>(٥)</sup>، وهي للضاد -  
وحدها-.

ومما تقدم من صفات مفردة لا مقابل لها<sup>(٦)</sup>.  
إن أكثر هذه الصفات - سواءً أكانت مشتركة أم منفردة - لها أهميتها في ظاهرة التماثل  
- موضوع الدراسة -، فبعضها يتميز بالقوة، وبعضها الآخر يتميز بالضعف.  
وقد عني القدماء والمحدثون بهذا الجانب، وأولوه عناية خاصة على النحو الذي سنبينه  
في المباحث القادمة - إن شاء الله -.

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦٣، مناهج البحث في اللغة (د.تمام) ص ١٣٢، علم اللغة (د. السعران) ص ١٨٧.

(٢) علم الأصوات (مالمبرج)، ص ١٢٠، وللمزيد ينظر: تاريخ الأدب (حفني ناصف) ص ٢١.

(٣) ينظر: الرعاية، ص ١٣٤، لطائف الإشارات، ج ١، ص ٢٠٢.

(٤) ينظر: الرعاية، ص ١٣٤، النشر: ج ١، ص ٢٠٥.

(٥) علم الأصوات: (مالمبرج)، ص ١٢٠، الاشتقاق (عبد الله أمين)، ص ٣٤٤.

(٦) هناك صفات أخرى لم اذكرها في هذا الموضوع؛ لعدم أهميتها في موضوع الدراسة. لمزيد من التفاصيل، ينظر:  
الرعاية، ص ١٥ فما بعدها.

المبحث الثالث  
الوصف الصوتي للصوامت العربية  
الأصوات الشفوية  
الصوت الشفوي الأسنان  
الأصوات الأسنان  
الأصوات الأسنان اللثوية  
الأصوات اللثوية  
الأصوات الغارية  
الصوت الطبقي  
الصوت الهوي  
الأصوات الحلقومية  
الأصوات الحلقية  
الأصوات الحنجرية

ذكرت في المبحث السابق أن مخارج الأصوات - كما أيدها بعض الدراسات الصوتية الحديثة - أحد عشر مخرجاً، موزعة على جميع أعضاء الجهاز النطقي، ولكل مخرج مجموعة محددة من الأصوات، لا يشترك معه غيرها .

وهذا المبحث ما هو إلا تجميع لشتات ما سبق ذكره، مضافاً إليه بعض الزيادات التي تعطي صورة واضحة للصوت - مخرجاً وصفة - .

## وبيان ذلك على النحو التالي:

### أولاً - الأصوات الشفوية:

هي أصوات يكون للشفيتين دور مهم في نطقها، وذلك بإغلاقهما للمجرى الهوائي، وحبس الهواء فترة وجيزة، ثم السماح للهواء بالانفجار من موضع الشفتين، أو خروجه من مجرى آخر، هو الأنف، أو تضيقهما للمجرى الهوائي، مما يسبب احتكاك الهواء بالمجرى الضيق عند خروجه<sup>(١)</sup>.

ويتحقق هذا في ثلاثة أصوات، هي: -ب، م، و.

١ - **الباء:** "أما صوت الباء فإنه يحدث عندما يندفع الهواء بضغط قوي أسفل المزمار فتعترض الأوتار الصوتية الهواء اعتراضاً جزئياً، فتضيق فتحة المزمار باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر، فيتذبذبان ويتردد صدى الذبذبات في الحلق والفم الذي ينغلق بانطباق الشفتين على بعضهما انطباقاً محكماً يعقبه انفصال مفاجئ، فيسمع صوت الباء<sup>(٢)</sup>.

فالباء -إذن-: صوت شفوي، مجهور، شديد، (انفجاري)، منفتح، مستقل، مرقق (عدم تقعر اللسان).

٢ - **الميم:** ويحدث بانطباق إحدى الشفتين على الأخرى انطباقاً تاماً، مع مرور الهواء بالحنجرة فتتذبذب الأوتار الصوتية، ويتجه إلى المجرى الأنفي الذي يجده مفتوحاً أمامه، لتعذر المرور من المجرى الفموي، فيخرج محدثاً نوعاً من الحفيف.

فالميم: صوت شفوي، أنفي (أغن)، مجهور، متوسط، منفتح، مستقل، مرقق.

٣ - **الواو:** ويتم النطق به باستدارة الشفتين استدارةً لا تتيح لهما الانطباق الكامل، مع رفع مؤخر اللسان، وإقفال المجرى الأنفي، وذذببة الأوتار الصوتية أثناء مرور الهواء بالحنجرة.

(١) ينظر: علم الأصوات ، د. مناف مهدي محمد، الطبعة الأولى، ص ٥١.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء العربية: عبد الحميد الاصبيعي، الطبعة الأولى ، ص٣٤، ٣٥..

فالواو: صوت شفوي، مجهور، متوسط "وما يسمع من حفيف اعتبر في درجة وسطى بين الشدة والرخاوة، لأن خاصية الأصوات الشديدة هي الانفجار حين النطق بها، وخاصية الأصوات الرخوة هي نسبة الحفيف" (١) منفتح، مستقل، مرقق (٢).

### ثانياً: الصوت الشفوي الأسنان:

ويتكون باتصال عضوين من أعضاء النطق الأمامية، هما: الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا. ويمثله في العربية صوت واحد، هو الفاء.

الفاء: ويحدث بالتقاء الشفة السفلى بأطراف الثنايا العليا التقاء يسمح للهواء بالمرور بينهما، محدثاً احتكاكاً مسموعاً، مع إغلاق المجرى الأنفي، وانفتاح الأوتار الصوتية أثناء مرور الهواء بها.

فالفاء: صوت شفوي أسناني، مهموس، رخو (احتكاكي)، منفتح، مستقل، مرقق.

### ثالثاً: الأصوات الأسنان، أو ما بين الأسنان:

تنطق هذه الأصوات عند اتصال طرف اللسان بحافة الأسنان العليا وهي الذال والثاء والظاء، وقد نبه إلى مخرجها سيبيويه، فقال: "وما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء" (٣).

الثاء: وينطق بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، مع ارتكاز ه على العلوي من الأسنان ارتكازاً يسمح للهواء بالمرور من الفم دون الأنف، محدثاً أثناء ذلك حفيفاً مسموعاً، مع انفتاح الأوتار الصوتية حال مرور الهواء بها.

فالثناء: صوت أسناني، أو بين أسناني، مهموس، رخو، منفتح، مستقل.

قد فقد هذا الصوت شيئاً من صفاته في بعض اللهجات الدارجة في القديم والحديث، فأصبح ينطق مرة ثاء، وأخرى سيناً، فيقال في نحو ثلاثة: ثلاثة - بالثناء المثناة -، وفي ثريا: سريا - بالسین المهملة -، وهذه مشكلة نعاني منها كثيراً في التخاطب العادي، وتزداد أثراً وخطراً حينما يقرأ بها كتاب الله، وحينما تنتقل إلى معلمي اللغة العربية للناطقين بها، أو للناطقين بغيرها.

وقد نبه ابن الجزري (٨٣٣ هـ) إلى مثل هذا، وحذر من الوقوع فيه قائلاً "وكثير من العجم

(١) الأصوات اللغوية: د. إبراهيم أنيس، ص ٤٦.

(٢) عدّ بعض المحدثين صوت الواو صوتاً طبقياً (أقصى الحنك) ينظر: الأصوات (د. بشر) ص ٨٩، علم الأصوات (المبرج) ص ١٢٢.

(٣) سيبيويه: الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٣.

لا يتحفظون من بيانها (يعني الثاء)، فيخرجونها سينا خالصة<sup>(١)</sup> وإن كان هذا في شأن العجم، فمن باب أولى فيمن ينتسبون إلى لغة القرآن الكريم.

## ٢ - الذال:

هو النظير المجهور للثاء، ويعني هذا أن مخرجهما واحد وصفاتها مشتركة ما عدا اختلافهما في اهتزاز الأوتار الصوتية مع الذال وعدم اهتزازها مع الثاء<sup>(٢)</sup>. وقد أصاب هذا الصوت مثل ما أصاب الثاء من تغيير وبعد عن النطق المعروف، فنسمعه ينطق مرةً دالاً مهملة، فيقال في نحو هذا: هزا، وفي ذهب - المعدن المعروف - : ذهب. وقد حذر ابن الجزري - أيضا - من هذا قائلاً: "بعض النبط ينطق بها (أي الذال) دالاً مهملة، وبعض العجم يجعلها زايًا، فليتحفظ من ذلك"<sup>(٣)</sup>.

## ٣ - الظاء:

وعند النطق به ينطبق اللسان على الحنك الأعلى آخذاً شكلاً مقعراً ولذلك اعتبر من أصوات الإطباق<sup>(٤)</sup> وهو النظير المفخم لصوت الذال.

فالظاء: صوت أسنانيّ، أو بين أسنانيّ، مجهور، رخو، مطبق، مستعل، مفخم. وقد لحق هذا الصوت - أيضا - ما لحق بالثاء والذال من تغير، فنجدته ينطق عند المصريين، والشاميين، وأهل المناطق المتحضرة في الحجاز زايًا مفخمة.

وفي لهجات الجزيرة العربيّة، وبعض البلدان العربيّة اختلطت الظاء بالضاد، فلم يعد يدرى المتكلم والسامع ما إذا كانت كلمة مثل "ظن" تعني الاعتقاد، أو البخل "ضن"، وما إذا كانت الكلمة هي "ظلّ"، أو "ضلّ".

وقد تتبه القدماء - قديما - إلى هذا التشابه بينهما المؤدي للخطأ في النطق، والخلط في الكتابة، فألفوا الرسائل والكتب المستقلة التي تعالج الفرق بين هذين الصوتين، علاجاً لا يقوم - في الغالب الأعم - على التصويب النطقي، بقدر ما يقوم على التصحيح الإملائي (الرسم والكتابة)<sup>(٥)</sup>.

وهذه المجموعة من الأصوات - الثاء، والذال، والظاء - أطلق عليها الخليل الأصوات

(١) النشر: ج ١، ص ٢١٧.

(٢) علم الأصوات اللغوية: مناف مهدي محمد، ص ٥٧.

(٣) النشر: ج ١، ص ٢١٨.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٤٧.

(٥) ينظر الإحصاء الذي قام به الدكتور (رمضان عبد التواب) لتلك الرسائل والكتب، من مقال له بعنوان "مشكلة الضاد العربيّة، وتراث الضاد والظاء" مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد ٢١، عام ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ٢١٤.



الثبوية: "لأن مبدأها من اللثة" (١).

وفي الواقع إنه لم يكن دقيقاً في هذه التسمية، وفي التعليل - أيضاً -، إذ إنه ليس للثة أي دور في إخراج هذه الأصوات، بل إن مخرجها - كما ذكره القدماء وأثبتته الدرس الصوتي الحديث - من طرف اللسان، وأطراف الثنايا العليا (٢).

### رابعاً: الأصوات الأسنانية الثبوية:

وهي التي تحدث نتيجة اتصال طرف اللسان بالأسنان العليا أو السفلى، ومقدمته بأصول الثنايا (اللثة). ويمثلها في العربية سبعة أصوات، هي: الضاد، الدال، التاء، الطاء، الزاي، السين، الصاد.

وينبغي التتويه إلى أن الأصوات الثلاثة الأخيرة أدخل قليلاً في النطق وفي المخرج من الأصوات الأربعة الأولى، وهذا ما جعل الباحثين المحدثين يختلفون في توزيع هذه الأصوات - مضافاً إليها الراء والنون - على هذا المخرج، ومخرج الأصوات الثبوية (٣).

١- الضاد: وهو من الأصوات التي قام حولها جدل كبير ونقاش طويل وخاصة من حيث مخرجه، وصفاته، وتفرد العربية به (٤).

وأياً كان الأمر فإن هذا الصوت أصابه تطور لغوي تاريخي عبر القرون فهو الآن في بعض البلاد العربية صوتاً أسنانياً لثوياً، مجهور، شديد، مطبق، مستعل، مفخم. ويعد النظير المطبق للدال (٥).

أما النطق القديم للضاد العربية فقد وصفه سيبويه "من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس" (٦).

٢- الدال: ويتم نطقه بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، ومقدمته باللثة التقاءً محكماً، بحيث ينحبس الهواء في الفم زمناً قصيراً، مع انغلاق المجرى الأنفي، ثم يندفع الهواء بقوة، محدثاً انفجاراً مسموعاً، مع اهتزاز الأوتار الصوتية أثناء مرور الهواء بها. فالدال: صوت أسنانياً لثوياً، مجهور، شديد، منفتح، مستقل، مرقق، ويعد النظير المجهور للتاء.

(١) العين: ج ١، ص ٦٥، تحقيق (د. عبد الله درويش)، وينظر: شرح المفصل، ج ١٠، ص ١٢٥.

(٢) الكتاب: ج ٤، ص ٤٣٣، تح (هارون)، الأصوات (د. أنيس) ص ٤٧.

(٣) يرى بعض المحدثين أن الأصوات الأسنانية الثبوية هي: ض، د، ت، ط، ل، ن، أما الأصوات اللثوية فهي: س، ز، ص، ر ينظر: الأصوات، د. بشر، ص ٨٩، علم الصوتيات، د. عبد الله وزميله، ص ٢٤١، ٢٤٢ وبعضهم يرى أن الأصوات الأسنانية اللثوية هي: الست المذكورة سابقاً، أما الأصوات اللثوية فهي: ل، ر، ن ينظر للغة العربية، د. تمام، ص ٧٩.

(٤) للمزيد ينظر: الأصوات، أنيس، ص ٤٨-٦٢، مشكلة الضاد العربية وتراث الضاد والطاء، د. رمضان عبد التواب، ص ٢١٤-٢٢٥.

(٥) ينظر: علم الأصوات اللغوية، د. مناف، ص ٦٢، ٦٣.

(٦) الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٣.

٣- التاء: وينطق كالدال تماماً إلا أنّ الأوتار الصوتية لا يصيبها اهتزاز عند مرور الهواء بها.

وعلى هذا فالتاء: صوت أسناني لثوي، مهموس، شديد، منفتح، مستقل، مرقق.

٤- الطاء: يحدث عندما يندفع الهواء بضغط ضعيف فلا يحرك الوترين الصوتيين، وعندما يصل الهواء إلى مؤخرة اللسان يصادف تضيقاً فيما بين الحلق والطبق بارتفاع مؤخرة اللسان ورجوعها إلى الخلف، وعندما يصل إلى مخرج الصوت تنطبق أسلة اللسان على الأسنان العليا واللثة انطباقاً محكماً يعقبه انفراج مفاجئ وسريع<sup>(١)</sup>.

فالطاء: صوت أسناني لثوي، مهموس، شديد، مطبق. مستعل، مفخم، أما قديماً فقد وصف بالجهر، وعد النظير المطبق للدال.

وهذا يعني أن الطاء من جملة الأصوات التي لحقها تطور لغوي تاريخي، نقله من الجهر إلى الهمس<sup>(٢)</sup>.

وقد أطلق الخليل على أصوات الدال، والتاء، والطاء مصطلح "الأصوات النطعية"، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى<sup>(٣)</sup>، ولكن يبدو أن هذا المصطلح لا يصدق على هذه الأصوات؛ حيث إنّ النطع - كما حدده أصحاب المعاجم - هو ما ظهر من الغار الأعلى، فيه آثار كالتحزيز<sup>(٤)</sup>. أي أنه بلغة العصر الحديث "أقرب جزء من الحنك الأعلى إلى أصول الثنايا"<sup>(٥)</sup>.

وقد تقدم إنّ طرف اللسان يشترك مع أصول الثنايا العليا الداخلية، كما يشترك مقدمه مع اللثة في إصدار هذه الأصوات.

٥ - الزاي: ويتم نطقه بالنقاء طرف اللسان بأصول الثنايا السفلى، ومقدمته باللثة النقاء يسمح بإبقاء فجوة صغيرة يتاح للهواء من خلالها بالتسرب، محدثاً احتكاكاً مسموعاً، معذباً الأوتار الصوتية حين مرور الهواء بها، وإصدار صوت ندي عند خروج الهواء. فالزاي: صوت أسناني لثوي، مجهور، رخو، صفيري، منفتح، مستقل مرقق. ويعد الزاي النظير المجهور للسين.

(١) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء العربية، عبد الحميد الأصيلي، ص ٤٠.  
(٢) طرح بعض اللغويين المحدثين احتمالات متعددة لوصف القدماء للطاء بأنه مجهور للمزيد ينظر: الأصوات، أنيس، ص ٢٦، مناهج البحث في اللغة، د.تمام، ص ١٢٢.  
(٣) العين، ١: ٦٥، تح، د.عبد الله درويش، وينظر: شرح المفصل، ١٠: ١٢٥.  
(٤) ينظر: الصحاح، الجوهري، ص ٣: ١٢٩١، (نطع).  
(٥) الأصوات، أنيس، ص ١٠٨.

٦- السين: وهو كالتاء، إلا إنه يختلف عنه في إن الأوتار الصوتية لا يصيبها اهتزاز عند مرور الهواء بها.

فالسین: صوت أسناني لثوي، مهموس، رخو، صفيري، منفتح، مستقل، مرقق.

٧- الصاد: وهو كالسين، إلا إن اللسان يتخذ شكلا مقعرا، بحيث يرتفع مؤخره في اتجاه الطبقة (الحنك اللين) أو (أقصى الحنك) دون إن يتصل به، مع رجوعه إلى الوراء قليلا. فالصاد: صوت أسناني لثوي، مهموس، رخو، صفيري، مطبق، مستقل، مفخم. ويعد الصاد النظير المطبق للسين.

وهذه الأصوات الثلاثة، الزاي، والسين، والصاد أطلق عليها (الخليل) مصطلح "الأصوات الأسلية"؛ "لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدق طرف اللسان"<sup>(١)</sup>، وهو مصطلح مقبول في ظاهرة العام، وإن كان ينقصه الدقة؛ حيث إن هذا الوصف يجري على هذه الأصوات وعلى غيرها كالتاء، والذال، والطاء، والراء، والنون، واللام، والظاء، والذال، والتاء<sup>(٢)</sup>.

### خامسا: الأصوات اللثوية:

وهي التي تتكون عن طريق اتصال طرف اللسان باللثة. ويمثلها في العربية ثلاثة أصوات، هي: اللام، والراء، والنون.

١- اللام: ويتم نطقه باتصال طرف اللسان بأصول الثنايا العليا واللثة، مع انغلاق المجرى الأنفي، ومنع الهواء من المرور من وسط الفم، مما يضطره إلى التسرب من أحد جانبي الفم أو كليهما، مع حدوثذبذبة في الأوتار الصوتية عند مرور الهواء بها. فاللام: صوت لثوي، مجهور، متوسط، جانبي (منحرف)، منفتح، مستقل، مرقق.

٢- الراء: وينطق باتصال طرف اللسان باللثة، مع تكرار ضربات اللسان على اللثة، وانغلاق المجرى الأنفي، وحدث اهتزاز في الأوتار الصوتية أثناء مرور الهواء بها. فالراء: صوت لثوي، مجهور، متوسط، مكرر، منفتح، مستقل .

والأصل في الراء التقخيم<sup>(٣)</sup>؛ حيث يعد من الناحية الصوتية أحد أصوات الإطباق<sup>(٤)</sup>، إلا

(١) العين، ١: ٦٥، تح، د. عبد الله درويش، وينظر: الصحاح ٤: ١٦٢٢، (أسل).

(٢) ينظر: الأصوات، أنيس، ص ١٠٩.

(٣) الإقناع، ابن البادش، ١: ٣٤٢.

(٤) ينظر: الأصوات، د. أنيس، ص ٦٧.

أنه يعرض له من المواقع السياقية ما يحدد به عن أصله، ويجعله مرققا<sup>(١)</sup>.

٢- النون: أما صوت النون فيحدث بأن يندفع الهواء بضغط قوي إلى أعلى، يعترضه الوتران الصوتيان في تذبذب يتردد صدها في الحلق والتجويف الأنفي لهبوط اللهاة فاسحة المجال أمام كمية مناسبة من الهواء للنفاذ من التجويف الأنفي، وينطبق ذلق اللسان على اللثة انطباقاً محكماً فلا يسمح للهواء بالخروج من الفم حتى تنفذ كمية الهواء اللازمة لإنتاج الصوت من الأنف<sup>(٢)</sup>.

فالنون: صوت لثوي، أنفي (أغن)، مجهور، متوسط، منفتح، مستقل، مرقق.  
ويلعب هذا الصوت دوراً كبيراً في حدوث كثير من الظواهر اللغوية، كالإظهار، والإدغام، (التمائل التام)، والإخفاء، والإقلاب، وذلك من خلال التوزيع الموقعي له، فهو في أصله فونيم واحد، يتفرع ويتشكل - مخرجاً وصفة - إلى الفونات متعددة<sup>(٣)</sup>، وهذا راجع إلى سرعة تأثره بما جاوره من أصوات، إضافة إلى أنه يعد من أكثر الأصوات الصامتة تردداً في اللغة العربية بعد الراء والواو<sup>(٤)</sup>.

وينبغي التنويه إلى أن تعدد ألفونات النون مشروط ومقيد بأن يكون اتصاله بما بعده مباشراً، أي أن يكون ساكناً.

وقد أطلق الخليل على هذه الأصوات الثلاثة - أعني اللام، والراء، والنون - مصطلح "الأصوات الذلقية"، "لأنها مبدؤها من ذلق اللسان، وهو تحديداً طرفي ذلك اللسان"<sup>(٥)</sup>، وهي تسمية لا بأس بها، حيث إنه اكتفى بذكر مبدأ مخرج هذه الأصوات وهو طرف اللسان، دون أن يشير إلى اشتراكه مع أصول الثنايا العليا واللثة.

سادسا: الأصوات الغارية:

وهي الأصوات التي تحدث باتصال مقدم اللسان بالغار (وسط الحنك). ويمثلها في العربية ثلاثة أصوات، هي: الشين، والجيم، والياء<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكرت كتب القراءات مواضع ترقيق اللام، والراء، ومواضع تقخيمها، للمزيد ينظر: التبصرة في القراءات السبع (لمكي بن أبي طالب القيسي).

(٢) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء العربية، الإصيصي، ص ٤٢.

(٣) ذكر الدكتور تمام أنها تبلغ عشرة، ينظر: الأصول، ص ١٢٦.

(٤) ينظر: دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس، د.حلمي موسى، عبد الصبور شاهين، ص ٤٠.

(٥) العين ١: ٦٥، تح، د. عبد الله درويش.

(٦) تعددت آراء المحدثين في مخرج هذه الأصوات، فبعضهم يرى أن الشين والجيم صوتان لثويان حنكيان، أما الياء فحنكي وسيط - أي من وسط الحنك - ينظر: علم اللغة، السعران، ص ١٩٣، ١٩٤، ١٩٨، الأصوات، بشر، ص ١٢٠، ١٢٨، ١٣٣.

١ . الشين: ويتم نطقه بأن يلتقي أول اللسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى المسمى الغار، ويترك بين العضوين المتصلين فراغ ضيق يسبب احتكاكاً للهواء المار من ذلك الفراغ، فيه نوع من الصفير أقل من صفير السين، لأن الفراغ مع السين أضيق من الفراغ مع الشين، كما أنّ الطبقة يرتفع مع الشين ويسد المجرى الأنفي، فيمر الهواء من الفم، ولا يحدث اهتزازاً في الأوتار الصوتية عند مرور الهواء، وتتخفض مؤخرة اللسان لذلك فهو مهموس مرقق. وليس للشين نظير مجهور في أصوات العربية الفصحى، وإنما يسمع مثل ذلك في نطق بعض المصريين للشين في كلمة (مشغول) وأهالي سوريا للجيم العربية<sup>(١)</sup> فالشين: صوت غاري، مهموس، رخو، منقشي، منفتح، مستقل، مرقق.

٢- الجيم: ويتم النطق به بارتفاع مقدم اللسان حتى يتصل بالغار، فيمر الهواء بالحنجرة محدثاً اهتزازاً للأوتار الصوتية، ثم ينغلق مجرى الهواء لمدة قصيرة، وبدل أن يفصل العضوان بشكل فجائي وسريع - كما يحدث مع الأصوات الشديدة -، يتم الانفصال ببطء ملحوظ، مما يعطي الفرصة للهواء بعد الانفجار أن يحتك بالعضوين المتباعدين احتكاكاً شبيهاً بما يصاحب الأصوات الرخوة.

فالجيم: صوت غاري، مجهور، مركب، منفتح، مستقل، مرقق.

وهذا الصوت من ضمن الأصوات التي لحقها تطور لغوي، حيث يستفاد من وصف القدماء، وما نسمعه في العصر الحاضر، وما ذكره اللغويون المحدثون، أن له صوراً نطقية متعددة، هي على النحو الآتي:

١- الشديدة (الانفجارية) - خالصة الشدة - وهذه هي الجيم التي وصفها القدماء، والتي توافق نطق بعض المصريين - وتعرف بالجيم القاهرية - وكذلك بعض أهل اليمن، ومخرج هذه من أقصى الحنك (الطبق).

٢- المزدوجة، أي المركبة من الشدة والرخاوة، وتعرف هذه بالجيم الفصيحة، وتسمع الآن من بعض مجيدي القراء. ومخرجها من وسط الحنك (الغار).

٣- الرخوة (الاحتكاكية) - خالصة الرخاوة -، وهذه تعرف بالجيم الشامية، ومخرجها من وسط الحنك - أيضاً<sup>(٢)</sup>.

وما تقدم يعني أنّ الجيم كانت في أصلها الأولى خالية من التعطيش (شديدة)، ثم تطورت إلى جيم معطشة (مركبة)، ثم زادت نسبة التعطيش فيها، فأصبحت رخوة.

(١) ينظر: الأصوات، د. أنيس، ص ٧٧.

(٢) الأصوات، د. أنيس، ص ٧٨-٨٤، الأصوات، د. بشر، ١٢٥، ١٢٦.

٣- الياء: ويتم النطق به عن طريق رفع مقدم اللسان في اتجاه الغار (وسط الحنك)، وإغلاق المجرى الأنفي، مع حدوث اهتزاز في الأوتار الصوتية حين مرور الهواء بها.  
فالياء: صوت غاري، مجهور، متوسط، مستقل، منفتح، مرقق.

سابعاً: الصوت الطبقي:

وهو الذي يحدث بارتفاع مؤخر اللسان في اتجاه الطبقة (أقصى الحنك)، واتصاله به. ويمثله في العربية صوت واحد، هو: الكاف.

الكاف: ويتم نطقه برفع أقصى اللسان في اتجاه الطبقة وإصاقه به، مع سد المجرى الأنفي، وانحباس الهواء مدةً من الزمن انحباساً تاماً، ثم ينفصل العضوان بعضهما عن بعض، فينطلق الهواء، محدثاً انفجاراً مسموعاً مع فتح الأوتار الصوتية، وعدم اهتزازها عند مرور الهواء بها.

فالكاف: صوت طبقي، مهموس، شديد، منفتح، مستقل، مرقق.

وليس للكاف نظير مجهور في العربية الفصحى، وإنما نظيره المجهور في العامية هو الجيم القاهرية، فالفرق بينهما يكمن في الجهر والهمس فقط<sup>(١)</sup>.

ثامناً: الصوت اللهوي:

وهو الذي يحدث باشتراك مؤخر اللسان مع اللهاة. ويمثله في العربية صوت القاف. القاف: ويتم النطق به بارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل باللهاة، ورفع مؤخر الطبقة حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، مع انسداد المجرى الأفقي، فينطلق الهواء القادم من الرئتين ماراً بالحنجرة، دون أن يسبب للأوتار الصوتية اهتزازاً، ثم ينحبس الهواء مدةً من الزمن، ويندفع بعد ذلك محدثاً انفجاراً مسموعاً.

فالقاف: صوت لهوي، مهموس، شديد (انفجاري)، منفتح، مستقل، ذو تفخيم جزئي.

وهو بهذه الصفة يختلف عن وصف القدماء له بأنه صوت يخرج من أقصى اللسان و ما فوقه من الحنك الأعلى<sup>(٢)</sup>، أي أنه صوت حنكي - قصي - بالتعبير الحديث<sup>(٣)</sup>، كما يختلف عن وصفهم له بالجهر.

والذي يبدو أن هذا الصوت لحقه تطور لغوي، فبعد أن كان في القديم حنكياً - قصياً - أصبح لهوياً، وبعد أن كان مجهوراً صار مهموساً، بل إننا نسمع في اللهجات المعاصرة من

(١) ينظر: الأصوات، د. أنيس، ص ٨٥، علم اللغة، السمران، ص ١٦٩.

(٢) الكتاب، ٤: ٣٣٤، تح هارون.

(٣) الأصوات، د. بشر، ص ١١٠.

ينطق به همزة، فيقال في نحو قمر: أمر، ونجد هذا منتشرا عند المصريين، والشاميين، كما نجد من ينطق به غينا، فيقال في نحو القانون: الغانون، وهذا ملاحظ عند أهل السودان.. الخ<sup>(١)</sup>.

### تاسعا: الأصوات الحلقومية (اللهوية):

وهي التي تنطق في الحلقوم، مما يجعل مؤخر اللسان يلامس اللهاة. ويمثلها في العربية صوتان هما: الخاء، والغين.

١- الخاء: ويتم حدوثه برفع مؤخر اللسان وتراجعته إلى الخلف حتى يتصل بالطبق والجدار الخلفي للحلق، ثم يندفع الهواء القادم من الرئتين مارا بالحنجرة، دون أن يحرك الأوتار الصوتية، ويستمر في سيره حتى يصل إلى الحلقوم، فيضيق المجرى ضيقا يسمح للهواء بالمرور من خلاله محدثا احتكاكا مسموعا.

فالخاء: صوت حلقومي "لهوي"، مهموس، رخو، منفتح، مستقل، ذو تفخيم جزئي.

٢- الغين: ويتم نطقه كالخاء تماما، إلا أنهما يفترقان في أن الأوتار الصوتية تتذبذب مع الغين، ولذا فإن الغين يعد النظير المجهور للخاء.

فالغين: صوت حلقومي "لهوي"، مجهور، رخو، منفتح، مستقل ذو تفخيم جزئي<sup>(٢)</sup>.

وقد جعل القدماء مخرج الغين والخاء، بالإضافة إلى الهمزة والهاء، والعين والحاء من الحلق، والحكم على هذا يمكن النظر إليه من حيث تحديد هذا المصطلح "الحلق" سعة وضيقا. فإن كانوا يقصدون به منطقة واسعة تشمل ما بين الحنجرة وأقصى الحنك "الطبق" فهم محقون في هذا، وإن كانوا يعنون به الجزء الواقع بين أقصى اللسان. والجدار الخلفي للحلق، فإن هذا الوصف لا يستقيم.

### عاشرا: الأصوات الحلقية:

وهي التي تصدر نتيجة لتضييق منطقة الحلق التي تمتد من أقصى اللسان حتى الجدار الخلفي للحلق، أو كما يقول تمام حسان: "ما بين الحنجرة وبين جذر اللسان"<sup>(٣)</sup> ويمثلها في

(١) للمزيد من التفاصيل ينظر: تاريخ الأدب (حفني ناصف) ص ٢٥، الأصوات (د. أنيس) ص ٨٥-٨٨، الأصوات (د. بشر) ص ١٠٩-١١١، دروس في علم أصوات العربية (كانتينيو) ص ١٠٦-١١٢، التطور اللغوي (د. رمضان عبد التواب) ص ٢٠-٢١.

(٢) تعددت آراء المحدثين في هذين الصوتين، فبعضهم يذكر أنهما من أقصى الحنك - أي أنهما طبقان، ينظر: الأصوات (د. بشر) ص ١٢١، دراسة الصوت اللغوي (د. أحمد مختار) ص ٢٧١-٢٧٢، وبعضهم يرى أنهما لهويان، ينظر: علم الأصوات (مالبرج) ص ١٢٦. وسبب هذا التفاوت أن الفرق بين منطقة أقصى الحنك "الطبق" والهاء والحلقوم فرق طفيف جدا، بحيث أن التجزئ المخرجي، والتوزيع الصوتي الدقيق يجعل الاختلاف أمرا واردا.

(٣) مناهج البحث في اللغة: (د. تمام) ص ١١١.

العربية صوتان هما: العين، والحاء.

١- العين: ويتم النطق به باندفاع الهواء من الرئتين محدثا ذبذبة في الأوتار الصوتية، مع انغلاق المجرى الأنفي بواسطة اللهاة. ويستمر في اندفاعه حتى يصل إلى لسان المزمار، فيضيق مجرى الهواء في الحلق ضيقا يسمح للهواء بالمرور معه، مما ينتج عنه احتكاكه بلسان المزمار والجدار الخفي للحلق.

فالعين: صوت حلقي، مجهور، رخو، مستقل، منفتح، مرقق.

وقد عده القدماء صوتا متوسطا بين الشدة والرخاوة<sup>(١)</sup>؛ ولعل سبب ذلك أنّ احتكاكها لا يحدث بوضوح تام، كما هو الحال بالنسبة للغين<sup>(٢)</sup>، ويعد العين النظير المجهور للحاء. ومن الملاحظ إنّ هذا الصوت مما يشكل صعوبة بالغة على متعلمي اللغة العربية من غير ابنائها، فكثيرا ما نجدهم يبدلونه همزة، وأحسب أنّ مرد ذلك عدم وجود هذا الصوت في لغاتهم الأصلية.

٢- الحاء: ويحدث كالعين، ولا فرق بينهما سوى أنّ الأوتار الصوتية لا يصيبها اهتزاز مع الحاء.

فالحاء: صوت حلقي، مهموس، رخو، مستقل، منفتح، مرقق.

وهذا الصوت مما يجد فيه غير الناطقين بالعربية مشقة - أيضا -، فتراهم ينطقونه هاء، أو قريبا من الخاء.

ومما يتميز به هذا الصوت أنّ به بحة، ولولا البحة التي فيه لأشبه العين<sup>(٣)</sup>.

### حادي عشر: الأصوات الحنجرية:

وهي التي تصدر نتيجة لإقفال أو تضيق الأوتار الصوتية. ويمثلها في العربية صوتان، هما: الهمزة، والهاء.

١- الهمزة: ويتم نطقه باندفاع الهواء القادم من الرئتين حتى يصل إلى الحنجرة، فيجد الأوتار الصوتية مقفلة تماما، مما يؤدي إلى انحباس الهواء خلفهما، ثم تتفتح الأوتار الصوتية فجأة، فينطلق الهواء محدثا انفجارا مسموعا .

فالهمزة: صوت حنجري، مهموس، انفجاري، مستقل، منفتح، مرقق.

(١) ينظر: الكتاب: ج٤، ص٤٣٥، (هارون)، سر صناعة الإعراب، ج١، ص٦١.

(٢) الأصوات (د. أنيس) ص٨٩، وينظر: مناهج البحث في اللغة: (د. تمام) ص١٣٠.

(٣) العين: ج١، ص٦٤، (تح، عبد الله درويش) والبحة: الصوت الذي به غلظ وخشونة، ينظر العين، ج٣، ص٣٢ (بح) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي {لسان العرب، ابن منظور، ج٢، ص٤٠٦، (بح) ويفهم من كلام (ابن جني) أنّ البحة هي: جريان النفس مع الحاء والذي حصر النفس مع العين، ينظر: سر صناعة الإعراب، ج١، ص٢٤١، وكلا المعنيين - فيما أحسبه - صحيح، فأصحاب المعاجم نظروا إليه من زاوية لغوية صرفة، أما (ابن جني) فقد نظر إليه من ناحية صوتية.



وهذا الصوت مما وقع الخلف فيه بين القدماء والمحدثين - من جهة -، وبين المحدثين أنفسهم - من جهة أخرى.

فهو عند القدماء مجهور، خالص الجهر، في حين أنه عند بعض المحدثين مهموس خالص الهمس، وعند بعضهم الآخر صوت ليس بالمجهور ولا بالمهموس، ولكل فريق وجهته. فمن عده مهموسا نظر إلى أنّ للحنجرة وظيفتين فقط، هما اهتزاز الأوتار الصوتية أو عدم اهتزازهما، فحينما تقفل الأوتار الصوتية وتغلق فإن ذلك الوضع لا يسمح بحدوث الجهر في نطق الهمزة.

أما من اعتبره ليس بالمجهور ولا بالمهموس فقد نظر إلى أنّ للحنجرة ثلاث وظائف، هي: الاحتباس، والانفتاح مع الاهتزاز، والانفتاح مع عدم الاهتزاز. ففي الوضعية الأولى (الاحتباس) يتكون صوت الهمزة، إذ يمر بمرحلتين متصلتين ببعضهما هما: انطباق الوترين الصوتيين، وانضغاط الهواء خلفهما، مع انقطاع النفس. والمرحلة الأخرى: اندفاع الهواء وخروجه محدثا انفجارا مسموعا. ففي المرحلة الأولى تكون الأوتار الصوتية في وضعية لا تسمح بالجهر ولا بالهمس - أيضا -<sup>(١)</sup>.

وصوت الهمزة مما ليس له رسم مكتوب في العربية، فمرة يرسم ألفا، وأخرى ياء، وثالثة واوا، وهذا ما دعا أبا العباس المبرد (٢٨٥ هـ) إلى عدم الاعتداد به، وإسقاطه من الأبجدية العربية<sup>(٢)</sup>.

وفي الواقع إنّ المبرد خلط بين مستويين لغويين: الكتابي، والنطقي، وجعل المستوى الكتابي دليلا على إسقاطه من الحروف العربية.

وهذا ليس بصحيح؛ إذ إنّ النطق أقدم من الكتابة، وطالما له صورا نطقية معروفة، فالأولى أن يعتد به ضمن أصوات العربية<sup>(٣)</sup>.

٢- الهاء: ويتم حدوثه بأن يحتك الهواء الخارج من الرئتين بمنطقة الأوتار الصوتية، احتكاكا ينتج عنه أثر صوتي فيه بعض الذبذبة لهما، مع ارتفاع الطبق ليسد المجرى الأنفي.

(١) الأصوات (د. بشر) ص ١١٢، وللمزيد ينظر: القراءات القرآنية (د. عبد الصبور شاهين) ص ٢٣ - ٢٥.

(٢) ينظر: المقتضب، ١: ١٩٢

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ٤٣، سر الفصاحة، ص ١٩، دراسات في علم اللغة - القسم الأول -، د. بشر، ص ٥٠ وما بعدها.

فالهاء: صوت حنجري، مجهور، رخو، منفتح، مستقل، مرقق<sup>(١)</sup>.  
وبعد ... فهذا هو وصف الأصوات العربية الصامتة، تناولت فيه كل صوت على حده،  
مبيناً مخرجه، وما يشتمل عليه من صفات متعددة، وقد حاولت - بقدر ما تسمح به ظروف  
دراستي - ربط الحديث بالقديم، والمقارنة بينهما، واستنتاج الفروق الدقيقة بين المنهجين،  
وتعليل سبب تلك الفروق، والخروج من كل ذلك برأي ارتضيه، واعتمدت عليه في دراستي،  
ومعالجتي لظاهرة التماثل.

---

(١) القول بأن الهاء مجهور - والذي ذكره الدكتور (تمام حسان) - يخالف ما عليه كثير من اللغويين المحدثين، حيث يرون أنه مهموس.  
وقد ذكر الدكتور (أنيس) أن الهاء يجهر بها في بعض الظروف اللغوية الخاصة. الأصوات، ص ٨٩، ٩٠. كما ذكر (كانتينو) أنه يعد صوتاً مهموساً - بالنظر إلى علم الأصوات - ولكنه يعتبر صوتاً حيادياً بالنسبة للجهر - وذلك في علم وظائف الأصوات - دروس في علم الأصوات العربية ١١٩. وللمزيد ينظر: أصوات اللغة (د. أيوب) ص ٢١٧، المدخل إلى علم اللغة (د. رمضان عبد التواب) ص ٥٨، ٥٩ -.

الباب الثاني  
التّماتل عند علماء اللّغة  
ويشمل فصلين  
الفصل الأول  
التّماتل عند سيّويه  
الفصل الثاني  
التّماتل عند ابن جنّي

الفصل الأول  
التماثل عند سيوييه

## المبحث الأول

التمائل بين الأصوات الصامتة في صورته الإبدالية  
توطئة.

مضارعة حرف لحرف آخر لعلاقة صوتية بينهما

مضارعة حرف لآخر من غير موضعه

قلب السين صادفي بعض اللغات

التمائل الشاذ غير المطرد

التمائل في صيغة افتعل ومشتقاتها - ذوات التاء

الإقلاب

## توطئة:

تتبه لهذه الظاهرة علماء اللغة الأقدمون، وأشار إليها بعضهم إشارات مقتضبة، فقد ذكر الخليل أن القاف إذا وقعت قبل الصاد - كما في نحو (قصع) - فلا يجوز أن تبدل الصاد سينا "إلا أن تكون الكلمة سينية، لا لغة فيها للصاد"<sup>(١)</sup>.

كما ذكر في موضع آخر أن الصاد إذا وقعت قبل القاف - كما في نحو (صقع) - فالعرب في ذلك لغتان: إما بالسين، وإما بالصاد. يقول في ذلك: "كل صاد قبل القاف، إن شئت جعلتها سينا، لا تبالي متصلة كانت بالقاف أو منفصلة، بعد أن تكونا في كلمة واحدة، إلا أن الصاد في بعض الأحيان أحسن، والسين في مواطن أخرى أجود"<sup>(٢)</sup>.

وفيما تقدم يشير إلى أن التماثل هو الذي يمكن أن يفسر من خلاله حدوث الإبدال هنا، كما يلاحظ - من خلال النص الأخير - أن الظاهرة لا تتم إلا في ضوء ضوابط محدودة.

وإذا ما انتقلنا إلى سيبويه - إمام النجاة - فإنه يُعدّ - فيما أعلم - أول من سجل الظاهرة في كتابٍ بشيء من التوسع، والاستفاضة، والتحليل، والاستقصاء، تلك الظاهرة التي أطلق عليها "تقريباً"، و "مضارعة"<sup>(٣)</sup> في حين أطلق المحدثون عليها "مماثلة"، أو تماثلاً "Assimilation"<sup>(٤)</sup>. وقد عقد سيبويه لهذه الظاهرة باباً أسماه "باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه"<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن سيبويه لم يقصر التماثل أو التقريب على هذا الباب فحسب بل إنه يشمل بالإضافة إلى ذلك باباً آخر، هو الإدغام، ... هذا الباب الذي أتم به كتابه، وجعله خاتمة مباحثه اللغوية المتعددة التي تضمنها هذا الكتاب. ودليل ذلك أنه بعد أن ذكر الغرض من المضارعة، وهو "أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد"<sup>(٦)</sup>.

أردف قائلاً: "إذ لم يصلوا إلى الإدغام، ويجسروا على إبدال الدال صاداً.."<sup>(٧)</sup>، فهذا القول

(١) العين ١: ١٤٧ (تحقيق: د. عبد الله درويش).

(٢) المصدر نفسه ١: ١٤٨، وللمزيد ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه (مهدي المخزومي) ص ١٢٤.

(٣) ينظر: الكتاب ٤: ١٩٦، ٤٧٧ (هارون). والمضارعة: المشابهة والمقاربة. اللسان ٢٢٣ (ضرع).

(٤) ينظر: الأصوات (د. أنيس) ص ١٧٩، دراسة الصوت اللغوي (د. أحمد مختار) ص ٢٣٤، علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل (د. عبد العزيز مطر)، بحث نشر في مجلة اللسان العربي، المجلد السابع، الجزء الأول، يناير ١٩٧٠، ذو القعدة ١٣٨٩ هـ ص ٥٢.

(٥) الكتاب ٤: ٤٧٧ (هارون).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) الكتاب ٤: ٤٧٨.

فيه دلالة على أن الإدغام، يعد مرحلة أخيرة من مراحل التقريب، أو بعبارة أخرى يمكن أن يصل إليها التقريب. وهو ما أيدته الدراسات الصوتية الحديثة<sup>(١)</sup>.

وبالعودة إلى ما ذكره (سيبويه) عن التقريب (التمثيل) - بوجه عام -، نجد أنه لم يكتف بحدوثه في الأصوات الصامتة فحسب، بل أشار إلى حدوثه في الأصوات الصائتة - أيضاً - كما هو الحال في الإمالة والإتباع الحركي<sup>(٢)</sup>.

فأما مضارعة الحرف لحرف آخر، فقد أورد له سيبويه صورتين، لكل صورة تحليل خاص بها، يمكن توضيحها على النحو الآتي:

### أولاً: مضارعة حرف لحرف آخر، لعلاقة صوتية بينهما:

وهذا ما عناه بقوله "هذا باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه"<sup>(٣)</sup>.

وينبغي أن أشير إلى أن هذه العلاقة تشمل الحرفين المضارعين، كما تشمل الحرفين المبدلين، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التي أوردها سيبويه، وهي: مصدر، أصدر التصدير.

فالصاد والداد - الصوتان المتجاوران - نجد أنهما على النقيض في الصفات الصوتية، فالصاد: صوت مهموس، رخو، مطبق، أما الدال: فصوت مجهور، شديد، منفتح، وفي هذا من التفاوت. والبعد في الصفات ما ترى.

فلكي يتم التقريب بينهما - لابد من إبدال الصاد صوتاً قريب الشبه بها - أولاً -، ثم بالداد - ثانياً -، أي يلزم المجيء بصوت له علاقة بالصوت المبدل، وبالصوت المجاور له.

ويتحقق هذا في الزاي المفخمة، أي زاي مطبقة تأخذ إطباقها من الصاد، وجهرها من الدال التي بعدها، كما أن الزاي والصاد من موضع واحد - أي من مخرج واحد -، فيقال فيما تقدم مزدر، أزرد، التزدير.

إلا أن سيبويه ذكر أن للعرب في هذه الصورة من المضارعة لغتين: إحداهما - إبدال الصاد زايًا غير خالصة، أي صوتاً بين الصاد والزاي. - وهي ما تقدم -.

والسبب في عدم خلوص الزاي، أن الصاد صوت مطبق، والإطباق صفة مميزة للصوت، فإذا أبدلت الصاد زايًا خالصة، فإن ذلك يلغي هذه الميزة، وفي هذا من الإجحاف ما فيه، فلم

(١) ينظر: الأصوات (د. أنيس) ص ١٨٣، علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثيل (د. مطر) ص ٥٥.

(٢) ينظر: الكتاب ٤: ١١٧، ١٩٦ (هارون).

(٣) المصدر نفسه ٤: ٤٧٧ (هارون).

يكن بُدٌّ من الإشمام<sup>(١)</sup>. الذي يبقي للصاد إطباقه، وفي الوقت نفسه يحقق للصوت المجاور التقريب (التماثل).

والأخرى - إبدالها زائياً خالصة، وبذا تلغي ميزة الصاد، قياساً على إلغاء الإدغام لبعض المميزات الصوتية كالغنة، والإطباق، فيقال: التذير، أذرت<sup>(٢)</sup>. وقد نسب سيبويه هذه اللغة - سماعاً - إلى العرب الفصحاء<sup>(٣)</sup>، فأما اللغة الأولى فقد جاء في القرآن الكريم صدى لها، حيث قرأ حمزة، ولكسائي، وخلف، ورويس الآية من قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُصَدِرَ الرَّعَاءُ﴾<sup>(٤)</sup> بالإشمام<sup>(٥)</sup> كما جاء فيه ما يؤيد اللغة الثانية - أيضاً حيث قرئت هذه الآية بزاي - خالصة<sup>(٦)</sup>، وكذا ما روى عن العرب قولهم: لم يُحرم من فُصدَ له" بالزاي - أي فُزد -<sup>(٧)</sup>. وما روى عن حاتم الطائي قوله: "هكذا فُزدى أنه"، أي فُصدي أنا<sup>(٨)</sup>.

وبصفة عامة إن المضارعة هي التي تقف وراء هاتين اللغتين معللة ومفسرة، وبيان ذلك أن الصاد إنما أشمت أو أبدلت إبدالاً تاماً، لكي تماثل الدال في الجهر. وقد اشترط سيبويه لحدوث المضارعة هنا أن يكون الحرف الأول ساكناً<sup>(٩)</sup>. وذلك حتى تتحقق مجاورة الصوتين المراد تماثلهما، ومن ثمَّ يسهل إجراء عملية المضارعة، فالصاد والدال - في هذه الأمثلة السابقة - تحقق لهما ذلك، حيث لم يفصل بينهما فاصل - حرفي - أو حركي -، إلا أنه أشار إلى أن هذا الشرط إذا فقد ولم يتحقق، فإنه الإبدال التام يمتنع، ليحل محله الإشمام، كما في نحو - صدق، مصادر، الصراط. ففي صدق فصل بين الصاد والدال بفاصل حركي قصير، أما في مصادر فالفاصل حركي طويل، وأما في صراط فالفاصل بين الصاد والطاء حركي، وحرفي. وأحسب أن الفاصل - سواء أكان حركياً أم حرفياً - يُمثِّلُ أهميةً كبرى في وضوح عملية التماثل، فهو حاصل - لا محالة - في كلتا صورتين، أي في الإبدال التام والإشمام، ولكن هناك فرقٌ في النطق والكتابة - أيضاً - بين إبدال الصوت إبدالاً تاماً، وبين أن يُشَمَّ.

(١) الإشمام هنا هو: مزج الصاد بصوت الزاي، بحيث يصدر صوتاً لا هو بالصاد ولا بالزاي.

(٢) الكتاب ٤: ٤٧٧، ٤٧٨ (هارون).

(٣) المصدر نفسه ٤: ٤٧٨، وينظر: الأصول في النحو (لابن السراج) ٣: ٤٢٩، شرح المفصل (لابن يعيش) ١٠: ٥٣.

(٤) [القصص: ٢٣].

(٥) ينظر: النشر ٢: ١٥٠، ٢١، إتحاف فضلاء البشر (البناء الدمياطي) ص ١٩٣.

(٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن (للعكبري) ٢: ١٠١٩.

(٧) مجمع الأمثال (للميداني) ٣: ١١٣. ويُروى هذا المثل بروايات أخرى، وهو يضرب لمن نال حاجته، والفصيد: دم يوخز من البعير أو الفرس، فيشوى حتى يتجمد، ثم يقدم للضيف عند الأزيمة. ينظر: الأمثال (لأبي عبيد القاسم بن سلام) ص ٢٣٥، سر صناعة الإعراب ١: ٥٠، جمهرة الأمثال (لأبي هلال العسكري) ٢: ١٩٣.

(٨) الإبدال (لأبي عبيد الطيب اللغوي) ٢: ١٢٧. قال (حاتم) ذلك حينما وقع في أسر قوم، فغزا رجالهم، وبقي مع النسوة، فأمرنه بالفصد فنحر.

(٩) الكتاب ٤: ٤٧٧ (هارون).



فالإبدال التام يتضح فيه التماثل بدرجة كبيرة على المستويين النطقي والكتابي. أما الإشمام فدرجة وضوح التماثل فيه أقل مما في الإبدال التام، فيقال فيما تقدم: زدق، مزادر، الزراط.

ومن المضارعة عند سيبويه قولك في التسدير: التزير، وفي يسئل ثوبه: يزدل ثوبه - بالزاي الخالصة<sup>(١)</sup>، ولا يجوز الإشمام هنا، لأن الإشمام إنما يؤتى به محافظة على صفة الإطباق، وليس ذلك في السين. وقد أبدلت السين زايًا، لتماثل الدال في الجهر. وتحليل الأمثلة السابقة نجد أن الصوت الأول - الصاد أو السين - تحول من الهمس إلى الجهر، طلباً للتماثل، والشيء الذي دعاهم إلى ذلك هو أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد<sup>(٢)</sup>، وهذا ما يعرف عند القدماء بالتماس الخفة<sup>(٣)</sup>، ويُعرف عند المحدثين بالاقتران في الجهد العضلي<sup>(٤)</sup>.

وبلاحظ في تلك الأمثلة أن الصوت الثاني - الدال أو الطاء - هو الذي أثر في الصوت الأول - الصاد أو السين -، وهذا النوع من التأثير يطلق عليه "تأثير تخفي، أو رجعي" Regressive (١) (٢)، وقد ذكر اللغويون المحدثون أن هذا النوع يكثر شيوعه في اللغة العربية<sup>(٥)</sup>.

وإذا ألقينا نظرة أخرى على تلك الأمثلة، فإننا نجد أن التقريب (التماثل) في نحو - مصدر، أصدر، التصدير تمّ والصوتان المتماثلان متجاوران (متلاصقان)، ويسمى هذا النوع بالتماثل التجاوري، أو المتجاور، أو المتصل (contact Assimilation)، ويمكن تعريفه بأنه: التماثل الذي يحدث بين صوتين متجاورين تجاوراً مباشراً، دون أن يكون هناك فاصل من أي نوع كان، وهذا ما عناه سيبويه عند اشتراطه لسكون الصاد.

وأما في الأمثلة الأخرى نحو - صدق، مصادر، الصراط، فإن المسافة الصوتية قد بعدت وطالت بين الصوتين المراد تماثلهما، مما نتج الفصل بينهما، وعدم تجاورهما. ويسمى ذا النوع بالتماثل التباعد، أو المتباعد، أو المنفصل (Distant Assimilation)، ويمكن تعريفه بأنه: التماثل الذي يحدث بشكل غير مباشر، حيث يفصل بين الصوتين فاصل قد يكون صائناً، وقد يكون صامتاً، وقد يكونان معاً.

(١) الكتاب ٤: ٤٧٧، ٤٧٩ (هارون). وينظر: شرح المفصل ١٠: ٥٢، شرح شافية ابن الحاجب (رضي الدين الاسترأبادي) ٣: ٢٣١. والسدّر: تحير البصر، والسادر: المتحير، أو الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع. ويقال: سدرت المرأة شعرها فانسدر: لغة في سدّته فانسدل، أي أرسلته، وقال أبو عمرو: تسدر: بثوبه: إذا تجلّل به. الصحاح (للجوهري) ٢: ٦٨١، ٦٨٠ (سدر)، لسان لعرب (لابن منظور ٤: ٣٥٥ (سدر)).

(٢) الكتاب ٤: ٤٧٧ (هارون).

(٣) ينظر المصدر نفسه ٤: ١١٧، شرح المفصل ١٠: ١٢١.

(٤) الأصوات (د. أنيس) ص ٢١٤. وينظر: الأصول (د. تمام حسان) ص ١٥٨.

(٥) الأصوات (د. أنيس) ص ١٨١. وينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية (د. عبد الصبور شاهين) ص ٢١٠، مصطلحات في علمي الأصوات واللغة، ص ٢١٥، دراسة الصوت اللغوي (د. أحمد مختار) ص ٣٣٣. وسوف نتأكد من هذا الحكم.

## ثانياً: - مضارعة حرف لآخر من غير موضعه:

أي أنه ليس هناك علاقة صوتية (مخرجية) بين الحرفين المبدلين. وهذا ما قصده سيبويه بقوله: "والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه"<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت العلاقة المخرجية في هذه الصورة مفقودة، على خلاف ما هي عليه في الصورة الأولى، فإنه يلزم هنا أن توجد علاقة وصفية بين الصوت المبدل، وبين صوت ثالثٍ مجاور له، أو مفصول عنه بفاصل، أي بين الصوتين المضارعين أو المتماثلين.

ومن أمثلة هذه الصورة - أشدق<sup>(٢)</sup>، فالشين والدال صوتان متجاوران لا يفصل بينهما فاصل، وهما متتافران في الصفات، إذ إن الشين صوت مهموس، رخو، والدال صوت مجهور، شديد، فلكي تلغى هذه الفروق ويتم التقريب بينهما، تشرب الشين صوت الزاي<sup>(٣)</sup>، أي أنها لا تبدل زياً خالصة، وبذا يتحدان في الجهر، والتماثل في هذا رجعي - أيضاً - وإنما لم يجز الإبدال التام هنا - كما جاز مع الصاد والسين -، لأن الشين ليست من مخرج الزاي<sup>(٤)</sup>، فيقال في أشدق: أزرق، بزاي غير خالصة<sup>(٥)</sup> ويبدو سيبويه قد شعر في هذه الصورة التماثلية باختلافها وخروجها عن المؤلف، فجعل البيان - أي عدم المضارعة - أكثر وأعرف من المضارعة حيث يقول: "والبيان أكثر وأعرف، وهذا (أي المضارعة) عربي كثير"<sup>(٦)</sup>.

ومما يلاحظ في هذه الصورة التماثلية أن سيبويه ألحق بها الجيم الساكنة التي بعدها دال، حملاً على أنها من مخرج واحد، فيقال في نحو أجدر: أشدر<sup>(٧)</sup> هكذا بالشين.

وقد استدرك المجريطي (٤٠١هـ) على سيبويه هذا، وعد ذلك غلطاً من الكاتب. ويقول - معلقاً على ما ورد في كتاب سيبويه - "ووقع في هذا الموضع غلط من الكاتب وهو: من ذلك قولهم في الأجدر أشدر، هكذا وقع بالشين، والصواب أزدر بالزاي"<sup>(٨)</sup> فهناك تتافر

(١) الكتاب ٤: ٤٧٧ (هارون).

(٢) الشَّدق: جانب الفم، والشَّدق - بالتحريك - سعة الشَّدق، يقال: خطيب أشدق، بيّن الشَّدق، ورجل أشدق: إذا كان متفوّهاً ذا بيان. الصحاح ٤: ١٥٠٠، اللسان ١٠: ١٧٢ (شدق).

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٣٣ .

(٤) الكتاب ٤: ٤٧٩ (هارون). وينظر: شرح المفصل ١٠: ٥٣.

(٥) ينظر: الحجة (لأبي علي الفارسي) ١: ٤٠، ٤١، الإبدال (لأبي الطيب اللغوي) ١: ٢٠ (مقدمة المحقق)، تاريخ آداب العرب (لرافعي) ١: ١١٢.

(٦) الكتاب ٤: ٤٧٩ (هارون).

(٧) المصدر نفسه ٤: ٤٧٩، جَدَر النَّبْت والشَّجَر، وَجَدَرُ جِدَارَةٍ، وَجَدَرٌ، وَأَجْدَرٌ: طَلَعَتْ رُؤُوسُهُ فِي أَوَّلِ الرَّبِيعِ، وَذَلِكَ يَكُونُ عَشْرًا أَوْ نِصْفَ شَهْرٍ، وَأَجْدَرُ الْأَرْضِ كَذَلِكَ. وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: أَجْدَرُ الشَّجَرِ وَجَدَرٌ إِذَا أُخْرِجَ ثَمَرُهُ كَالْحَمَّصِ ... وَأَجْدَرُ الْوَلِيعِ (طَلَعِ النَّخْلُ): إِسْمَرٌ وَتَغْيِيرٌ ... اللَّسَانُ ٤: ١٢٠، ١٢١ (جدر).

(٨) شرح عيون كتاب سيبويه، ص ٣٢٣. ومما يلاحظ علي هذين المثالين "أشدق" و"أجدر" اللذين يشريان صوت الزاي أن السيرا في عدّ الشين والجيم من الأصوات المتفرعة عن الحروف الأصول قائلًا " ويجيء علي قياس ما عد سيبويه الحروف أكثر من اثنتين وأربعين حرفاً لأنه ذكر بعد تفصيل الاثنتين والأربعين حرفا الشين التي كالزاي، والجيم التي كالزاي في باب فُييل آخر الكتاب ...". شرح السيرا في علي الكتاب ١١: لوحة ٩٨ ب.

مخرجي، فالجيم صوت غاري، والدال صوت أسناني لثوي، أو كما يرى القدماء بأن الجيم يخرج من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك، والدال يخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا<sup>(١)</sup> فحينما تشرب الجيم صوت الزاي تصبح قريبة من الزاي، ومخرج الزاي مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا<sup>(٢)</sup> وهذا يؤدي إلى تقارب المخرجين، فبعد أن كان يفصل بينهما عدة أحياز (مخارج) أصبح لا يفصل بينهما أي فاصل مخرجي . كما هو ملاحظ فالتفسير هذا يبدو عليه عدم وضوح التماثل فيه بدرجة كافية!

أما حينما تبدل الجيم شيئاً فأحسب أن هذا الإبدال لا علاقة له بظاهرة التماثل، وإنما هو مجرد إبدال لغوي أقيم فيه حرف مكان آخر لعلاقة صوتية بينهما. وقد كان الأمر كذلك لأن الجيم والدال متحدان في الصفات ابتداءً فليس هناك داعٍ لأن تبدل الجيم شيئاً إبدال مضارعة (تماثل)<sup>(٣)</sup>.

الواقع أن هذا المثال - بصفة عامة - يلتبس بما ذكره سيبويه عن الجيم التي كالشين .. تلك الصورة الصوتية التي عدها من ضمن الأصوات الفروع غير المستحسنة في قراءة القرآن، أو في لغة العرب - شعراء ونثرا -<sup>(٤)</sup> وتتحقق هذه الصورة - كما يذكر العلماء - إذا سكنت الجيم وجاء بعدها دال أو تاء نحو " أجدر " و " اجتمعوا"، فيقال فيها: أشدر، واشتموا<sup>(٥)</sup>.

ويلاحظ أن تحول "أجدر" إلى "أشدر" لا يدخل في نطاق التماثل - كما سبق -، أما تحول "اجتمعوا" إلى "اشتمعوا" فهو وثيق الصلة بهذه الظاهرة، حيث أبدلت الجيم شيئاً لتتفق مع التاء في الهمس على سبيل التماثل الرجعي الجزئي المتصل. وخلاصة القول في هذه المسألة: أن هناك جيماً كالشين، وهذه مذكورة في الأصوات الفروع، وهناك جيم كالزاي، وهي المذكورة هنا في باب مضارعة حرف لآخر من غير موضعه.

ومن صور التقريب - أيضاً - ما ذكره سيبويه عن بعض (الألوفونات)، وهي الشين التي كالجيم. وقد عدها من ضمن ما يُسْتَحْسَنُ في قراءة القرآن، والأشعار، وذلك نحو "أشدق"

(١) الكتاب ٤: ٤٣٣ (هارون).

(٢) المصدر نفسه ٤: ٤٣٣.

(٣) فسّر الدكتور عبد الصبور شاهين ما حدث هنا بأنه ربما كان من نواذر اللهجات التي تميل فيها بعض البيئات المتحضرة إلى التخلص من الأصوات المجهورة، والاستعاضة عنها بأصوات مهموسة، علي عكس ما عليه البيئات البدائية. ينظر لطائف الإشارات (للقسطلاني) ١: ١٨٥ (الهامش).

(٤) ينظر: الكتاب ٤: ٤٣٣ (هارون).

(٥) ينظر: شرح السيرا في على الكتاب ١١: لوحة ٩٨!، شرح المفصل ١٠: ١٢٧.

يقال فيها: "أجدق"<sup>(١)</sup>.

ويتم التماثل عن طريق الجهر بالشين، مع احتفاظها برخاوتها وتفشيها، وإذا جهر بالشين صارت قريبة من الجيم، وبذا يتحد الصوتان في الجهر على سبيل التماثل الرجعي الجزئي المتصل.

ومما يلاحظ أنه لا فرق بين إشمام الصاد صوت الزاي، وإشمام الشين صوت الجيم، من حيث إن الصفة المميزة لهما تبقى على حالها دون تغير يذكر، ومن حيث إن المضارعة فيهما بين حرفين من مخرج واحد.

وينبغي التنبيه إلى أن هناك شيئاً كالزاي ذكرها سيوييه في باب مضارعة حرف لآخر من غير موضعه - كما سبق -، وهذه تختلف عن الشين التي كالجيم .

واستطيع الخروج من ذلك كله بالنتيجة التالية: أن الألفونات المتعددة للصاد، أو الجيم، أو الشين تعد من جملة التغيرات الصوتية الناتجة عن تأثير الجوار الصوتي "مما يجعل كل صوت من هذه الأصوات الفرعية مجرد عوض تعاملي للصوت الأصلي"<sup>(٢)</sup>

قلب السين صاداً في بعض اللغات:

ويتحقق هذا فيما إذا جاورت السين بعض أصوات الاستعلاء، وهي القاف والخاء، والغين،

والطاء<sup>(٣)</sup>

ويتم التقريب هنا بشرطين:

أولهما: أن تقع السين قبل هذه الأصوات، أما مباشرة، أو يفصل بينهما فاصل.

والآخر: أن تقع السين وهذه الأصوات في كلمة واحدة، وذلك نحو - سَقْتُ، سَبَقْتُ، سَأَلْتُ<sup>(٤)</sup>، سَلَخْتُ، سَطَعْتُ.

فالسين صوت مستقل، والقاف، والخاء، والغين، والطاء من أصوات الاستعلاء، وحينما ينطق بصوت مستقل، ثم يتبع بصوت مستعل، فإن في ذلك ثقلاً وكلفة على اللسان، ولذا فإنهم أبدلوا السين صاداً، ليكون هناك تجانس، وتقارب، وتماثل بين الأصوات، فيقال فيما تقدم: صَقْتُ، صَبَقْتُ، صَالِغْتُ، صَاطَعْتُ، على سبيل التماثل الرجعي - أيضاً -.

(١) ينظر: الكتاب ٤: ٤٣٣ هارون، شرح السيرا في علي الكتاب ١١: لوحة ٩٧ ب.

(٢) النظريات الصوتية في كتاب سيوييه (للطيب البكوش) ص ١٤٨.

(٣) الكتاب ٤: ٤٧٩ فما بعدها (هارون) . وينظر المقتضب (للمبرد) ١: ٢٢٥، الزينة في الكلمات الإسلامية العربية لأبي حاتم الرازي ٢: ٢١٦، ديوان الأدب (للفارابي) ١: ١٠٨.

(٤) سالغ: سَلَخْتُ البقرة الشاة تَسْلُغُ سُلُوغاً - إذا أسقطت السن التي خلف السديس - وصلغت فهن سألغ سالغ، وكذلك الأنثى بغير الهاء، وذلك في السنة السادسة. الصحاح ٤: ١٣٢١ (سلغ).

وقد ألمح سيبويه إلى أن التماثل تم هنا في ضوء وجود علاقة صوتية بين الصوتين المبدلين - السين - والصاد-، ثم بين الصوتين التماثلين الصاد من جهة، وأصوات الاستعلاء من جهة أخرى-. يقول في ذلك: "فلما كانت كذلك أبدلوا من وضع السين أشبه الحروف بالقاف، ليكون العمل من وجه واحد، وهي الصاد.."<sup>(١)</sup>

وهذا يفسر أن وجود علاقة الصوتين المبدلين لهما أهمية في ظاهرة الإبدال، كما أن هذه العلاقة تزداد أهمية في ظاهرة التماثل. وتنسب هذه الظاهرة - أعني قلب السين صاداً إلى بني العنبر<sup>(٢)</sup> - أحد بطون تميم -، وبني كلب<sup>(٣)</sup>

وقد أشار سيبويه إلى أن الفاصل الحرفي أو الحركي الذي يفصل بين الصوتين التماثلين - وإن كان حاجزاً حصيناً يقلل من فرصة التماثل -، إلا أنه لا يُعْتَدُّ به، ولا قيمه له، قياساً على البعد المخرجي بين الصوتين المراد تماثلهما، يقول في ذلك "لم يبالوا ما بين السين والقاف من الحاجز، وذلك لأنها قلبتها على بعد المخرجين، فكما لم يبالوا بُعد المخرجين لم يبالوا ما بينهما من الحروف، إذا كانت تقوى عليها والمخرجان متفاوتان"<sup>(٤)</sup>.

التماثل الشاذ غير المطرد: ومن أمثلة التماثل - أيضاً - ما ذكره سيبويه من قول بعض العرب في يستطيع: يستييع<sup>(٥)</sup>، وقد عدَّ هذه الصورة من باب الشاذ غير المطرد. الذي يأتي طلباً للخفة<sup>(٦)</sup>.

ويُفسَّر هنا بأن الطاء أبدلت تاء، لتجانس السين في الهمس. ويؤكد سيبويه مرة أخرى أن التماثل حدث في هذه الصورة الإبدالية وهناك علاقة تربط بين الطاء والتاء. يقول في ذلك: "وإن شئت قلت: أبدلوا التاء مكان الطاء، ليكون ما بعد السين مهموساً مثلها، كما قالوا: ازدان، ليكون ما بعده مجهوراً، فأبدلوا من موضعها أشبه الحروف بالسين، فأبدلوا مكانها كما تبدل هي مكانها في الإطباق"<sup>(٧)</sup>.

وبلاحظ في هذا المثال أن الصوت الأول (السين) أثر في الصوت الثاني (الطاء). وهذا

(١) الكتاب ٤: ٤٨٠ (هارون). وينظر: شرح المفصل ١: ٥١، ٥٢.

(٢) الكتاب ٤: ٤٨٠ (هارون). وينظر: الصحاح ٢: ١٣٢٣ (صدغ)، اللسان ٧: ٣١٧.

(٣) ينظر: البحر المحيط (لأبي حيان النحوي) ٧: ١٩٠.

(٤) الكتاب ٤: ٤٨٠ (هارون). وينظر: المقتضب ١: ٢٢٥، الجمهرة لابن دريد ١: ١٣ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك) ص ٣١٧.

(٥) هكذا ورد في (طبعة بولاق) ٢: ٤٢٩، (وطبعة هارون) ٤: ٤٨٤، إلا أنه جاء في شرح السيرافي علي الكتاب "يستطيع"، بدلاً من "يستطيع" ١١: لوحة ١٤٢ ب، وهو ما أحسبه صحيحاً.

(٦) الكتاب ٤: ٤٨٠ (هارون).

(٧) المصدر نفسه ٤: ٤٨٠ (هارون). وينظر سر صناعة الإعراب ١: ٢٠٢.

ما يطلق عليه "تأثير إتباعي، أو تقدمي" progressive<sup>(١)</sup>. (٢)، وقد ذكر اللغويون المحدثون أن هذا النوع من التماثل قليل الشيع في اللغة العربية<sup>(١)</sup>.

ولعل سببويه قد فطن إلى هذا، فعَدَّ هذه الصورة المتماثلة شاذة، ليست بمطرودة.

**التماثل في صيغة افتعل ومشتقاتها:** ومن صور الإبدال الذي يندرج تحت ظاهرة

التقريب أو التماثل، ما يحدث في صيغة (افتعل)، ومشتقاتها - نوات التاء-<sup>(٢)</sup>. فتاء (افتعل)<sup>(٣)</sup> تبدل طاءً إذا وقعت بعد أحد أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ)<sup>(٤)</sup> وذلك نحو - اصطبر، واضطهد، واطرد، واضطم.

والأصل فيما تقدم: اصتبر، واطترد، واضطم، فالتقى- في الأصل - صوت مطبق، مستعل بصوت منفتح، مستقل، والنطق بهذه الألفاظ على هذا الوضع فيه "الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه"<sup>(٥)</sup> أي فيه خروج من إطباق واستعلاء إلى انفتاح واستفال، وفي ذلك مشقة وكلفة على اللسان، فلكي يتم التقريب والتماثل بين هذه الأصوات المتنافرة، أبدلت التاء طاءً، "ليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد من الحروف، وليكون عملهم من وجه واحد إذ لم يصلوا إلى الإدغام"<sup>(٦)</sup>.

ويلاحظ هنا - أيضاً - وجود رابطة صوتية بين التاء والطاء - الصوتان المبدلان-، وكذلك بين التاء وأصوات الإطباق والاستعلاء - الأصوات المتماثلة -، مما يؤكد مرة أخرى أهمية ذلك في ظاهرة التماثل. وقد اتسع مجال هذا الإبدال في بعض اللهجات العربية، فشمّل تاء الضمير الواقعة بعد حرف مطبق<sup>(٧)</sup>.

ومن ذلك قولهم في فحصت: فحصط، وفي حُصت: حصط، وفي خَبَطت: حبط، وفي حفظت: حفظط، وفي قبضت: قبضط<sup>(٨)</sup>، إلا أن العلماء عدوا هذه الصورة الإبدالية

(١) ينظر الأصوات (د. أنس) ص ١٨١، دراسة الصوت اللغوي (د. أحمد مختار) ص ٣٣٣.

(٢) لهذه الصيغة ومشتقاتها أحكام خاصة من الإبدال، وإدغام. وهاتان الصورتان يندرج كثير من صورهما تحت ظاهرة التماثل، ولذا آثرت علاج هذه الصيغة - في هذا الحيز من هذه الدراسة - في مرحلتها التأثيرية الأولى (الإبدال)، أما مرحلة التأثيرية الثانية (الإدغام) فستكون في المبحث الخاص بها.

(٣) لمعاني هذه الصيغة ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ١: ١٠٨-١١٠.

(٤) الكتاب ٤: ٢٤٩، ٢٤٠ (هارون). ينظر: شرح المفصل ١٠: ٤٦، الممتع في التصرف (لابن عصفور) ١: ٣٩٠، شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٢٦.

(٥) شرح المفصل. ١٠: ٤٧.

(٦) الكتاب ٤: ٢٤٩.

(٧) عزيت هذه اللغة إلى بني تميم. ينظر: الكتاب ٤: ٢٣٩، ٢٤٠، المخصص (لابن سيده) ١٣: ٢٧٠، وبعضهم عزاها إلى قوم من بني تميم. ينظر: ابنية الأسماء والأفعال والمصادر (لابن القطاع) ص ٢٣، المساعد علي تسهيل الفوائد (لابن عقيل) ٤: ٢٢١.

(٨) الكتاب ٤: ٤٧١ (هارون). وينظر: شرح المفصل ١٠: ٤٧، ٤٨، شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٨٧، ٢٨٨.

شاذة غير مطردة<sup>(١)</sup>، وذلك لأن هذه التاء ليست بملازمة للفعل بحيث لا تتفك عنه، وإنما يوثى بها في بعض المواضع، ويُسْتغْنَى عنها في مواضع أخرى. يقول سيبويه في ذلك: "وليس تلزم هذه التاء الفعل. ألا ترى أنك إذا أضمرت غائباً قلت فَعَلَّ فلم تكن فيه تاء، وليست في الإظهار. فإنما تَصَرَّفُ فَعَلَّ على هذه المعاني وليست تثبت على حال واحد. وهي في افتعل لم تدخل على أنها تخرج منه لمعنى ثم تعود لآخر، ولكنه بناء دخلته زيادة لاتفارقه، وتاء الإضمار بمنزلة المنفصل"<sup>(٢)</sup>.

وقد استشهد سيبويه في هذا المقام بقول علقمة بن عبده التيمي:

وفي كل حيٍّ قد حبطَّ بنعمة فحُقَّ لشاش من نَدَاكَ ذُنُوب<sup>(٣)</sup>.

أصله - حَبَطْتُ، أبدلت التاء طاء، ثم أدغمت الطاء في الطاء، على سبيل التماثل التقدمي.

وللبيت رواية أخرى بالفك "حَبَطْتُ"<sup>(٤)</sup> وذلك ما دعا أبو العلاء المعري (٤٤٩هـ) إلى شكه في رواية البيت"<sup>(٥)</sup>.

وقد عقب سيبويه بقوله: "وأعرب اللغتين وأجودهما ألاّ تقلبها طاء، لأن هذه علامة الإضمار، وإنما تجيء لمعنى"<sup>(٦)</sup>، وكأنه بهذا يشير إلى قلة ورود التماثل التقدمي. وتحليل الأمثلة السابقة، نجد أن التاء أبدلت طاء، لتوافق ما قبلها في الإطباق والاستعلاء، وفي هذا - كما يقول الفارابي (٣٥٠هـ): "عذوبة في اللفظ وخفة على اللسان"<sup>(٧)</sup>.

ومن صور الإبدال - أيضا - قولهم في ازتجر: ازدجر، وفي مُرْتَان: مزدان<sup>(٨)</sup>. وهذه الصورة الإبدالية جزء من قاعدة صرفية ذكر العلماء فيها أن تاء (افتعل) تبدل دالا، إذا كان قبلها دال، أو ذال، أو زاي، وذلك نحو - أذكرك، وادّعي، وازدجر، أصلها - أذ تكرر، وادتعي، وازتجر<sup>(٩)</sup>.

(١) ينظر: شرح الملوكي في التصريف (ابن يعيش)، ص ٣٢٦، الممتع ١: ٣٦١، شرح شافية ابن الحاجب، ٣: ٢٢٦.  
(٢) الكتاب ٤: ٤٧٢ (هارون) والمعني - يمدح الحارث الغساني - وكان قد أسر رجلاً من بني تميم، فيهم أخوه (شأس)، فيقول: إنه قد نشر عطاياه وأفضاله في كل مكان، فاستحق شأس أن يشمله حظ ونصيب من تلك العطايا. ينظر: شرح أبيات سيبويه، (لأبي محمد السيرافي ٢: ٤٠٠).

(٣) الكتاب ٤: ٤٧٢ (هارون) وللمزيد ينظر: المنصف (لابن جني) ٢: ٣٣٢-٣٣٤.

(٤) ينظر: ديوان علقمة، ص ٤٨، الشعر والشعراء (لابن قتيبة) ١٢١.

(٥) رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٦) الكتاب ٤: ٤٧٢ (هارون).

(٧) ديوان الأدب، الفارابي ٢: ٣٩٥.

(٨) الكتاب ٤: ٢٣٩، ٤٦٧ (هارون).

(٩) ينظر: المقضب ١: ٦٥، التصريف الملوكي (لابن جني) ص ٤٨، التبصره والتذكرة (للصيرمي) ٢: ٨٥٣، الممتع ١: ٣٥٦.

فالذال، والذال، والزاي أصوات مجهورة، في حين أن التاء صوت مهموس، ولكي يتم تلافي هذا التنافر الوصفي، والنطقي، تبدل التاء دالاً وبذا تتماثل الأصوات في الجهر. ويُعدُّ الإبدال هنا من قبيل الإبدال القياسي المطرد.

وقد امتد هذا الإبدال في بعض اللهجات، فشمّل تاء الضمير الواقعة إثر دال، أو ذال، أو زاي، وذلك قولهم في فزّت: فزد، وفي جزّت: جزد، وفي أخذت: أخذد، وفي نقدت: نقدّه<sup>(١)</sup>.

وجاء في الحديث الشريف ما يؤيد هذا، فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «.. أيّما رجل من المسلمين سببته، أو لعنته، أو جلدّه (هكذا بتشديد الدال)، فأجعلها له زكاة ورحمة»<sup>(٢)</sup>. وقد عدّت هذه الصورة الإبدالية شاذة، سماعية، غير مطردة، وذلك لأن التاء الملحقة بالفعل ليست من أصل الكلمة، وإنما هي أجنبية عنه. والتماثل في هذه الصور تقدمي "وهو أمر يندر وجوده جدا في العربية القديمة"<sup>(٣)</sup>.

ويُلحَق بهذه الصور الإبدالية الشاذة، السماعية، غير المطردة، ما روي من إبدال التاء دالاً، إذا وقعت التاء بعد جيم، نحو قولهم في اجتمعوا، واجتروا: اجتمعوا، واجدروا<sup>(٤)</sup>.

وإنما كان الإبدال هنا، رغبةً في تجانس الأصوات، وتماثلها في الصفات، فالتاء أبدلت دالاً، ليتماثل الصوتان - الجيم والذال - في الجهر.

أما لم عدّ الإبدال شاذاً، فقد ذكر بعض العلماء أن في نطق التاء بعد الجيم سهولةً ويسراً، بعكس ما عليه نطق التاء بعد الزاي، أو الذال<sup>(٥)</sup>. وتفسير هذا - فيما أراه - أن السهولة تكمن في القرب الوصفي بين الجيم والتاء، فكلاهما شديد، مرقق، ولا يفترقان إلا في الهمس.

أما الزاي، والذال فتتمثل الصعوبة في أنهما مجهوران، رخوان، في حين أن التاء مهموس، شديد، وفي هذا التباين الوصفي ما فيه، وذلك مما سوّج الإبدال في نحو أزدھف، واذدكر، وعدّ شاذاً في نحو اجدمع. وإذا نظرنا إلى الأمثلة الواردة في ذوات التاء، فإننا نجد أن التأثير حاصل في الصوت الأول، حيث قد أثر في الصوت الذي يليه، وذلك ما يعرف بالتأثير التقدمي.

وبالنظر - أيضاً - فيما تقدم من صور إبدالية - سواء أكانت أمثلة مسموعة عن العرب،

(١) ديوان الأدب، الفارابي ٢: ٢٩٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحة بروايات متعددة، وطرق مختلفة اللفظ - باتفاق المعنى -، كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلاً لذلك - كان له زكاة وأجر، ورحمة، ٤: ٢٠٠٨، حديث رقم: ٢٦٠١ وينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (لابن الأثير) ١: ٢٨٥.

(٣) فقه اللغات السامية (بروكلمان) ص ٦٠، وسوف نتأكد - أيضاً - من مدي صحة هذا القول.

(٤) الكتاب ٤: ٤٧٩، هارون وينظر المقنع، ١: ٣٧٥.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٢٨.



أم قواعد قياسية مطردة، أم أمثلة شاذة غير مطردة - فإننا نجد أن التماثل لم يتم فيها بتحول الصوت من مخرجه، وانتقاله إلى مخرج آخر، وإنما "المماثلة في الكيفية أو في طريقة النطق"<sup>(١)</sup>. أي أن التغيير واقع على صفة الصوت دون مخرجه، فالصوت المتأثر - فيما سبق من أمثلة إما أن يكون قد انتقل من الهمس إلى الجهر، أو من الاستفقال إلى الاستعلاء، أو من الانفتاح إلى الإطباق، ويلاحظ عليهما - أيضا - أن التأثير وقع على بعض ما يختص به الصوت، ولم يتجاوز هذا الحد، ويُطلق على هذا النوع من التماثل مصطلح "التماثل الجزئي أو الناقص"<sup>(٢)</sup> (Partial Assimilation)، ويمكن تعريفه: بأنه ذلك التماثل أو التقريب الذي يُفْتَصَّرُ فيه على بعض خصائص الصوت، دون أن يشملها جميعها.

وقد اعترض كمال بشير على تحليل تلك الصور الإبدالية بالطريقة التي ذكرها علماء العربية. فهو يرفض أن يقدر لتلك الأفعال أصولاً افتراضية - بناءً على مبدأ توحد الأنظمة - ، ويرى أنه يجب أن تعامل معاملة مغايرة، تتمثل في النظر إلى تلك الأفعال بحالتها الراهنة، ووصف ما بها من ظواهر لغوية - بناءً على مبدأ تعدد الأنظمة<sup>(٣)</sup> -.

وفي ضوء هذا المبدأ يمكن تفسير ما حدث في الصور الإبدالية المتقدمة على النحو التالي:  
السياقات الصوتية التالية مستحيلة في العربية:

صوت مطبق + ت. والمستعمل هو صوت مطبق + ط

د، ذ، ز + ت - . والمستعمل هو: د، ذ، ز + د.

ويمكن الفرق بين التفسيرين في أن تفسير القدماء صرفي محض، يعتمد على " إرجاع صورة حاضرة إلى صورة مفترضة متوهمة"<sup>(٤)</sup>.

أما هذا التفسير فهو صوتي - صرفي يعتمد على "تسجيل الحقائق كما تعلن عن نفسها، دون افتراض أو توهم يشوه هذه الحقائق ويعقدها، ويجعل البحث فيها عبئاً دون طائل"<sup>(٥)</sup>.

وهذا الرأي قد يبدو في ظاهره أنه منطقي ومقنع، حيث هناك فعلاً بعض الأصول التي

(١) دراسة الصوت اللغوي (د. أحمد مختار) ص ٣٢٦.

(٢) ينظر: التطور النحوي (برجستراسر) ص ٢٩. دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٢٥، التطور اللغوي (د. رمضان عبد التواب) ص ٢٢. ومما يلاحظ هنا أنني أجريت الحكم علي "أطرد، وادّعي، وخببط، وجدد بالنظر إلي المرحلة التأثيرية الأولى (الإبدال)، أما المرحلة الأخرى (الإدغام) فهي من قبيل إدغام المثنيين، الذي لا علاقة له بالتماثل.

أما إن كان الإبدال في هذه الصور الأربع للإدغام - كما قال بهذا (ابن عصفور) الممتع ١: ٣٥٧، وليس من أجل التنافر والتباين بين الطاء والذال مع التاء، فإن التماثل كلي، لأن الصورة حينئذ تُعَدُّ إدغام، وليس إبدال.

(٣) ينظر: دراسات في علم اللغة العام - القسم الثاني - ص ١٠٧-١١١.

(٤) المرجع نفسه ص ١٠٩.

(٥) دراسات في علم اللغة العام - القسم الثاني - ص ١٠٩-١١٠.

ذكرها القدماء - كما في نحو قال، وقول - مثلاً - يشعر الباحث أنها من تجريدات النحاة وافترضااتهم، إلا أنه ربما أوحى بأن مثل هذه الأصول لا يعود بكثير نفع على الدرس اللغوي، بل يؤدي إلى كثرة التأويلات، والافتراضات، دون مبرر، أو مسوغ.

على أنني أرى أن معرفة الأصل في مثل تلك الأحوال السابقة - حقيقة أو افتراضاً - تفننا على تعليل ما حدث فيها تعليلاً علمياً سليماً، إذ بمعرفة الأصل يتم تقرير الحكم بالدليل الصحيح، والحجة اللغوية، والتعليل المقنع، ثم إن فائدة الأصل تتضح في أنه "معياري اقتصادي تُردُّ إليه الكلمة، وتقاس به إذا تجافى بها الاستعمال عن مطابقته بما أصابها من تغير أو تأثير كالإعلال والإبدال، والقلب، والحذف، والزيادة الخ"<sup>(١)</sup>.

ولو لم يقل القدماء: بأن أصل "اصطبر" "اصتبر" - مثلاً -، لجهلنا هذه الحقيقة التي ربما تكون تاريخية، ومن ثمَّ فإن ما يصدر من أحكام قد تكون بعيدة عن الصواب تكون هذه الأمثلة (يقصد الإبدال في نحو اصطبر واتسر...) تطورت تاريخياً - لا افتراضاً - عن صيغ أخرى نطقت بالفعل... ثم أصابها تغير وصل بها إلى حالتها الراهنة...، وحينئذ تسهل معالجة هذا الضرب من الأمثلة، وتتم معالجتها بتسجيل صورها التاريخية، ثم صورها الحاضرة، والقيام - إن شئنا - بمقارنة بين الفترتين<sup>(٢)</sup> (٣).

والذي أود إثباته هنا، هو أن هذه الأصول التي ذكرها القدماء قد يكون لها معتمد تاريخي، وبذا، يصبح تحليل القدماء مقبولاً، لا سبيل إلى الاعتراض عليه، أو أن تكون من اختراع النحاة، وافترضااتهم، وتجريداتهم، وعندئذ يصبح تفسير الظواهر اللغوية قائماً على اعتبارات يحددها النظام اللغوي، وبدونها لا يمكن تفسير الاختلافات في اللغة<sup>(\*)</sup>.

ومن الملاحظ على ظاهرة التماثل في تلك الصور الإبدالية أنها لم تؤدَّ إلى انتقال الصوت من فونيمه الذي ينتمي إليه إلى فونيم آخر.

فالسین حينما تتحول إلى صاد، أو زاي، والشين حينما تتحول إلى جيم، والتاء عندما تتحول إلى طاء، أو دال، والصاد حينما تتحول زاي.. ذلك في الحقيقة ليس إلا تنوعات صوتية لفونيم واحد، فالسین، والصاد، والزاي تعد فونيمات (وحدات صوتية نظامية) مستقلة، متقابلة، كل منها يؤدي معنى غير الذي يؤديه الآخر، فحينما يقال: سار، وصار وزار، فإن المعنى في كل كلمة يختلف عن الأخرى، وكذا حينما يقال: شمال، وجمال، فالمعنى

(١) الأصول (د. تمام) ص ١٣٣.

(٢) دراسات في علم اللغة العام - القسم الثاني ص ١٠٩.

(٣) لابن جني رأي حول هذه القضية، وقد عقد ذلك باباً أسماه باب في مراتب الأشياء، وتنزيلها تقديراً وحكماً، لازماناً ووقتاً<sup>(\*)</sup> الخصائص ١: ٢٥٦-٢٦٤.

(\*) وللمزيد حول هذا ينظر: مناهج البحث في اللغة (د. تمام) ص ٢١٣-٢١٧، الأصول (د. تمام) ص ١٢٢-١٧١، أبحاث في اللغة العربية (د. داود عبده) ص ٩٠٢.

مختلف، وكذا حينما يقال: طرب، وترب، ودرب، المعنى مختلف - أيضاً-.  
إلا أننا إذا نظرنا إلى تلك الصور الإبدالية المتقدمة فإنه يتضح أن المعنى كما هو، لم  
يصبه تغير يذكر.

أي أنه يمكن القول: إن ما نتج من تغير بسبب هذا الإبدال حدث داخل ما يسمى بالعائلة  
الصوتية (الألوفون)، فليست تلك التغيرات سوى صور وأفراد صوتية (ألوفونات) لفونيم واحد.  
وأخلص من هذا إلى القول: بأن التماثل الذي تحقق من خلال تلك الصور الإبدالية أدى  
إلى توسيع نطاق الألوفونات العربية دون الفونيمات.  
أما الجانب الدلالي فلم يتأثر به، وظل بعيداً عما يحدثه التماثل - في بعض الأحيان -  
من تغير في المعنى، ولَبَسَ في البنية.

الإقلاب: ومن صور الإبدال الذي يندرج تحت ظاهرة التماثل، ما يعرف بالإقلاب.  
ويتحقق ذلك إذا جاورت النون الساكنة الباء، كما في نحو عُنبر، ومنْ بك، وشنْباء، يقال  
فيها: عُمْبَر، مَمْبِك، وشَمْبَاء<sup>(١)</sup>.

إلا أن السيرافي (٣٦٨هـ) ذكر أن الفراء يرى أن "كل نون ساكنة قبل الباء مخفية، أخفيت  
النون قبل الباء"<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني أن ذلك من قبيل الإخفاء، وليس الإقلاب، ذلك - فيما أراه -  
غير ممكن، إذ إن الأداء والسماع يبعدها عن الإخفاء الحقيقي، وعن الإدغام - أيضاً فمن  
الصعوبة أن ينتقل مخرج النون إلى مخرج الباء، للبعد المخرجي بينهما.  
كما أنه من غير اليسير أن تنطق الباء مشددة، لأن الميم - التي هي أقرب إلى الباء من  
النون - لا تدغم في الباء، فمن باب أولى ألا تدغم النون في الباء.

ويلاحظ في صورة الإقلاب أن النون انتقلت لا إلى مخرج الصوت المجاور، وإنما إلى  
صوت ثانٍ، يرتبط بعلاقة مخرجية مع الصوتين المتجاورين، فعلاقة الميم - الصوت المبدل  
- مع النون - المبدل منه- تتمثل في أنهما صوتان مجهوران، متوسطان بين الشدة  
والرخاوة، أغنان، مرققان، كما أن علاقة الميم بالباء تتمثل في أنهما صوتان شفويان،  
مجهوران، فالعلاقة هنا بين الأصوات ثنائية وليست انفرادية، مما يؤكد ما ذكره من أن  
الإبدال - في ظاهرة التماثل لا تتوقف العلاقة الصوتية فيه على الصوتين المبدلين، بل  
تتجاوزهما إلى الصوتين المراد تماثلهما .

ويفسر حدوث التماثل هنا بأن الباء - الصوت الثاني - أثر في النون - الصوت الأول  
- تأثيراً رجعياً. على أن التماثل في هذه الصورة يختلف كلياً عما سبق من صور إبدالية،

(١) الكتاب ٤: ٤٥٣ (هارون). والشَّنْبُ: حِدَّةٌ فِي الْأَسْنَانِ، وَيُقَالُ: بَرَدٌ وَعُدْوِيَّةٌ . وَأَمْرَةٌ شَنْبَاءٌ: بَيْتَةُ الشَّنْبِ، وَرَمَانَةٌ شَنْبَاءٌ: إِمْلِيَّةٌ،  
وَلَيْسَ فِيهَا حَبٌّ، وَإِنَّمَا هِيَ مَاءٌ فِي قَشْرِ، عَلِي خَلْفَةُ الْحَبِّ مِنْ غَيْرِ عَجَمٍ. الصَّاحِ ١: ١٥٨، اللِّسَانُ ١: ٥٠٦ (شَنْب).  
(٢) شرح السيرافي علي الكتاب ١١: لوحة ١٤٦ أ.

حيث قد انتقل مخرج النون - الصوت المتأثر - إلى مخرج آخر هو الميم، وهذا يعني أن التماثل في هذه الصورة مخرجي، وليس وصفيًا، أو بمعنى آخر أن فونيم النون قد أخذ في هذه الموقع صورة مختلفة عن الأصل، فبدل أن كان لثويًا أصبح شفويًا، وهذا التعديل لا يهتم به اللغويون إذا كان لا يوقع المتكلمين في ورطة دلالية. إما إذا حدثت هذه الورطة فينشأ في اللغة ما يعتبره العلماء حالة وبائية، وهي ظاهرة المشترك اللفظي<sup>(١)</sup>.

ويمكن القول - بصفة عامة - : أن التماثل في الصور المتقدمة لم يؤدِّ إلى نشأة كلمات جديدة، ذات دلالات مختلفة، وإنما أدى إلى نشأة أصوات جديدة (ألفونات)، والفرق كبير بين هذين النتيجتين، ففي الأولى يُعدُّ التغير - إذا حدث - من النوع السلبي، أو المتطرف<sup>(٢)</sup>.

وبعد... فهذا ما ذكره سيبويه عن المضارعة والتقريب بين الأصوات الصامتة في صورته الإبدالية.

(١) دراسة الصوت اللغوي (د. أحمد مختار) ص ٣٢٧.

(٢) ينظر: المرجع نفسه، ص ٣٢٧.

## المبحث الثاني

### الإدغام عند سيبويه

#### مفهوم الإدغام عند سيبويه

الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد والحروف المتقاربة

مخارجها

#### القسم الأول

حروف لا تدغم في مقاربها ولا يدغم مقاربها فيها

#### القسم الثاني

حروف لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها

#### القسم الثالث

حروف مقاربة يدغم بعضها في بعض

#### الإدغام في الكلمة الواحدة

أ- الإدغام في ذوات التاء

ب- الإدغام الشاذ غير المطرد في الكلمة الواحدة

## مفهوم الإدغام عند سيبويه:

وأنقل بعدها إلى صورة أخرى من صور التماثل، وهي ما تعرف بالإدغام. والإدغام - بتشديد الدال - مذهب البصريين، ويتسكينة مذهب الكوفيين<sup>(١)</sup>. ولقد أطلق عليه بعض اللغويين المحدثين مصطلح "المماثلة الكاملة" complete assimilation<sup>(٢)</sup>. وهو - فيما أراه - تسمية موفقة إلى حد كبير، حيث إن حقيقة هذا النوع من التماثل أن يفنى أحد الصوتين في الآخر فناءً تاماً، فهو بهذه الصورة لا يقتصر على بعض خواص الصوت - كالنوع المتقدم -، بل يشمل جميع خواصه.

وبالعودة إلى حديث سيبويه عن هذه الظاهرة، يتبين لنا أنه أهتم بها اهتماماً كبيراً، وعالجها في ضوء المستويين اللغويين: مستوى الأداء اللغوي العام (لغة العرب) ومستوى الأداء اللغوي الخاص (القرآن الكريم)، وإن كان قد أعطى المستوى الأول جُلَّ عنايته. ومن الملاحظات في هذا المقام أن سيبويه وأكثر النحاة الذين جاءوا من بعده، جعلوا هذا الباب (الإدغام) في أواخر كتبهم، مقروناً - في الغالب - بمقدمة صوتية عن مخارج الحروف، وصفاتها<sup>(٣)</sup>.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: لم خُصَّت هذه الظاهرة الصوتية بالدراسة في نهاية المؤلفات النحوية والصرفية؟

وأحسب أن الإجابة عن هذا يمكن إيضاحها - بشيءٍ من الإيجاز - على النحو الآتي، هي أن أكثر علماء العربية لم يعنوا بالدراسة الصوتية على أساس استقلالي، وإنما كانت ترد متفرقة في مؤلفاتهم، دون رابط يربطها، أو هدف مشترك يجعلها هذا شيء وشيء آخر أن ظاهرة الإدغام تعد من المسائل الصرفية، وكثيراً ما نجد في المؤلفات العربية أن النحو يستأثر بالجانب الأكبر من الدراسة، بل يحتل المنزلة الأولى فيها، بعكس الصرف فهو لا يمثل إلا جزءاً يسيراً من الدراسة، فضلاً عن موقعه الأخير منها، وهذا لا يتفق مع الناحية المنهجية العلمية، لأن تأخير الكلام عن الصرف يُذهب بالعرض الأساس من دراسته، هو أنه خادم للنحو وممهّد له. فالتقليد اللغوي الحديث يقتضي البدء بالصرف ومسائله لتكون

(١) ينظر: شرح المفصل ١٠: ١٢١، شرح التصريح على التوضيح (للشيخ خالد الأزهرى) ٢: ٣٩٧، ٣٩٨، حاشية الخضري علي ابن عقيل ٢: ٢١٠، حاشية ابن حمدون علي شرح المكودي لألفية ابن مالك ٢: ٢٠٢.

(٢) دراسة الصوت اللغوي (د. أحمد مختار) ص ٣٣٢.

(٣) ينظر: علي سبيل المثال -: الكتاب ٤: ٤٣١ (هارون) ٢: ٢٧٣، الجمل، ص ٣٧٥، التكملة (لأبي علي الفارسي) ٢: ٢٧٣، التبصرة والتذكرة (للصيمري) ٢: ٩٢٦، شرح المصل ١٠: ١٢٠، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص ٣١٩، مع الهوامع ٦: ٢٨٠.

معدة في يد الباحث النحوي أو الدارس للنصوص وهي الهدف الاسمي في أي عمل لغوي، فسبقة النحو - لا تأخره عنه - أمر ضروري إذا كان لنا أن نتجنب الخلط، وأن نصل إلى نتائج علمية صحيحة<sup>(١)</sup>.

وأما ما ذكره ابن حمدون (ت. في حدود القرن الحادي عشر - تقريباً) من أن الإدغام أُخِّرَ لسببين:

أولهما - جريا على عادة أهل التصريف في تأخير الكلام عليه. والآخر - "تفاؤلاً بأن يجوز الطالب كل ما قرأه من أول الكتاب إلى هنا كما يجوز الحرف المدغم فيه الحرف المدغم"<sup>(٢)</sup>. فإنه يبدو لي أن السبب الأول هو الأقرب إلى الواقعية، والوضوح، والقبول - أيضاً -.

إما السبب الآخر فهو غير مقنع، بل إنه ليس واضحاً من أساسه، إذ ما علاقة التأخير بالتفاؤل؟!!

كما أن ما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين من أن سيبويه لم يكن مُفَرِّراً إدراج هذه الظاهرة في كتابه، ولكنه شعر - في ظروف خاصة بالإدغام نفسه - أن الحاجة ماسة إلى إفراد قسم خاص للإدغام، وذلك ما دعاه إلى تأخير الحديث عنه<sup>(٣)</sup> فتلك دعوى لا تنهض بها حجة، ولا يقوم عليها دليل، إذ كيف لنا أن نعرف أن سيبويه لم يخطط لهذا الباب من البداية، وأن ما حدث هنا إنما هو أمر طارئ، دعت الحاجة إليه مؤخراً.

والذي يبدو أنه ليس هناك من الشواهد التاريخية أو المنهجية ما يؤيد هذا، بل إن القرائن تدل على عكس ذلك تماماً، ومن ذلك أن سيبويه حينما ذكر الغرض من الإمالة، هو التقريب، قياساً على الغرض من الإشمام، أردف على ذلك بقوله: "وبيان ذلك في الإدغام.."<sup>(٤)</sup> فهذا يدل على أن الحديث عن الإدغام أمر مقرر سلفاً، ولم يكن وليد الحاجة، لأمر عارض.

والشيء الذي أود أن أختتم به ما تقدم من ملاحظات هو أن تأخير باب الإدغام لا علاقة له بأهمية هذا الباب، أو عدمها، وإنما الأمر لا يتجاوز أن يكون تبعاً للتقسيم التقليدي لمباحث النحو والصرف.

وانتقل بعد ذلك لنتمة ما كنت قد بدأت به، فأقول: إن مصطلح الإدغام عند سيبويه يعني

(١) دراسات في علم اللغة - القسم الثاني -، (د. بشر) ص ٨٨.

(٢) حاشية ابن حمدون علي شرح المكودي لألفية ابن مالك ٢: ٢٠٢، ٢٠٣.

(٣) ينظر: النظريات الصوتية في كتاب سيبويه، (الطيب البكوش) ص ١٤٣، ١٤٤.

(٤) الكتاب ٤: ١١٧ (هارون).

أمرين: أحدهما - خاص، والآخر عام. فأما الخاص فيحدد مفهوم الإدغام في ضوء المعنى الاصطلاحي القديم، حيث هو - إدخال الحرف الأول - بعد قلبه - في الآخر، مع بقاء الآخر على حاله، حتى يصيرا من موضع واحد<sup>(١)</sup> وبالنظر في هذا نجد أنه يحتوي على أمور ثلاثة:

أولهما: قلب الحرف الأول إلى جنس الثاني.

ثانيهما: إدخال الحرف الأول في الثاني، مع بقاء الثاني على حاله.

ثالثهما: النطق بهما بعد ذلك كأنهما حرف واحد. وهذا ما عناه بقوله<sup>(٢)</sup>: "هذا باب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه".  
وبنتبع أقوال العلماء في تعريف الإدغام، نجد أنه لا يبعد عن هذا كثيراً، وليس هناك من مزيد فيه سوى الشرح والإيضاح<sup>(٣)</sup>.

ومجمل القول: أن الإدغام يقوم على مقدمات نظرية لا بد من إجرائها مسبقاً، والتي تتمثل فيما يأتي:

١- عدم الفصل بين الحرفين المدغمين (سكون الحرف المدغم).

٢- وجود علاقة صوتية بينهما.

٣- قلب الحرف الأول إلى لفظ الثاني .

كما يؤدي إلى نتائج تطبيقية، تتمثل في الأداء النطقي بالحرفين المدغمين حرفاً واحداً. وقد أشار بعض أولئك العلماء إلى أن الإدغام لا يعني الفناء التام للحرف المدغم، بل إن الحرف الأول (المدغم) "يصير كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام"<sup>(٤)</sup>، وهذا يعني أن هناك بقية باقية في الحرف المدغم.

وسأبسط القول في هذه القضية في موضع آخر - إن شاء الله -<sup>(٥)</sup>. وأما المعنى العام له

(١) الكتاب ٤: ١٠٤ (هارون) وقد ذكر بعض الباحثين المحدثين أن فكرة سيبويه عن الإدغام - من خلال بعض النصوص - واضحة، إلا أن الصياغة الدقيقة تنقصها، وهي ما يجب توافرها في كل تعريف. ينظر: الدراسات اللغوية والنحوية في مصر (د. أحمد نصيف الجنابي) ص، ٤٦. وأحسب أن الأمر ليس كذلك، فلو عدنا إلي ما تقدم في تعريف الإدغام عند سيبويه، لوجدنا أن عبارته منتقاة، دقيقة، فندمت للإدغام مفهوماً واضحاً، محددًا.

والذي جعل هذا الباحث يصدر ذلك الحكم، أنه اعتمد علي نصين، أحدهما عنوان لباب الإدغام، والآخر شرح لعلاقة الإمالة بالإشمام والإدغام، ولو اعتمد علي ما ذكره سيبويه في ٢: ٢٥٤ (طبعة بولاق) لتبين له خلاف ما ذهب إليه.  
(٢) الكتاب ٤: ٤٣٧ (هارون).

(٣) ينظر: الأصول (لابن السراج) ٣: ٤٠٥، الجمل، ص ٣٧٨، التكملة ٢: ٢٧٣، التبصرة والتذكرة (للصيمري) ٢: ٩٣٣، شرح المفصل ١٠: ١٢١، حاشية الشيخ يس علي شرح التصريح ٢: ٣٩٨.

(٤) شرح المفصل ١٠: ١٢١، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٣٤.

(٥) ينظر: احكام الإدغام (عند ابن الجزري) في هذه الرسالة، ص ٢٨١ فما بعدها.



فَيَحَدِّد مفهوم الإدغام في ضوء المعنى البعيد له، حيث هو تقريب الصوت من الصوت، يقول في ذلك: "وانما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها كما قربوا في الإدغام الصاد من الزاي حين قالوا صدر، فجعلوها بين الزاي والصاد... وبين ذلك في الإدغام. فكما يريد في الإدغام أن يرفع لسانه من موضع واحد، كذلك يقرب الحرف على قدر ذلك"<sup>(١)</sup>.

إن النص يقفنا على شيء مهم في ظاهرة التماثل، وهو أن الإدغام لا يعني الفناء التام فقط، وإنما قبل ذلك يعني مجرد التقريب.

فإشمام الصاد صوت الزاي يُعَدَّ إدغاماً، كما أن إبدال السين صاداً في بعض اللغات يُعَدَّ إدغاماً - أيضاً -، وهذا يؤكد أن مفهوم الإدغام شامل للتقريب والفناء، والعلاقة بين المعنيين - الخاص والعام - تتضح في أن الإدغام يدل في المفهوم العربي - بصفة عامة - على ظاهرة نطقية تدمج الأصوات المتماثلة أو المتقاربة، في حين أنه في المفهوم الخاص - وهو ما ذكره سيبويه - باقتضاب - وأيدته الدراسات الحديثة - يدل على "ظاهرة تعاملية تقرب بين الأصوات المختلفة"<sup>(٢)</sup>. والواقع أن هذه الفكرة التي أرسى دعائمها سيبويه، وتبعه بعض العلماء<sup>(٣)</sup>. قد نضجت عند ابن جني على النحو الذي سأبينه، ولما كان الإدغام عند سيبويه إدغام مثلين ومتقاربين فإنني أرى أن إدغام المثلين - لا علاقة له بظاهرة التماثل - موضوع الدراسة -، حيث إن هذه الظاهرة - بهذه الصيغة - تعني أن هناك قدراً كبيراً من التفاعل، وتبادل التأثير بين الصوتين المتجاورين، كل منهما يحاول أن يكسب الصوت المجاور إليه، ليجانسه في الصفة، أو في المخرج، وهذه الأشياء لا تكون إلا في إدغام المتقاربين، ولذا فإنني أرى أن إدغام المثلين - لا علاقة له بظاهرة التماثل موضوع الدراسة -، حيث إن هذه الظاهرة - بهذه الصيغة - تعني أن هناك قدراً كبيراً من التفاعل، وتبادل التأثير بين الصوتين المجاورين، كل منهما يحاول أن يكسب الصوت المجاور إليه، ليجانسه في الصفة، أو في المخرج، وهذه الأشياء لا تكون إلا في إدغام المتقاربين، أما المثلين فإن هذه الكيفية تتعدم فيه، بل ليس لها وجود مطلقاً.

(١) الكتاب ٤: ١١٧ (هارون). وينظر: المصدر نفسه ٤: ١٩٦.

(٢) النظريات الصوتية في كتاب سيبويه (الطيب البكوش) ص ١٥١.

(٣) ينظر: السبعة (لابن مجاهد) ص ١٢٥، حيث حد الإدغام بأنه "تقريب الحرف من الحرف إذا قرب مخرجه في اللسان كراهية أن يعمل اللسان في حرف واحد مرتين فيثقل عليه"، وينظر الحجة (للفارسي) ١: ٣٨، حيث ذكر أن المضارعة تشبه الإدغام في أنه تقريب الحرف الأول من الثاني، والإقناع ١: ٢٦٨، حيث ذكر صاحبه أن الإمالة تشبه الإدغام، لأن الإدغام تقريب حرف من حرف، وكذلك الإمالة.

وفي ضوء ما تقدم فإنني لن أتعرض لهذا النوع من الإدغام - سواء أكان صغيراً، أم كبيراً، اسماً، أم فعلاً، في كلمة، أم في كلمتين -، وسوف أقصر دراستي على المتقاربين فقط.

واستطيع القول: إنّ الإدغام إذا أُطْلِقَ في ظاهرة التماثل - فالمقصود به إدغام المتقاربين، ليس غير. يقول شاده - معلقاً على إدغام المثليين في نحو يدّ داود-: "ولا محل هنا لتقريب الحرفين المتوالين من بعضهما، لأنهما متماثلان من بادئ الأمر"<sup>(١)</sup>.  
والإدغام عند سيبويه - أيضاً - يأتي على صورتين -: إحداهما - إدغام صغير، والأخرى إدغام كبير.

وهاتان الصورتان لم يصرح بهما سيبويه، ولكنها يستنتجان من خلال الأمثلة التي أوردها - إلا أن بعض اللغويين المحدثين يرى أن النحاة الأوائل لم يقوموا بتقسيم الإدغام إلى صغير وكبير، وإنما هو من صنعه المتأخرين من القراء<sup>(٢)</sup>.  
وأراني على خلاف ذلك، فالنحاة الأوائل كسيبويه، والمبرد، وأبي علي الفارسي... الخ، أشاروا إلى هذا التقسيم - استشهداً لا تصريحاً - فالتقسيم موجود، ولكنهم لم يضعوا لكل قسم مصطلحاً خاصاً به.

أما القول: بأن هذا التقسيم من صنعة المتأخرين من القراء، فذلك ما لا أعتقد بصحته، حيث إننا نجده عند الداني (٤٤٠هـ)<sup>(٣)</sup>، كما أن ابن الباذش (٥٤٠هـ) ذكر أنهم سمّوه كبيراً، لأنه أكبر من الصغير...<sup>(٤)</sup>، وفي هذا دلالة على أن التسمية قديمة، وليست بمنأخرة.  
وهذا التقسيم - كما يلاحظ - مبنيٌّ على أساس نحوي.

وقد أولى سيبويه الصورة الأولى عناية كبرى، ووجّه إليها اهتمامه - دراسةً واستشهاداً -، بل إنه - كما يظهر لي - جعلهما الأصل الذي يقاس عليه، واعتبر الصورة الأخرى فرعاً يجري عليه ما يجري على الصورة الأولى.

وعلى هذا يمكن القول: إنّ الإدغام إذا أُطْلِقَ عند اللغويين والنحاة، فإن المراد به هو الإدغام الصغير دون سواه، بدليل أن سيبويه بعدما تحدث عن مفهوم الإدغام مثّل له بقوله: "قد تركك"<sup>(٥)</sup>، كما أن تعريف الإدغام ينصّ على أنه وصل حرف ساكن بحرف مثله

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا (شادة) ص ١٠٢٤.

(٢) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ٢٣٦.

(٣) التيسير، ص ١٩.

(٤) الإقناع ١: ١٩٥.

(٥) الكتاب ٤: ١٠٥ (هارون).

متحرك... (١) ودليل ثالث أن الإدغام الكبير لا يتحقق إلا بتسكين حركة الحرف المدغم؛ وكل ذلك يجعل الإدغام الصغير - فيما أرى - أصلاً، والكبير فرعاً. وبناءً على هذا، فلست مع ما ذكره أحد الباحثين المحدثين من أن الإدغام الأكبر هو الإدغام حقيقة، وإذا أُطلق الإدغام كان هو المراد دون الأصغر (٢).

وبصفة عامة إن ذا التقسيم ليس بذى أهمية في ظاهرة التماثل، فسواء أكان الإدغام صغيراً، أم كبيراً، فإن ذلك لا يؤثر في دراسة هذه الظاهرة، لا بالسلب، ولا بإيجاب. وأنتقل الآن إلى دراسة ظاهرة الإدغام وتحليلها عند سيوييه.

### الإدغام في الحروف المتقاربة:

التي هي من مخرج واحد، والحروف المتقاربة مخارجها (٣).

القسم الأول: حروف لا تدغم في مقاربها، ولا يدغم مقاربها فيها:

أي أن الإدغام يمتنع وقوعه منها، كما يمتنع وقوعه فيها.

يمثل هذا القسم أصوات أربعة: الهمزة، والألف، والياء، والواو. فأما الهمزة فلما فيها من الثقل حين تدغم غيرها فيها، والإدغام إنما يؤتى به طلباً للخفة، فانقض الحكم لانتقاء العلة، إضافة إلى أن الهمزة لا تدغم في مثلها، فلما لم يجز في المثلين - وهو الأيسر كان في المتقاربين من باب أولى (٤).

والألف كالهزة تماماً، ويمكن إضافة علة ثالثة لامتناع الإدغام فيهما أو منهما، وهي أن الهمزة، والألف من حروف الحلق - عند القدماء - وحروف الحلق ليست بأصل للإدغام (٥).

أما الياء، والواو فلا يدغمان - أيضاً - فيما يقاربهما، وعلة ذلك أنها حرفا مد و لين، فلو أدغما في مقاربهما، لزلت تلك الميزة، وسقطت تلك المزية، والإدغام - كما يقولون - لا

(١) ينظر: التكملة ٢: ٢٧٣، شرح المفصل ١٠: ١٢١.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند أبي جني (د. حسام النعيمي) ص ٣٤١.

(٣) الكتاب ٢: ٤١١ (طبعة بولاق)، وينظر: المصدر نفسه ٤: ٤٤٥ (طبعة هارون).

(٤) ذكر (كانتينيو) أن الهمزة تدغم في بعض الحروف، كالراء، والزاي، والفاء... الخ، معتمداً في ذلك علي قراءة بعض القراء في تشديد الراء في "المَرء" [البقرة: ١٠٢]، والزاي في "جُزء" [الحجر: ٤٤]، والفاء في "بَفء" [النحل: ٥]، ينظر: دروس في علم أصوات العربية، ١٣١، وتبعه (د. عبده الرجحي) الذي عدّ ذلك في باب التماثل التقدمي. ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ١٣٠، ويغلب الظن أن ما ذكرناه لا صلة له بالتماثل، وذلك أنه لا علاقة صوتية تربط الهمزة بتلك الأصوات التي ذكر أنها تدغم فيها، وهذا شرط أساسي لحدوث هذه الظاهرة.

وقد فسر القدماء ذلك بأن الهمزة حُفِّتْ، ثم نوى الوقف عليها، وأجري الوصل مجري الوقف، كما تقول: هذا خالد. فتضعف الحرف الأخير. ينظر: المتحاسب (لابن جني) ١: ١٠. التبيان في إعراب القرآن، ١: ١٠٠، ويرى بعض اللغويين المحدثين أن ما حدث هنا إنما هو إسقاط للهمزة، وتعويض موقعها المنبور بنوع آخر من النبر مماثل "وبذلك ضعفت السواكن السابقة على الهمزة، لا لأن الهمزة قلبت ساكناً من جنسها، وإنما لضغط الناطق على المقطع ضغطاً متواتراً". القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث (د. عبد الصبور شاهين) ص ١٥٣، وهذا التفسير - فيما أراه - هو الأنسب، و الأدعي للقبول، لمسايرته لقواعد الإبدال، والإدغام، والتماثل - أيضاً -.

(٥) الكتاب ٤: ٤٥١ (هارون).

بيخس الحروف حقها ولا ينقصها<sup>(١)</sup>.

والذي يبدو لي أن هذا القانون الصوتي الذي ذكره العلماء في الإدغام يمكن النظر إليه في ضوء المستوى اللغوي العام (لغة العرب). وفي ضوء المستوى اللغوي الخاص (القرآن الكريم).

ففي المستوى الأول يفسر ذلك القانون على أن الإدغام يبقى للحروف المدغمة المدة الزمنية التي يستغرقها نطقها، كما أنه لا يطغى على موقعها من إيقاع الكلام شعراً أو نثراً، فالوزن العروضي لا يختل بالإدغام: حيث إن الحرف المدغم يُعَوَّض عنه بالتشديد، وبذا يظل الموقع في منأى عن التغيير، ولكن الإدغام مع كل ما ذكر يزيل عن الحروف بعض صفاتها دون بعض<sup>(٢)</sup>، كما يلغي بعض خصائصها المخرجية.

أما في المستوى الآخر فهو كالأول، إلا أنه يفترق عنه في أنه لا يقيم وزناً، ولا يعطي اهتماماً للصفات الصوتية المتميزة، كالتكرار والتفشي والاستطالة، والصفير... الخ، فقد وردت قراءات قرآنية تدغم المتكرر فيما ليس كذلك، والصفيري فيما ليس كذلك - أيضاً... الخ<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة القول: أن ذلك القانون لا يمكن تطبيقه على عموم إطلاقه، فهو كأبي قانون صوتي، لا يلزم شموله، أو حتميته، فالإدغام لا شك أنه يبخس الحرف المتأثر كثيراً من حقوقه ومميزاته، حين يلغي بعض خصائصه، أو كلها في سبيل التماثل مع الحرف (الصوت) المؤثر.

وأعود فأقول: إن الياء والواو كما لا يدغمان فيما يقاربهما، فإنّ العكس غير جائز - أيضاً - وذلك قولك: أخرج ياسراً، فلا تدخل ما لا يكون فيه اللين على ما يكون فيه اللين<sup>(٤)</sup>. وهذا يعني أن صفة المد واللين من الصفات الصوتية المميزة التي لها أهمية عند الإدغام، على أنني أرى أن التعليل الذي ذكره سيبويه لا يستقيم في بعض الصور المشابهة، وذلك في نحو إدغام النون في الواو، والياء؛ حيث إن في ذلك إدخال ما ليس فيه لين فيما فيه لين، إلا أن العلماء اغتفروا هذه الصورة الإدغامية؛ بحجة أن في النون غنة، كما أن في الياء والواو مداً وليناً، فأجري النون مجرى المد واللين<sup>(٥)</sup>، وبذا تكافأ في المنزلة، ويمكن إضافة حجة أخرى

(١) ينظر: المقتضب ١: ٢١١، المنصف ٢: ٣٢٨.

(٢) يصدق هذا على إدغام النون في الراء واللام بغير غنة؛ حيث إن الإدغام في هاتين الحالتين يسقط الغنة، التي تعد من الصفات الصوتية المتميزة، وكذا إدغام صوت مطبق في غيره.

(٣) ينظر: الإقناع ١: ١٨٩، ٢١٥.

(٤) الكتاب ٤: ٤٤٧ (هارون)، وينظر: المقتضب ١: ٢١١.

(٥) ينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٣ ب، شرح المفصل ١٠: ١٣٩، ١٤٠.

وهي أن سببويه يتحدث عن الإدغام في المتقاربة مخرجاً، وإدغام النون في الياء والواو من باب إدغام المتباعدين مخرجاً - المتقاربين صفة- والسؤال المطروح بعدما تقدم، هو - هل تدغم الواو في الياء، أو لا؟.

ولبيان ذلك أقول: إن الواو تدغم في الياء - على الرغم من بعد مخرجيهما؛ لأنهما يتحدان في الصفات؛ إذ إن كليهما مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة، من حروف المد واللين، فالإدغام بينهما متكافئ؛ " لأن فضيلة اللين التي في أحدهما لا تذهب بإدغامه في الآخر، إذ المدغم فيه - أيضاً - متصف باللين"<sup>(١)</sup>، فهما بمنزلة ما تقاربت مخارجه<sup>(٢)</sup>، وأضيف إلى هذا مرونة عضلة اللسان والشفيتين، وذلك نحو "طي" أصلها - طوي- أبدلت الواو ياء، ثم أدغمت الياء في الياء، أما إن سبقت الياء الواو فالإدغام لا يتم إلا بعد قلب الواو ياء، ثم ادغمتا.

ويلاحظ في هاتين الصورتين الإدغاميتين أن الواو قلبت ياء فيهما لا فرق أن تكون متقدمة عن الياء، أو متأخرة عنها، وقد كان الأمر كذلك؛ لأن من المتعارف عليه عند العلماء أن المرحلة الأولى لإجراء الإدغام هي قلب الحرف الأول إلى جنس الثاني<sup>(٣)</sup> إلا أن يحدث عارض يمنع ذلك، كأن يكون الحرف الأول أخف من الثاني، أو أن يكون الحرف الأول متميزاً بصفة لا توجد في الثاني<sup>(٤)</sup>.

ففي المثال السابق تقدمت الياء الواو، وكان ينبغي حسب القاعدة العامة في الإدغام إن يقلب الأول إلى لفظ الثاني، لكنه عدل عن هذا الأصل لغير ما هو أصل لعله موجبة، وهي أن الياء أخف من الواو: لتقدمها، وتأخر الواو من حيث وضع اللسان، والمعروف أن حروف مقدم الفم هي أخف الحروف يضاف إلى ذلك أن الواو صوت شفوي، في حين أن الياء فموي والأصل في الإدغام أن يكون لحروف الفم<sup>(٥)</sup>.

وفي ضوء ما تقدم فإنه يمكن القول: أن الإدغام تم هنا بناءً على الأصل أنه يكون في حروف الفم، أو أنه تم عدولاً عن الأصل من حيث إن الأول يقلب إلى الثاني حين إرادة الإدغام.

على أنني أحسب أن التعليل بالعدول عن الأصل هو الأصح؛ وذلك لأن هذا التعليل قائم

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٧٠.

(٢) ينظر: الكتاب ٤: ٣٣٥، ٣٦٥، المقتضب ١: ٢٢١.

(٣) ينظر: الجمل، ص ٣٧٨، شرح المفصل ١٠: ١٣١، الممتع ٢: ٦٨٠، همع الهوامع (للسيوطي) ٦: ٣٠٠.

(٤) للمزيد ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٦٤-٢٦٦.

(٥) ينظر: المقتضب ١: ٢٢١، ٢٢٢، شرح المفصل ١٠: ١٣٩، الممتع ٢: ٦٨٨، ٩٨٦.

على أسباب صوتية دقيقة ذكرها العلماء<sup>(١)</sup>، أما التعليل الآخر فإن ما أراه هو أن الإدغام لا يقتصر على حروف الفم فحسب، بل يشمل حروف الحلق والشفيتين - أيضاً- ولكن لكثرة حروف الفم عدّ الإدغام فيها أصلاً.

ثم إن هذه القاعدة - اعني أن الأصل في الإدغام أن يكون في حروف الفم واللسان، وتعليل ذلك بكثرة حروف هذه المنطقة - كما قال بهذا أكثر العلماء<sup>(٢)</sup> فذلك مما يستحق الوقوف عنده، والمناقشة فيه.

صحيح أن حروف هذه المنطقة كثيرة، ولكن ليس هذا التعليل - وحده - كافياً للإقناع، والقبول لأن وقوع الإدغام فيها في ضوء هذا التعليل أمر بدهي، ولذا فإني أرى أن من تنتمته أن يقال: إن اللسان الذي يمثل دوراً رئيساً في إخراج حروف هذه المنطقة يتميز بمرونته، وقدرته على التحرك، واتخاذ أشكال متعددة، فهو بهذه الصفات مهياً لقبول الإدغام بكل يسر وسهولة، ومن هنا" يصح ما قاله سيبويه عن حروف الفم واللسان أن أصل الإدغام فيها، إلا أن مميزها ليس أنها تميل ميلاً خصوصياً إلى قبول إدغام حروف آخر فيها، بل إنها نفسها تدغم في حروف آخر بغاية السهولة كما يفهم مما قلناه عن شدة تحركها وتقبلها<sup>(٣)</sup> ويمكن تحليل التماثل في نحو سيّد، وطيّ، بأن الواو انتقلت من الشفتين إلى الفم (وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى)، أما الصفات فلم يصبها تغيير يذكر، وعليه فالتماثل مخرجي- هذا من ناحية- ومن ناحية أخرى فإن التأثير في سيد واقع من الحرف الأول على الثاني، فهو تقدمي، أما في طيّ فإنه حاصل من الثاني على الأول، فهو رجعي، وفي كلتا صورتين التماثل تام.

وينبغي التنبيه إلى أنه يشترط لحدوث هذا الإدغام أن يكون أول الحرفين المدغمين ساكناً وما قبله مفتوح<sup>(٤)</sup>.

### القسم الثاني: حروف لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها<sup>(٥)</sup>

وقد حدّد سيبويه حروف هذا القسم بأربعة هي: الميم، والراء، والفاء، والشين، وبيان ذلك على النحو الآتي:

- 
- (١) ينظر - على سبيل المثال - : التبصرة والتذكرة (للصيمري) ٨٢٦.  
(٢) ينظر: الكتاب ٤: ٤٤٨ (هارون)، شرح المفصل ١٠: ١٣٥، الممتع ٢: ٦٨٩، ٧٠٢.  
(٣) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا (شاده)، ص ٢٤، ٢٥، وينظر أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ٢١٠، ٢١١.  
(٤) ينظر: التبصرة والتذكرة (للصيمري) ٢: ٩٦٦.  
(٥) الكتاب ٤: ٤٤٧ (هارون) .

أ- فالميم الساكنة لا تدغم في الباء، نحو - أكرم به، قياساً على أن النون الساكنة إذا وقع بعدها باء قلبت ميماً، والميم والنون حرفان أغنان، والغنة فضل صوت، وإدغامهما في الباء يلغي هذه الميزة، لذا امتنع إدغامها .

أما العكس، وهو إدغام الباء في الميم - فجائز؛ لانتفاء العلة تقول في نحو أصحب مطراً: اصحمتراً، بالإدغام .

ولم يبين سيبويه إن كانت الميم المتحركة تدغم في الباء أم لا؟ كما لم يبين جواز العكس من عدمه.

والذي يبدو من خلال فهمي لكلام سيبويه أنه لا يجيز ذلك في الصورة الأولى، ويجيزها في الصورة الآخري، حيث إنه ذكر أن ما أجز من الإدغام في حالة كون الحرف الأول ساكناً، ينطبق عليه كون الحرف الأول متحركاً<sup>(١)</sup> وأعلم أن جميع ما أدغمته وهو ساكن يجوز لك فيه الإدغام إذا كان متحركاً...<sup>(٢)</sup> وهذا يعطي دليلاً على عدم إمكانية وقوع الإدغام بين الميم المتحركة والباء، كما يفهم - قياساً - جواز العكس، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٤)</sup> ولعلماء القراءات رأي في هاتين الصورتين، سأبينه أثناء دراستي لظاهرة التماثل عندهم - إن شاء الله-<sup>(٥)</sup>.

والذي أود الإشارة إليه أن علماء النحو، والقراءات والقراء مختلفون في تسمية حكم التقاء الميم المتحركة بالباء.

فعلما النحو والقراءات يطلقون عليه إخفاء<sup>(٦)</sup>، بحجة أن حقيقة الإدغام أن تقلب الحرف الأول إلى لفظ الثاني، ثم تدغمه فيه، وينطق بهما حرفاً واحداً مشدداً، وهذا شيء لا يتحقق في التقاء الميم بالباء.

أما القراء فيُعبرون عنه بالإدغام<sup>(٦)</sup> والذي أراه أن تسميته بالإدغام إنما هو باب المجاز والتوسع؛ إذ إن الإخفاء درجة بين الإظهار والإدغام، بل هو أقرب إلى الإدغام منه إلى الإظهار، أو كما يقول ابن عصفور (٦٦٩هـ): "شبيهه بالإدغام"<sup>(٧)</sup>، ثم إن علماء التجويد

(١) الكتاب ٤: ٤٦٦ (هارون).

(٢) [الأنعام: ٥٣].

(٣) [العنكبوت: ٢١].

(٤) ينظر: الإدغام في منطقة الشفتين (لمكي ابن أبي طالب في هذه الرسالة) ص ٢٧٢.

(٥) ينظر: شرح المفصل ١٠: ١٤٧، الممتع ٢: ٧٢٠، شرح شافية بن الحاجب ٣: ٢٧٤، الإقناع ١: ٢٢٨، النشر ١: ٢٩٤.

(٦) ينظر: التيسير، ص ٢٨.

(٧) الممتع ٢: ٧٠٠.

والقراءات أطلقوا على التقاء الميم الساكنة بالباء إخفاء<sup>(١)</sup> فمن باب القياس إطلاق ذلك على التقاء الميم المتحركة بالباء، أضف إلى ذلك أن في الإخفاء محافظة على غنة الميم، في حين أن الإدغام يسقطها، وفوق هذا وذاك إن الاستماع إلى قراءة القراء في تلك الآية وأشباهاها يبين لنا أنه إخفاء، وليس بإدغام.

وتحليل التماثل هنا، فإن الباء إذا أدّغت في الميم فقد انتقل مجرى الهواء من الفم إلى الأنف، بالإضافة إلى انتقالها من الشدة إلى التوسط وعلى هذا فالتماثل في هذه الصورة تام، رجعي.

أما إذا أخفيت فإن الشفتين تسترخي عند النطق بالميم، وتبقى متوترة مع الباء، والتماثل في هذه الصورة رجعي، جزئي (ناقص) لأن غنة الميم لم تنزل على حالها دون تغيير يذكر.

ب- أما الراء فلا تدغم في مقاربتها - اللام والنون =؛ وذلك لما فيها من التكرار.

قال بهذا أكثر النحاة<sup>(٢)</sup> إلا أن ما منعه النحاة هنا، أجازه بعضهم الآخر كأبي عمرو بن العلاء، وأبي جعفر الرواسي (١٨٧هـ) والكسائي، واليزيدي (٢٠٢هـ) ويعقوب الحضرمي (٢٠٥هـ) والفاء (٢٠٧هـ) وابن مالك (٦٧٢هـ) وأبي حيان النحوي (٧٤٥هـ)<sup>(٣)</sup>.

ويؤيد ذلك ما روي عن أبي عمرو من إدغام الراء في اللام إدغاما صغيراً وكبيراً في نحو قوله تعالى: «وَيَغْفِرْ لَكُمْ»<sup>(٤)</sup> وقوله: «هُنَّ أَطَهَّرْ لَكُمْ»<sup>(٥)</sup>، كما أن الدراسات الصوتية الحديثة أيدت الإدغام وأجازته؛ اعتماداً على قرب المخرج، واتحاد الصفة بين الراء واللام<sup>(٦)</sup> إلا أن بعض العلماء - كابن النحاس (٣٣٨هـ) وابن الأنباري (٥٧٧هـ) عد قراءة إدغام الراء في اللام غلطاً من الراوي، وتوهماً<sup>(٧)</sup> كما عدها الزمخشري لحناً، وخطأ<sup>(٨)</sup> وذلك كله أمر ليس من اليسير الاعتقاد - مجرد الاعتقاد - بصحته؛ حيث لا أدلة مقنعة، أو براهين قوية تؤيد ما ذهبوا إليه والأولى في مجال الحكم على القراءة أن يتحفظ في إطلاق الأحكام، وأن يدقق في اختيار الكلمات "وكان يكفي اللغوي القول بمخالفتها للأصول العامة، أو بموافقتها

(١) ينظر: الإقناع ١: ١٧٩، النشر ١: ٢٢٢، ويسميه بعضهم إخفاء شفوياً. ينظر: نهاية القول المفيد، ص ١٢٧.

(٢) ينظر: المقتضب ١: ٢١٢، التكملة ٢: ٢٧٧، المحاجة بالمسائل النحوية (للمزمخري) ص ١٦٣، الممتع ٢: ٧٠١.

(٣) ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٦٧، الهمع ٦: ٢٩٩.

(٤) [آل عمران: ٣١]، وقراءة الإدغام هذه برواية السوسي، ينظر: النشر ٢: ١٢، وقرأ بها يعقوب - أيضاً - ينظر: البحر ٢: ٤٣١، شرح المفصل ١٠: ١٤٣.

(٥) [هود: ٧٨]، ينظر: النشر ١: ٢٩٢.

(٦) ينظر: الأصوات (د. أنيس) ص ١٩٩-٢٠٠.

(٧) ينظر إعراب القرآن ١: ٣٢٢، أسرار العربية، ص ٤٢٥، ٤٢٦.

(٨) الكشف ١: ٤٠٧. وينظر في هذا رد أبي حيان النحوي على الزمخشري في البحر المحيط ٢: ٣٦١ فما بعدها.



لإحدى اللهجات، أو نحو ذلك<sup>(١)</sup> فحيثما ورد في القراءات القرآنية المتواترة ما يناقض قاعدة نحوية أو صرفية سنّها أولئك العلماء، فعلياً أن نتقبلها بقبول حسن، دونما التفات أو نظر إلى تلك القواعد، حيث إن لكل مستوى لغويّ حكماً خاصاً به وهذا مما يجنبنا الخلط في القضايا، والخطأ في الأحكام.

أما إدغام العكس - أي اللام والنون في الراء - فجائز؛ لزوال المانع "لأنك لا تخل بهما كما كنت مخلاً بها لو أدغمتها فيهما، ولتقاربهن وذلك: هَرَّأيت، ومرَّأيت"<sup>(٢)</sup>.  
وسوف أناقش هذا - بالتفصيل - في موضعه - بإذن الله-<sup>(٣)</sup>.

وإذا أدغمت الراء في اللام، فإن المخرج يظل كما هو، كما أن الصفات لا يلحقها أي تغيير، عدا انتقال الراء من التكرار إلى الانحراف.

ج- أما الشين فكذلك لا تدغم في مقاربها، وهو الجيم نحو "أفرش جبّله"؛ وذلك لتقاربها، والتقسي صفة مميزة للصوت، يلزم - كما يقول النحويون - مراعاته والاعتداد به -<sup>(٤)</sup>. إلا أن سيبويه يضيف علة أخرى لامتناع الإدغام، وهي رخاوة الشين، وكأنني به يعتبر الرخاوة - الصفة التي تقابلها الشدة - صفة مميزة أخرى للشين، كما صرح بهذا الاسترادي<sup>(٥)</sup> فإن كان الأمر كذلك فلا اعتقد أن رخاوة الشين فضل صوت، ومن ثم فليست هذه علة مقبولة لامتناع الإدغام .

ويجوز إدغام الجيم في الشين نحو - أخرج شبتاً<sup>(٦)</sup>، تقول آخر شبتاً، بالإدغام وقد ورد في القراءات القرآنية ما يؤيد هذا، حيث قرأ أبو عمرو الآية من قوله تعالى ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾<sup>(٧)</sup> بالإدغام الكبير<sup>(٨)</sup>.

ويحدث الإدغام هنا بتحول الجيم من الجهر إلى الهمس، ومن الشدة إلى الرخاوة، فالتماثل وصفي، إضافة إلى أنه تام، رجعي.

د- والفاء لا تدغم في مقاربها الباء، فلا يقال في أعرف بدرأ: أعربدرا، بالإدغام؛ وذلك لما

(١) القراءات القرآنية: رؤية لغوية معاصرة، (د. أحمد مختار عمر)، بحث نشر في سلسلة دراسات عربية وإسلامية بالقاهرة، الجزء الرابع، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ص ١٢.

(٢) الكتاب ٤: ٤٤٨ (هارون)، أصلهما، هل رأيت، ومن رأيت.

(٣) ينظر: الإدغام في حروف الفم مما يلي الحلق (إدغام النون) بهذه الرسالة ص ١٦٣ فما بعدها.

(٤) ينظر: الكتاب ٤: ٤٤٨ (هارون)، المقنضب ١: ٢١١، الممتع ٢: ٦٨٨.

(٥) شرح شافية، ابن الحاجب ٢٧٠: ٣.

(٦) الشبث بالتحريك: دويبة كثيرة الأرجل، عظيمة الراس من أحناش الأرض، وقيل: هي العنكبوت الكثيرة الأرجل الكبيرة، وعمّ بعضهم به العنكبوت كلها، اللسان ٢: ١٥٨ (شبث).

(٧) [الفتح: ٢٩]، وَشَطْءُ فَرَاخِهِ وَأَوْلَادِهِ وَقِيلَ: هُوَ السَّنْبِلُ، ينظر: تفسير القرطبي ١٦: ٢٩٤.

(٨) الإدغام رواية ابن حبش عن أبي عمرو، وهو روايته - أيضاً - عن أبي شعيب، الإقناع ١: ٢٠٩.

فيها من تفشٍ وتأفيف<sup>(١)</sup>.

وقد فسّر بعض العلماء هذه العلة بـ "أن حروف الفم أقوى من حروف الشفتين وحروف الحلق؛ لأن معظم الحروف في الفم واللسان، وهو وسط مواقع النطق، والحلق والشفتان طرفا فصارت الفاء لذلك أقوى من الباء؛ لأنها من باطن الشفتين، وهي من الفم والباء من الطرف"<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يشير إلى أنّ إدغام الفاء في الباء - إذا ادّغما - يُعدُّ من قبيل إدغام ما هو أقرب إلى الفم في حرف شفوي، وذلك خروج عن الأصل من حيث إن الإدغام في حروف الفم واللسان - كما تقدم -.

وأحسب أن الإدغام ممكن في هذا؛ وذلك لأن الفاء صوت مهموس، رخو، في حين أن الباء صوت مجهور، شديد فعندما تدغم الفاء في الباء تكون قد نقلت صوتاً ضعيفاً إلى صوت قوي، وهذا مما تجيزه قوانين الإدغام.

وفوق هذا فقد روي عن الكسائي أنه كان يدغم الفاء في الباء من قوله تعالى: ﴿نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾<sup>(٣)</sup>، وهي قراءة سبعية متواترة، تستوجب منا التقديس، والتسليم المطلق بصحتها، وألاً نتعرض لها بالوصف السلبي كالشذوذ، والضعف في القياس - كما فعل بعض العلماء<sup>(٤)</sup> - رحمهم الله أجمعين.

وإذا ادّغمت الفاء في الباء، فأنها تتحول من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا إلى الشفتين، كما تتحول من الهمس والرخاوة إلى الجهر والشدة، فالتماثل مخرجي، وصفي، كما أنه تام، رجعي، أما إدغام الباء في الفاء فجائز عند سيبويه، والنحاة بصفة عامة؛ وذلك لما فيهما من التقارب المخرجي، وكثرة وقوع الإدغام في حروف الفم، فيقال في نحو أذهب في ذلك: اذهبي ذلك<sup>(٥)</sup> وبالإدغام قرأ أبو عمرو، والكسائي، وبلاد الآية من قوله تعالى: ﴿أَوْ يَغْلِبُ فَسَوْفَ﴾<sup>(٦)</sup> ويتم الإدغام في هذا على عكس ما سبق تماماً، على أن نوع التماثل كما هو في الصورة السابقة.

هذا ما ذكره سيبويه عن الحروف التي لا تدغم في المقاربة، وتدغم المقاربة فيها، وقد

(١) ينظر: الكتاب ٤: ٤٤٨ (هارون)، الممتع ٢: ٧٠٩، شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٧٠.

(٢) شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٤ ب.

(٣) [سبأ: ٩]، ينظر السبعة، ص ٥٢٧، التيسير، ص ٤٤.

(٤) ينظر: شرح المفصل ١٠: ١٤٦، الممتع ٢: ٧٢٠، ينظر: رد أبي حيان على الزمخشري وغيره، البحر ٧: ٢٦٠.

(٥) الكتاب ٤: ٤٤٨ (هارون). وينظر: المقتضب ١: ٢٠٨، شرح المفصل ١٠: ١٤٦، ١٤٧.

(٦) [النساء: ٧٤]، ينظر: التيسير، ص ٤٣، ٤٤.

جعلها - كما تقدم - أربعة حروف، إلا أن بعض العلماء، أضاف إليها حرفاً خامساً، هو الضاد<sup>(١)</sup>.

وقد أطلق بعض العلماء - في هذا المقام - قانوناً صوتياً، يُعدّ متمماً لقانون عدم بخس الإدغام لحقوق الحروف - المتقدم -، وهو أن " كل حرف فيه زيادة صوت لا يدغم فيما هو أنقص صوتاً منه"<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أن كل حرف به صفة مميزة، لا توجد في سواه، فإنه لا يدغم فيما ليس فيه كذلك؛ "لما يلحق المدغم من الاختلال؛ لذهاب ما يذهب منه في الصوت"<sup>(٣)</sup> وسبق أن ناقشت هذا، مما يغني عن الإعادة<sup>(٤)</sup> إلا أنني أود التأكيد على أن هذا القانون لا يثبت أمام بعض الحالات الإدغامية، التي تجيزها اللغة، وتقويها القراءات المتواترة - كما تبين من إدغام الفاء في الباء - مثلاً- وبذا تظل حالات الاستثناء من القوانين الصوتية أمراً لا مفرّ منه.

---

(١) ينظر: التكملة ٢: ٢٧٦، سر صناعة الإعراب ١: ٢١٤.

(٢) التكملة ٢: ٢٧٦.

(٣) المصدر نفسه ٢: ٢٧٦، وينظر: التبصرة والتذكرة (للسيمري) ٢: ٩٣٣، ٩٤٣.

(٤) ينظر: الإدغام في الحروف المتقاربة. لسببويه بهذه الرسالة ص ١٣٩.

## القسم الثالث: حروف متقاربة يدغم بعضها في بعض<sup>(١)</sup>:

ويشمل هذا القسم حروفاً كثيراً، تتوزع على مناطق الحلق والقم مما يلي الحلق والقم.

أولاً: الإدغام في حروف الحلق:

١- الهاء مع الحاء: تدغم الهاء في الحاء؛ لقرب مخرجيهما، لأنها من أقصى الحلق، والحاء من أوسطه - على رأي القدماء-، علاوة على اتفاقهما في الصفات، إذ إنهما مهموسان، رخوان، فيقال في نحو - إجبهَ حملاً: اجبملاً<sup>(٢)</sup>، بالإدغام ويرى سيبويه أن الإدغام هنا عربي حسن، إلا أن البيان (الإظهار) أحسن؛ لاختلاف المخرجين، ولأن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها<sup>(٣)</sup>، أما إدغام الحاء في الهاء فغير جائز مطلقاً - عند سيبويه -؛ "لأن ما كان أقرب إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام"<sup>(٤)</sup>.

وفي الحقيقة إنّ تعليل سيبويه هذا فيه نوع من الغموض، وعدم الوضوح، ولولا أنه ذكر في الصفحة نفسها أن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله... لولا ذلك لاعتبرت تعليله مناقضاً لحكمه - وحاشا إمام النحاة ذلك -.

وبيان هذا أن الحاء أقرب إلى الفم من الهاء، ومعنى هذا - بناءً على تعليل سيبويه - أن الإدغام هنا يقوى، ومن ثم فهو جائز، وذلك على خلاف الحكم والتعليل، بل وعلى خلاف ما يقصده سيبويه.

وقلت في نفسي - بعد طول تأمل -: لعله يريد أن ما كان أقرب إلى أحرف الفم كان أقوى على إدغام غيره فيه، وبذا يستقيم الحكم والتعليل.

والواقع أن في هذه الصورة الإدغامية تفصيلاً ذكره العلماء من بعد سيبويه، وهو أنه إذا تقدمت الهاء الحاء - فالإدغام جائز - كما بيّن -، أما إن تقدمت الحاء نحو - أمدح هلالاً - فالإدغام غير جائز إلا أن تقلب الهاء حاء، ثم تدغم الحاء في الحاء، فنقول: امدحلالاً ولا يزال مثل هذا الاستعمال شائعاً في اللهجات المعاصرة، فيقال في نحو - أنصّحهم: انصّم.

ويلاحظ هنا أن الحرف الثاني قلب إلى جنس الأول، على خلاف الأصل في الإدغام، وإنما جاز ذلك لأن الحاء أخف من الهاء، ومتى كان الحرف الأول أخف من الثاني، فإنه

(١) الكتاب ٤: ٤٤٩ (هارون).

(٢) الجبهة للإنسان وغيره، ورجل أجه بين الجبهة، أي عظيم الجبهة... وجبته: صككت جبته، الصحاح ٦: ٢٢٩، ٢٢٣٠ (جبه) والحمل - بالتحريك - الخروف، أو هو الجذع من أولاد الضأن فما دونه، وقيل: برج في السماء، وقيل: اسم رجل، القاموس المحيط (للفيروزبادي) ٣: ٣٦٢ (حمل) ولعل المراد - أضرب جبته.

(٣) الكتاب ٤: ٤٤٩ (هارون)، وينظر: شرح المفصل ١٠: ١٣٦، الممتع ٢: ٦٧٩ - ٦٨١.

(٤) الكتاب ٤: ٤٤٩ (هارون).

يُغتفر الخروج على ذلك الأصل.

أما أن تبدل الحاء هاء، ثم تدغمهما، فذلك ممتنع؛ لأن الهاء أدخل في الحلق من الحاء، ولا يقلب الأخرج إلى الفم إلى جنس الأَدْخَل في الحلق<sup>(١)</sup>، ثم إن في إبدال الحاء هاء، ثقلاً على اللسان، وذلك يتنافى مع الغرض من الإدغام، وهو طلب الخفة، يقول الاسترياذي: " فلو قلبت الأولى التي هي أخف إلى الثانية التي هي أثقل لمشت خفة الإدغام بتقل الحرف المقلوب إليه فكأنه لم يدغم شيء في شيء"<sup>(٢)</sup>.

وقد استشهد سيبويه على إدغام الهاء في الحاء بقول الشاعر:

كأنها بعد كلال الزاجر      ومَسْجِي مَرُّ عُقَاب كاسرٍ

أصله - ومِسْجِه، فأدغم الهاء في الحاء<sup>(٣)</sup>.

وللعلماء في هذا آراء متعددة فذهب بعضهم - كالحسن الأَخْفَش (٢١٥هـ) إلى أن الإدغام ممتنع؛ لأن فيه جمعا بين ساكنين<sup>(٤)</sup>.

وذهب بعضهم - كابن جني (٣٩٢هـ) والمجريطي، والأعلم الشنتمري (٤٧٦هـ) إلى أن ما حدث هنا إنما هو إخفاء، ولا يصح الإدغام مطلقاً؛ لما فيه من خطأ الإعراب، وكسر الوزن<sup>(٥)</sup>.

والذي أراه أن الإدغام ممتنع في هذا؛ لأن هناك تعارضاً بين الوزن الشعري والإدغام. وقد ذكر السيرافي أن الاستشهاد بهذا الشعر سهو، وغلط؛ معللاً ذلك بأن في الإدغام اجتماع الساكنين على غير حدّهما، كما أن الإدغام بكسر البيت، إضافة إلى أن فيه إدغام الثاني في الأول<sup>(٦)</sup>.

فأما التعليل الأول فهو مردود؛ لوروده في القراءات القرآنية، وفي لغة العرب أيضاً<sup>(٧)</sup>، وأما التعليل الأخير فقد سبق أن وضّحت رأي العلماء فيه، مما يغني عن تكراره<sup>(٨)</sup>.

والتعليل الأنسب هو ما ذكر من أن في الإدغام انكساراً لوزن البيت، وبتحليل حدوث

(١) الممتع ٢: ٦٨٠.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٦٥.

(٣) الكتاب ٤: ٤٥٠ (هارون)، ولم ينسب لأحد - فيما أعلم - والمعنى - أنه يصف ناقه بالنشاط والقوة بعد أن أجهدت بطول السير، واستحثت على مواصلته، فهي مثل العقاب الكاسر التي كسرت جناحها عند انقضاضها. ينظر: تحصيل عين الذهب (للأعلم الشنتمري)، بهامش كتاب سيبويه (بولاق) ٢: ٤١٣.

(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب ١: ٥٨، ٥٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ١: ٥٨، ٥٩ شرح عيون كتاب سيبويه، ص ٣١٨، ٣١٩ تحصيل عين الذهب ٢: ٤١٣.

(٦) شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٦ أ.

(٧) ينظر: النشر ٢: ٢٣٦.

(٨) ينظر: إدغام الهاء مع الحاء في هذه الرسالة. (عند سيبويه) ص ١٤٧ فما بعدها.

التمائل في هاتين الصورتين نجد أن الهاء حينما تدغم في الحاء- فإنها تنتقل مخرجيا من أقصى الحلق إلى وسطه، فالتمائل مخرجي، أما الصفات فلا يحدث فيها تحول؛ لاتفاقها وعدم تنافرها، ثم إن التماثل رجعي؛ لأن الصوت الثاني(الحاء) أثر في الأول (الهاء)، كما أنه تام؛ لجريانه على جميع خواص الصوت المتأثر.

أما إذا أدّغت الحاء في الهاء، فإن التماثل مخرجي - أيضا - كما أنه تام، إلا أنه تقدمي؛ لأن الصوت الأول هو الذي أثر في الثاني.

٢- العين مع الهاء: إذا اجتمعت العين والهاء- سواء أتقدمت العين نحو اقطع هلالا أو تأخرت نحو إجهه عنبّة- فإن الإدغام جائز؛ لقرب المخرجين والبيان أحسن<sup>(١)</sup>، إلا أن الإدغام يتم بطريقة مغايرة لما تقدم، بل ولجميع صور الإدغام، فالقلب لا يكون بتحويل أحد الطرفين إلى جنس الآخر، وإنما إلى حرفٍ ثانٍ مقارب لهما، فالعين والهاء تقلبان عند إدغامهما حاء، والسبب في هذا أن العين أقرب إلى الفم من الهاء" وما كان أقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله"<sup>(٢)</sup>.

كما أن الهاء لا تدغم في العين؛ لاختلاف المخرجين، وتباين الصفات، ثم إنك لو أدغمتها، لأدى ذلك إلى ثقل؛ لاجتماع عينين، وعلاوة على ما تقدم فإن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام<sup>(٣)</sup> ولذا امتنع إدغام العين في الهاء، كما امتنع العكس"إلا بمعدل يتوسط بينهما وهو الحاء لأنها موافقة الهاء بالهمس والرخاوة والعين بالمخرج"<sup>(٤)</sup>، فيقال فيما تقدم: اقطحلالا، أجبّنبه.

وتعد هذه الصورة فريدة، نادرة في عملية إجراء الإدغام، ولذا كان الإدغام فيها ضعيفا. وقد جاء في بعض القراءات القرآنية صدى لذلك، حيث قرأ يحيى بن وثاب الأسديّ الآية من قوله تعالى: ﴿الْمُ أَعْهَدُ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾<sup>(٥)</sup> قرأها - أحد -، بإدغام العين في الهاء وقلبهما حاء مشددة<sup>(٦)</sup>.

وتنسب هذه اللغة إلى بني تميم، حيث يروى عنهم أنهم يقولون في معهم ومع هؤلاء:

(١) الكتاب ٤: ٤٤٩، ٤٥٠ (هارون)، وينظر: الأصول (لابن السراج) ٣: ٤١٤ شرح المفصل ١٠: ١٣٦، والعنبة: الحبة من العنب والعنبة: بثره تخرج بالإنسان، الصحاح ١: ١٨٩ (عنب).

(٢) الكتاب ٤: ٤٤٩ (هارون).

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٤: ٤٤٩، ٤٥٠ (هارون) المقتضب ١: ٢٠٧، ٢٠٨ الممتع ٢: ٦٨١، ٦٨٢.

(٤) شرح المفصل ١٠: ١٣٧.

(٥) [يس: ٦٠].

(٦) مختصر في شواذ القرآن (لابن خالويه) ص ١٢٥، وينظر: البحر ٧: ٣٤٣.

مَحْمٌ، وَمَحَاوِلَاءٌ<sup>(١)</sup> وذكر صاحب البحر المحيط أنه يقال في دَعَهَا مَعَهَا: دَحًا مَحًا<sup>(٢)</sup>. والقياس فيما تقدم من أمثلة، أن يقلب الحرف الأول إلى جنس الثاني، ثم يدغم أحدهما في الآخر، فيقال: مَهْمٌ، مَهْوَلَاءٌ، لكن كما سبق أن ذكرت - أن قلب العين هاء، فيه قلب الأقرب للفم إلى ما هو أبعد منه، وهذا لا يجوز، وإن كان الزبيدي (٣٧٩هـ) قد أجاز<sup>(٣)</sup>، إلا أن هناك قياس العارض، وهو أن يقلب الثاني إلى جنس الأول - على خلاف القاعدة؛ وذلك لأن العين أخف من الهاء، فتقلب الهاء عينا، ثم تدغم العين في العين، فيقال: مَعْمٌ، مَعْوَلَاءٌ، وفي هذا من الثقل ما ترى، فلم يكن بُدَّ - في الحالة هذه - من المجيء "بحرف مناسب للعين والهاء، وذلك متوفر في الحاء، فتقلب العين حاء، كما تقلب الهاء حاء ثم تدغم الحاء في الحاء، فتصبح على لغة بني تميم: مَحْمٌ، مَحَاوِلَاءٌ<sup>(٤)</sup>.

ويمكن أن يُفسَّرَ الإدغام بطريقة أخرى، فيقال: إن العين صوت مجهور، متوسط بين الشدة والرخاوة، والهاء صوت مهموس، رخو، وفي هذا من التباين في الصفات ما فيه، فلكي يتم التماثل بينهما تقلب العين حاء؛ لتجانس الهاء في الهمس والرخاوة، فيقال مَحْمٌ، على سبيل التماثل الرجعي، الجزئي، وهذه هي المرحلة الأولى لحدوث هذه الظاهرة، ويمكن تسميتها بمرحلة التقريب لغير إدغام، وقد قرئت الآية السابقة بهذه الصورة (أَحْهُدُ) بإبدال العين حاء<sup>(٥)</sup> ثم تأتي المرحلة الأخيرة وهي الإدغام إذ إن الحرفين المتجاورين متقاربين في المخرج " وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما، ولاسيما حروف الحلق"<sup>(٦)</sup> فيتخلص من هذا القبح بالإدغام ويتم هنا بقلب الهاء حاء، ثم تدغم العين في الحاء، فيقال مَحْمٌ على سبيل التماثل التقدمي، الكلي .

وكما يلاحظ أن في هذه الإجراءات الصرفية الصوتية شيئاً من الصعوبة، وقد أحسَّ سيبويه بذلك، مما دعاه إلى تفضيل البيان (الإظهار) على الإدغام، حيث يقول: "والبيان أحسن"<sup>(٧)</sup> وتحليل حدوث التماثل في هذه الصورة الإدغامية - بصفة عامة - استطيع القول: أن التماثل هنا يعد تماثلاً تبادلياً أو متبادلاً؛ حيث تبادل التأثير كل من العين والهاء.

أما من حيث الانتقال المخرجي، أو الوصفي - فإنه يحتاج إلى تفصيل:

- 
- (١) ينظر: الكتاب ٤: ٤٥٠ (هارون) المقتضب ١: ٢٠٨، سر صناعة الإعراب ٢: ٨١٦، إلا أن (ابن منظور) عزاها إلي سعد - هكذا -، اللسان ٢: ٤٠ (ستت) ولعله يريد بني سعد - أحد فروع تميم - للمزيد ينظر: لغة تميم (د. ضاحي عبد الباقي) ص ١٥٩-١٦١.
- (٢) ينظر: البحر المحيط ٧: ٣٤٣.
- (٣) ينظر: الواضح في علم العربية، للزبيدي ص ٢٨٤.
- (٤) ينظر: شرح شافيه ابن الحاجب ٣: ٢٦٥، ٢٦٦.
- (٥) البحر المحيط ٧: ٣٤٣.
- (٦) سر صناعة الإعراب ١: ٦٥. وينظر شرح المفصل ١٠: ١٣٣.
- (٧) الكتاب ٤: ٤٥٠ (هارون)، وينظر: شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٦٦.

ففي المرحلة التأثرية الأولى "مَحَّهُم" تكون العين قد انتقلت وصفيًا من الجهر إلى الهمس، ومن التوسط إلى الرخاوة، فالتمائل وصفي، أما المخرج فهو على حاله، لم يصبه تغيير يذكر. وفي المرحلة التأثرية الأخرى "مَحْم" تكون الهاء قد انتقلت مخرجياً من أقصى الحلق إلى أوسطه، فالتمائل مخرجي، أما الصفة فلم يلحقها أدنى تغيير.

٣- العين مع الحاء: أجاز سيبويه إدغام العين في الحاء؛ لأنهما من مخرج واحد (أوسط الحلق) والإدغام والبيان حسنان<sup>(١)</sup>، فيقال في نحو - إقطعَ حَمَلاً: اقطعَ حَمَلاً وقد علل بعض النحويين لجواز الإدغام بأن العين أدخل في الحلق، والحاء<sup>(٢)</sup> أقرب إلى الفم، فلذلك أدغما " لأن البعد لا يدغم في القرب فأعرفه"<sup>(٣)</sup> ولي ملاحظات على هذين التعليلين، أو بالمعنى الأصح على التعليل الأول، والقاعدة التي بُنيت عليه.

فأما التعليل فهو - وإن كان صحيحاً -، فإن الأصح منه هو اتحاد المخرجين - كما قال بهذا كثير من العلماء -<sup>(٣)</sup>.

وأما القاعدة التي ذكرها ابن يعيـش (٦٤٣هـ) فإنها تستحق الوقوف عندها، والنقاش فيها؛ وذلك لأهميتها، فأقول:

إن ابن يعيـش - إذ صح ما ورد عنه دون سهو من الناسخ أو الطابع - قد وقع في خلط واضطراب في هذه المسألة.

وبيان ذلك أنه كرر هذه القاعدة بعبارات متعددة مختلفة في أكثر من موقع، وكان في بعضها مصيباً، ولم يصب في بعضها الآخر.

أ- فمن ذلك أن "ما كان منها (أي من حروف الحلق) أدخل في الحلق لم يدغم فيه الإدخـل في الفم"<sup>(٤)</sup> وفسر ذلك ب "أن الحرف إذا كان أدخل في الحلق، وأدغم فيما بعده، كان في ذلك تصعد في الحلق إلى الفم، وإذا عكس ذلك كان ذلك بمنزلة الهوي بعد الصعود، والرجوع عكسا"<sup>(٥)</sup>.

واستطيع - من خلال ذلك - أن أسجل النتيجة التاليتين:

- 
- (١) الكتاب ٤: ٤٥١ (هارون). وينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٦ أ، م.  
♦ ذكر (ابن يعيـش) أن العين أقرب إلي الفم من الحاء. شرح المفصل ١٣٧: ١٠، وهذا غير صحيح، فالحاء أقرب إلي الفم من العين، وبذا تصح العبارة، وتستقيم. وأغلب الظن أن ما ورد في النص سهو من الناسخ، أو الطابع.  
(٢) شرح المفصل ١٠: ١٣٧.  
(٣) ينظر: الكتاب ٤: ٤٥١ (هارون)، الأصول (لابن السراج) ٣: ٤١٤، الممتع ٢: ٦٨٢ شرح شافية ابن الحاجب ٣: ١٧٦.  
(٤) شرح المفصل ١٠: ١٣٤.  
(٥) المصدر نفسه ١٠: ١٣٤.



١- أن الأدخل في الحلق يدغم في الأدخل في الفم .

٢- أن الأدخل في الفم لا يدغم في الأدخل في الحلق.

وهذا صحيحا كله، لا غبار عليه.

ب- أن "الأدخل في الحلق لا يدغم فيه ما كان أقرب إلى الفم فأعرفه"<sup>(١)</sup> وهذه العبارة

قريبة من سابقتها، ويمكن أن يصاغ من خلالها العبارتين الآتيتين:

١- ما كان أقرب إلى الفم لا يدغم في الأدخل في الحلق.

٢- ما كان ادخل في الحلق فإنه يدغم في الأقرب إلى الفم.

ج- "أنّ الأبعد لا يدغم في الأقرب، فأعرفه"<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن يستخرج من هذه العبارة شيء، هو:

إن الأقرب إلى الفم يدغم في الأبعد، وهذا غير صحيح، إن من حيث القاعدة، وإن من

حيث الاستنتاج؛ إذ إن البعد يدغم في الأقرب، كما أن القرب إلى الفم لا يدغم في الأبعد،

قال بهذا سيبويه وغيره من العلماء. (٣).

د- "الباب في الإدغام أن يدغم الأقرب في الأبعد"<sup>(٤)</sup>.

ويستنتج من هذا أن الأبعد لا يدغم في الأقرب، وهذا غير صحيح - أيضا - فالقاعدة في

الإدغام أن يدغم الأبعد في الأقرب، نصّ على ذلك الزبيدي<sup>(٥)</sup>.

ومجمل القول في هذه القضية: أن البعد يدغم في القرب، كما يدغم الأدخل في الأخرى،

والأنزل في الأعلى.

وبالعودة إلى ما سبق، فإن إدغام العكس - أعني إدغام الحاء في العين - غير جائز

عند سيبويه وأكثر النحويين إلا أن تقلب العين حاء ثم تدغم إحداهما في الأخرى، فيقال في

نحو - أمدح عرفة: أمدحرفة<sup>(٦)</sup>.

ويلاحظ هنا أن الحرف الثاني قلب إلى جنس الأول - على خلاف القاعدة -؛ وإنما جاز

ذلك لأن الحرف الأول (الحاء) أخف من الثاني (العين). وهذا قياس العارض الذي يغتفر فيه

الخروج على الأصل. وقد امتنع إدغام الحاء في العين مباشرة؛ لأن فيه قلب الأقرب من الفم

(١) المصدر نفسه ١٠: ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه ١٠: ١٣٦.

(٣) ينظر: الكتاب ٤: ٤٤٩ (هارون)، الأصول (لابن السراج) ٣: ٤١٣، الإقناع ١: ١٩١.

(٤) شرح المفصل ١٠: ١٣٧.

(٥) الواضح في علم العربية، ص ٢٨٤.

(٦) ينظر: الكتاب ٤: ٤٥١ (هارون)، المقتضب ١: ٢٠٨، التكملة ٢: ٢٧٧ الممتع ٢: ٦٨٢، ٦٨٣.

إلى البعد، "ولا يقلب الأخرج إلى الأدخل"<sup>(١)</sup>، كما أن "التقاء الحاءين أخف في الكلام من التقاء العينين"<sup>(٢)</sup>.

على أن ما منعه النحاة أجازته بعض القراءات القرآنية، فقد روى عن أبي عمرو إدغام الحاء في العين من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُجِرَ عَنِ النَّارِ﴾<sup>(٣)</sup> وبتحليل حدوث التماثل في هذه الصورة نجد أن العين حينما تدغم في الحاء، فإنها تنتقل وصفيًا من الجهر إلى الهمس، ومن التوسط إلى الرخاوة، فالتماثل وصفي، أما المخرج فلا يلحقه أي تغيير، كما أن التماثل رجعي تام.

أما حينما تدغم الحاء في العين، فإن التماثل وصفي - أيضا - إلا أنه تقدمي؛ لأن الحاء - الصوت الأول - هو الذي أثر في العين - الصوت الثاني -.

٤- الغين مع الخاء: أجاز سيبويه إدغامهما؛ لأنهما من مخرج واحد (أدنى الحلق) وهو أدنى المخارج من مخارج الحلق إلى اللسان"<sup>(٤)</sup>، فيقال في نحو - إدغم خلفا: ادمخلفا<sup>(٥)</sup>، وقد عد سيبويه الإدغام حسن، والبيان أحسن؛ لأن في الإدغام التقاء مجهورين، والتقاء المهموسين أخف من التقاء المجهورين"<sup>(٦)</sup>.

ويجوز إدغام العكس، أعني إدغام الخاء في الغين، فيقال في نحو - أسلخ غنمك: اسلغنمك.

وعلى الرغم من أن الإدغام في هذه الصورة من قبيل إدغام القرب إلى الفم في البعد منه، فقد اغتفر هنا؛ لأن الغين والحاء لقرب مخرجهما من الفم أجريا مجرى حروف الفم، وحروف الفم يجوز فيها قلب الأخرج إلى الأدخل"<sup>(٧)</sup> والعجيب - في هذا المقام - ما ذكره سيبويه من أن الغين خالفت الخاء في الهمس والرخاوة<sup>(٨)</sup>، وما ذكره ابن يعيش من أنه ليس بين الغين والحاء إلا الشدة والرخاوة<sup>(٩)</sup>.

(١) الممتع ٢: ٦٨٣، ٦٨٣.

(٢) الكتاب ٤: ٤٥٠ (هارون)، للمزيد ينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٦ أ، ب، ١١٧ أ.

(٣) [آل عمران: ١٨٥]، روي ذلك منصوصاً أبو عبد الرحمن بن اليزيدي عن أبيه عنه. التيسير ص ٢٣. وينظر: النشر ١: ٢٩٠، ٢٩١، وقد رد الإمام ابن عقيل على من حمل الإدغام هنا على الإخفاء، وذكر - نقلاً عن أبي عمرو - أن الإدغام مروى عن بعض العرب، كما ذكر أن ما منعه سيبويه يرده السماع الصحيح، ينظر: المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٧٠.

(٤) الكتاب ٤: ٤٥١ (هارون)، وينظر، شرح المفصل ١٠: ١٣٧.

(٥) الدماغ: واحد الأدمغة، وقد دَمَغَ دماغاً - أضرب دماغه.

(٦) المقتضب ١: ٢٠٩. ينظر شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٧، أ، ب.

(٧) الممتع ٢: ٦٨٣. وينظر: شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٧٧، ٢٧٨.

(٨) الكتاب ٤: ٤٥١ (هارون).

(٩) شرح المفصل ١٠: ١٣٧.

وليس الأمر كما ذكرنا .. إذ لا فرق بين الغين والخاء إلا في الهمس والجهر، أو بمعنى آخر إن الغين خالفت الخاء في الهمس فقط فالغين مجهورة، والخاء مهموسة، أما الرخاوة فكلاهما رخو<sup>(١)</sup>. ولعل سيبويه يقصد أن العين - المهملة - خالفت الخاء - المعجمة - في الهمس والرخاوة، أو لعله يقصد أن العين - المهملة - خالفت الحاء - المهملة - أيضا - في الهمس والرخاوة، وكلا الأمرين - من وجهة نظرهم - صحيح.

ويُفسّر التماثل في إدغام الغين في الخاء أو العكس، بأنه وصفي؛ حيث انتقلت الغين من الجهر إلى الهمس أو من الهمس إلى الجهر، أما المخرج فهو باقٍ على حاله، والتماثل في هاتين الصورتين تام، رجعي.

هذا جملة ما ذكره سيبويه عن إدغام حروف الحلق - بعضها في بعض - . وأود أن أشير إلى أنه لم يذكر إدغام العين، والحاء في كل من الغين، والخاء، وقد استدرك ذلك المبرد (٢٨٥هـ) مجيزاً إياه؛ لاستقامته لغةً، وجوازه قياساً، فيقال في نحو - اسمع غالباً، وأسمع خَلْفاً؛ اسمعاً غالباً، واسمخلاً ويقال في نحو - أمدح غالباً، وامدح خَلْفاً: امد غالباً، وأمد خَلْفاً<sup>(٢)</sup>.

فأما استقامته في اللغة؛ فلأن قاعدة الإدغام تجري عليها، حيث إن البعد من الفم يدغم في الأقرب، وأضيف إلى هذا أن قانون القوى يقف في صف الإدغام .

وأما جوازه في القياس؛ فلأن الهاء - وهي من المخرج الأول من مخارج الحلق، وأبعد حروف الحلق من الفم - تدغم في الحاء - ذات المخرج الحلقي الثاني، والأقرب نوعاً ما إلى الفم -، فمن باب أولى أن تدغم العين، والحاء - وهما من المخرج الثاني الحلقي - في الغين والخاء - ذوات المخرج الثالث للحلق، وأقرب حروف الحلق إلى الفم -.

إلا أن بعض العلماء ذكر أن "الذي عليه الأكثر المنع من ذلك (أي من إدغام العين، والخاء في الغين والخاء)؛ لأن الغين والخاء قد قربا من الفم شديداً فبعدت عن الحاء والعين فأعرفه"<sup>(٣)</sup>.

وتوسّع بعضهم، فمنع إدغام كل من الهاء، والعين، والحاء في الغين، والخاء؛ "لكونهما قد أجريا مجرى حروف الفم. فكما أن حروف الحلق لا تدغم في حروف الفم، فكذلك لا تدغم الهاء والحاء ولا العين فيهما"<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: المقتضب ١: ٢٠٩، شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٧، أ.

(٢) المقتضب ١٢٠٨، ٢٠٩. وينظر: شرح المفصل ١٣٧: ١٠، ١٣٨.

(٣) شرح المفصل ١٣٨: ١٠.

(٤) الممتع ٦٨٣: ٢، ٦٨٤.

وكما هو ملاحظ فهذان النصان يمنعان الإدغام في هذه الصور، بحجة بُعد المخارج، وإن كان النص الأخير أوضح في التعليل من الأول، إذ كأنه يريد أن يقول: إن الغين والخاء من حروف الفم، وتلك الأحرف من الحلق، وحروف الحلق لا تدغم في حروف الفم. إلا أنني أحسب أن ما ذكره المبرد - استدراكاً، وتعليلاً - أقرب إلى الإقناع، والقبول؛ لموافقته لقواعد اللغة.

وبتحليل التماثل في هذه الصور الإدغامية نجد أن العين إذا أدغمت في الغين، فإنها تنتقل مخرجياً من وسط الحلق إلى أدناه، كما أنها تنتقل وصفيّاً من التوسط إلى الرخاوة، ومن الاستفال إلى الاستعلاء، فالتماثل مخرجي، وصفي، إضافة إلى أنه تام، رجعي.

وأما إذا أدغمت في الخاء، فإن الانتقال المخرجي كالسابق من حيث الانتقال المخرجي، وتنتقل وصفيّاً من الهمس إلى الجهر، ومن الاستفال إلى الاستعلاء.

أما إذا أدغمت في الخاء - فالانتقال المخرجي يكون كالسابق - أيضاً - وتنتقل وصفيّاً من الاستفال إلى الاستعلاء.

ويكون التماثل - في هاتين الصورتين مخرجياً، وصفيّاً، رجعيّاً، تاماً - أيضاً. وفي ضوء ما تقدم من إدغام حروف الحلق بعضها في بعض، نرى الاختلاف بين العلماء كثيراً؛ وذلك لما فيه من التداخل، ولما يسببه من خروج على قواعد اللغة.

ويمكن إجمال هذه الصور الإدغامية على النحو الآتي:

### أولاً: إدغام الهاء في الحاء: ويأتي على صورتين:

أ- أن يؤثر الصوت الثاني في الأول (رجعي)، وهو من نوع الإدغام الجائز الذي يتفق وقواعد الإدغام، نحو أجبه حملاً، يقال أجبملاً.

ب- أن يؤثر الصوت الأول في الثاني (تقدمي)، ويتم بالخروج على قواعد الإدغام. نحو - أصلح هينماً، يقال: أصلحيتما.

### ثانياً: إدغام العين في الهاء: ويأتي على مرحلتين هما:

أ- أن يؤثر الصوت الثاني في الأول (رجعي)، كما في معهم حينما تتحول إلى محهم.  
ب- أن يؤثر الصوت الأول في الثاني (تقدمي)، وفي ذلك خروج على قواعد الإدغام، حيث يقال في: محم.

ثالثاً: إدغام العين في الحاء: ويجرى عليها ما جرى في إدغام الهاء في الحاء.

رابعاً: إدغام الغين في الخاء، والعكس، وفي كلا الصورتين التماثل رجعي، وليس فيهما خروج على قواعد الإدغام.

خامساً: إدغام العين في كل من الغين والخاء، وإدغام الحاء فيهما - أيضاً. التماثل في

ذلك كله رجعي، وهو متفق مع قواعد الإدغام.

وقد بلغت صور الإدغام في حروف الحلق اثنتي عشرة صورة، منها تسع صور التماثل فيها رجعي، والثلاث الأخر التماثل تقدمي، مما يعطي دليلاً أولياً على صحة ما ذهب إليه اللغويون المحدثون من أن التماثل الرجعي يكثر وقوعه في اللغة العربية؛ وذلك لاتفاقه وقواعد اللغة، في حين أن التماثل التقدمي يقل وقوعه فيها، حيث يسير هذا النوع من التماثل في اتجاه مضاد لقواعد اللغة. وقبل أن انتقل إلى الصور الإدغامية الأخرى، أود أن أشير إلى ما ذكره بعض العلماء في تعليل عدم أصلية الإدغام في حروف الحلق، ليس بكافٍ - وحده - للإقناع، حيث قال بعضهم ذلك بقلة حروف الحلق<sup>(١)</sup>.

وهذا تعليل - فيما أرى - مفهوم بالضرورة، فالكثرة مدعاة للكثرة، والقلة مدعاة للقلة - أيضاً. والتعليل الذي أحسبه قوياً مقنعاً، هو ما ذكره بعضهم من أن حروف الحلق بعيدة عن مخرج الحروف<sup>(٢)</sup>.

ويمكن تفسير ذلك بأن عضلة الحلق ليس بها من المرونة ما يجعلها سريعة الاستجابة لوقوع الإدغام فيها - كما هو الحال بالنسبة للسان - . ولذا يقل الإدغام في حروف الحلق؛ لصلابة هذه العضلة، وعدم مرونتها<sup>(٣)</sup>.

يضاف إلى ذلك أن الإدغام في حروف الحلق يُفضي إلى ثقل، وهذا يتعارض مع الغرض الذي من أجله يجري الإدغام، وهو طلب الخفة.

### ثانياً: الإدغام في حروف الفم مما يلي الحلق:

١- القاف مع الكاف: يدغم بعضهما في بعض؛ لقرب مخرجيهما، وأنهما من حروف اللسان التي يكثر فيها الإدغام، إضافة إلى اتفاقهما في صفة الشدة. إلا أن سيبويه ساوى بين الإدغام والبيان في القاف مع الكاف، إذ يقول: "الإدغام حسن والبيان حسن"<sup>(٤)</sup>، في حين أنه عد البيان أحسن عندما تلتقي الكاف مع القاف؛ لأن مخرجهما أقرب مخرج اللسان إلى الحلق..."<sup>(٥)</sup> فيقال في نحو - إْحَقْ كَلْدَةَ<sup>(٦)</sup> إْحَكْلْدَةَ،

(١) ينظر: الكتاب ٤: ٤٤٩ (هارون)، الممتع ٢: ٦٨٠.

(٢) ينظر: المقتضب ١: ٢٠٧، شرح المفصل ١٠: ١٣٦.

(٣) ذكر الدكتور (مهدي المخزومي) أن حروف الحلق اقل تألفاً في الكلام؛ وذلك لصلابة عضل الحلق إذا قيست بمرونة عضل اللسان والشفيتين.

ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص ١٣٨، ويجري هذا الحكم والتعليل على قلة انتشار الإدغام بين حروف الحلق.

(٤) الكتاب ٤: ٤٥٢ (هارون). وينظر: الأصول (لابن السراج) ٣: ٤١٥ الممتع ٢: ٦٨٥.

(٥) الكتاب ٤: ٤٥٢ (هارون). وينظر الممتع ٢: ٦٨٥.

(٦) كَلْدَةَ: بفتح الكاف واللام والذال علم رجل. وممن يسمي بهذا كَلْدَةَ بن الحنبل، أحد الصحابة، والحاتر بن كَلْدَةَ الثقفي، الطبيب العربي المعروف. ويكنى الضبعان (ذكر الضبع) بابي كَلْدَةَ. والكَلْدَةُ: القطعة من الأرض الغليظة. مقاييس اللغة ٥: ١٣٥، القاموس ١: ٣٣٣ (كلد).

وفي نحو - إِنَّهُكَ قَطْنَا<sup>(١)</sup>: انهقطننا. ويرى بعض العلماء أن إدغام القاف في الكاف أحسن من البيان؛ "لأن الكاف أدنى إلى سائر حروف الفم من القاف"<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أن إدغام القاف في الكاف من باب إدغام الأبعد من الفم في الأقرب، لذا حسن الإدغام هنا، أما العكس فهو من باب إدغام الأقرب في الأبعد، ولذا فهو ضعيف، والبيان أحسن. والذي أراه أن إدغام الكاف في القاف أحسن من إدغام القاف في الكاف؛ وذلك لأن الإدغام في الصورة الأولى فيه انتقال للصوت من ضعف إلى قوة.

فالكاف صوت ضعيف للهمس الذي فيه، والقاف قوى بالجهر، والشدة، والاستعلاء، فالإدغام هنا من باب إدغام الأضعف في الأقوى، وذلك مما تجيزه قوانين الإدغام. أما إدغام القاف في الكاف فهو ضعيف؛ لأن الصوت الأول أقوى من الثاني ويفسر حدوث التماثل عند إدغام القاف في الكاف بأن مخرج القاف انتقل إلى الأمام قليلاً، كما أنها انتقلت وصفيًا من الجهر إلى الهمس، ومن الاستعلاء إلى الاستفال، فالتماثل مخرجي، وصفي، كما أنه تام رجعي. أما حينما تدغم الكاف في القاف، فإنها تنتقل مخرجياً إلى الوراة قليلاً، كما أنها تنتقل وصفيًا من الهمس إلى الجهر، ومن الاستفال إلى الاستعلاء، فالتماثل - أيضاً - مخرجي، وصفي، كما أنه تام، رجعي.

ولا تدغم القاف، والكاف في غيرهما من الحروف، كما لا يدغم غيرهما فيهما<sup>(٣)</sup>.

٢- الجيم مع الشين: تدغم الجيم في الشين؛ لاتحاد مخرجهما، وهما من حروف وسط اللسان، فيقال في ابعج شبتًا: ابعشبتًا، والإدغام والبيان حسنان<sup>(٤)</sup>. وقد سبق بيان حدوث التماثل هنا<sup>(٥)</sup>. على أن سيبويه اكتفى بذكر إدغامها في الشين، ولم يذكر إدغامها في غيرها من الحروف، أو إدغام غيرها فيها.

ولتوضيح ذلك أقول: أنها تدغم في بعض الحروف كالتاء، والصاد، والضاد - كما جاء في بعض القراءات القرآنية -، وسأقوم بتفصيل ذلك في موقعه - إن شاء الله -<sup>(٦)</sup> ويدغم فيها ستة أحرف، هي: الطاء، والذال، والتاء، والظاء، والذال، والتاء، وذلك نحو - لم يربط

(١) نَهَكَ: النون والهاء والكاف أصل صحيح يدل على المبالغة في العقوبة والأذى، مقاييس اللغة ٥: ٣٦٤٥ (نهك) والقطن - بالتحريك: ما بين الوركين، وقطن الطائر: أصل ذنبه، وقطن جبل لبني أسد، وقطن: اسم رجل. ينظر: القاموس ٤: ٢٦٠، اللسان ١٣: ٣٤٢ (قطن).

(٢) المقتضب ١: ٢٠٩. وينظر: شرح المفصل ١٠: ١٣٨.

(٣) ينظر: شرح المفصل ١٠: ١٣٨، الممتع ٢: ٦٨٥، ٦٨٦.

(٤) الكتاب ٤: ٤٥٢ (هارون). وينظر: المقتضب ١: ٢١١، شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٧٨.

(٥) ينظر: حروف لاتدغم في المقاربة. وتدغم المقاربة فيها (ج، إدغام الجيم في الشين) بهذه الرسالة ص ١٤٤ فما بعدها.

(٦) ينظر: إدغام الجيم في بعض الحروف (ط، د، ت، ..... ) بهذه الرسالة من ١٧١ وما بعدها.

جَمَلًا، وقد جعل، ووجبت جنوبها، وأحفظ جابرا، وانبذ جعفرا، وابعث جامعا<sup>(١)</sup>، يقال فيما تقدم: لم ير بجملاً، فجعل، وجبجنوبها، احفجأبرا، وانبحَّ عفرا، وابعجامعا.

وإنما جاز الإدغام في هذه الصور - على الرغم مما قد يبدو من بُعدٍ مخرجي بين الجيم وهذه الأحرف-، قياساً على إدغام هذه الأحرف في الشين، حيث كلاهما من مخرج واحد. والشين تدغم فيهم؛ لـ " أن فيها تفشياً يتصل بهذه الحروف، فلذلك من الاتصال جاز أن يُدغم في الجيم ... " <sup>(٢)</sup>.

على أنني أرى أن العلاقة المخرجية غير مفقودة تماماً بين هذه الأصوات المدغمة؛ حيث إن الجيم من وسط اللسان، وهذه الأحرف من طرفه، وإن شئت فقل: إنهن من منطقة الفم - على وجه العموم - هذا شيء، وشيء، آخر أن الإدغام في أكثر هذه الصور مما تجيزه قوانين الإدغام، من حيث الضعف والقوة.

وبتحليل حدوث التماثل في هذه الصور نجد أنه تماثل مخرجي، وصفي، تام، رجعي<sup>(٣)</sup>، عدا الدال مع الجيم فالتماثل مخرجي، تام، رجعي.

٢- اللام مع الراء: تدغم اللام في الراء؛ لقرب مخرجيهما، واتحادهما في أكثر الصفات وأنهما من حروف طرف اللسان.

يقال في اشغل رَحْبَةً: اشغَرَحْبَةً، والإدغام أحسن من البيان<sup>(٤)</sup>. والواقع أن للام أحكاماً خاصةً بها، وهي في باب الإدغام أنواع ثلاثة: اللام المفردة<sup>(٥)</sup>، لام التعريف، لام (هل) و (بل)، ولكل نوع حكم خاص به، فأما اللام المفردة فهي تدغم في الراء - كما سبق -، ولا يجوز العكس عند سيبويه وأكثر النحويين.

أما لام التعريف فتدغم - إدغام تماثل - في ثلاثة عشر حرفاً، هي: النون، الراء، الظاء، الدال، التاء، الزاي، السين، الصاد، الطاء، الذال، التاء، الضاد، الجيم، الشين ولا يجوز هنا غير الإدغام<sup>(٥)</sup>، إلا أن السيرافي ذكر أن الفراء حكى عن الكسائي أنه سمع بعض العرب

(١) الممتع ٢: ٦٨٧.

(٢) شرح المفصل ١٠: ١٣٨.

(٣) الحكم بأن التماثل تام، جار على الدال، والتاء، والذال، والتاء وكذلك الطاء، والظاء - إذا اسقط إطباقهما -، أما إذا بقي الإطباق فيهما عند الإدغام - وذلك جائز - فإن التماثل يكون ناقصاً (جزئياً).

(٤) الكتاب ٤: ٤٥٢ (هارون)، رَحْبَةُ المكان: ساحته ومنتسعه، القاموس ١: ٧٢ (رحب) وقد ورد في طبعة بولاق ٢: ٤١٤ رجة- بالجيم - وكذا في أصول (ابن السراج) ٣: ٤١٦.

(٥) أعني باللام المفردة هنا - ما كان السكون فيها عارضاً، غير لازم.

(٥) ينظر: الكتاب ٤: ٤٥٧ (هارون)، المقتضب ١: ٢١٣، الجمل، ص ٣٨٠، أسرار العربية، ص ٤٢٧.

تظهر لام التعريف عند بعض الحرف، فيقولون في الصّامت: الصّامت<sup>(١)</sup>.

وقد اعترض على هذا، واعتبر من الشاذ الذي لا يُعْتَدُّ به<sup>(٢)</sup>.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو، لم أدّغت اللام في هذه الحروف؟

وهل هناك علاقة تربط بين اللام وهذه الحروف؟

وللإجابة عن ذلك أقول: إن اللام أدّغت للاعتبارات الآتية:

أولاً: إنّ هناك علاقة مخرجية بين اللام وهذه الحروف، وهي أنها جميعاً - عدا الضاد والشين - من حروف طرف اللسان أما الضاد والشين فقد خالطا طرف اللسان واتصالاً به نتيجة لاستطالة الضاد وتقشي الشين.

وبعبارة أخرى أعم أنها من حروف الفم - حقيقة أو اتصالاً.

ثانياً: كثرة ورود وشيوع هذه اللام في الكلام، وكثرة ورود اللفظ في الكلام يستدعي التخفيف<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: شدة اتصالها بما بعدها<sup>(٤)</sup>.

وأما لام (هل) و(بل) فتدغم فيما تدغم فيه لام التعريف، ويتفاوت حسن الإدغام وقبحه من مجموعة لأخرى، كما يضعف ويقوى من مجموعة إلى أخرى - أيضاً -، فأحسنها وأقواها إدغاماً مع الراء؛ وذلك لقرب مخرجيهما. يقال في هل رايت: هرايت، بالإدغام، ويجوز البيان، وهو لغة لأهل الحجاز " وهي عربية جائزة"<sup>(٥)</sup>.

ويليها في الحسن، والقوة، والجودة إدغامها في الطاء، والذال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين؛ وذلك "أنها أقرب الحروف إليها بعد الراء"<sup>(٦)</sup>، واستشهد سيبويه على إدغام اللام في التاء بالآية من قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾<sup>(٧)</sup>، حيث قرئت بالإدغام "بتوثرُونَ"<sup>(٨)</sup> وبقول مزاحم العقيلي:

فَدَعَّ ذَا وَلَكِنْ هَتَّعِينَ مَتِيمًا عَلَى ضَوْءِ بَرْقِ آخِرِ اللَّيْلِ نَاصِبِ

(١) شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٤٦ ب . وينظر ارتشاف الضرب (لأبى حيان النحوي) ١: ٣٩٢، المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٧٢.

(٢) ينظر: أسرار العربية، ص ٤٢٧، ارتشاف الضرب ١: ٣٩٢.

(٣) الممتع ٢: ٦٩٢.

(٤) ينظر: الكتاب ٤: ٤٥٧ (هارون)، المقتضب ١: ٢١٣، شرح المفصل ١٠: ١٤١.

(٥) الكتاب ٤: ٤٥٧ (هارون).

(٦) الممتع ٢: ٦٩٣.

(٧) [الأعلى: ١٦].

(٨) قرأ بالإدغام حمزة، والكسائي، وهشام. الإتحاف، ص ٤٣٧.



(يريد هل تعين)<sup>(١)</sup>

ويلي ذلك إدغامها في الظاء، والذال، والثاء؛ لما فيه من البعد النسبي بين مخرج اللام، ومخارج هذه الحروف، فهي من حافة اللسان، وهن مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا. يقول سيبويه في ذلك: "وإنما جعل الإدغام فيهن أضعف وفي الظاء أقوى؛ لأن اللام لم تسفل إلى أطراف اللسان كما لم تفعل ذلك الظاء وأخواتها"<sup>(٢)</sup>

واستشهد سيبويه على إدغام اللام في الثاء بقراءة أبي عمرو هُتُوب الكفار"<sup>(٣)</sup> ويلي ذلك إدغامها في الضاد، والشين؛ لأنهما ليسا من حروف طرف اللسان، وإنما جاز الإدغام - على ضعف -؛ لاتصال مخرجيهما بهن. قال طريف بن تميم العنبري:

تقول إذا استهلكتُ مالا للذة فكيهة: هشي بكفيك لائق

يريد هل شيء، فأدغم اللام في الشين<sup>(٤)</sup>.

وأضعف مراتب الإدغام، وأقبحها، إدغامها في النون، على الرغم من أنها أقرب مخارج الحروف التي تدغم فيها، نحو هنري، إذا أردت هل نري.

وقد كان الأمر كذلك - كما يرى سيبويه وغيره-؛ لأن النون تدغم في خمسة أحرف مجموعة في قولك: يرمو، ولا تدغم هذه الأحرف في النون، " فلم يجسروا على أن يخرجوها من هذه الحروف التي شاركتها في إدغام النون وصارت كأحدها في ذلك"<sup>(٥)</sup>. إلا أنني أرى أن العلة في ضعف الإدغام غير مقنعة، وذلك بالنظر إلى أن التفاوت في مراتب الإدغام من حيث الحسن، والقبح، والقوة، والضعف، قائم على القرب المخرجي.

ولو أجرينا هذا - أيضا - على الإدغام هنا لحسن، وقوي، حيث إنهما من مخرجين متجاورين (متلاقين)، وهو ما أميل إليه<sup>(٦)</sup>.

ومما يلاحظ على إدغام لا (هل) و (بل) شيئان، يمكن أن يصاغا على هيئة سؤالين،

(١) الكتاب ٤: ٤٥٩ (هارون). ومعني البيت - أنه يطلب المعونة بسبب ما أصابه من الهوى، وذلك بالسهر معه، ومحادثته، وتسليته حتى يخف ما به من وجد؛ لأن ذلك البرق لمع من الناحية التي بها محبوبه، فذكره به، وزاد من شجونه وحنينه. شرح أبيات سيبويه (لابن السيرافي) ٢: ٤٤٢.

(٢) الكتاب ٤: ٤٥٨ (هارون). وينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٢٥.

(٣) [المطفيين: ٣٦]. وليست القراءة لأبي عمرو وحده، بل قرأ بذلك - أيضا - حمزة والكسائي، وهشام في المشهور عنه، وابن محيصن. ينظر السبعة، ص ٦٧٦، البحر ٨: ٤٤٣، الإتحاف ٤: ٤٣٥.

(٤) الكتاب ٤: ٤٤٥٨ (هارون). والمعني - أن أمرأته (فكيهة) لامته على إنفاق ماله في اللذات، وتقول له: هل بقي في كفيك شيء من ذلك؟! شرح أبيات سيبويه ٢: ٤١٨.

(٥) الكتاب ٤: ٤٥٩ (هارون). وينظر: المقتضب ١: ٣١٤، الممتع ٢: ٦٩٤.

(٦) يري الفراء أن العرب تدغم اللام - التي سكونها لازم - في النون؛ لقربها في المخرج، وكثرتها في القراءة، فهي تشبه إدغام لام التعريف في النون، ويجوز الإظهار؛ لأن الحرف ليس بمتصل مثل الألف واللام. معاني القرآن ٢: ٣٥٣، ٣٥٤.

أولهما - لم تفاوت حكم الإدغام في هذه اللام مع هذه الحروف، ولم يكن ذلك في إدغام لام التعريف؟.

والآخر - لم ساوى سيبويه وغيره من العلماء بين إدغام اللام في كل من الطاء، والذال، والتاء وإدغامها في الصاد، والزاي، والسين، على الرغم من أنهن من مخرجين اثنين وليس من مخرج واحد، وكان الأولى في ذلك أن يكون إدغامها في الصاد وأختيها أقل مرتبة ودرجة من إدغامها في الطاء وأختيها؟.

وللإجابة عن أول السؤالين أقول: إن الإدغام في لام التعريف واجب؛ لشدة اتصالها بتلك الحروف التي بعدها، ولكثرتها في الكلام، فليس هناك ما يدعو للمفاضلة بين صور الإدغام فيها.

أما لا (هل) و(بل) فهي وإن كانت تشبه لام التعريف من حيث لزوم السكون لها، إلا أن الإدغام فيها على سبيل الجواز؛ وذلك لانفصال هذه اللام عما بعدها، وعليه فإن المفاضلة لها أهميتها بين صور الإدغام، فكل ما قرب مخرجه من اللام حسن إدغامه، وقوى، وكل ما بعد منها ضعف وهكذا ..

وأما الإجابة عن السؤال الآخر، فقد سبقني إلى إثارته أبو سعيد السيرافي، وأجاب عليه بقوله: "وللمحتج عن سيبويه أن يقول: في الصاد، والسين، والزاي هن من حروف الصفير، لهن قوة في باب الإدغام يدغم فيهن غيرهن ولا يدغمن في غيرهن، فمن أجل ذلك ألحقهن في إدغام اللام فيهن بما قرب"<sup>(1)</sup> ويبدو لي أن هذه الإجابة لا تخلو من اعتراض عليها. فإن كان الأمر على ما ذكر - فإدغام اللام في الضاد، والسين حسن؛ وأن لهن قوة في باب الإدغام، إذ يدغم فيهن، ولا يدغمن في غيرهن، وذلك ما لم يقل به أحد من العلماء - فيما أعلم -.

وفي ضوء هذا فلست أرى أن الصفير هو الذي جعل منزلة إدغام اللام في هذه الأحرف مساوية لإدغامها في الطاء وأختيها، وإنما جعل ذلك كذلك فيما أحسب - هو أن الصاد، وأختيها قريبة المخرج من الطاء، وأختيها، حيث لا يفصل بينهما فاصل، ألحقن بهن، وعدد الإدغام فيهن بمنزلة واحدة في القوة.

وإدغام اللام في غيرها من الأصوات هو من نوع التماثل الرجعي، التام، كما أن فيه انتقالاً لمخرجها وصفتها، بحسب مخرج وصفة الصوت المدغم فيه، فالتماثل مخرجي، وصفي.

(1) شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٢٥ أ، ب.

٣- النون: وهو فونيم رئيس (phoneme) يتوزع - بسبب سرعة تأثره بما يجاوره - إلى الـفونـات متعدـدة، حيث يتـعرض هذا الصوت - متميـزا عن بقية الأصوات - لظواهر لغوية مختلفة، كالإدغام، والإخفاء، والإقلاب، والإظهار ويتم حدوث هذه الظواهر عن طريق الاتصال المباشر بين النون وتلك الأصوات التي تمثل هذه الظواهر، ويكون ذلك بتسكين النون.

والذي يعيننا في ظاهرة التماثل من هذه الألفونات هو - إدغامها، وإخفاؤها، وإقلابها، أما إظهارها فليس له أهمية في هذه الظاهرة؛ وذلك لأنه ليس فيه تأثير أو تأثير، بل تبقى النون على حالها دون أن يصيبها أدنى تغيير. وقد سبق أن تحدثت عن ألفون الإقلاب في موضع سابق، مما يعني عن إعادته<sup>(١)</sup>، وبقي أن أتعرض للنون من حيث إدغامها، وإخفاؤها.

### أولاً: إدغام النون:

تدغم النون - إدغام تماثل - في خمسة أحرف، هي - اللام والراء، والميم، والواو، والياء، فأما إدغامها في اللام والراء؛ فلقرب مخرجيهما، واتفاقهما في أكثر الصفات.

يقال في مَنْ لك: مَلَكٌ وفي مَنْ راشد: مرَّاشدٌ، بالإدغام<sup>(٢)</sup>. ويرى سيبويه وأكثر النحويين أنك بالخيار في المجيء بالغنة أو إسقاطها<sup>(٣)</sup> وقد جاءت القراءات القرآنية وكلام العرب بالأمرين جميعاً<sup>(٤)</sup>.

فإذا أدغمت بغنة، كان في ذلك بيان للأصل، ومحافظة على الصفة المميزة، وإن أسقطت فعلى حقيقة الإدغام في أنه فناء للصوت المدغم في المدغم فيه وبعضهم يرى أن الأفضل إبقاء الغنة<sup>(٥)</sup> وذكر بعض العلماء أن "ترك الغنة هو المشهور عند أهل الأداء، وذكر بعضهم الإجماع عليه"<sup>(٦)</sup>.

وما أود إثباته هنا، هو أن البيان لا يجوز؛ لما في ذلك من الثقل وإن كان ابن يعيش قد أجاز<sup>(٧)</sup>. - يقول ابن مكي الصقلي (٥٥٠هـ): "فأما إظهار بعض المؤننين التتوين عند الراء في قوله أشهد أن محمداً رسول الله، فغير صواب أيضاً"<sup>(٨)</sup> وحكم التتوين والنون الساكنة سواء.

وأما إدغامها في الميم؛ فلأنهما متحدان في الصفات "وإن كان المخرجان متباعدين، إلا

(١) ينظر: (الإقلاب عند سيبويه) بهذه الرسالة ص ١٢٩ وما بعدها.

(٢) الكتاب ٤: ٤٥٢ (هارون).

(٣) نظر: المصدر نفسه ٤: ٤٥٢، المقتضب ١: ٢١٧، التكملة ٢: ٢٧٨، شرح المفصل ١٠: ١٤٣، ١٤٤، الممتع ٢: ٦٩٧.

(٤) شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٩ أ.

(٥) ينظر: المقتضب ١: ٢١٧، شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٨ أ، الممتع ٢: ٦٩٧.

(٦) المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٧٤. وينظر: الإقناع ١: ٢٥١، شرح شافيه، ابن الحاجب ٣: ٢٧٣.

(٧) شرح المفصل ١٠: ١٤٤.

(٨) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، ص ٢٤٨.

أنهما اشتبهتا لخروجهما جميعاً في الخياشيم<sup>(١)</sup>.

ولم يبين سيبويه حكم الغنة في هذه الصورة، هل تبقى أو تزول؟. وإن كنت أرى أن الغنة هنا - على وجه الخصوص - لا مناص منها، سواء أكان ذلك في الحرف المدغم أم في المدغم فيه.

وقد أجاز ابن يعيش البيان هنا - أيضاً-، أي إظهار النون الساكنة وعدم إدغامها - وعده حسناً<sup>(٢)</sup>.

وأما إدغامها في الواو والياء؛ فلتقاربهما في الصفات، وتكافئهما في فضل الصوت، حيث إن النون تتميز بالغنة، والواو والياء تتميزان باللين<sup>(٣)</sup>، والتقارب في الصفة كالتقارب في المخرج، وما قيل في الراء واللام - من حيث الخيار في مجيء الغنة - يقال هنا أيضاً. ويمكن إضافة علة أخرى مسوغة لإدغام النون في كل من الميم والواو، والياء هي مرونة عضل اللسان والشفنتين.

وقد ذكر العلماء أن إدغام النون فيما تقدم من أحرف، يتم على مستوى الكلمة الواحدة، وعلى مستوى الكلمتين - أيضاً-، غير أنه لا يتحقق في الكلمة الواحدة إلا إذا أمن اللبس، فإن تحقق ذلك جاز وقوعه، وإن لم يكن أمتع، وبُيِّنَت الحروف، فيقال في أمحى: أمحى، بإدغام النون في الميم كما يقال في أنوجل: أوجل بإدغام النون في الواو؛ لأمن اللبس في كليهما، ولكن لا يقال في زئماء<sup>(٤)</sup> وقنواء<sup>(٥)</sup> وكُنْيَة، وصنوان<sup>(٦)</sup> ودنيا: زماً، وقواء، وكُنْيَة، وصنوان، ودُيَاء، بالإدغام؛ كراهية الالتباس فيصير كأنه من المضاعف لأن هذا المثال قد يكون في كلامهم مضاعفاً<sup>(٧)</sup>.

وما تقدم من حكم يجري أكثر ما يجري على النون مع الميم، والواو، والياء، فإذا وقع شيء من ذلك، وخشي الالتباس فإن حكمها البيان.

أما مجيء النون الساكنة مع الراء، أو اللام في كلمة واحدة، فقد ذكر سيبويه وغيره من

(١) الكتاب ٤: ٤٥٣ (هارون). وينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٩ أ.

(٢) شرح المفصل ١٠: ١٤٤.

(٣) ذكر العلماء اعتبارات عديدة لإدغام النون في كل من الواو، والياء. للمزيد ينظر: المقتضب ١: ٢١٩ - ٢٢٢، الممتع ٢: ٦٩٦، ٦٩٧.

(٤) الرَّئِمَةُ: شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً، وإنما يفعل ذلك بالكرم من الإبل. يقال: بعير زَيْمٌ وَأَزْمٌ ومُزْمٌ، وناقاة زَيْمَةٌ وزَيْمَاءٌ ومُزْمَةٌ. الصحاح ٥: ١٩٤٥ (زيم) وقيل الرَّئِمَةُ: اللحم المتدلية في الحلق. مقاييس اللغة ٣: ٢٩ (زيم).

(٥) قنواء: القنا: يقال رجل أفنى الأنف وأمرأة قنواء: بيبة القنا، وهو عيب في الخيل. الصحاح ٦: ٢٤٦٩ (قنا).

(٦) صنوان: جمع صنو. وهو أن تخرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد. قال تعالى: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد آية: ٤]. الصحاح ٦: ٢٤٠٤ (صنا).

(٧) الكتاب ٤: ٤٥٥ (هارون). وينظر: المقتضب ١: ٢٢٠، المنصف (للاين جني) ١: ٧٣، الممتع ٢: ٧١١.

العلماء أن مثل هذا التتابع لا يكاد يقع في الاستعمال العربي؛ وذلك في إظهارها ثقلاً، لتقارب المخرجين، كما أن في إدغامها التباساً بإدغام المثليين (المضعف)<sup>(١)</sup>.

وقد يفهم من هذا التعليل أنه لو ورد مثل ذلك التتابع الصوتي فإنه لا حكم له من حيث البيان، أو الإدغام.

وليس الأمر كذلك بل إنه يلوح لي أن اجتماع ثقل في الكلمة أولى من الالتباس بالمضعف، وعليه فالإظهار هنا أولى من الإدغام.

وبتحليل حدوث التماثل، فإن النون تنتقل إلى مخرج الصوت المدغم فيه، فالتماثل مخرجي. أما من حيث الانتقال الوصفي، فإن معرفة ذلك يتوقف على غنة النون، فإن أُبقيت فليس هناك انتقال وصفي، وإن أُسقطت فالتماثل وصفي؛ حيث إن في ذلك تركاً للغنة المختصة بها النون وانتقالها إلى صفة الصوت المدغم فيه، فهي تنتقل مع الراء إلى التكرار، ومع اللام إلى الانحراف، أما مع الميم فالتماثل مخرجي فقط وليس هناك انتقال وصفي؛ لأن الغنة لازمة في الموضعين.

كما أن هناك انتقالاً لمجرى الهواء من الأنف إلى الفم - عدا إدغامها في الميم والواو والياء -، أما من حيث نوع التماثل هل هو جزئي (ناقص) أو كلي (تام)، فإن معرفة ذلك يتوقف على غنة النون - أيضاً -.

فإن أدغمت بغنة فالتماثل جزئي (ناقص)؛ لأن الصوت احتفظ ببعض خصائصه، وإن أدغمت بغير غنة فالتماثل كلي (تام)؛ لأن الصوت فقد جميع خصائصه، وأخيراً فإن التماثل في جميع الصور الإدغامية رجعي.

وما يلاحظ أن هذه الصور ما هي إلا الوفونات متعددة لفونيم واحد.

### ثانياً: إخفاء النون:

تخفي النون الساكنة عند مجاوتها لحروف الفم، أو بما يقرب من حروف الفم، وعددها خمسة عشر حرفاً، هي ق، ك، ج، ش، ض، ط، د، ت، ز، س، ص، ظ، ذ، ث، ف.

وقد كان من المفروض أن تدغم النون في هذه الأصوات طبقاً للقاعدة في أن أصل

(١) ينظر: الكتاب ٤: ٤٥٦ (هارون)، إعراب القرآن المنسوب إلي الزجاج ٣: ٨٩٣، الممتع ٢: ٧١٢، ويؤيد هذا الحكم ما جاء في الدراسة الإحصائية لجذور تاج العروس، حيث وردت النون مع الراء في اثنين وعشرين جذراً ثلاثياً، وثلاثة عشر جذراً رباعياً، وثلاثة جذور خماسية، كما قد جاءت مع اللام في تسعة جذور ثلاثية جذور رباعية، ولم تأت في الجذر الخماسي، ينظر: المرجع السابق، ص ٨٥، ١٠٥، ١٢٥ "جدول رقم ٦، ١٦، ٢٦" وعلى هذا فمجموع ورودها مع الراء - بصفة عامة - ثمان وثلاثون جذراً، ومع اللام أربعة عشر جذراً، وقد بلغ عدد جذور التاج أحد عشر ألفاً وتسعمائة وثمانية وسبعين جذراً، (١١٩٧٨) ينظر: ص ٩، وعلى هذا تبلغ نسبة ورودها مع اللام ٠.١١% ومع الراء ٠.٣١%، وهذه نسبة ضئيلة جداً.

الإدغام لحروف الفم، إلا أنه يجب الإخفاء هنا للاعتبارات الآتية:

١- عدم وجود قرب مخرجي بين النون، وهذه الأصوات - مقارنةً بقربها من الراء- واللام -، " لأنها تخرج من حرف الأنف الذي يحدث إلى داخل الفم لا من المنخر، فكان بين النون وحروف الفم اختلاط، فلم تقو قوة حروف الفم فتدغم فيها، ولم تبعد بُعد حروف الحلق فتظهر معها، وإنما كانت متوسطة بين القرب والبعد فتوسط أمرها بين الإظهار والإدغام، فأخفيت عندها"<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن النون بُعدت عن مخارج هذه الأصوات بعدا متوسطا، فكان حكمها الإخفاء؛ "للمناسبة بالحد الأوسط"<sup>(٢)</sup>.

صحيح أن مخرج النون وأكثر هذه الأصوات من الفم، ولكن هذا يُعد منطقة مخرجية عامة، أما المخرج الخاص فإن لكل صوت مخرجاً خاصاً به، ولذا فإن القول: بأنه ليس هناك قرب مخرجي بين النون وهذه الأصوات قائم على المخرج الخاص.

٢- عدم وجود قرب وصفي بين النون وهذه الأصوات - مقارنةً بالميم والواو، والياء - فهي وإن اتفقت مع بعض الأصوات التي تخفى عندها في الجهر، إلا أنها تختلف عنهن من حيث توسطها بين الشدة والرخاوة"<sup>(٣)</sup>.

ولذا فقد امتنع الإدغام؛ للأسباب المتقدمة، أما الإظهار فهو ممتع - أيضاً-؛ لبعده المخارج.

وإذا أخفيت النون عند هذه الأصوات فإن مخرجها ينتقل إلى مخرج الصوت المجاور لها، أما مخرج غنتها (الخبشوم) فتظل محتفظة به، ولعل هذا هو ما عناه سيبويه بالنون الخفيفة (♦) التي جعل لها مخرجاً رئيساً قائماً بذاته.

وعلى هذا فالتمائل في الإخفاء مخرجي، كما أنه رجعي، إضافة إلى أنه جزئي(ناقص) لأن النون تحتفظ بغنتها.

وهو بهذه الكيفية يكاد يتفق مع الإدغام بغنة.

على أن هناك فروقاً بين الإدغام والإخفاء - بصفة عامة - يمكن توضيحها على النحو

(١) شرح المفصل ١٠: ١٤٥.

(٢) شرح المفصل ١٠: ١٤٥.

(٣) ينظر: الممتع ٢: ٧٠٠، شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٧٢.

(♦) وصف سيبويه هذه النون بأنها خفيفة. ولعل الصواب "خفية" لأن هذا الوصف يجري على النون التي تخرج من الخبشوم عند اتصالها بحروف الإخفاء الخمسة عشر.

ينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ٩٦ب، شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٥٤، اللغة العربية (د. تمام)، ص ٥٣.

التالي:

١- أن الإخفاء يعد مرحلةً وسطى بين الإظهار والإدغام فليس هناك فناء كامل، كما أنه ليس هناك بيان كامل، أما الإدغام فيتراوح بين الفناء الكامل والناقص.

٢- أن الإدغام ينتج عنه تشديد الحرف المدغم فيه، بعكس الإخفاء الذي ينتج عنه التخفيف (عدم التشديد)، وهذا يعني أن الإدغام يُصير الحرف المدغم، والمدغم فيه حرفاً واحداً، أما الإخفاء فإنه لا يؤدي إلى ذلك، بل يبقى منه شيء يدل عليه. وبقي أن أشير إلى أن مخرج النون مع الإدغام بغير غنة يكون من الفم، أما حين تخفي فإن مخرجها من الخياشيم، وكذلك يكون مع الإدغام بغنة<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر سيبويه أن بعض العرب يخفي النون الساكنة عند الغين والخاء، وذلك في نحو مُنْخَل، ومُنْغَل<sup>(٢)</sup>؛ لأنهما أقرب حروف الحلق إلى الفم<sup>(٣)</sup>.

وإذا اتجهنا إلى كتاب الله الكريم، فإننا نجد ما يؤيد ذلك، حيث يروى أنا أبا جعفر القارئ - أحد القراء العشرة - كان يُخفي النون الساكنة عند الخاء في نحو قوله تعالى ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾<sup>(٤)</sup> وعند الغين في ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾<sup>(٥)</sup> إلا أن المبرد أنكر ما جاء من هذا القبيل في لغة بعض العرب، وجعل الإظهار هنا واجباً، حيث يقول: "وهذا عندي لا يجوز، ولا يكون أبداً مع حروف الحلق إلا الإظهار"<sup>(٦)</sup>، كما عدّ قراءة من يظهر النون عند الخاء في نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾<sup>(٧)</sup>، أجود من قراءة من يخفيها<sup>(٨)</sup>، واستطيع القول: إن من يخفيها نظر إليهما من زاوية قريهما من الفم، أما من يظهرهما فقد نظر إليهما من حيث إنهما من حروف الحلق التي لا يجوز فيها سوى الإظهار.

وبصفة عامة - إن النون الساكنة تخفي عند الأصوات الخمسة عشر المذكورة ولا يجوز معها الإظهار أو الإدغام.

(١) ينظر: الكتاب ٤: ٤٥٤، ٤٥٦ (هارون)، المحكم في نقط المصاحف (للداني) ص ٧٥، النشر ٢: ٢٧، ٢٨.  
(٢) المنْخَل: بضم الخاء - ما يُنْخَل به. فيقال: نَخَل الدقيق أي - غَزَلْتُهُ وفتح الخاء: لغة فيه. ينظر الصحاح ٥: ١٨٢٧ (نخل). وأما قولهم فيه: مُنْغَل، فعلي البديل للمضارعة. اللسان ١١: ٦٥٢ (نخل).  
(٣) ينظر: الكتاب ٤: ٤٥١، ٤٥٤ (هارون)، المقتضب ١: ٢١٦، الممتع ٢: ٦٩٩، ٧٠٠.  
(٤) [البقرة: ٢٣٩].  
(٥) [الإسراء: ٥١]. ينظر النشر ٢: ٢٢، الإتحاف، ص ١٥٩، ٢٨٤.  
(٦) المقتضب ١: ٢١٦.  
(٧) [الملك: ١٤].  
(٨) المقتضب ١: ٢١٦.

وقد اعتبر أبو عثمان المازني (٢٤٩ هـ تقريباً) الإظهار فيها لحناً<sup>(١)</sup>، وبعد... فإن النون الساكنة تتأثر كثيراً بمجاورتها لحروف الفم التي تشمل طرف اللسان، ووسطه، وأقصاه، مضافاً إليه الثنايا - أصولاً وأطرافاً-، في حين ينعدم تأثيرها عند مجاورتها لحروف الحلق.

ولا يعني هذا أن المخرج وحده هو الذي يحدد ذلك التأثير - وجوداً أو عدماً، كثرة، أو قلة بل إن الصفة تمثل عاملاً آخر لحدوث التأثير - أيضاً - فهي تتأثر كثيراً بالأصوات المتوسطة (البينية) أكثر من تأثرها بالأصوات الشديدة والرخوة، كما أنها تتأثر بالأصوات المجهورة أكثر من تأثرها بالأصوات المهموسة، وهنا شيء آخر ينبغي الإشارة إليه وهو أن الإخفاء يؤدي إلى إيجاد الوفونات متعددة لفونيم واحد، وذلك من خلال التوزيع الموقعي له -

### ثالثاً: الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا:

من المعلوم - كما قرر القديم ذلك - أن حروف اللسان والثنايا - أصولاً وأطرافاً - اثنا عشر حرفاً، هي: اللام، والراء، والنون، والطاء، والذال، والتاء، والزاي، والسين، والصاد، والظاء، والذال، والتاء<sup>(٢)</sup>.

ويلحق بهنّ - الضاد، والشين؛ لأن الأول استطال، والآخر نقشّى حتى قرّباً من حروف طرف اللسان.

وقد ذكرت أن أصل الإدغام في حروف الفم واللسان، وسبق أن تحدثت - بالعرض والتحليل - عن الإدغام في بعض حروف الفم واللسان، وسأكمل الحديث عن بقية هذه الحروف. وبعد القراءة في كتاب سيبويه - في هذا الموضوع - اتضح لي أن الإدغام هنا يمكن توزيعه على النحو الآتي:

أ- الإدغام في الحروف التي مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا:

وتشمل الطاء والذال، والتاء:

١- الطاء: وتدغم في الدال، التاء، الزاي، السين، الصاد، الظاء، الذال، التاء، الضاد، الشين.

٢- الدال: وتدغم في التاء، الطاء، الزاي، السين، الصاد، الظاء، الذال، التاء، الضاد، الشين.

٣- التاء: وتدغم في: الطاء، الدال، الزاي، السين، الصاد، الظاء، الذال، التاء، الضاد،

(١) ينظر: الحجة (للفارسي) ٢: ٢٨٥، المفصل (للمخشي) ص ٤٠١.

(٢) ينظر: شرح السيرافي علي الكتاب ١١: لوحة ١٢٥ ب، الممتع ٢: ٧٠٣.



الشين.

ب- الإدغام في الحروف التي مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا:

وتشمل: الزاي والسين، والصاد:

١- الزاي: وتدغم في: السين، الصاد.

٢- السين: وتدغم في: الصاد، الزاي.

٣-الصاد: وتدغم في: الزاي، السين.

ج- الإدغام في الحروف التي مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا:

وتشمل الطاء، والذال، الثاء:

١- الطاء: وتدغم في: الذال، الثاء، الزاي، السين، الصاد، الطاء، الدال، التاء، الضاد،

الشين.

٢- الذال وتدغم في: الثاء، الطاء، الزاي، السين، الصاد، الطاء، الدال، التاء، الضاد،

الشين.

٣- الثاء وتدغم في: الثاء، الطاء، الزاي، السين، الصاد، الطاء، الدال، التاء، الضاد،

الشين.

د- الإدغام في الحروف التي اتصلت مخارجها بحروف طرف اللسان:

وتشمل: الضاد، والشين.

ولهذين الحرفين حكم خاص بهما، سأبينه بعد انتهائي من الإدغام في الحروف المتقدمة

- إن شاء الله -.

وهذه هي الصورة الإجمالية للإدغام في حروف طرف اللسان - كما ذكرها سيبيويه - وسابداً

في تفصيل ذلك - عرضاً وتحليلاً - في ضوء رأي القدماء في المخارج والصفات.

**الطاء:**

أ- تدغم في الدال؛ لاتحاد مخرجيهما، واتفاقهما في أكثر الصفات، حيث لا فرق بينهما

إلا في صفة الإطباق، إذ "لولا الإطباق لصارت الطاء دالا"<sup>(١)</sup> فيقال في نحو- أضبط دَلَمًا:

أضبطَ لَمًا<sup>(٢)</sup>. ويجوز الإدغام بإطباق، أو بدونه، كما هو الحال بالنسبة للغنة.

ويحدث التماثل في هذه الصورة الإدغامية بتحول الصوت من الإطباق إلى الانفتاح، فهو

(١) الكتاب ٤: ٤٣٦ (هارون).

(٢) المصدر نفسه ٤: ٤٦٠. والأدلم من الرجال والحمير: الأسود، وابودُلّامة: كنية رجل. الصحاح ٥: ١٩٢٠ (دلم) ولعل

دَلَمًا أو دُلَمًا - كما ورد في موضع آخر من الكتاب "٤: ٤٦١" (هارون) - اسم رجل.

وصفي، كما أنه كلي (تام)، رجعي.

أما إن احتفظت الطاء بإطباقها، فإن التماثل يوصف بأنه جزئي (ناقص) إضافة إلى أنه رجعي.  
ب- وتدغم في التاء، لاتحادهما في المخرج واتفاقهما في الشدة، وذلك نحو - أضبط تلك يقال فيها: اضبتلك، مع الخيار في صفة الإطباق - بقاءً وزوالاً -، إلا أن سيبويه يرى أن زوال الإطباق من الطاء مع الدال - رغم ما فيه من الإجحاف - أحسن من زواله منها مع التاء؛ لاتفاق الصفات بين الطاء والدال وتباينهما بين الطاء والتاء.

يقول في هذا: " إلا أن إذهاب الإطباق مع الدال أمثل قليلاً؛ لأن الدال كالطاء في الجهر، والتاء مهموسة، وكل عربي"<sup>(١)</sup> وقد سمع عن بعض العرب قلب الطاء تاءً خالصةً فيقولون في حطتهم حطهم<sup>(٢)</sup> أما الدراسات الصوتية الحديثة فتري أن العكس هو الصحيح، حيث إن كلا الصوتين - الطاء، والتاء - مهموس، شديد، ولا فرق بينهما إلا في الإطباق، إذ يُعدّ الطاء النظير المطبق (المفخم) للتاء، فإذهاب الإطباق مع التاء أحسن من إذهابه مع الدال؛ لأن كلا من الطاء والتاء مهموس، شديد، أما الدال فمجهورة -.

وقد أجاز سيبويه البيان في كلتا الصورتين الإدغاميتين - على الرغم من النقل الناشيء عنه-؛ لأنهن من موضع واحد، ولشدتهن<sup>(٣)</sup>.

ويفسر التماثل هنا بأنه يتم بانتقال الطاء من الجهر إلى الهمس، ومن الإطباق إلى الانفتاح، فهو وصفي، كما أنه كلي (تام)، رجعي- هذا إذا كان الإدغام بغير إطباق -، أما إن بقي الإطباق - فالتماثل يتم بانتقال الطاء من الجهر إلى الهمس فقط، وعليه فهو وصفي، كما أنه جزئي (ناقص) رجعي.

ج- وتدغم في حروف الصفير (الزاي، والسين، والصاد)؛ للقرب المخرجي بينهما، فيقال في اضبط زردة: اضبّردة<sup>(٤)</sup>، كما يقال في نحو - حطّ سالما: حسّالما، وفي نحو - اخطّ صاعك: اخلصّاعك<sup>(٥)</sup>.

ولم يبين سيبويه هل يبقى الإطباق أو يزول؟

وقد ذكر بعض العلماء أنه إذا أدغم صوت مطبق فيما ليس كذلك فالأفصح بقاء

(١) الكتاب ٤: ٤٦٠ (هارون). وينظر شرح المفصل ١٠: ١٤٥، ١٤٦، الممتع ٢: ٧٠٦.

(٢) الكتاب ٤: ٤٦٠ (هارون). وقد جاء في شرح السيرافي ما نصه "واستشهد (يعني سيبويه) لبعض ما قدمه بقول حطهم يريدون حطتهم" كما ورد في الكتاب، وكما جاء في شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٨١، نقلاً عن سيبويه.

(٣) الكتاب ٤: ٤٦١ (هارون). وينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١١٢٦ أ.

(٤) الكتاب ٤: ٤٦٢، ٤٦٣ (هارون). والزردة: حلقة الدرغ، والزرد - بالتحريك -: الدرغ المزرودة. اللسان ٣: ١٩٤ (زرد).

(٥) هذان مثالان ذكرهما (الصيمري) في التبصرة والتذكرة ٢: ٩٥٤.

الإطباق، أما إذا أدغم صوت مطبق فيما هو كذلك فإن الإطباق باقٍ على أي حال<sup>(١)</sup>.  
ويُفسّر حدوث التماثل بين الطاء والزاي بأن مخرج الطاء ينتقل قليلاً إلى الإمام، كما أنها  
تتحول من الشدة إلى الرخاوة، ومن الإطباق إلى الانفتاح، فالتماثل مخرجي، وصفي، كما أنه  
كلي (تام)، رجعي - هذا إن أزيل الإطباق -، أما إن بقي، فالتماثل يتم بانتقال المخرج -  
أيضاً-، والانتقال الوصفي من الشدة إلى الرخاوة فقط، وبذا يكون مخرجياً، وصفيًا، جزئياً  
(ناقصاً)، رجعيًا.

أما التماثل بين الطاء والسين فيحدث بتقدم مخرجها إلى الإمام قليلاً، وانتقالها  
الوصفي من الجهر إلى الهمس، ومن الشدة إلى الرخاوة، ومن الإطباق إلى الانفتاح، فهو  
مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي - هذا إن أسقط الإطباق -، أما إن يبقَى، فالتماثل  
مخرجي، وصفي أيضاً-، جزئي (ناقص)، رجعي.

وإذا أدغمت الطاء في الصاد، فإن مخرجها يتقدم قليلاً إلى الأمام. كما أنها تنتقل من  
الجهر إلى الهمس، ومن الشدة إلى الرخاوة، فالتماثل مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.  
د- وتدغم في الطاء، والذال، والطاء. يقال اهبط ظالماً: اهبطاً<sup>(٢)</sup> وفي نحو في اربط  
ذبيبا: اربديبا، وفي نحو اربط ثابتا: اربثابتا<sup>(٣)</sup>.

وقد علل سيبويه للإدغام هنا بقوله: ".... لأنهن من حيز واحد، وليس بينهما إلا ما بين  
طرف الثنايا وأصولها"<sup>(٤)</sup> وقد كرّر الجانب الأول من هذا التعليل عند إدغام الطاء وأختيها  
في السين وأختيها<sup>(٥)</sup>، بل ذكر تعليلاً آخر هو قرب المخرجين<sup>(٦)</sup>، كما علل لإدغام الطاء في  
الذال بأنهن من موضع واحد<sup>(٧)</sup>.

ويبدو أن سيبويه يعني بالحيز شيئاً آخر غير الموضع، حيث يحتمل أنه يعني منطقة  
مخرجية أوسع من الموضع، فهذه الحروف تشترك في الخروج من طرف اللسان، ولا فرق بينهما  
إلا في الثنايا، فبعضهن يخرجن من أصولها، وبعضهن من فوقها، وبعضهن من أطرافها،  
فكأنهن بهذا الاشتراك من حيز واحد، وقد يعني به أنهن من منطقتين مخرجيتين متقاربتين، على  
أني أرى أن التعليل بقرب المخارج هو الأنسب والأصلح؛ لدقته، وصحته.

(١) ينظر: الممتع ٢: ٧٠٦.

(٢) الكتاب ٤: ٤٦٤ (هارون).

(٣) هذان المثالان وردا في المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٧١.

(٤) الكتاب ٤: ٤٦٤ (هارون).

(٥) المصدر نفسه ٤: ٤٦٤.

(٦) المصدر نفسه ٤: ٤٦٤، ٤٦٣.

(٧) المصدر نفسه ٤: ٤٦٠.

ولم يبين سيبويه - أيضا - بقاء الإطباق أو عدمه عند الإدغام، ولكن يبدو أن القاعدة التي ذكرتها فيما تقدم<sup>(١)</sup> تجري هنا - أيضا-.

ويتم التماثل مع الطاء بانتقال مخرجها إلى الأمام، مع انتقال صفتها من الشدة إلى الرخاوة، فهو مخرجي، وصفي، كما أنه كلي (تام) رجعي.

كما يحدث مع الذال بانتقال مخرجها إلى الأمام، وتحولها من الشدة إلى الرخاوة، ومن الإطباق إلى الانفتاح، فهو مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي - هذا إذا ألغى الإطباق -، أما إن بقي فالتماثل مخرجي، وصفي، جزئي (ناقص)، رجعي.

هـ- وتدغم في الضاد -على قلة-؛ لتقاربهما في المخرج<sup>(٢)</sup>، إضافة إلى أنهما مطبقان، وتفسير هذا التقارب أن الضاد استطلت بمخرجها حتى اتصلت بمخرج اللام، فأصبحت بهذا من حروف طرف اللسان، فيقال: اضبطْ ضَرْمَةً: اضبطْ ضَرْمَةً<sup>(٣)</sup>.

ويتم التماثل هنا بانتقال مخرج الطاء إلى الخلف، وتحولها من الشدة إلى الرخاوة فهو مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

و- وتدغم في الشين؛ لتقارب مخرجيهما. يقال في نحو - اضبطْ شَبْتًا: اضبطْ شَبْتًا<sup>(٤)</sup>. ويفسر هذا التقارب بأن الشين تفتت بمخرجها، وتوسعت حتى بلغت حروف طرف اللسان، فأصبحت بمنزلتهن.

إلا أن سيبويه وغيره من العلماء يعدّون إدغام الطاء في الضاد أقوى من إدغامها في الشين؛ وذلك لأن استطالة الضاد للشين أكثر قرباً من تفتت الشين، علاوة على أن الطاء والضاد صوتان مطبقان<sup>(٥)</sup>.

وهذا صحيح؛ حيث لا يفصل بين مخرج الطاء ومخرج الضاد سوى ثلاثة أحياز، في حين أنه يفصل بين الطاء والشين أربعة أحياز.

ثم إن الدرس الصوتي الحديث - كما هو مبين في جدول المخارج والصفات - عدّ الطاء والضاد من مخرج واحد (الأسناني اللثوي)، على حين أن الشين من مخرج آخر غير مخرج الطاء، وهذا مما يؤكد صحة ما ذهب إليه القدماء.

(١) ينظر: إدغام الطاء في هذه الرسالة ص ١٧٠ وما بعدها.

(٢) أقصد بالمخرج هنا العام، وليس الخاص.

(٣) الكتاب ٤: ٤٦٥ (هارون). وينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٢٧ ب، ١١٢٨ أ. والضَّرْمَةُ: السَّعْفَةُ أو الشَّحَّةُ في طرفها نار. يقال: "ما بها نافخ ضَرْمَةٌ" أي واحد. والجمع ضَرْمٌ. الصحاح ٥: ١٩٧١ (ضرم). وجاء في القاموس المحيط أن ضَرْمَةٌ اسم رجل "ضَرْمَةُ بن ضَرْمَةَ" ٤: ١٤٢ (ضرم).

(٤) الكتاب ٤: ٤٦٤ (هارون).

(٥) ينظر: الكتاب ٤: ٤٦، الممتع ٢: ٧٠٢ - ٧٠٤، شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٨٢، ٢٨٣.

ويتم التماثل بين الطاء والشين بانتقال مخرجها إلى الخلف، وتحولها من الجهر إلى الهمس، ومن الشدة إلى الرخاوة، ومن الإطباق إلى الانفتاح، فهو مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

أما إذا بقي الإطباق فالتماثل كما تقدم، إلا أنه جزئي (ناقص).

### الدال:

أ- تدغم في الطاء؛ لاتحاد مخرجيهما، واتفاقهما في الجهر والشدة، يقال في نحو - أنقد طالبا: أنقَطَّالبا<sup>(١)</sup>. ويتم التماثل هنا بتحول الدال من الانفتاح إلى الإطباق، أما الجهر والشدة، والمخرج فلم يصبها أدنى تغيير، فالتماثل وصفي، كما أنه كلي (تام) رجعي.

ب- وتدغم في التاء؛ لاتحاد المخرجين - أيضا-، وهما شديدتان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس<sup>(٢)</sup> يقال في نحو - أنقد تلك: انقَتَّلك.

ويفسر التماثل بأن الدال انتقلت من الجهر إلى الهمس، فهو وصفي، كما أنه كلي (تام)، رجعي.

ج- وتدغم في حروف الصفير؛ لقرب المخارج. يقال في نحو. قَدْ سمعت: قسَّمعت<sup>(٣)</sup> ويقال في نحو- أجهذ صابرا: اجهَصَّابرا، وفي نحو - أرشد زيدا: أرشَّيدا<sup>(٤)</sup>.

ويحدث التماثل بين الدال والزاي بانتقال مخرج الدال إلى الأمام قليلا، مع تحول صفتها من الشدة إلى الرخاوة.

أما مع السين فيحدث بانتقال المخرج إلى الإمام - أيضا-، وتحولها الوصفي من الجهر إلى الهمس، ومن الشدة إلى الرخاوة.

وأما مع الصاد فيكون بانتقالها المخرجي إلى الأمام، وتحولها من الجهر إلى الهمس، ومن الشدة إلى الرخاوة، ومن الانفتاح إلى الإطباق.

وهذا يعني أن التماثل في جميع ما تقدم تماثل مخرجي، وصفي، كلي (تام) رجعي.

د- وتدغم في الظاء، والذال، والثاء؛ لقرب المخارج، إذ ليس بينهما إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها<sup>(٥)</sup>.

فيقال في نحو - ابعذ ذلك: ابعذَّلك<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر نفسه ٤: ٤٦٠ (هارون).

(٢) المصدر نفسه ٤: ٤٦١.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٤٦٢، ٤٦٣.

(٤) هذان المثالان وردا في التبصرة والتذكرة (للصيمري) ٢: ٩٤٧.

(٥) الكتاب ٤: ٤٦٤ (هارون).

(٦) المصدر نفسه ٤: ٤٦٤.

كما يقال في نحو - أنقذ ثابتاً: أنقأبتاً، وفي نحو - أردد ظالماً: أردد ظالماً<sup>(١)</sup> ويقع التماثل بين الدال والطاء بانتقال مخرجها إلى الأمام، وتحولها من الشدة إلى الرخاوة ومن الانفتاح إلى الإطباق.

كما يقع مع الذال بانتقال المخرج إلى الأمام - أيضاً- وتحولها من الشدة إلى الرخاوة، أما مع التاء، فيتم بالانتقال المخرجي الأمامي وتحولها الوصفي من الجهر إلى الهمس، ومن الشدة إلى الرخاوة.

وفي ضوء ما تقدم يكون التماثل مخرجياً، وصفيّاً، كلياً (تاماً)، رجعيّاً.

هـ- وتدغم في الضاد - قليلاً-؛ لتقارب مخرجيهما، يقال في نحو أو قد ضرمة: أو قضممة<sup>(٢)</sup>.

ويحدث التماثل في هذه الصورة بانتقال مخرج الدال إلى الخلف، وتحول صفتها من الشدة إلى الرخاوة ومن الانفتاح إلى الإطباق، فهو مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.  
و- كما تدغم في الشين؛ لتقارب المخرجين يقال في نحو انقدشبتاً: انقشبثاً<sup>(٣)</sup>. ويتم التماثل هنا بانتقال المخرج إلى الخلف، مع تحولها من الجهر إلى الهمس ومن الشدة إلى الرخاوة، فهو مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

#### التاء:

أ- وتدغم في الطاء؛ لاتحاد مخرجيهما، يقال في نحو - انعت طالبا: انعطالبا<sup>(٤)</sup> ويتم التماثل هنا بتحول التاء من الهمس إلى الجهر، ومن الانفتاح إلى الإطباق، فهو وصفي، كما أنه كلي (تام) رجعي.

ب- وتدغم في الدال؛ لاتحاد مخرجيهما - أيضاً-. واتفاقهما في أكثر الصفات، يقال في نحو - انعت دُلاماً: انعدلاً ما<sup>(٥)</sup> ويحدث التماثل بتحولها من الهمس إلى الجهر، فالتماثل كالسابق - لا فرق بينهما-.

ج- وتدغم في حروف الصفير؛ للقرب المخرجي بينهما، فيقال في نحو- ذهبْتُ سلمى: ذهبسلمي، وفي نحو- انعت صابراً: انعصابراً<sup>(٦)</sup> كما يقال في نحو - انعتُ زردة:

(١) المصدر نفسه ٤: ٤٦٤.

(٢) ورد هذا المثال في المصدر السابق ٢: ٩٤٧.

(٣) الكتاب ٤: ٤٦٦ (هارون).

(٤) الكتاب ٤: ٤٦٠ (هارون).

(٥) المصدر نفسه ٤: ٤٦٢.

(٦) المصدر نفسه ٤: ٤٦٢، ٤٦٣.

انعزّدة<sup>(١)</sup>.

وقد استشهد سيبويه على إدغام التاء في الصاد - سماعاً - بقول ابن مقبل:  
فكأنما اغتَبَقَصِيرَ عَمَامَةَ      بَعْرًا تُصَفِّقُهُ الرِّيحُ زُلَالًا<sup>(٢)</sup>.  
أصله - اغتَبَقَتَّ صَبِيرَ -.

ويحدث التماثل بين التاء والزاي، بانتقال مخرج التاء إلى الأمام قليلاً، وتحول صفتها من الهمس إلى الجهر، ومن الشدة إلى الرخاوة.

أما مع السين فهو كالزاي، إلا أن الهمس يظل كما هو؛ لأن الصوتين مهموسان، وأما مع الصاد فهو كالسين، إلا أنها تنتقل وصفيًا من الانفتاح إلى الإطباق، وعليه فإن التماثل فيما تقدم يكون مخرجياً، وصفيًا، كلياً (تاماً)، رجعيًا.

د- وتدغم في الظاء، والذال، والتاء؛ لقرب مخرجهن، فيقال في نحو - انعتُ ثابتاً: انعتَابتَا<sup>(٣)</sup> كما يقال في نحو - انعتُ ظالماً انعتَّالماً، وفي نحو - قالتُ ذلك: قالذلك<sup>(٤)</sup>. ويتم التماثل مع الظاء بانتقال مخرجها إلى الأمام، وتحول صفتها من الهمس إلى الجهر، ومن الشدة إلى الرخاوة، ومن الانفتاح إلى الإطباق.

أما مع الذال فبالإضافة إلى الانتقال المخرجي، فأنها تتحول من الهمس إلى الجهر، ومن الشدة إلى الرخاوة.

وأما مع التاء فهو كالذال، إلا أن الهمس لا يصيبه تغير؛ لاتفاقهما قبلاً فيه. وبذا يكون التماثل فيما تقدم مخرجياً، وصفيًا، كلياً (تاماً) رجعيًا.

هـ- وتدغم في الضاد - على قلة -؛ لتقارب مخرجيهما، يقال في نحو - انعتُ ضرمة: انعتُضْرمة<sup>(٥)</sup>.

واستشهد سيبويه على ذلك - سماعاً ممّن يُوثق بعربيته - بقول الرّاجز:

ثَّارَ فَضَجَّضَجَّةً رَكَائِبِهِ<sup>(٦)</sup>

أصلها - فَضَجَّتْ ضَجَّةً، فأدغم التاء في الضاد.

ويحدث التماثل هنا بانتقال مخرج التاء إلى الخلف، مع تحولها من الهمس إلى الجهر،

(١) هذا المثال أورده (الصيرمي) في التبصرة والتذكرة ٢: ٩٤٢.

(٢) الكتاب ٤: ٤٦٦ (هارون).

(٣) المصدر نفسه ٤: ٤٦٤ (هارون).

(٤) ورد هذان المثالان في التبصرة والتذكرة (للسيرمي) ٢: ٩٤١.

(٥) الكتاب ٤: ٤٦٥ (هارون).

(٦) المصدر نفسه ٤: ٤٦٥ (هارون). ونسب هذا البيت إلى القناني! وهو من جملة أبيات يقول في آخرها:

إذا القُمير غاب عنه حاجِبُه      ثار فضجّت ضجةً ركائبه

ومن الشدة إلى الرخاوة، ومن الانفتاح إلى الإطباق.

فهو مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

و- وتدغم في الشين؛ لتقارب مخرجيهما. يقال في نحو - انعتُ شبتًا: انعشيتًا<sup>(١)</sup>.

ويتم التماثل بانتقال مخرجها إلى الخلف مع تحول الصفة من الشدة إلى الرخاوة، فهو

مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي - أيضا.

### الزاي، والسين، والصاد:

ذكر العلماء أن هذه الحروف لا تدغم في غيرها، ويدغم غيرها فيها؛ وهذا راجع إلى

تمييزها بالصفير<sup>(٢)</sup>.

على أن أبا العباس ثعلب (٢٩١هـ) قد اعترض على هذا، قياساً على إدغام النون - وهي

مغنونة - في غيرها.

ورد عليه السيرافي رداً مفاده أن ذلك قياس مع الفارق، فالنون على الرغم من تمييزها

بالغنة - فإن النحاة، والقراء، والعرب قبلهم ثبت عنهم الإدغام.

أما حروف الصفير، فلم يثبت عن العرب أنهم أدغموها في غيرها، ثم إن النون إذا

أدغمت في غيرها فإنها تزداد قوة، حيث تنتقل من الخيشوم إلى الفم، وإن كان في إدغامها

إسقاط للغنة، إلا أن الذي سارت إليه أقوى من الذي سلب وأسقط منها، وليس كذلك حروف

الصفير؛ لأنهن من الفم، وهن أندى في السمع؛ حيث أنهن يتميزن بقوة الوضوح السمعي،

فحينما يدغمن في غيرهن فإن في ذلك سلباً وإسقاطاً لصفة لها أهميتها وشأنها<sup>(٣)</sup>.

والواقع أن للقراءات القرآنية موقفاً مؤيداً لثعلب في جواز إدغام حروف الصفير في غيرها،

ومخالفاً لما عليه أكثر النحويين، فقد قرأ أبي بن كعب، وأبو عمرو برواية أبي عبد الرحمن

بن اليزيدي عن أبيه، الآية من قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾<sup>(٤)</sup> بإدغام السين في الشين

إدغاماً كبيراً<sup>(٥)</sup>.

وأعود فأقول: إن هذه الحروف يدغم بعضها في بعض؛ للاتحاد في المخرج:

أ- فالزاي تدغم في السين، والصاد. يقال في نحو - أوجز صابرا: أوجصّابرا وفي نحو

رُز سَلَمَة: رَسَلَمَة<sup>(٦)</sup>.

ويحدث التماثل مع السين بتحولها من الجهر إلى الهمس، أما مع الصاد فيحدث بتحولها

(١) المصدر نفسه ٤: ٤٦٦ (هارون).

(٢) ينظر: المصدر نفسه ٤: ٤٦٤، ٤٦٥ (هارون)، التكملة ٢: ٢٧٩، التبصرة والتذكرة (للصيمري) ٢: ٩٥٢، شرح

المفصل ١٠: ١٤٦، الممتع ٢: ٧٠٨.

(٣) ينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٤٥ أ، ب، ١٤٦ أ.

(٤) [مريم: ٤].

(٥) ينظر مختصر في شواذ القرآن، ص ٨٣، الإدغام الكبير، لوحة ١٧ ب.

(٦) الكتاب ٤: ٤٦٢ (هارون). ورُز مشتق من الرّوز. يقال رُزْتُهُارُوزُهُ رُوزًا، أي جريته وخبرته. الصحاح ٣: ٨٨٠ (روز).



من الجهر إلى الهمس، ومن الانفتاح إلى الإطباق، وهذا يعني أن التماثل في كلا الصورتين وصفي، كلي (تام) رجعي.

ب- وتدغم السين في الصاد والزاي، يقال في نحو - إحبس صابرا: احبصّابرا، وفي نحو احبس زردة: أحبزردة<sup>(١)</sup>.

ويتم التماثل مع الصاد بتحولها من الانفتاح إلى الإطباق، أما مع الزاي فتتحول من الهمس إلى الجهر، فالتماثل كالسابق تماما.

ج- وتدغم الصاد في الزاي، والسين. يقال في نحو - إحص زردة: افحزردة، وفي نحو - افحص سالما: افحصالما<sup>(٢)</sup>.

وقد أجاز سيبويه في هاتين الصورتين بقاء الإطباق، وذهابه، إلا أن إذهابه مع السين أمثل قليلا؛ لأنها مهموسة مثلها، وكله عربي<sup>(٣)</sup>.

ويحدث التماثل بين الصاد والزاي بتحولها من الهمس إلى الجهر، ومن الإطباق إلى الانفتاح، كما يحدث مع السين بتحولها من الإطباق إلى الانفتاح، فالتماثل في الصورتين وصفي، كلي (تام)، رجعي.

أما إن بقي الإطباق، فالتماثل بين الصاد والزاي وصفي، جزئي (ناقص)، رجعي، ويكون مع السين جزئيا (ناقصا)، رجعياً، وليس للصفة نصيب من التحول؛ إذ إن كلا الصورتين مهموس، رخو.

ويبدو أن التماثل في هذه الصورة الإدغامية غريب، حيث إنه ليس هناك تحول في الصفة، ولذا عدّ العلماء إذهاب الإطباق هنا أحسن من إذهابه مع الزاي، ويكون التماثل عندئذ وصفياً، كلياً (تاماً)، رجعياً - كما سبق -.

### الظاء:

أ- تدغم في الذال، والثاء؛ لاتحاد مخرجيهما. يقال في نحو احفظ ذلك: احفظلك، وفي نحو - احفظ ثابتا: احفظأبثا<sup>(٤)</sup>، وأنت بالخيار في الإطباق، إن شئت أذهبته، وإن شئت أبقيته.

ويحدث التماثل مع الذال بتحولها من الإطباق إلى الانفتاح، فهو وصفي، كلي (تام)، رجعي - هذا إذا أسقط الإطباق -، أما إن بقي فالتماثل يوصف بأنه جزئي (ناقص)، رجعي، وهو في هذه الحالة كالصاد مع السين -.

كما يحدث التماثل مع الثاء بتحولها من الجهر إلى الهمس، ومن الإطباق إلى الانفتاح،

(١) الكتاب ٤: ٤٦١، ٤٦٢ (هارون).

(٢) الكتاب ٤: ٤٦١ (هارون).

(٣) المصدر نفسه ٤: ٤٦١. وينظر شرح المفصل ١٠: ١٤٦، الممتع ٢: ٧٠٧، ٧٠٨.

(٤) الكتاب ٤: ٤٦٢ (هارون).

فهو وصفي، كلي (تام)، رجعي - هذا إذا أُلغِيَ الإطباق -، وإن بقي فالتماثل كالسابق، إلا أنه جزئي (ناقص).

ب- وتدغم في حروف الصفير؛ للقرب المخرجي بينهن. يقال في نحو - احفظ زردة: احفظ زردة، وفي نحو - احفظ سلمه: احفظ سلمه<sup>(١)</sup>، وفي نحو - احفظ صابرا: احفظ صابرا<sup>(٢)</sup>.

ويحدث التماثل بين الظاء والزاي بانتقال مخرج الظاء إلى الراء قليلاً، مع تحولها من الإطباق إلى الانفتاح، ويحدث مع السين كذلك، مضافاً إليه تحولها من الجهر إلى الهمس، فالتماثل مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي - هذا إن أُلغِيَ الإطباق -، وإن بقي فالتماثل يكون مع الزاي مخرجياً، جزئياً (ناقصاً)، كلياً، ولا يلحق بالصفة أدنى تغيير؛ لأنهما مجهورا، رخوان قبلاً.

أما مع السين فإنه مخرجي، وصفي، جزئي (ناقص)، رجعي. ويحدث مع الصاد بالانتقال المخرجي إلى الراء - أيضاً -، والتحول الوصفي من الجهر إلى الهمس، فالتماثل مخرجي، وصفي كلي (تام)، رجعي.

ج- وتدغم في الطاء والذال والتاء؛ لقرب مخرجهن. يقال في نحو - احفظ طالبا: احفظ طالبا<sup>(٣)</sup>، وفي نحو - عِظ داود: عِدَّاد، وفي نحو - عِظ تميما: غِثَمِيما.

ويتم التماثل مع الطاء بانتقال مخرج الظاء إلى الراء، مع تحول وصفي من الرخاوة إلى الشدة، فهو مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

كما يتم مع الذال بانتقالها المخرجي - أيضاً -، وتحولها مع الرخاوة إلى الشدة، ومن الإطباق إلى الانفتاح فالتماثل كالسابق - أيضاً - هذا إذا أُسقط الإطباق -، أما إن بقي فهو مخرجي، وصفي، جزئي (ناقص)، رجعي.

ويتم مع التاء بالانتقال المخرجي، وتحولها من الجهر إلى الهمس، ومن الرخاوة إلى الشدة، ومن الإطباق إلى الانفتاح فالتماثل مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي - هذا إذا أُلغِيَ الإطباق -، وإن بقي فهو كالسابق، إلا أنه جزئي (ناقص).

د- وتدغم في الضاد؛ لتقارب مخرجيهما. يقال في نحو - احفظ ضرمة: احفظ ضرمة<sup>(٤)</sup>.

ويحدث التماثل بانتقال مخرج الظاء إلى الخلف، فهو مخرجي، كلي (تام)، رجعي.

ه- وتدغم في الشين؛ لتقارب المخرجين. يقال في احفظ شنباء: احفظ شنباء<sup>(٥)</sup>، ويحدث التماثل بانتقال مخرجها إلى الخلف، وتحولها من الجهر إلى الهمس، ومن الإطباق إلى الانفتاح -، أما إن بقي فهو كسابقه، إلا أنه جزئي (ناقص).

الذال:

(١) الكتاب ٤: ٤٦٤.

(٢) ورد هذا المثال في المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٧٢ - بتصرف - حيث جاء الفعل بصيغة الماضي "حَفِظ".

(٣) الكتاب ٤: ٤٦٤ (هارون).

(٤) المصدر نفسه ٤: ٤٦٥ (هارون).

(٥) المصدر نفسه ٤: ٤٦٦ (هارون).

أ- وتدغم في الثاء، والطاء؛ لأنهن من مخرج واحد. يقال في نحو - خذ ظالماً: خُظَّالماً، وفي نحو - خذ ثابتاً: خُنَّابِتاً<sup>(١)</sup>.

ويتم التماثل بتحول الذال مع الثاء من الجهر إلى الهمس، أما مع الطاء فإنها تتحول من الانفتاح إلى الإطباق، فالتماثل في الصورتين وصفي، كلي (تام)، رجعي.

ب- وتدغم في حروف الصفير: لقرب المخارج. يقال في نحو - خذ صابراً: خُصَّابِراً، وسُمِعَ عن بعض العرب قولهم في مُذ سَاعَة: مُسَاعَة، وفي مُذ زَمَان: مَزْمَان<sup>(٢)</sup> إلا أن سيبويه يرى أن "البيان فيها أمثل؛ لأنها (أي الطاء وأختيها) أبعد من الصاد وأختيها، وهي رخوة، فهو فيهن أمثل منه في الطاء وأختيها"<sup>(٣)</sup>.

وهذا يعني أن الطاء وأختيها أبعد من حروف الصفير، كما أن الطاء وأختيها أقرب من الصاد وأختيها.

وقد وضَّح السيرافي هذا البعد والقرب بقوله: "إن الطاء وأختيها، والصاد وأختيها تنطبق الأسنان على اللسان عند النطق بهن، ولا يخرج اللسان عن الأسنان، فقد اشتركن في ذلك، والطاء، والذال، والثاء يخرج اللسان عن الأسنان فيهن خاصة، فقد باينهن، وصارت الطاء وأختها أقرب من الصاد وأختيها، ومع ذلك فإن البيان تقويه رخاوة الطاء وأختيها"<sup>(٤)</sup>.

ومجمل القول: أن البيان يتفاوت في صور الإدغام، فهو في بعضها أحسن منه في بعضها الآخر، والذي يحدد ذلك هو القرب من الأصوات المدغمة، سواء كان قريباً مخرجياً، أم قريباً وصفيّاً" فما كان أقرب إلى ما بعده كان إدغامه أحسن، وذلك أن الإدغام إنما كان بسبب التقارب، فإذا قَوِيَ التقارب قوي الإدغام، وإذا ضَعُفَ ضعف الإدغام"<sup>(٥)</sup>.

ويحدث التماثل بين الذال والزاي بانتقال مخرج الذال إلى الوراة قليلاً، فهو مخرجي، كلي (تام)، رجعي، كما أنه وصفي؛ لأن الذال تصبح صوتاً صفيراً.

كما يحدث مع السين بانتقال المخرج أيضاً، وتحولها من الجهر إلى الهمس، وكذا مع الصاد، مضافاً إليه تحولها من الانفتاح إلى الإطباق، فالتماثل في الصورتين مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

ج- وتدغم في الطاء، والذال، والثاء؛ للقرب المخرجي بينهن. يقال في خذ داود: خُدَّادُود<sup>(٦)</sup>، وفي نحو - خذ طاهراً: خُطَّاهِراً، وفي نحو - خذ تميماً: خُتَّمِيماً<sup>(١)</sup>. ويتم التماثل

(١) الكتاب ٤: ٤٦٢ (هارون).

(٢) المصدر نفسه ٤: ٤٦٤.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٤٦٤.

(٤) شرح السرافى على الكتاب ١١: لوحة ١٢٧ أ.

(٥) الممتع ٢: ٧٠٣.

(٦) الكتاب ٤: ٤٦٤ (هارون).

بين الذال والطاء بانتقال مخرجها إلى الخلف قليلاً، مع تحولها من الرخاوة إلى الشدة، ومن الانفتاح إلى الإطباق.

أما مع الدال فإنها تتحول - بالإضافة إلى الانتقال المخرجي - من الرخاوة إلى الشدة، وأما مع التاء فإنه يحدث بالإضافة لما تقدم مع الدال - بتحولها من الجهر إلى الهمس، فالتماثل في هذه الصور - جميعها - مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

د- وتدغم في الضاد: لتقارب المخرجين. يقال في نحو - خُذْضِرْمَة: خُضْرَمَة<sup>(٢)</sup>. ويحدث التماثل بانتقال مخرج الذال إلى الراء، وتحول صفتها من الانفتاح إلى الإطباق، فهو مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

هـ- وتدغم في الشين؛ لتقارب مخرجيهما - أيضاً - يقال في نحو - خُذْ شَنْبَاء: خَشْنَبَاء<sup>(٣)</sup>.

ويحدث التماثل بانتقال مخرجها إلى الراء، وتحول صفتها من الجهر إلى الهمس، فالتماثل كما سبق مع الضاد.

#### الثاء:

أ- وتدغم في الظاء، والذال؛ لاتحاد المخارج. يقال في نحو - ابعثْ ظالماً: أبعثْ ظالماً، وفي نحو - أبعثْ ذلك: ابعثْ ذلك<sup>(٤)</sup>.

ويحدث التماثل مع الظاء بانتقالها من الهمس إلى الجهر، ومن الانفتاح إلى الإطباق، أما مع الذال فيحدث بانتقالها من الهمس إلى الجهر، فالتماثل في كلا الصورتين وصفي، كلي (تام)، رجعي.

ب- وتدغم في حروف الصفير؛ لقرب المخارج. يقال في نحو - أبعثْ سلمة: أبعثْ سلمة<sup>(٥)</sup> وفي نحو - ابعثْ زاهراً، ابعثْ زاهراً وفي نحو - أبعثْ صابراً: أبعثْ صابراً<sup>(٦)</sup>. ويتم التماثل مع الزاي بانتقال مخرج الثاء إلى الراء قليلاً، وتحولها من الهمس إلى الجهر، فهو مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

ويتم مع السين بالانتقال المخرجي، والوصفي، فالتماثل مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي. ويتم مع الصاد بالانتقال المخرجي، وتحولها من الانفتاح إلى الإطباق، فهو

(١) ورد هذان المثالان في الهمع ٦: ٣٠١، ٣٠٠ - بتصرف يسير في "خُذْ تَمِيمًا" - حيث حل الفعل "خُذْ" محل الفعل "اربطْ" الذي أورده السيوطي لادغام الطاء في التاء "اربطْ تَمِيمًا".

(٢) الكتاب ٤: ٤٦٥ (هارون).

(٣) المصدر نفسه ٤: ٤٦٦.

(٤) المصدر نفسه ٤: ٤٦٢ (هارون).

(٥) الكتاب ٤: ٤٦٤.

(٦) ورد هذان المثالان في المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٧٢ - بتصرف - حيث ورد الفعل بصيغة الماضي "بَعَثَ".

مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

ج- وتدغم في الطاء، والذال، والتاء؛ لقرب مخارجهن. يقال في ابعث تلك: ابعثك<sup>(١)</sup>، وفي نحو - ابعث طالبا" ابعطالبا، وفي نحو - ابعث داود: ابعداود<sup>(٢)</sup>، وقد احتج سيبويه لإدغام التاء في التاء بقولهم ثلاث دراهم وثلاث أفلس، يريدون ثلاثة أفلس، كما قالوا: حدتْهم، يريدون حدتْهم<sup>(٣)</sup>.

ونجد في بعض القراءات القرآنية ما يؤيد هذا، حيث ورد أن ابن محيصن قرأ الآية من قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، بإدغام تاء "ثلاثة" ثلاث<sup>(٥)</sup>.

ويحدث التماثل بين التاء والطاء بانتقال مخرج التاء إلى الراء، مع تحولها من الهمس إلى الجهر، ومن الرخاوة إلى الشدة، ومن الانفتاح إلى الإطباق.

وأما مع الدال - فيكون - بالإضافة إلى الانتقال المخرجي - بتحويلها من الهمس إلى الجهر، ومن الرخاوة إلى الشدة.

وأما مع التاء فيكون بالانتقال في المخرج - أيضاً -، وتحويلها من الرخاوة إلى الشدة. ولذا فإن التماثل في الصور المتقدمة مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي.

د- وتدغم في الضاد؛ لتقارب المخرجين. يقال في نحو - ابعث ضرمة: ابعثرمة<sup>(٦)</sup>. ويتم التماثل بانتقال مخرج التاء إلى الراء، وتحويلها من الهمس إلى الجهر، ومن الانفتاح إلى الإطباق، فهو بهذا مخرجي، وصفي، كلي (تام)، رجعي - أيضاً -.

هـ- وتدغم في الشين؛ لتقارب مخرجيهما. يقال في نحو - ابعث شنياء: ابعشنياء<sup>(٧)</sup>. ويحدث التماثل بينهما بالانتقال المخرجي إلى الخلف، فهو بذا مخرجي، كلي (تام)، رجعي، كما أنه وصفي؛ لأنها تصبح صوتاً متفشياً.

### الضاد والشين:

ذكرت فيما مضى أن حروف طرف اللسان والثنايا تدغم في هذين الحرفين، كما ذكرت أن الجيم تدغم في الشين، وليس هناك ما يمنع الإدغام. أما إدغام الضاد، والشين في غيرهما من الحروف، فذاك غير جائز عند سيبويه ومن

(١) الكتاب ٤: ٤٦٤ (هارون).

(٢) ورد هذان المثالان في المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٧١.

(٣) الكتاب ٤: ٦٤٦ (هارون). وينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١: لوحة ١٢٧ أ.

(٤) [الكهف: ٢٢].

(٥) المحتسب (لابن جني) ٢: ٢٦.

(٦) الكتاب ٤: ٤٦٥ (هارون).

(٧) المصدر نفسه ٤: ٤٦٦.

تبعه من النحاة، معللين ذلك بأن في الضاد والشين حاجزاً حصيناً، ومانعاً قوياً يحول دون الإدغام، هو استطالة الضاد، وتفشي الشين<sup>(١)</sup>.

وقد كان حرياً بسببويه في هذا المقام أن يلحق الضاد بتلك الحروف التي سبق أن ذكر أنها لا تدّعم في غيرها، ويدعم غيرها فيها، وذلك مما جعل العلماء بعده يستدركون عليه ذلك<sup>(٢)</sup>.

على أن ما منعه النحاة أجازته بعض القراءات القرآنية، فقد روي أن ابن محيصن قرأ بادغام الضاد في التاء من "أَفْضُتُمْ"<sup>(٣)</sup>، كما روي أنه قرأ بادغام الضاد في الطاء من "أَضْطَرَّة"<sup>(٤)</sup>.

وهناك قراءات أخرى تدّعم الضاد في كل من: الشين، والجيم، الزاي، الذال، والطاء، كما أن هناك قراءة بادغام الشين في السين، وسأتعرض لهذه القراءات بالتحليل في موضوعه - إن شاء الله-<sup>(٥)</sup>.

وانتقل بعد هذا إلى ذكر صور الإدغام بين الحرفين في الكلمة الواحدة.

### الإدغام في الكلمة الواحدة:

يقع الإدغام في الكلمتين كما يقع في الكلمة الواحدة - أيضاً -، إلا أن الإدغام فيما هو من كلمة واحدة أيسر وأسهل منه فيما كان من كلمتين، وقد تقدم ذكر النوع الأول، وسأتحدث عن النوع الآخر، الذي يتمثل في صيغة (افتعل)، وما يشق منها (يفتعل، مفتعل....)، كما يتمثل في تاء الفاعل المتصلة بالفعل وكان قبلهما أحد حروف الإطباق أو الدال، أو الذال، يضاف إلى هاتين الصيغتين ما ورد عن العرب، وعُدّ شاذاً، غير مطرد.

### أ - الإدغام في ذوات التاء:

أنه إذا اجتمع المتقاربان مخرجاً في كلمة واحدة ازداد ثقلهما<sup>(٦)</sup>، فحينما يصاغ من الفعل "تَرَدَّ"<sup>(٧)</sup> على وزن (مُفْتَعِل) يقال فيه: مُتَثَرِدٌ، فيجتمع حينئذ التاء، والتاء، وهما من مخرجين متجاورين، إضافةً إلى اتفاقهما في الهمس والترقيق، وعلى هذا ففي النطق بهما نوع

(١) ينظر: المصدر نفسه ٤: ٤٦٦ (هارون)، المقتضب ١: ٢١١، ٢١٢، شرح المفصل ١٠: ١٣٩، ١٤٠، الممتع ٢: ٦٨٨ - ٦٩٠، شرح شافيه ابن الحاجب ٢: ٢٧٠. وقد أضاف بعض العلماء علتين أخريين للضاد، هما: الإطباق والاستعلاء. ينظر: ٢: ٦٨٩، ٦٩٠، المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٦٦. كما أضاف بعضهم للشين علة أخرى، هي الرخاوة! شرح شافية ابن الحاجب ٢: ٢٧٠.

(٢) ينظر: المقتضب ١: ٢١٢، سر صناعة الإعراب ١: ٢١٤، شرح شافية ابن الحاجب ٢: ٢٧٠.

(٣) [البقرة: ١٩٨]. ينظر: شواذ الكرمانى "مخطوط"، ص ٣٧.

(٤) [البقرة: ١٢٦]. ينظر: المحتسب ١: ١٠٦.

(٥) ينظر: الادغام عند ابن الجزري في هذا الرسالة ص ٢٧٩ فيما بعدها.

(٦) الكتاب ٤: ٤٦٧ (هارون).

(٧) يقال: تَرَدَّدًا: كسرته... والتَرَدُّدُ، بالتحريك: تشقق في الشفتين. الصحاح ٢: ٤٥١ (ترد).

من الثقل، والصعوبة على اللسان.

ويفسر هذا الثقل بأن في ذلك استخداماً للسان مرتين: مرةً بتقدمه إلى الأمام لينطق بالثاء، وأخرى برجوعه إلى الراء لينطق بالثاء.

ولكي يتخلص من هذا الثقل تدغم الثاء في التاء - على القياس والأصل في الإدغام - فيقال: مُتْرَد، وهذا هو المشهور في الاستعمال، وهو إبقاء القوي في القياس<sup>(١)</sup> إلا أنه قد رُوِيَ عن بعض العرب أنهم يقولون: مُتْرَد - بالثاء المثلثة -<sup>(٢)</sup>. وتحليل حدوث التماثل في هذه الصورة يختلف من حدوثه في مُتْرَد - بالثاء المثناة -، حيث فيه يتم انتقال مخرج التاء إلى الأمام قليلاً، وتحولها من الشدة إلى الرخاوة، ويتبع ذلك وقوع التأثير من الأول على الثاني (١) ث (٢) ت، وذلك يعني أن التماثل هنا مخرجي، وصفي، كلي، تقديمي.

وبالصورتين رُوِيَ قول لبيد بن ربيعة العامري:

النَّيْبُ إِنْ تَعَزُّ مَنِّي رَمَّةً خَلَقَا      بعد الممات فإني كنت أَنْتَرُ  
بالثاء المثلثة، وبالثاء المثناة<sup>(٣)</sup>.

كما حكى الفراء أنه سمع بعض بني أسد يقول: قد أَنْتَر، وغيرهم: قد أَتْعَر<sup>(٤)</sup>، وعقَّب على اللغة الأولى بقوله: "وهذه اللغة كثيرة فيهم خاصة"<sup>(٥)</sup>.

ومما يلاحظ هنا أن "مُتْرَد" قد تلتبس بـ"مُفْتَعَل" من "وَرَدَ"، كما أن "أَنْتَر" قد تلتبس بـ"أَفْتَعَل" من "وَأَرَّ"<sup>(٦)</sup>، وقد يقع اللبس - أيضاً - في "تَعَر" من "وَعَرَ"، وسأناقش هذه القضية في موضع آخر من هذا المبحث - إن شاء الله -<sup>(٧)</sup>.

ويقال في مستمع: مَسْمَع، بالإدغام<sup>(٨)</sup>، فالسين والتاء من مخرجين متجاورين، علاوةً على أنهما مهموسان، مرققان.

وتم الإدغام هنا على غير القياس، حيث قلب الثاني إلى جنس الأول، وقد اغتفر هذا؛

(١) سر صناعة الإعراب ١: ١٧٢.

(٢) ينظر: الكتاب ٤: ٤٦٨ (هارون)، الصحاح ٢: ٤٥١ (ثرد)، شرح السرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٢٩ أ.

(٣) ينظر: شرح ديوان لبيد، ٦٣، وأضداد بن الأبياري، ص ١٤٦، حيث ورد بالثاء، "أَنْتَر"، وورد بالثاء "أَنْتَر" في مصادر أخرى. ينظر: أضداد أبي الطيب اللغوي ١: ٣٢١، مقاييس اللغة ١: ٣٩٧ (ثأر) والنَّيْب: الإبل المسنة. والمعنى - إن كانت هذه الإبل ستأكل عظامي الرميمة بعد وفاتي، فقد كنت أنحرها للضيوف، وبذا أدركت تأري منها في حياتي.

(٤) معاني القرآن ١: ٢٥١. والنعر: ما تقدم من الأسنان. وإذا سقطت رواضع الصبي قيل تُعَر، فهو متغور، فإذا نبتت قيل أَتْعَر... وإن شئت قلت: نُعَر، الصحاح ٢: ٦٠٥ (نعر)، وذكر ابن فارس أنهم ربما قالوا عند السقوط أَتْعَر... مقاييس اللغة ١: ٣٧٩ (نعر).

(٥) معاني القرآن ١: ٢١٥.

(٦) وَأَرُّ يَبْرُهُ وَأَرَا: أي أفرعه وذعره... الصحاح ٢: ٨٤١ (وَأَر).

(٧) ينظر: الإدغام الشاذ غير المضطرد في الكلمة الواحدة في هذه الرسالة ص ١٩٤-١٩٨.

(٨) الكتاب ٤: ٤٨٦ (هارون). وينظر: شرح المفصل ١٠: ١٥١.

لاتصاف الأول بصفة مميزة ليست في الثاني، هي الصغير.  
 والتماثل في هذه الصورة مخرجي، وصفي، كلي، تقديمي.  
 وحينما يصاغ من الفعل "صبر" على وزن "مُفْتَعِل" يقال: مُصْتَبِرٌ، ثم تتحول هذه الصيغة بتأثير  
 قانون التماثل إلى مُصْطَبِرٍ، وقد سبق بيان حدوث التماثل هنا في مرحلته التأثرية الأولى<sup>(١)</sup>.  
 إلا أن بعض العرب لم يقف عند حدود هذه المرحلة - أعني مرحلة الإبدال التماثلي -،  
 بل تجاوزه إلى الإدغام التماثلي. ويحدث هذا بقلب الطاء صاداً، وإدغام الصاد في الصاد،  
 فيقال: مُصَّبِرٌ<sup>(٢)</sup>.

والإدغام في هذه الصورة غير قياسي - أيضاً -، حدث قلب الثاني إلى جنس الأول؛  
 للعلة نفسها في مسمع.

ولا يجوز أن يقال: مُطَّبِرٌ، فيحافظ بهذا على الأصل في الإدغام، ويُحتفظ بميزة الصاد؛ لأن  
 الحفاظ على مزية الصوت - في نظر أكثر النحويين - أولى من تحقيق الأصل في الإدغام.  
 على أنه يبدو أن امتناع مُطَّبِرٍ عائد إلى كون مصبر أوضح، وأقرب إلى الفهم، والدلالة  
 على المقصود، فضلاً عن كون مطَّبِرٍ قد تلتبس بـ"مُفْتَعِل" من "طَبَّرَ"<sup>(٣)</sup> والتماثل في مصَّبِرٍ  
 تماثل مخرجي، وصفي، كلي، تقديمي.

وقد استشهد سيبويه على هذا النوع من التماثل بقراءة بعضهم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ  
 يَصْلَحَا﴾<sup>(٤)</sup> بفتح الياء، وتشديد الصاد، وفتحها<sup>(٥)</sup>.

أصلها - يصطلحا، أبدلت الطاء صاداً، ثم أدغمت الصاد في الصاد. وإذا صيغ من  
 الفعل "ضجع" على وزن "مُفْتَعِل" - أيضاً - قيل: مُضْجَعٌ، ثم تبدل التاء طاء فيقال:  
 مُضْطَجَعٌ. وهذه هي المرحلة الأولى للتماثل. ثم تأتي المرحلة الأخيرة فيه، فيقال: مُضْجَعٌ،  
 ومُطْجَعٌ - في بعض اللغات<sup>(٦)</sup> -.

فالإدغام في الصورة الأولى غير قياسي، ولكنه مغتفر، أما في الأخرى فهو قياسي، ولكن فيه  
 إسقاطاً لميزة الضاد (الاستطالة) التي ذكر النحاة أنها حاجز حصين يحول دون الإدغام.  
 والواقع أن سيبويه وقع في حرج من ذلك، فإما أن تُدغم الطاء في الضاد، ويُحافظ ذلك

(١) ينظر: ما يحدث في صيغة افتعل ومشتقاتها - ذوات التاء - في هذه الرسالة

(٢) الكتاب ٤: ٤٦٧ (هارون).

(٣) طَبَّرَ الرجل: إذا قفز، وطَبَّرَ - إذا اختبأ، ووقعوا في طَبَّارٍ - أي داهية - اللسان ٤: ٤٦٥ (طبر).

(٤) [النساء: ١٢٨].

(٥) قرأ بذلك عاصم الجحدري، كما ورد في إعراب القرآن (للنحاس) ١: ٤٥٨، والمحتسب ١: ٢٠١. وأضاف بعضهم -  
 عثمان البتي؟. ينظر: تفسير القرطبي: ٥: ٤٠٤.

(٦) الكتاب ٤: ٤٧٠ (هارون).



على استتالة الضاد، ويُلغى قاعدة الإدغام، وهي أن يقلب الأول إلى جنس الثاني، وإما يدغم الضاد في الطاء، ويكون بهذا قد ألغى ميزة الضاد، وحافظ على قاعدة الإدغام، إلا أنه قدّم الاختيار الأول، وأورد الاختيار الآخر على أنه لغة لبعض العرب.

ومما يلاحظ في هذين الاختيارين وضوحهما، ودلالتهما على المقصود على عكس ما عليه "مطبر"، كما أن القول بـ"مطجع" لا يحدث التباساً بصيغة أخرى - كما هو عليه الحال في "مطبر". وقد علّل سيبويه للإدغام في مطجع تعليلاً أن الإدغام في الكلمة الواحدة أقوى وألزم منه في كلمتين، كما أن تجاور حرفين متقاربين فيه ثقل، ويزداد ثقلاً في الكلمة الواحدة، أضف إلى ذلك أن الصوتين المدغمين مطبقان، علاوةً على أن اجتماع الضاد والطاء في كلمة واحدة قليل، فاغتر الإدغام للأسباب المتقدمة<sup>(١)</sup>.

وتحليل الصورتين نجد أن الاحتفاظ بمزية الضاد يجعل التأثير واقعاً من الصوت الأول على الثاني (١) ض (٢) ط، فالتمائل تقدمي.

أما إذا حوِّظ على أصل الإدغام - فالتأثير حاصل من الثاني على الأول (١) ض (٢) ط، فالتمائل رجعي. وقد وصف ابن جني ما حدث في هذه الصورة بأنه شاذ لا يؤخذ به، كما وصف هذه اللغة بأنها مرنولة<sup>(٢)</sup>، وعدّ ابن يعيش ذلك من القليل الغريب<sup>(٣)</sup>. وعلى هذه الصورة قرأ بن محيىن الآية من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اضْطَرَّه﴾<sup>(٤)</sup>، بإدغام الضاد في الطاء "أطرة"<sup>(٥)</sup>، كما جاء في بعض روايات الرجز المنسوب إلى منظور بن مرثد السدي ما يؤيد هذا، وهو:

لما رأى أن لادعاه ولا شبع مال إلى أرطاة حقف فاطجع<sup>(٦)</sup>.

وحيثما يصاغ من الفعل "ظلم" على وزن "مفتعل" يقال "مظلم"، ثم تبدل التاء طاء: بغية تماثل الصوتين المتجاورين المتنافرين تماثلاً جزئياً فيقال: مظلم، ثم تأتي مرحلة تماثل الصوتين تماثلاً كلياً. وقد ذكر سيبويه أن هذا يتحقق في صورتين:

إحداهما - أن يقال - على القياس - : مظلم - بطاء مهملة -، والتمائل هنا رجعي،

(١) ينظر: الكتاب ٤: ٤٧٠ (هارون)، شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٣١ أ.

(٢) سر صناعة الإعراب ١: ٢١٩، المحتسب ١: ١٠٦.

(٣) شرح المفصل ١٠: ١٤٩.

(٤) [البقرة: ١٢٦].

(٥) المحتسب ١: ١٠٦.

(٦) ينسب هذا البيت - كما تقدم - إلى منظور بن مرثد، وقيل: منظور بن حبّو - نسبة إلى أمه - . ينظر: المقاصد النحوية

(اللعيني) - بهامش خزنة الأدب (للبيدادي) (بولاق) ٤: ٥٨٤، شرح شواهد الشافية (للبيدادي) ص ٢٧٤ - ٢٧٦.

ولذا البيت ثلاث روايات أخر، أولاهما "فاضطجع"، وثانيهما - بإبدال الضاد "فاضطجع" ينظر: المحتسب ١: ١٠٧.

وثالثهما = "فاضج" بالضاد المشددة. ينظر: سر صناعة الإعراب ١: ٣٢١، تهذيب الألفاظ (للخطيب التبريري) ص

٣٠٢. والأرطاة: شجرة من شجر الرمل، والحقف: المعوجّ من الرمل. والمعنى - إن الذئب لما رأى أنه قد تعب من ملاحقة

ذلك الطي، وأنه لا يستطيع إدراكه فيشبع من لحمه.. عمد إلى شجرة ذات رمل متعرج فاضطجع عندها.

والأخرى - أن يقال - على غير القياس - : مَظْلَمٌ - بظاء معجمة، ويكون التماثل تقديمياً<sup>(١)</sup>، وقد استشهد سيبويه بقول زهير بن أبي سلمى:

هو الجواد الذي يُعْطِيكَ نائِلَه عفواً ويُظْلِم أحياناً فيظلم<sup>(٢)</sup>.

حيث أدغمت الظاء في الطاء.

وقد تلتبس هذه الصيغة بـ"يَفْتَعِلُ"<sup>(٣)</sup> - لو جاءت مفردة -، أما في هذا البيت فإن قرينة السياق اللفظية "يظلم" تقوم بتوضيح المعنى.

وإذا صيغ من الفعل "ذكر" على وزن "مُفْتَعِلٌ" قيل: مُدْتَكِرٌ، وتزداد درجة التماثل لتميل إلى الفناء الكامل فيقال: مَدَّكَرٌ - بدال مهملة -، كما يقال: مَدَّكَرٌ - بدال معجمة<sup>(٤)</sup>.

وأستشهد سيبويه على الصور الأولى بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾<sup>(٥)</sup>، وعلى الصورة الأخرى "مَدَّكَرٌ" قرأ قتادة<sup>(٦)</sup>، وقيل: إنها لغة لبعض بني أسد<sup>(٧)</sup>.

والتماثل في الصورة القياسية رجعي، في حين أنه تقدمي في الصورة غير القياسية.

وإذا صيغ من الفعل "زان" على وزن "مُفْتَعِلٌ" قيل: مَزْتَانٌ، ثم تبدل - بتأثير عامل التماثل - التاء دالاً، فيقال: مَزْدَانٌ، ثم تأتي مرحلة التماثل الكامل، فيقال: مَزَّانٌ<sup>(٨)</sup> على سبيل التماثل التقدمي.

وعلى هذه الصورة قرئت الآية من قوله تعالى: ﴿مَافِيَهْ مُزْدَجَرٌ﴾<sup>(٩)</sup> بتشديد الزاي ﴿مُزَجَّرٌ﴾<sup>(١٠)</sup>.

ولا يجوز في مَزَّانٌ أن يقال: مُدَّانٌ بالتماثل الرجعي؛ لأن ذلك - وإن كان فيه قلب للأول إلى جنس الثاني وفق الأصل في الإدغام - إلا أن فيه - من وجهة نظر النحاة - إسقاطاً لصفير الزاي، وإدغام الأصلي في الزائد. ويمكن إضافة علة ثالثة لما تقدم، وهي أن في هذه الصورة التباساً "مفتعل" من "دان، يدين"، أو بالمتنى من "مُدّه".

هذا ما يتعلق بصيغة (افتعل) وما يتصرف منها. وانتقل بعد ذلك إلى الإدغام في تاء

(١) الكتاب ٤: ٤٦٨، ٤٦٩ (هارون).

(٢) المصدر نفسه ٤: ٤٦٨. وللبيت روايات أخرى. ينظر: شرح ديوان زهير (صناعة ثعلب) ص ١٥٢، سر صناعة الإعراب ١: ٢١٩. والمعنى - أن الممدوح (هرم بن سنان) يُعْطِي من يقصده بسهولة، ودون تعب، وقد يُطْلَب في غير وقت الطلب فيكلف نفسه، ويحملها ما لا تطيق. ينظر: شرح ديوان زهير، ص ١٥٢، تحصيل عين الذهب ٢: ٤٢١، ٤٢٢.

(٣) الطَّلْمَة: الخبزة. يقال: طَلَّمَ الخبزة - أي سَوَّاهَا، وعدلها. القاموس ٤: ١٤٤، ١٤٥ (ظلم).

(٤) الكتاب ٤: ٤٦٩ (هارون).

(٥) [القمر: ١٥]. وهي قراءة الجمهور. ينظر: إعراب القرآن (للنحاس) ٣: ٢٨٦، البحر ٨: ١٧٨.

(٦) ينظر: إعراب القرآن (للنحاس) ٣: ٢٨٦.

(٧) ينظر: معاني القرآن (للفراء) ٣: ١٠٧.

(٨) الكتاب ٤: ٤٦٧، ٤٦٨ (هارون).

(٩) [القمر: ٤].

(١٠) البحر ٨: ١٧٤.

(فعلت)، التي يكون قبلها بعض حروف الإطباق، أو الدال، أو الذال. فيقال في: خَبَطْتُ: خَبْتُ، وفي وَعَظْتُ: وَعْتُ، وفي أَخَذْتُ: أَخْتُ.

والتماثل في هذه الصور رجعي، وتمَّ الإدغام على القياس في أن الأول يقلب إلى جنس الثاني. وقد ذكر صاحب اللسان - معقياً على بيت علقمة - السابق - بأنه "لو قال: خَبْتُ، يريد خَبَطْتُ، لكان أقيس اللغتين..."<sup>(١)</sup>.

كما صرح الفراء بأن مذهب العرب في الإدغام (التماثل التام) أن يقع التأثير من الثاني على الأول، إلا أن بعضهم يُقَلِّبُ الأول على الثاني، فيصبح التماثل بهذا تقدماً. يقول في ذلك - معلقاً على الآية من قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَحَطُّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ...﴾<sup>(٢)</sup>: "قال بعض العرب: احطّ فأدخل الطاء مكان التاء، والعرب إذا لقيت الطاء التاء، فسكنت الطاء قبلها صيروا الطاء تاء، فيقولون: أحطّ كما يحولون الطاء تاء في قوله ﴿أَوْعَتْ أُمٌّ لَمْ تَكُنْ مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾<sup>(٣)</sup> كما صيروا والذال والدال تاء مثل ﴿أَخْتَمُ﴾<sup>(٤)</sup> ومن العرب من يحول التاء إذا كانت بعد الطاء طاء، فيقول: أحطّ<sup>(٥)</sup>.

فهذه النصوص - جميعها - تشير إلى أن التماثل الرجعي يسير مع قاعدة الأصل في الإدغام، في حين أن التقدمي يسير في اتجاه مضاف لها، على أننا نلمس في الوقت نفسه أن معظم اللغويين والنحاة تلهيهم الصناعة من رعاية أمن اللبس.

صحيح أن الإدغام فيما تقدم من أمثلة قياسي، جار على الأصل في الإدغام، ولكنه في بعض أمثله ك"خَبْتُ"، و"وعت" قد يحدث لبساً ب"فَعَلْتُ" من "خَبْتُ"، و"وعَدَ" - وخاصة حينما تأتي هاتان الصيغتان منعزلتين عن السياق -<sup>(\*)</sup>.

هذا ما يتصل بتاء "فَعَلْتُ". أما تاء "تَفَعَّلَ" و"تَفَاعَلَ" ومشتقاتهما فإنها تدغم فيما تدغم فيه التاء. فمن ذلك قولهم: يطوعون، يدكرون، يسمعون. أصلها - يتطوعون، يتذكرون، يتسمعون<sup>(٦)</sup>.

(١) ٧: ٢٨٣ (خبط)، وقد ذكر ابن جني ما يخالف هذا، حيث يقول: "ولو قال: خَبَطْتُ" (هكذا) لكان أقيس اللغتين، سر صناعة الإعراب ١: ٢١٩. ويبدو أن ما ورد في بعض نسخ "سر صناعة الإعراب"، التي ذكرها المحقق في الهامش، وهو "خَبْتُ"، وما جاء في اللسان هو الصحيح الذي به يستقيم الكلام.

(٢) [النمل: ٢٢].

(٣) [الشعراء: ١٣٦]، وهي في المصحف "أوعظت".

(٤) [آل عمران: ٨١]. وهي في المصحف "أخذتم".

(٥) معاني القرآن ٢: ٢٨٩.

(\*) يبدو لي أن القرينة اللفظية السياقية تزيل اللبس، وتقوم بإيضاح المعنى المقصود، وهي بقية الآية... أم لم تكن من الواعظين، حيث تدل على أن ما بعد الهمزة من قبيل الوعظ، وليس الوعد، ويمكن أيضاً أن تقوم القرينة الصوتية - في حالة عدم الإدغام الكامل -، بتوضيح المعنى المراد، وأقصد بها حركة اللسان مع الإطباق.

(٦) الكتاب ٤: ٤٧٤ (هارون). وينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٣٤ أ، شرح المفصل ١٠: ١٥٢.

واستشهد سيبويه على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى﴾<sup>(١)</sup> و ﴿يَنْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وبقراءة بعضهم.  
﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد عدّ سيبويه الإدغام في هذه الصيغة أقوى، كما عدّ البيان فيها عربي حس؛ لتحرك الصوتين المدغمين<sup>(٤)</sup>.

وينبغي التنبيه إلى أن الأمثلة المتقدمة الفعل فيها مضارع، أما إن كان ماضياً، فلا بد من اجتناب همزة الوصل، حيث لا يبدأ بساكن، وهمزة الوصل لا تدخل على الأفعال المضارعة، وإنما "بابها الأفعال الماضية"<sup>(٥)</sup> فمن ذلك قولهم: اطّوع، اذّكر، أصلها - تطوع، تذكر<sup>(٦)</sup>.

واستشهد سيبويه على هذا بقوله عز وجل: ﴿فَادَارَأْتُمْ فِيهَا﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿وَأَزَيْتَتْ﴾<sup>(٨)</sup>، "اطِيرْنَا بِكَ"<sup>(٩)</sup>.

والأصل فيها: تدارأتم، وتزيتت، وتطيرنا، والتماثل في جميع ما تقدم رجعي.

واختتم القول في هذه المسألة - على وجه العموم - بأن (افتعل) وما تتصرف منه يكون التماثل فيها - في الغالب الاعم - تقديمياً. وقد رأينا أن هناك بعض الأمثلة التي أجاز فيها العلماء صورتين من صور الإدغام - كما في، اضّجع، واطّجع، واذّكر، وادّكر، ومطّعن، ومطّعن - ممن الممكن أن يطلق عليها "تماثل تبادلي"؛ حيث يتبادل الصوتان التأثير والتأثر، ويسري هذا الحكم على تاء (فَعَلْتُ) -.

أما صيغة (تفعل) و(تفاعل)، وما يتصرف منهما، فإن التماثل فيها رجعي - قولاً واحداً - وغني عن القول: أن التماثل الذي يحدث في هذه الصيغ لا يتم إلا في مواقع صوتية محددة، ومشروطة.

## ب. الإدغام الشاذ غير المطرد في الكلمة الواحدة:

ذكر سيبويه بعض الصور الإدغامية في الكلمة الواحدة، التي وردت عن بعض العرب، وُعدت شاذة، غير مطردة، تحفظ ولا يقاس عليها.

فمن ذلك "سَتْ". قيل: إن أصلها سدس، بدليل أنك لو صغرته قلت: سديس، ولو جمعتها قلت: أسداس، والتصغير والتكسير - كما يقول النحاة - يردان الأشياء إلى أصلها<sup>(١٠)</sup>، فاجتمع سينان، بينهما حاجز غير حصين، قريب من مخرج السين، فلو ادّغمت الدال في

(١) [الأعراف: ١٣١].

(٢) [الأنعام: ١٢٦].

(٣) [الصفافات: ٨]. وتنسب هذه القراءة لحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، وابن عباس بخلاف عنه، وابن وثّاب، وعبد الله بن مسلم، وطلحة، والأعمش. ينظر: السبعة، ص ٥٤٧، البحر ٧: ٣٥٣، الاتحاف، ص ٣٦٨.

(٤) الكتاب ٤: ٤٧٤، ٤٧٥ (هارون).

(٥) شرح المفصل ١٠: ١٥٢.

(٦) الكتاب ٤: ٤٧٥ (هارون).

(٧) [البقرة: ٧٢].

(٨) [يونس: ٢٤].

(٩) [النمل: ٤٧].

(١٠) شرح المفصل ١٠: ١٥٣، وينظر: التبصرة والتذکر (للصيمري) ٢: ٨٥١.

السين - وذلك جائز لغة - فإنها تصبح: سِسْ، وبذا يجتمع في الكلمة ثلاث سينات اجتماعاً لا يؤدي إلى معنى مفهوم.

ولو ادّغت السين في الدال، فقيل: سِدٌّ، ذلك غير جائز؛ لأنه يتم على حساب صفير السين. وحيث إن الأمرين غير ممكنين، عمدوا إلى إبدال السين صوتاً شبيهاً بها من جهة، وبالدال من جهة أخرى، وهو التاء.

فالعلاقة الصوتية بين المبدلين - السين والتاء - أنهما مهموسان، مرققان، وتتحقق بين الصوتين التماثلين - الدال والتاء - في كونهما من مخرج واحد، إضافة إلى أنهما شديدان، مرققان، فقالوا: سَدْتُ على سبيل التماثل التقدمي.

ثم تأتي من بعد ذلك مرحلة تماثلية أخرى، حيث إن الفرصة مواتية لحدوثها. فالصوتان متجاوران في الموقع، متحدان في المخرج، متقاربان في الصفة، ولذا كرهوا اجتماعهما، فأدغموا الدال في التاء، وقالوا: سَتٌّ<sup>(١)</sup> على سبيل التماثل الرجعي<sup>(٢)</sup>.

وكما يلاحظ أن امتناع الإدغام في هذه الصورة عائد إلى متطلبات الجانب الصوتي، والجانب الدلالي، وكأني بهذه الصورة الإدغامية تشبه إدغام العين في الهاء في مثل "مَعَهُم" المتقدمة، حيث يجتمعان في أن كليهما يُستبدل به بصوت ثالث ذي علاقة بهما، كما أن التماثل فيهما تبادلي، ويفترقان في أن التماثل في "مَعَهُم" في مرحلته الأولى (الإبدالية) رجعي، وفي مرحلته الأخرى (الإدغامية) تقدمي، في حين أنه في "سدس" تقدمي في مرحلته الأولى، ورجعي في مرحلته الأخرى.

وقد كان الإدغام في "ست" شاذاً - على الرغم من كثرة استعماله في الكلام، وتحقيقه لمبدأ الخفة على اللسان -؛ لندرة وقوع مثيلة في العربية.

ومثل هذا في الشذوذ - لا في علة الشذوذ - ما روي عن بني تمت قولهم "وَدٌّ" في "وَتِدٌّ"<sup>(٣)</sup>. وتفسير ذلك أن تميماً أسكنت التاء في "وَتِدٌّ"، ولذلك نظائر في لغتهم، حيث يقولون في فخذ: فخذ، وفي عضد عضد، فلما سكنت التاء، وجاورت الدال، استنقلوا النطق بهما، فأدغموا التاء في الدال، فقالوا: وَدٌّ، على سبيل التماثل الرجعي.

(١) ينظر: الكتاب ٤: ٤٨١، ٤٨٢ (هارون). شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٤٠ ي، ١٤١ أ، الممتع ٢: ٧١٥، ٧١٦، شرح شافية ابن الحاجب ٢٦٦: ٣.

(٢) يرى بعض الباحثين المحدثين أن ما حدث في "ست" ليس تماثلاً، وإنما مخالفة (تخالف). ينظر: اللهجات في كتاب سيبويه (صالحة راشد آل غنيم) ص ٢٢٥ - ٢٣٠. ولواقع أنني لا أعلم أحداً قال بهذا سوى (بروكلمان)، حيث يرى إمكانية وقوع المخالفة في "ست" إلى جانب المماثلة المتبادلة. ينظر: فقه اللغات السامية، ص ٥٩، ٥٧. وقد صرح بعض المحدثين بأن ما حدث في "ست" يعد من باب التشابه - (التماثل) المتبادل. ينظر: التطور النحوي ص ٣٢، ٣٣، كما نكر بعضهم أن فيها تماثلاً تقدمياً، وآخر تخلفياً (رجعياً). ينظر: علماء الأصوات العرب سبقوا اللغويين المحدثين في ابتكار نظرية التماثل (د. مطر) ص ٥٤، وهو ما أرجحه. ويرى بعضهم أنه ليس هناك إبدال، ولا ادغام، ومن ثم لا تماثل فيها ولا تخالف، ويرجح أن تكون "ست" و"سدس" لهجتين استعملت الأولى بعد أن تداولت اللهجات واختلفت في العدد العام، واستعملت الأخرى في حالة التصغير اللغوي "سدس" والاصطلاحي "سدسية" ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ١٢٩. وللمزيد ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص ٣٥٣ - ٣٥٦.

(٣) الكتاب ٤: ٤٨٢ (هارون). وقد عزيت هذه اللغة في بعض المصادر إلى أهل نجد. ينظر: إصلاح المنطق (لابن السكيت) ص ١٠٠، الصحاح ٢: ٥٤٩ (ودد)، ومن المعروف أن تميماً من أهل نجد، للمزيد في هذه القضية ينظر: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة (غالب المطليبي) ص ٤٥ - ٤٨، لغة تميم (د. ضاحي عبد الباقي) ص ٥٣ - ٥٧.

أما سبب الشذوذ هنا فيعود إلى خوف الالتباس بالمضعف "وَدِدَ"، ولذا وصف سيبويه لغة الحجازيين التي تبين الحرفين على أصل الكلمة بأنها "الجيدة"<sup>(١)</sup>، وعلى هذا ف يمكن القول: إنَّ الشذوذ بدأ مُذْ سَكَنَ عَيْنَ الْكَلِمَةِ؛ حيث إنَّ التَّسْكِينَ جَعَلَ الْإِدْغَامَ أَمْرًا تَوَجَّبَهُ الْضَّرُورَةُ، فَلَوْ لَمْ يَسْكُنُوا، لَمَا وَقَعَ إِدْغَامٌ.

ومثل هذا في الشذوذ - حُكْمًا وَعِلَّةً - قولهم: عِدَانٌ فِي عِدَانٍ<sup>(٢)</sup>.

قال الأخطل:

وإذْكَرَ عُذَانَةَ عِدَانًا مُرْتَمَةً      مِنْ الْحَبْلِقِ تُبْنَى حَوْلَهَا الصَّيْرُ<sup>(٣)</sup>.

وسبب الشذوذ - كَوْدٌ - في أنه قد يلتبس بالمضعف فيما عينه ولامه من جنس واحد، حيث قد ذكر صاحب الصحاح أنهم يقولون: "كان ذلك على عِدَانِ فلان، وَعِدَانِ فلان، أي على عهده وزمانه، قال الفرزدق:

ككسرى على عِدَانِهِ أَوْ كَقَيْصِرًا<sup>(٤)</sup>

والتماثل في عِدَانِ رَجْعِي - أَيْضًا -.

هذا ما ذكره سيبويه عن الإدغام في كلمة واحدة - سواء أكان مطرداً أم شاذاً -، وقد رأينا كيف أن الإدغام في هذه الحالة يُحدث اللبس عن طريق تداخل الصيغ، الأمر الذي ينعكس بالسلب على الجانب الدلالي.

وفي الحقيقة إنَّ بعض العلماء الأوائل قد أشار إلى هذه القضية (أمن اللبس) - وليس المجال يسمح هنا للتعرض التفصيلي لمثل هذا -، غير أن الذي أود قوله في هذا المقام: إنَّ بعض العلماء ذكر أنه إذا اجتمع المتقاربان مخرجاً في كلمتين فيجوز الإدغام، ولا يُبالي باللبس متى عرض، ويمتنع في الكلمة الواحدة؛ لما في ذلك من اللبس، كما في نحو - أنملة -، يستثنى من ذلك صيغة (افتعل) و(تفاعل) و(تفعل)؛ لأن التاء زائدة، فهي بمنزلة المنفصل "قَامِنَ التباس إدغام المتقاربين في هذه الابنية بإدغام المثليين؛ لأن الإظهار يبين الأصل، كما كان ذلك في الكلمتين"<sup>(٥)</sup>.

ووافق بعضهم فيما كان في كلمتين، أما في الكلمة الواحدة فإن أدّى الإدغام إلى لبس امتنع، وإن لم يُؤدِّ جاز<sup>(٦)</sup>.

(١) الكتاب ٤: ٤٨٢ (هارون). وينظر: الجمل، ص ٣٨٠.

(٢) الكتاب ٤: ٤٨٢ (هارون). والعُدَّان: جمع عُدود، والعنود من أولاد المعز: ما رعى وقوي وأتى عليه حول. الصحاح ٢: ٥٠٥ (عتد).

(٣) ورد هذا الشاهد في: شعر الأخطل، ص ١١١، مقاييس اللغة ٢: ٤٠١٧ (عتد)، شرح شواهد الشافية، ص ٤٩٢. وعُدانة: قبيلة من تميم، والمُرْتَمَة: ذات الرِّزْم، والحَبْلِق: أولاد المعز، والصَّيْر: جمع صيره، وهي الحظائر. والمعنى: يهجو هؤلاء القوم بأنهم رعاة لا ذكر لهم ولا شرف.

(٤) ٢: ٥٠٧ (عدد).

(٥) الممتع ٢: ٧١٢، وينظر: المصدر نفسه ٢: ٧١١.

(٦) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٦٦ - ٢٦٩.

وبتطبيق هذا المقياس على صور الإدغام المتقدمة، نجد أن الرأي الأول هو السائد،  
المأخوذ به، أما الرأي الآخر - وهو - فيما أرى - أكثر دقةً وصحةً من الأول - فلم يُطبَّق  
إلا في بعض أمثلة صيغة (افتعل) - كأمحي، وادّكر وادّكر.

وقد تبين لي - من خلال هذه الدراسة - أن العلماء - لغويين ونحاة - منعوا بعض  
صور الإدغام؛ حفاظاً على صفات صوتية مميزة، أو خوفاً من الالتباس بإدغام المثليين، أو  
ببعض الصيغ والابنية، أو ابتعاداً عن الخروج على الأصل في الإدغام - وهذه جوانب  
صوتية - صرفية -، ولم ينل الجانب الدلالي - على أهميته - حظاً من هذا المنع، وإن  
كان يبدو أنه مُدرّج ضمن الجانب الصوتي، والصرفي.

والواقع أن اللبس - بصفة عامة - يحدث في جميع مستويات الدرس اللغوي، سواء أكان  
صوتاً، أم صرفاً، أم نحواً، أم دلالة، أم معجماً<sup>(١)</sup>.

وإذا استعرضنا الأمثلة الإدغامية المتقدمة فإننا نجد بعض تلك الأمثلة يحدث فيها التباس،  
فمنها: ابعثُ شنباء، وابعجُ شنباء، حيث تصبح "ابعج" كأنها "ابعث"، هذا في الكلمتين، أما في  
الكلمة الواحدة فإن الأمثلة كثر، واللبس يتضح فيها بشكل كبير، فمن ذلك:

مترد من ورد، ومترد من ثرد.

انتر من تار، وانتر من وأر.

مطبر من صبر، ومطبر من طبر.

يظلم من ظلم، ويظلم من ظلم.

مُدان من زان، ومُدان من دان، يدين.

خَبْتُ من خبط، وخَبْتُ من خبت.

وَعْتُ من وعظ، ووَعْتُ من وعد.

ونحن في هذه الصور الإدغامية أمام اعتبارين: إما أن نؤثر الخفة، والسهولة، والقياس

(الأصل في الإدغام) على حساب الوضوح، والفهم، وعدم اللبس، وإما العكس..

والذي يبدو أن إيثار صوت على صوت في الإدغام؛ لخفته وسهولته، أمر فيه صعوبة

حكم، إذ ليس من اليسير في بعض الأحيان - كما يقول إبراهيم أنيس -: "الحكم على أي

الصوتين أسهل، أو أصعب"<sup>(٢)</sup>، كما أن فيه نسبية حكم - أيضاً -، فما قد يستسهله قوم

(١) للدكتور (تمام حسان) بحث قيم عن وسائل أمن اللبس في المستويات المتقدمة، بعنوان "أمن اللبس ووسائل الوصول

إليه في اللغة العربية"، نشر في حوليات كلية دار العلوم، بالقاهرة، عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩م، ص ١٢٣ - ١٤٠.

(٢) الأصوات، ص ٢٣٦. وينظر: اللغة والتطور (د. عبد الرحمن أيوب) ص ٣٢ - ٣٤، دروس في الألسنية العامة، ص

٢٢٦.

يستصعبه آخرون، وعكس ذلك صحيح، فـ"ربما كثر بعض الحروف في لغة على قوم، وخفّ عليهم النطق به، وقل في لغة أخرى، واستثقلوه"<sup>(١)</sup>.

ولذا فإن الوضوح، والفهم، وعدم اللبس في الأداء اللغوي مُقَدَّم على ما عداه، ومن ثم فهو - فيما أراه - أولى بالاستعمال.

والآن، وبعد أن استعرضت - بالتفصيل - ما ذكره سيبويه عن الإدغام (التمائل التام)، والإخفاء (التمائل الناقص) فإنه يمكن أن أضع التصور العام لهاتين الصورتين التماثليتين في النقاط الآتية:

أولاً: يشمل مفهوم الإدغام عند سيبويه معنى أوسع، وأشمل من ذلك المفهوم الاصطلاحي الضيق، فهو يعني عنده التقريب - إبدالاً كان أو إدغاماً -.

### ثانياً: يأتي الإدغام على ثلاثة أوجه:

- أ- أن يقلب الأول إلى جنس الثاني. وهذا هو الأصل في الإدغام.
- ب- أن يقلب الثاني إلى جنس الأول. وهذا على خلاف القاعدة، وهو قليل لا يتأتى إلا بأسباب صوتية محددة.
- ج- أن يقلب الصوتان - الأول، والثاني - إلى حرف ثالث قريب منهما. وهذا شيء نادر فريد، لا يحدث إلا في صور معدودة.

### ثالثاً: قسم سيبويه صور الإدغام إلى ثلاثة أقسام:

- أ- أصوات لا تدغم فيما يقاربهما، ولا يدغم مقاربهما فيها.
  - ب- أصوات لا تدغم فيما يقاربهما، ويدغم مقاربهما فيها.
  - ج- أصوات متقاربة يدغم بعضها في بعض.
- ويمكن صياغة هذا التقسيم - بصفة أعم - على النحو الآتي:
- أ- أصوات لا تدغم في غيرها، ولا يدغم غيرها فيها: ويمثلها "ء - أ.
  - ب- أصوات لا تدغم في غيرها، ويدغم غيرها فيها، وهي: ح - ش - ي - ض - ر - م - ف.
  - ج- أصوات تدغم في غيرها، ويدغم غيرها فيها، وهي: غ - خ - ق - ك - ج - ل - ن - ظ - د - ت - ز - س - ص - ظ - ذ - ث - و.

(١) شرح السيرافي على الكتاب، ١١: لوحة ١٥١ب. ولعل صحة العبارة - هكذا- "...فخف عليهم...، ... فاستثقلوه" بالفاء، وليس بالواو.



د- أصوات تدغم في غيرها ولايدغم غيرها فيها، وهي: ع- ه- ب<sup>(١)</sup>.  
رابعاً: يقع الإدغام بين الأصوات العربية جميعها - عدا الهمزة - بطبيعية الحال، وهذا يؤكد مقولة أبي عمرو بن العلاء: "الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها لا يحسنون غيره"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) للدكتور (عبد الصبور شاهين) إحصاء مغاير - قليلاً - لما ذكرته، وبالتحديد في تصنيف الأصوات الآتية: (أ- ر- و- ب). فأما الألف فلم يذكرها - مطلقاً - في الإحصاء، وإن كان سيبيويه وغيره من العلماء قد ذكروها في الحروف.. ولعل الدكتور (عبد الصبور) أغفل ذكرها؛ بالنظر إلى أنها حركة (فتحة طويلة)، والإدغام لا يكون إلا في الصوامت (الحروف). وهذا ما تؤيده الدراسات الصوتية الحديثة. أما الواو فقد اعتبرها من ضمن الأصوات التي لا تدغم في غيرها، ويدغم غيرها فيها، وأما الراء والباء فقد صنّفها في الأصوات التي تدغم في غيرها ويدغم غيرها فيها ينظر اثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ١٨٣. وأحسب أن السبب في عدم اتفاقنا على هذه الإحصائية عائد إلى ما أتيج لكل منا للإدغام بطريقة تختلف عن الآخر.  
(٢) الإدغام الكبير، لوحة ٤ ب.

وإليك بيان إجمالي لصور الإدغام عند اللغويين والنحاة جدول رقم (٥):

هـ	تدغم في: ح
ع	" " : ح - غ - خ
ح	" " : غ - خ
غ	" " : خ
خ	" " : غ
ق	" " : ك
ك	" " : ق
ج	" " : ش
ل	" " : ن - ر - ط - د - ت - ز - س - ص - ظ - ذ - ث - ض - ش
ن	" " : ل - ر - م - و - ي
ط	" " : د - ت - ز - س - ص - ظ - ذ - ث - ض - ج - ش
د	" " : ت - ط - ز - س - ص - ظ - ذ - ث - ض - ج - ش
ت	" " : ط - د - ز - س - ص - ظ - ذ - ث - ض - ج - ش
ز	" " : ص - س
س	" " : ص - ز
ص	" " : ز - س
ظ	" " : ذ - ث - ز - س - ص - ط - د - ت - ض - ج - ش
ذ	" " : ث - ظ - ز - س - ص - ط - د - ت - ض - ج - ش
ث	" " : ظ - ذ - ز - س - ص - ط - د - ت - ض - ج - ش
ب	" " : م - ف
و	" " : ي

وبذا يبلغ عددها عندهم أربعاً ومائة صورة "١٠٤".

خامساً: لا يتم حدوث الإدغام إلا في ضوء وجود علاقة بين الصوتين المدغمين وبدونها لا يتحقق الإدغام.

ومفهوم هذه العلاقة أن تكون مخرجية - في المقام الأول-، أو أن تكون وصفية.

سادساً: تقسم المخارج أو المناطق الصوتية العامة (الكبرى) عند القدماء على النحو الآتي:

أ- منطقة الحلق - وتشمل: هـ - ع - ح - غ - خ.

ب- منطقة الفم - وتشمل: ق- ك- ج- ش- ي- ض- ل- ن- رط- د- ت- ز-  
س- ص- ظ- ذ- ث.

ج- منطقة الشفتين - وتشمل: ف- ب- م- و.

وقد استقلت كل منطقة بإدغام أصواتها بعضها في بعض، فمن الصعوبة أن تدغم منطقة كالحلق - مثلاً - في أي منطقة أخرى، وما قيل عن الحلق يجري - أيضاً - على منطقة الفم، والشفتين<sup>(١)</sup>، وإحصاء نسبة ذلك نجد أنها تبلغ ٩٧.١١ %.

سابعاً: توزع الصور الإدغامية على المخارج الصوتية الخاصة (الصغرى) - عند القدماء - على النحو التالي:

أ- المخارج المتحدة:

وهي التي يشترك أصواتها المدغمة في الخروج من حيز واحد: وتشمل الصور الإدغامية الآتية:

ع + ح: غ + خ: خ + غ: ج + ش: ب + م: ط + د: ط + ت: د + ط: د + ت: ت  
+ ط: ت + د: د: ظ + ذ: ظ + ث: ذ + ظ: ذ + ث: ث + ظ: ث + ذ: ز + س: ز + ص:  
س + ز: س + ص: ص + ز: ص + س.

وبذا تبلغ ثلاث وعشرون صورة. أي بنسبة ٢٢.١١ %.

ب- المخارج المتجاورة (المتلاصقة):

وهي التي لا يفصل بينها فاصل مخرجي، وتكون على النحو الآتي:  
ط + ز: ط + س: ط + ص: د + ز: د + س: د + ص: ت + ز:  
ت + س: ت + ص: ظ + ز: ظ + س: ظ + ص: ذ + ز: ذ + س  
ذ + ص: ث + ز: ث + س: ث + ص: ع + غ:

ع + خ: ح + غ: ح + خ: ل + ن: ن + ل: ن + ر: ه + ح:  
ق + ك: ك + ق: ل + ض: ب + ف.

مجموعها ثلاثون صورة. أي نسبة ٢٨.٨٤

(١) يستثنى من هذا القانون العام ثلاث صور، هي:

إدغام النون في الواو.

أدغام النون في الميم.

أدغام الواو في الياء.

وإحصاء نسبة هذا نجد أنها تبلغ ٨٨,٢ % . وقد سبق ذكر التعليل لجواز الإدغام في هذه الصور. ينظر: الإدغام في الحروف المتقاربة لسببويه في هذه الرسالة ص ١٣٧ فما بعدها.

ج- المخارج غير المتجاورة:

وهي التي يفصل بينها فاصل مخرجي، فأكثر، وصورها كالاتي:

١- ما يفصل بينهما فاصل واحد:

ط + ظ: ط + ذ: ط + ث: د + ظ: د + ذ: د + ث: ت + ظ:

ت + ذ: ت + ث: ظ + ط: ظ + د: ظ + ت: ذ + ط: ذ + د

د + ت: ث + ط: ث + د: ث + ت: ل + ش: ل + ر.

فمجموعها عشرون صورة. أي بنسبة ١٩.٢٣%.

٢- ما يفصل بينهما فاصلان:

ل + ط: ل + د: ل + ت: ن + ي

فمجموعها أربع صور. أي بنسبة ٣.٨٤%.

٣- ما يفصل بينها ثلاثة فواصل:

ط + ض: د + ض: ل + ز: ل + س: ل + ص.

فمجموعها ست صور. أي بنسبة ٥.٧٦%.

٤- ما يفصل بينها أربعة فواصل:

ط + ج: د + ج: ت + ج: ط + ش: د + ش: ت + ش: ل + ظ:

ل + ذ: ل + ث.

فمجموعها تسع صور. أي بنسبة ٨.٦٥%.

٥- ما يفصل بينها خمسة فواصل:

ظ + ض: ذ + ض: ث + ض: ن + م: ن + و.

فمجموعها خمس صور. أي بنسبة ٤.٨٠%.

٦- ما يفصل بينها ستة فواصل:

ظ + ج: ذ + ج: ث + ج: ظ + ش: ذ + ش: ث + ش.

فمجموعها ست صور. أي بنسبة ٥.٧٦%.

٧- ما يفصل بينها ثمانية فواصل:

و + ي

فمجموعها صورة واحدة. أي بنسبة ٠.٩٦%.

وبذا يصبح مجموع ما أدغم في أصوات متحدة أو متجاورة ثلاثاً وخمسين صورة، في حين

أنه يبلغ في الأصوات غير المتجاورة إحدى وخمسين صورة.

واستطيع أن أسجل - في ضوء ما تقدم - النتائج التالية:

١- أن نسبة وقوع الإدغام في الأصوات المتحدة، والمتجاورة تفوق - بشيء يسير - نسبة وقوعه في الأصوات غير المتجاورة (٩٦، ٥٠: ٠٣، ٤٩). ومما يلاحظ في هذا المقام أنه يبدو أن تحديد البعد بين المخارج في ضوء التوزيع المخرجي الخاص أمر اعتباطي، ونسبي في الوقت نفسه، بحيث لا يمكن الركون إليه، أو الاعتماد عليه. أما المخارج الكبرى فقد تُعطي بعض التصور لمعرفة البعد بين المخارج.

٢- أنه من غير الممكن إدغام صوتين يفصل بينهما أكثر من ثمانية فواصل، طبقاً لمخارج الأصوات عند القدماء.

٣- أن وقوع الإدغام بين الأصوات غير المتجاورة في المخرج له ما يُسوّغه، ففي بعضها - وهو الكثير - أنهن يشتركن في المنطقة المخرجية العامة (الفم)، وفي بعضها الآخر - وهو القليل - يشتركن في اتحاد الصفات - كالنون مع الميم، ومع الواو، والواو مع الياء، وقد تجتمع العلتان معاً في بعض صور ذلك - كالدال مع الجيم -.

٤- أن مفهوم العلاقة المخرجية يعتمد على الاتحاد في المخرج، أو القرب فيه. وهذا يقرر أن الإدغام (التماثل التام) يقوم على مبدأ التقارب بين الأصوات.

ثامناً: تتفاوت درجة حسن الإدغام من صورة لأخرى، بحسب القرب في المخرج والصفة، فكلما تقاربت الأصوات المدغمة حسُن الإدغام، وقوى، وكلما تباعدت ضعُفَ، وقلّ.

تاسعاً: أن أصل الإدغام لحروف الفم، واللسان؛ وهذا راجع إلى تجاور أصواتها، وتقاربها، إضافة إلى المرونة التي تتميز بها العضلة المحركة لتلك الأصوات (اللسان).

وهذا القانون - الذي ذكره سيبويه - لم يوفق علم الأصوات العصري إلى اكتشافه ومعرفته إلا منذ خمسين سنة على الأكثر - كما يقول شاده<sup>(١)</sup>.

عاشراً: يكون الإدغام في كلمة، كما يكون في كلمتين، إلا أنه في الكلمتين أشق منه في الكلمة الواحدة.

حادي عشر: أن الإدغام لا يبخر الحروف حقها، خاصة من حيث الموقع، أما من حيث المخرج والصفة - فإنه قد يصيبهما شيء من التغيير.

ثاني عشر: يُعدّل عن الإدغام متى أدى إلى الالتباس، أو إلى إسقاط صفة مميزة للصوت.

ثالث عشر: هناك صفات صوتية تحول دون الإدغام، كالتفشي، والتكرار، والاستطالة،

(١) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص ٢٥.

والغنة...الخ. ويمكننا توزيع هذه الصفات عند الإدغام على النحو التالي:

أ- صفات لا أهمية لها مطلقاً، وهي: الجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، والتوسط بين الشدة والرخاوة، والانحراف، والاستعلاء.

ب- صفات لها بعض الأهمية، وهي: الإطباق، والغنة.

ج- صفات لها أهمية كبرى، وتؤخذ في الاعتبار حين الإدغام، وهي الصغير، والتنفسي، والاستطالة، والتكرار، والمد واللين<sup>(١)</sup>.

رابع عشر: لم يعتد سيبويه - صراحةً - بقانون الأضعف والأقوى في الصفات عند الإدغام، وإن كان يبدو أنه أعطى بعض الصفات أهمية خاصة، إلا أن عنايته بتلك الصفات من حيث أنها صفات مميزة ينبغي الاحتفاظ بها عند الإدغام.

خامس عشر: أن الإدغام - بصفة عامة - يُعدُّ ظاهرةً نطقيةً، تدمج الأصوات في بعض - سواء أكانت متماثلة أم متقاربة -، وكذلك الإخفاء.

سادس عشر: تُوزَعُ صور الإخفاء على المخارج الصوتية - عند القدماء - كما يلي:

#### أ- المخرج العام:

١- الإخفاء في منطقة الفم: ويشمل: ن + ق: ن + ك: ن + ج: ن + ش: ن + ض: ن + ط: ن + د: ن + ت: ن + ز: ن + س: ن + ص: ن + ظ: ن + ذ: ن + ث

ومجموعها أربع عشرة صورة.

٢- الإخفاء في منطقة الشفتين: ويشمل - م + ب.

٣- الإخفاء بين الفم والشفتين - ويشمل: ن + ف.

٤- الإخفاء بين الفم والحلق - ويشمل: ن + غ: ن + خ.

وبمقارنة هذا نجد أن الجزء الأكبر من صور الإخفاء تحقق فيه علاقة مخرجية بين الصوتين المخفيين، حيث تبلغ نسبة ذلك ٨٣,٣٣%، أما بقية الصور، فمنهن واحدة (ن + ف) لم

(١) للدكتور (عبد الصبور شاهين) توزيع آخر، يختلف قليلاً عما ذكرته، حيث قد عدَّ الغنة من ضمن الصفات التي اعتد بها النحاة اعتداداً كاملاً.

ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ٢١١ - ٢١٥.

وقد رأينا في الغنة - كما تقدم - أن العلماء كانوا يُخَبِّرون عند ادغام الصوت المتميز بها بين إبقائها، أو إساقطها - مثلها - مثل الإطباق -، مما يدل على أن لها بعض الأهمية عند الادغام.

تتحقق فيها هذه العلاقة، والأخريان (ن + غ: ن + خ) رويتا على أنهما لهجة لبعض قبائل العرب، مما يدل - بصفة مجملة - على أن كل منطقة استقلت بإخفاء أصواتها.

## ب- المخرج الخاص:

- ١- المخارج المتحدة: م + ب.
  - ٢- ما يفصل بينها فاصل واحد: ن + ط: ن + د: ن + ت: ن + ض.
  - ٣- ما يفصل بينها فاصلان: ن + ز: ن + س: ن + ص: ن + ج: ن + ش.
  - ٤- ما يفصل بينها ثلاثة فواصل: ن + ظ: ن + ذ: ن + ث: ن + ك.
  - ٥- ما يفصل بينها أربعة فواصل: ن + ف: ن + ق.
  - ٦- ما يفصل بينها خمسة فواصل: ن + غ: ن + خ.
- وهذا يعني أنه من غير الممكن إخفاء أحد الصوتين عند الآخر، والفاصل بينهما أكثر من خمسة مخارج، تبعاً للتوزيع المخرجي عند القدماء.
- والواقع أن المخرج الخاص لا يُعوّل عليه في معرفة البعيد أو القريب من الخارج، والدليل على هذا ما نراه في إخاء النون عند القاف، حيث عدّ - في ضوء المنطقة المخرجية العامة - من باب المتحدّين في المخرج، في حين قد يبدو عليه البعد، في ضوء المخرج الخاص.
- ولو نظرنا إلى الإدغام فإننا نجد ما يؤكد هذا - أيضاً -، مما يدعوني للتأكيد مرة أخرى على أن المخارج الخاصة (الصغرى) لا تقدم لنا مفهوماً دقيقاً لفكرة التقارب أو التباعد.
- والشيء الذي أود قوله بعد هذه الأمور: أن دراسة سيبويه عن الإدغام تُعدّ من أوفى الدراسات وأدقها، بحيث لم يترك زيادةً لمستزيد، اللهم إلا تلك الاستدراكات المعدودة التي ذكرها العلماء بعده.

ويكفي أن نعلم أن جميع الذين تحدثوا عن الإدغام - فيما اطلعت عليه - لم يستطيعوا التخلص من الاعتماد على ما ذكره سيبويه في هذه المقام، بل إن بعضهم ردّد عبارة سيبويه، وعلل بتعليقه، وتوقف عند هذا الحد<sup>(١)</sup>، وبعضهم قام بشرح عبارته، وكشف مبهمها، وإيضاح غامضها، وترتيب مادتها - ليس إلا<sup>(٢)</sup> -، وهم - فيما أحسب - معذورون في هذا، فما ذا يمكن أن يقال - نظرياً - في الإدغام بعد سيبويه!؟

(١) ينظر - مثلاً -: الأصول (لابن السراج) ٣: ٤١٤ فما بعدها.

(٢) ينظر: المقتضب ١: ٢٠٧ فما بعدها، التكملة ٢: ٢٧٦ فما بعدها، التبصرة والتذكرة (للصيمري) ٢: ٩٣٧ فما بعدها،

شرح المفصل ١٠: ١٣٤ فما بعدها، الممتع ٢: ٦٧٩ فما بعدها.

ومن اللافت للنظر أن أمثلة سيبويه التي أوردتها في الإدغام لم تكن كاملة لجميع صورته - كما رأينا -، ولعلنا نعتذر منه في هذا النقص يقول ابن عصفور - معقّباً على عدم إيراد بعض أمثلة الإدغام -: "وتمثيل الإدغام في ذلك بيّن لا يُحتاج إليه"<sup>(١)</sup>.

ويلاحظ على تلك الأمثلة أن فيها نوعاً من التكلف، والاصطناع، وخفاء المعنى، وذلك ما يجعلها - في نظري - بعيدة عن مستوى الدراسة.

ولو اعتمد سيبويه في هذا الجانب على القرآن، لحسن الاستشهاد، وقوي الدليل<sup>(٢)</sup>، وهذا يعطي بعض الدلالات على الاختلاف، والتباين بين اللغويين، وعلماء القراءات في دراسة الإدغام.

وسوف نلمس ذلك بوضوح أثناء تناول علماء القراءات لهذه الظاهرة وأنهى القول في هذا: بأن سيبويه لم يمهّد الطريق للعلماء بعده في دراسة هذه الظاهرة فحسب، بل إنه وضع القواعد (القوانين) العامة - إجمالاً -، وتوصل إلى نظريات تأسيسية، أيدها الدرس الصوتي الحديث.

فهذه دراسة إمام النحاة عن ظاهرة التماثل بين الأصوات الصامتة، واستطيع أن أسجل النتائج العامة لهذه الدراسة في النقاط التالية:

أولاً: أن مصطلح التقريب عام، يشمل إبدال أحد الصوتين بالآخر، كما يشمل فناء أحد الصوتين في الآخر.

ثانياً: تتضح ظاهرة التماثل بين الأصوات الصامتة في الإبدال، والإقلاب، والإشمام والإخفاء، والإدغام، وتقوم في جميع صورها - على مبدأ التقارب - سواء أكان مخرجياً أم وصفيّاً -.

ثالثاً: تحدث هذه الظاهرة بين الأصوات المتجاورة (المتلاصقة) في الموقع، كما تحدث بين الأصوات غير المتاخمة، التي يفصل بينها بفاصل موقعي، على أن التجاور في هذه الظاهرة كلما ازداد قريباً كان أقوى على التأثير والتأثر.

وقد أيد علم الأصوات الحديث هذه الملاحظة كل التأييد - كما يقول شاده<sup>(٣)</sup> -.

رابعاً: يحدث التقريب (التمائل) في صور هذه الظاهرة عن طريق الانتقال المخرجي - منفرداً، أو الانتقال الوصفي - منفرداً - أيضاً -، أو بهما معاً، أو عن طريق انتقال مجرى الهواء.

(١) الممتع ٢: ٧٠٦.

(٢) استشهاد سيبويه للإدغام بعشر آيات - فقط -، هي (هل ثوب)، (بل تؤثرون)، (لا يسمعون)، (يصلحنا)، (مذكر)، (يذكرون)، (فأدارتم) (وازينت)، (اطيرنا)، (يطيروا).

(٣) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص ١٩.



خامساً: أن التقريب (التماثل) يأتي في صور وأشكال شتى، فيكون جزئياً (ناقصاً)، كما يكون كلياً (تمامً)، ويكون رجعيّاً (مدبراً أو تخلفياً)، كما يكون تقديمياً (مقبلاً أو اتباعياً)، ويكون متصلاً، كما يكون منفصلاً.

سادساً: أن الغرض من التماثل هو طلب الخفة (الاقتصاد في الجهد العضلي). وهذه القاعدة - كما يذكر شاده - لم يكتشفها علم الأصوات الحديث إلا منذ خمسين عاماً، على يد عالم سويسري يدعي "فنتلر"<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥.

الفصل الثاني  
التمائل عند ابن جني  
المبحث الأول  
الإدغام الأصغر  
المبحث الثاني  
الإدغام الأكبر

المبحث الأول  
الإدغام الأصغر  
الإبدال  
الإقلاب  
الإشمام

## الإدغام الأصغر عند ابن جني:

تحدث ابن جني عن هذه الظاهرة تحت عنوان "الإدغام الأصغر". وقد أطلق عليها مصطلح "التقريب"، أو "التقارب"، و "المضارعة"<sup>(١)</sup>، كما أطلق عليها مصطلحا آخر، هو "التجنيس"<sup>(٢)</sup>.

وهذا المصطلح الأخير يحدد - بكل دقة - الغرض من جميع صور هذه الظاهرة، ولذا فقد وصف أحمد علم الدين الجندي هذا المصطلح بالصحة، كما وصف ابن جني بالبراعة في إيجاد هذه التسمية<sup>(٣)</sup>. إلا أنني أود التنبيه إلى أن هذا المصطلح ليس لابن جني، بل هو مسبوق إليه بشيخه أبي علي الفارسي (٣٧٧ هـ)، حيث قد أطلق على هذه الظاهرة مصطلح "التشاكل"، أو "المشكلة"، و"التجانس"<sup>(٤)</sup>.

وإذا ما نظرنا إلى دراسة ابن جني لهذه الظاهرة، فإنه يبدو لنا أنها اتسمت بالتفصيل في بعض الجوانب، وبالإجمال في جوانب أخرى.

لقد تناول ابن جني ظاهرة التقارب، أو التماثل. بالدرس والتحليل على مستوى الصوامت (الحروف)، كما تناولها على مستوى الصوائت (الحركات)، وأخيراً على مستوى الصوامت والصوائت معاً.

والذي سأتناوله هنا هو المستوى الحرفي، أي ما يتعلق بالتقارب بين الصوامت، أما المستوى الحركي أو المزدوج، فسأتناوله تحت ظاهرة الإمالة.

وشيء آخر، هو أن ابن جني لم يقتصر في ظاهرة التقريب والتجنيس (التماثل) على ما يحدث بين صوتين صامتتين، أو بين صوتين صائتين، أو بينهما معاً - أي على مستوى الأصوات - بصفة عامة -، وإنما تجاوزها إلى ما يحدث من تجنيس ومشكلة بين الكلمات أو الألفاظ، كما هو ملاحظ في الإتياع نحو قولهم: "شيطان ليطان"، و"حَسَنٌ بَسَنٌ... الخ"<sup>(٥)</sup>. وتلك قضية أخرى يمكن دراستها في نطاق ما يسمى بـ"التناسب اللفظي"، حيث يدخل ضمنها الفواصل القرآنية، والقوافي الشعرية... الخ<sup>(٦)</sup>، وكل ذلك مما لا علاقة له بالتقريب (التماثل) بين الأصوات - صامتة كانت أو صائتة -.

(١) ينظر: الخصائص ٢: ١٣٩، سر صناعة الإعراب ١: ٥١، ٢: ٨١٦، المحتسب ٢: ٢٧٣.

(٢) ينظر: المنصف ٢: ٣٢٤، ٣٢٥.

(٣) اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي ١: ٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) ينظر: الحجة ١: ٣٩، ١٥٤، ١٥٥. والتشاكل أو المشكلة يعنيان المشابهة، والموافقة، والمماثلة. ينظر: اللسان ١١: ٣٥٦، ٣٥٧ (شكل).

(٥) المنصف ٢: ٣٢٥، ٣٢٦. وينظر: شرح المفصل ٩: ٦٤.

(٦) للمزيد ينظر: في الدراسات القرآنية واللغوية، الإمالة في القراءات واللهجات العربية (د. عبد الفتاح شلبي) ص ٣٣١ - ٣٣٨.

وعليّ أن أذكر - بادئ ذي بدء - أن ابن جني نظر لهذه الظاهرة في ضوء وجود الصوت في موقع صوتي معيّن.

فهناك فرق بين أن يكون الصوت منفرداً مستقلاً، وبين كونه مصحوباً بأصوات أخرى. ففي الحالة الأولى (الاستقلالية) يحتفظ الصوت بكل مقوماته وخصائصه، أما في الحالة الأخرى (التركيبية)، فإنه يخضع لاعتبارين: أحدهما - أن يكون هناك تباعد مخرجي، أو وصفي بين الأصوات المتجاورة، وفي هذه الحالة يبقى كل صوت - في الغالب الأعم - على ما هو عليه، دون أن يُؤثّر أو يتأثر أحدهما بالآخر؛ حيث إن الحروف المتباعدة أحسن في التآليف من المتقاربة، إلا أن هناك في بعض لهجات العرب من يؤثر في الحرفين المتباعدين تقريب أحدهما من صاحبة وإدناؤه منه، كما في سَقْر، وصَقْر... الخ.

والآخر: أن يكون هناك تقارب بينها، وعندئذٍ قد يتأثر الصوت بما يجاوره، فيتنازل عن صفاته، أو بعضها، أو يتنازل عن مخرجه، وينتقل إلى صفة أخرى أو مخرج آخر. فكلما تدانى الحرفان أسرع انقلاب أحدهما إلى صاحبه وانجذابه نحوه، وإذا تباعدا كانا بالصحة والظهور قَمِنًا (أي جديرين)<sup>(١)</sup>، وهذا يعني أن الكلمة حينما تأتلف من حروف متقاربة ذلك مما يُقوي من فرص التماثل.

إن ما يحدث للصوت في الأداء اللغوي من تبدلات وتغيرات، ما كانت لنتم لولا وجود مواقع صوتية، تهيبُّ الصوت للاستجابة للتأثر أو التأثير، وذلك ما تتبه له ابن جني، وقبله سيبويه، حينما تحدث عما أسماه مضارعة وتقريباً.

وقد عدّ ابن جني هذه الظاهرة - التقارب أو التماثل - من الأبواب اللطيفة الظريفة<sup>(٢)</sup>، كما عدّها طريقاً من ضمن طرق عناية العرب بإصلاح ألفاظها<sup>(٣)</sup>. وتوضح هذه الظاهرة عنده في صورتين اثنتين هما:

الإبدال، والإدغام - بصفة عامة -.

على أنه ينبغي أن يُعلّم أن هاتين الصورتين لا تؤخذان على عموم إطلاقها، بل هما مقيدتان، فحينما يذكر الإبدال في ظاهرة التماثل فليس المقصود به إقامة حرف مكان آخر لعلاقة صوتية بينهما فحسب، وإنما يعني بالإضافة إلى ما تقدم أن يكون هناك علاقة أخرى

(١) الخصائص ١: ١٥١. وينظر: سر الفصاحة (للخفاجي)، ص ٩٤.

(٢) المحتسب ٢: ٢٨٣.

(٣) ينظر: الخصائص ١: ٣١٢، ٣٢٠. وقد عقد بابا في هذا أسماه "باب في إصلاح اللفظ"، يقول فيه: "أعلم أنه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمّة، وعليها أدلة، وإليها موصّلة، وعلى المراد منها محصّلة، عنيت العرب بها فأولتها صدراً صالحاً من تنقيفها وإصلاحها..." الخصائص ١: ٣١٢، ثم نكر طرقاً عديدة لإصلاح اللفظ، منها "باب الإدغام في المتقارب، نحو وَدَّ في وَتَد، ومن الناس (مَيَّقُول) في (مَنْ يَقُول)، ومنه جميع باب التقريب، نحو اصطبر، وازدان، وجميع باب المضارعة، نحو مصدر وبابه" الخصائص ١: ٣٢٠. وهو يقصد بذلك تحسين الألفاظ، وتهذيبها، والابتعاد عن كل ما يلحق بها من كلفةٍ وتقل.

بين الصوتين المراد تماثلهما، أو بعبارة أخرى بين الصوت الطارئ الجديد، والصوت الأصلي الموجود في الكلمة.

وكذلك الإدغام حيث يشمل إدغام المتقاربين - كما سبق بيان ذلك<sup>(١)</sup>-. وعلى هذا يمكن القول: إنه ليس كل إبدال وإدغام يعد تماثلاً.

### أولاً: الإبدال:

عالج ابن جني هذه الصورة التماثلية تحت مسمى "الإدغام الأصغر". الذي حدّه بأنه "تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك"<sup>(٢)</sup>. وقد يبدو لغير المتأمل أن هناك تناقضاً بين التسمية والتعريف، وهو في ظاهرة كذلك، خاصة عندما يقف القارئ أو السامع عند حدود المصطلح وتعريفه، إلا أن ذلك سرعان ما يزول حينما تُفهم فكرة ابن جني عن الإدغام.

فإذا نظرنا إلى ضروب الإدغام الأصغر عنده، نجدها أنواعاً شتى، فهناك الإمالة، وليس في الإمالة إدغام -، وهناك الإبدال الذي يكون لغير إدغام، وليس في الإبدال إدغام، وهناك الإبتاع الحركي، والإشمام بنوعيه - الحرفي والحركي -، وليس في الإبتاع والإشمام إدغام<sup>(٣)</sup>، وهذا كله يدل على أن هذا المصطلح لا يُراد به المعنى المعروف والمأخوذ به عادةً في الإدغام، وإنما يُراد بهم معنىً لغوي شامل لهذه الصور، وهو التقريب.

فالتقريب هو جوهر القضية والمحور الذي تركز عليه تلك الصور المتقدمة.

وعلى هذا فالتقريب - فيما ذكره ابن جني - ظاهرة شاملة واسعة، تجري على الإبدال الذي ليس به سوى مجرد التقريب، أو ما يعرف بالتقريب الجزئي (الناقص)، كما تجري على الإدغام وهو ما يعرف بالتقريب الكلي (التام).

وفي ضوء ما تقدم فليس الإدغام الأصغر سوى مجرد اصطلاح مقصود به التقريب. يقول في ذلك - معقّباً على تلك الضروب السياقية التماثلية -: "وجميع ما هذه حاله مما قُرّب فيه الصوت من الصوت جارٍ مجرى الإدغام الصغير؛ لأن في هذا إيذاناً بأن التقريب شامل للموضعين، وأنه هو المراد المبغي في كلتا الجهتين، فأعرف ذلك"<sup>(٤)</sup>.

وبالعودة إلى ضروب التقريب (التماثل) من خلال صورته الإبدالية - فإنها تبدو عند ابن جني فيما يأتي:

(١) ينظر: إدغام المتقاربين عند سيويوه بهذه الرسالة ص ١٣٧ وما بعدها.

(٢) الخصائص ٢: ١٤١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢: ١٤١ - ١٤٥.

(٤) الخصائص ٢: ١٤٥.

أ- إذا وقعت السين قبل الحرف المستعلي، فتقرب منه بقلبها صاداً. وذلك كقولهم في سَفَت: صَفَت، وفي السَّوق، الصَّوق، وفي سَبَقَت: صَبَقَت، وفي سَمَلَق: صَمَلَق<sup>(١)</sup>، وفي سَوِيَق: صَوِيَق<sup>(٢)</sup>، وفي سالغ، وساخط: سالغ، وساخط، وفي سَفَر: صَفَر، وفي مساليخ: مساليخ: مصاليخ، وفي سراط: صراط<sup>(٣)</sup>.

وقد سبق بيان حدوث التماثل في هذه الصور الإبدالية، كما سبق ذكر العلاقة الصوتية التي تجمع بين الصوتين المبدلين - من جهة - وبين الصوت الجديد والصوت الأصلي - أي الصوتين المتماثلين - من جهة أخرى<sup>(٤)</sup>، - إلا أنني أود أن أذكر بأن ابن جني كان دقيقاً حينما فسر كيفية حدوث التماثل هنا، حيث يقول: "...فقرّبوا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين، وهو الصاد"<sup>(٥)</sup>، فقد قدّم العلاقة بين الصوتين المتماثلين على العلاقة بين الصوتين المبدلين، مما يوحي بأهمية العلاقة الصوتية في الإبدال - على وجه العموم - والإبدال الذي يكون للتماثل - بصفة خاصة-.

وقد يقول قائل: إن ابن جني قدّم في موضع آخر العلاقة بين الصوتين المبدلين على العلاقة بين الصوتين المتماثلين، حيث يذكر أنهم "قالوا في" مصدق: مزّدق"، وفي "مصدر" مزدر، فأبدلوا من الصاد - وهي مهمومسة - حرفاً من مخرجها يقرب من الدال، وهو الزاي، لتوافقها في الجهر<sup>(٦)</sup>.

والجواب على هذا، أن العلاقة الصوتية مهمة في الصورتين، إلا أنها تزداد أهمية في ظاهرة التقريب (التماثل)، إذ لولا وجودها ما كان هناك تماثل أصلاً. فالإبدال هنا لم يحدث إلا طلباً للتقريب بين الأصوات، وذلك لا يتم إلا بوجود علاقة صوتية بين الصوتين المراد تقاربها وتماثلها.

(١) السَّمَلَقُ: السَّلَقُ، والسَّمَلَقُ - بزيادة الميم - القاع الصَّفَصَف. الصحاح ٤: ١٤٩٧ (سَلَق) وقيل: القفر الذي لا نبات فيه.

ويقال امرأة سَمَلَق: أي لا تلد، شُبِهُت بالأرض التي لا تثبت، وعجوز سَمَلَق: سيئة الخلق، اللسان ١٠: ٤٦٤ (سملق).

(٢) السَّوِيَق: ما يُنَحَّدُ من الحنطة والشعير، وقيل: السَّوِيَق: الخمر. اللسان ١٠: ١٧٠ (سوق).

(٣) ينظر: الخصائص ٢: ١٤٢، ١٤٣، ٢٢٧، سر صناعة الإعراب ١: ١٨٦، ٢١١، ٢١٢.

(٤) ينظر: قلب السين صاد لسيبويه في هذه الرسالة ص ١٢٢ فما بعدها.

(٥) سر صناعة الإعراب ١: ١٨٦.

(٦) المنصف ٢: ٣٢٥.

وبالنظر إلى ما أورده ابن جني من أمثلة نجد أنه لم يذكر من حروف الاستعلاء سوى أربعة هي: الطاء، والخاء، والغين، والقاف<sup>(١)</sup>.

والسؤال الذي يطرح هنا هو - هل هذا الإبدال خاص بوقوع السين قبل هذه الحروف الأربعة، أو يشمل بقية أصوات الاستعلاء - الصاد - والضاد - والطاء-؟

والجواب، أن السين لم ترد في كلام العرب متقدمة على هذه الأحرف الثلاثة، حيث قد اعتبر أصحاب المعاجم اللغوية هذه التتابعات الصوتية من المهمل، ومهجور اللغة<sup>(٢)</sup>.

أما الغرض من هذا التقريب فهو "أنهم أرادوا تجنيس الصوت، وأن يكون العمل من وجه واحد، بتقريب حرف من حرف"<sup>(٣)</sup>. وهذا يعني أن التقريب يُضَيِّق شقة الخلاف بين الأصوات المتنافرة، فبدل أن ينطق اللسان بحرف مستقل، ثم يعود لينطق بحرف مستعلٍ فإنه يَسْتَعْنِي عن هذا المجهود، ويخفف من هذا العبء بواسطة ذلك التقريب، ومن ثم يتحقق للمتكلم اليسر والسهولة.

أما نوع التماثل في تلك الأمثلة فهو رجعي، جزئي (ناقص)، إضافة إلى أنه في بعض الأمثلة تجاوري (متصل)، وفي بعضها الآخر تباعدي (منفصل). وينبغي أن أشير إلى أن ذلك الإبدال الذي جيء به من أجل الانسجام الصوتي، ليس واجباً مطرداً، بل إنه ظاهرة لهجية امتازت بها بعض القبائل العربية كبنو العنبر، وبنو كلب، وهما من القبائل البدوية التي تؤثر استخدام الأصوات المفخمة في أدائها اللغوي، فالإبدال في مثل هذه الصور يأتي على سبيل الجواز والخيار.

قال قطرب: "إذا كان بعد السين في نفس الكلمة طاء أو قاف أو خاء أو غين فلك أن تقلبها صاداً"<sup>(٤)</sup>، ويقول أبو علي القالي (٣٥٦ هـ): "إذا اجتمعت السين والغين في كلمة فأنت

(١) يلاحظ في هذا الصدد أن (البطليوسي) ذكر من ضمن الأحرف التي تقع بعد السين، ويحدث فيها تقريب حرف العين - المهملة-!، ينظر: ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة، ص ٣٣٨. وبالنظر في الأمثلة التي أوردها لا نجد سوى السين وبعدها غين، أو خاء، أو قاف، أو طاء، كما أن محقق الكتاب أشار في الهامش إلى أن حرف العين - المهملة - الوارد في النص ساقط من النسخة الأخرى للكتاب المخطوط، إضافة إلى ما تقدم أن المؤلف نفسه ذكر في الاقتضاب ٢: ١٩٦، ١٩٧ - أن كل سين وقعت بعدها غين، أو خاء - معجمتان-، أو قاف، أو طاء تبدل صاداً. وكل هذا يدل على أن حرف العين هناك مقحم في النص، ولا علاقة له بحروف الاستعلاء.

كما أن (يوهان فك) ذكر أن السين تقلب صاداً بعد أربعة أحرف، هي: ث، ق، غ، خ. ينظر: العربية، دراسة في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة: (د. عبد الحلیم النجار) ص ١٠٣، وليس هذا بصحيح مع الثاء ولعل هذا وهم من المؤلف أو الناسخ أو المترجم والصحيح أنها الطاء بدل الثاء. ينظر: المرجع نفسه، ترجمة: (د. رمضان عبد التواب) ص ١١٢.

(٢) ينظر - على سبيل المثال - :الجمهرة (لابن دريد) ١: ٩٣، ٣: ٢٤، ٣٠ وقد أكدت الدراسة الإحصائية لجذور معجم تاج العروس صحة ذلك، حيث لم يرد سين بعدها صاد، أو ضاد، أو طاء، سواء أكان الجذر ثلاثياً، أم رباعياً، أم خماسياً. ينظر: الجداول الإحصائية لتتابع الحروف ذات الأرقام: ٦، ١٦، ٢٦.

(٣) المنصف ٢: ٣٢٤، ٣٢٥.

(٤) نقلاً عن إعراب القرآن (للنحاس) ١: ١٢٤.



بالخيار في السين والصاد، وكذلك السين والحاء مثل سالخ وصالخ، وكذلك السين والقاف مثل الصقر والسقر...، وكذلك السين والطاء مثل الصراط والسرط قد قرئتا جميعاً، وبسط الثوب والشيء أو بصطه<sup>(١)</sup>.

ونستنتج من هذه النصوص أن هذا الإبدال ليس مطلقاً، بل لا بد له من ضوابط هي:

١- أن تتقدم السين أصوات الاستعلاء.

٢- أن يتم التجاور بين السين وهذه الأصوات. والتجاور هنا يعني أن يكونا في كلمة واحدة - سواء أكانا متلاصقين أم متباعدين -.

إن اشترط العلماء لوقوع السين قبل أصوات الاستعلاء دليل على أن التماثل الرجعي هو الذي يسير وفق قواعد اللغة، كما أن هذه الشروط مجتمعة تبين أن ظاهرة التماثل من جملة الظواهر الموقعية التي تحدث في مواقع معينة محددة.

ونجد في هذه الصور الإبدالية موضعاً لسؤال هو - أيهما الأصل في الكلمة السين أم الصاد؟. والذي يبدو أن السين هي الأصل، خلافاً لما يراه إبراهيم أنيس<sup>(٢)</sup>؛ لأنه "لو كانت الصاد هي الأصل ما جاز أن ترد إلى السين، إذ لا علة توجب ذلك، وإذ لا ينقل الحرف إلى أضعف منه، والصاد أقوى بكثير؛ لإطباقها واستعلائها، فإذا لم يجز أن ترد الصاد إلى السين، وجاز رد السين إلى الصاد، علم أن السين هي الأصل، والصاد داخلة عليها لعلّة"<sup>(٣)</sup>، والعلّة لما سبق أن ذكرناها، وهي التقريب (التماثل).

ولا غرابة أن تنتقل الكلمة من أصلها إلى غير ما هو أصل، فلذلك نظائر في العربية غير قليلة. "وفي كلامهم من الأصول المرفوضة الاستعمال ما لا يحصى كثرة"<sup>(٤)</sup> والعدول عن الأصل لا يكون إلا بعلّة وسبب، مما يؤكد أهمية معرفة الأصل، حيث عليه تُبنى أحكام وقواعد.

وعوداً على بدء، فإننا إذا اتجهنا إلى القرآن الكريم، فسنجد صدى لظاهرة التقريب في تلك الصور الإبدالية، فقد روى عن سفيان بين عيينة، عن زيادة بن علاقة، عن قطبة بن مالك قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ "والنخلَ بِأَسِقَاتٍ"<sup>(٥)</sup> بالصاد، أي "باصقات"<sup>(٦)</sup>.

(١) البارع في اللغة، ص ٣٥٧، ٣٥٨، وللمزيد ينظر: الجمهرة ١: ١٢، ١٣.

(٢) ينظر: في اللهجات العربية، ص ١١٦، ١١٨.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها (لمكي بن أبي طالب القيسي) ١: ٣٠٢. وينظر: اللهجات العربية في التراث (د. الجندي) ٢: ٤٤٣ - ٤٤٧.

(٤) المنصف ٢: ٣٢٤.

(٥) لق: ١٠.

(٦) مقدمة كتاب المباني - ضمن مقدمتان في علوم القرآن - ص ٢٢٣. وينظر: المحتسب ٢: ٢٨٢، البحر ٨: ١٢٢.

كما قرأ ابن عباس، ويحي بن عمار الآية من قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً...﴾ (١) بالصاد، أي "وأصبغ" (٢).

كما قرأ نافع، والكسائي، وشعبة، وخلاص بخلاف عنه، وابن ذكوان، والبرقي الآية من قوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (٣) بالصاد، أي "بسطه" (٤).

كما جاء في الحديث الشريف ما يؤيد هذا، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: "الجار أحق بصقبة" (٥). ومنه - أيضاً - قول علي رضي الله عنه أنه كان إذا أتى بالقتيل قد وجد بين القريتين، حمله على أصقب القريتين - أي إلى أقربهما (٦).

وقد ورد في بعض أشعار العرب ما يؤيد هذا - أيضاً - يقول زُغيب بن نسير العبدي:  
نَظَرْتُ بِأَعْلَى الصُّوقِ وَالْبَابِ دُونَهُ      إِلَى نَعَمٍ تَرعى قِوافي مِسْرِدٍ  
يريد السوق (٧).

وجميع ما تقدم من قراءات قرآنية، وشواهد عربية تقف ظاهرة التقريب (التماثل) خلفها معللة ومفسرة.

ب- ذكر ابن جني أن قبيلة "كلب تغلب السنين زلياً مع القاف خاصة، فيقولون في سَفَرٍ: زَفَرٌ، وفي "مَسَّ سَفَرٌ": مَسَّ زَفَرٌ، وشاة زَفَعَاءُ في صقعاء، ومثله من الصاد أزدي في اصدقي، وزَدَقَ في صدق" (٨).

واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

ودعُ ذا الهوى قبلَ القلي تركُ ذي الهوى      متينُ القوى خيرٌ من الصُّرمِ مُزْدِرا.

يريد: مُصدرا، وقول الآخر:

يزيدُ زادُ الله في خيراته      حامي نزارٍ عند مزدوقاته.

يريد: مُصدوقاته (٩).

(١) [القمان: ٢٠].

(٢) ينظر: المحتسب ٢: ١٦٨، تفسير القرطبي ١٤: ٧٣.

(٣) [الأعراف: ٦٩].

(٤) ينظر: غيب النفع في القراءات السبع (للفصافسي) - بهامش سراج القاريء (لابن القاصح) - ص ٢٢٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الحيل، باب في الهيئة والشفعة، ٦: ٢٥٥٦ حديث رقم: ٦٥٧٦، ورقم: ٦٥٧٧ وينظر: المصدر نفسه، كتاب الحيل، باب احتيال العامل ليهدي له، ٦: ٢٥٦٠ حديث رقم: ٦٥٨٠.

والصقبة: القرب، والمراد به هنا الشفعة - أي أن الجار أحق بالشفعة من الذي ليس بجار. اللسان ١: ٥٢٥ صقبة.

(٦) النهاية في غريب الحديث ٣: ٤١.

(٧) ينظر: طبقات فحول الشعراء (لابن سلام) ١: ٨٠، الموشح (للمرزياني) ص ٢٠، وقد اعتبر هذا الإبدال غلطاً من الشاعر؛ حيث إن السين والصاد من مخرج واحد. وليس الأمر كما ذكرنا، الأمر لا يدعو أن يكون لهجة لا غلطاً، فالشاعر من بني العنبر الذين اشتهر عنهم قلب السين صاداً، إذا وقعت السين قبل حرف مستعل.

(٨) سر صناعة الإعراب ١: ١٩٦. والشاة الصقعاء: التي في وسط رأسها بياض، اللسان ١٠: ٧٠ (صقع).

(٩) سر صناعة الإعراب ١: ١٩٦. وقد ورد البيتان دون عزو في: الممتع ١: ٤١٢، اللسان ٤: ٤٤٨ (صدر). ١٠: ١٩٥ (صدق).

وبالنظر في الجزء الأول من هذا النص يبدو أن فيه اضطراباً، ويتضح هذا من الأمثلة التي أوردها ابن جني، حيث قد حصر مجيء هذه الصورة الإبدالية مع السين وحدها، على حين أن أمثله تشمل الصاد - أيضاً - .

إن هذا النص يثير عدة قضايا، هي:

أولاً: هل حقاً أن كلباً تبدل السين - وحدها - زايماً مع القاف، أو أنها تبدل السين، والصاد - أيضاً - زايماً مع القاف؟.

ثانياً: هل تم الإبدال من أجل القاف - وحدها - أو أن في المسألة تفصيلاً؟

ولبيان ذلك أقول: إنه يمكن تجزئة ما ذكره ابن جني إلى قسمين:

الأول: ما تبدل فيه السين والصاد زايماً لأجل القاف، والآخر - ما تبدل فيه الصاد زايماً من أجل الدال.

فأما القسم الأول فيشمل النص المتقدم إلى قوله: وشاة زُفَعاء في صَفَعاء، وهذا يعني أن السين والصاد - الصوتين المهموسين - أبدلاً زايماً؛ ليجانسا القاف في الجهر.

وفي ضوء هذا استطيع القول: إن كلباً تبدل السين والصاد زايماً من أجل القاف - خاصة<sup>(١)</sup> -، أما القسم الآخر - فيبدأ من قوله: ومثله من الصاد أزدقي في اصدقي... الخ.

وهذا يعني أن الصاد أبدلت زايماً؛ لتمائل الدال في الجهر. وسأعالج ذلك في موضعه من الدراسة<sup>(٢)</sup>.

ومما يلاحظ أن السين إذا جهر بها أصبحت زايماً، حيث يُعدّ الزاي النظير المجهور للسين،

أما النظير المجهور للصاد فهو الزاي المفخمة التي تشبه نطق عوام المصريين للظاء<sup>(٣)</sup>.

ج- ومما ذكره ابن جني من صور التقريب، الإبدال في صيغة (افتعل)، ومشتقاتها - سواء

أكان الإبدال قياسياً مطرداً، أم سماعياً غير مطرد<sup>(٤)</sup> - وقد سبق بيان ذلك مفصلاً<sup>(٥)</sup>، غير

أن الذي ينبغي التتويه به في هذه الناحية هو أن ابن جني ذكر أن التقريب في مثل هذه الصور الإبدالية إنما يعد تقريباً جزئياً (ناقصاً). يقول في ذلك معلقاً على إبدال تاء (افتعل)

دالاً - إذا كان قبلها زاي - "قربوا بعض الصوت من بعض...".

وهذا يعني أن التقريب (التمائل) حدث في بعض خواص الصوت المميزة، ولم يشمل جميع

خصائصه.

(١) طرح بعض الباحثين المحدثين احتمالين لقول ابن جني: "وشاة زُفَعاء في صَفَعاء" أحدهما - أن تكون الكلمة سينية - أي سقعاء -، ولكن التصحيف دخلها خاصة وأن الكلمتين بمعنى واحد، فرسمت بالصاد. والآخر - أن يكون ابن جني ذكرها تمهيداً لقلب الصاد زايماً وقد أخذ بالاحتمال الأول معللاً بأن قلب الصاد زاي لا معنى له؛ لأن الصوتين - الصاد والقاف - متماتلان في الاستعلاء. ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص ١٣١، ١٣٢، وهذا رأي له وجهته.

(٢) ينظر: الإشمام (عند ابن جني بهذه الرسالة) ص ٢١٨ فما بعدها.

(٣) ينظر: في اللهجات العربية (د. أنيس) ص ٦٤، بحوث ومقالات في اللغة (د. رمضان عبد التواب) ص ٢٣٤ - ٢٢٦.

(٤) ينظر: الخصائص ٢: ١٤١، ١٤٢، سر صناعة الإعراب ١: ١٨٥، ٢١٧ المنصف ٢: ٢٤ - ٣٣٥.

(٥) ينظر: التماثل عند سيبويه (ما يحدث في صيغة افتعل) في هذه الرسالة ص ١٢٣ فما بعدها.

وشيء آخر ذكره ابن جني هو أن الكلفة في النطق بهذه الصيغة على أنها تعد أمراً نسبياً. يقول في هذا - معلقاً على امتناع العرب من النطق بهذه الصيغة وغيرها حسب ما يقتضيه الأصل-: "... فكل هذا، وغيره مما يكثر تعداده يُمتنع منه استكراهاً للكلفة فيه، وإن كان النطق به ممكناً غير متعذر"<sup>(١)</sup>.

وحيث إن النطق بالأصل ممكن، ففي ذلك دلالة على نسبية المشقة.

ولابد من الإشارة في هذا المقام إلى أن للفراء تعليلاً لإبدال تاء "افتعل" يختلف كلياً مما ذكره علماء العربية فهو يرى أن تاء "افتعل" إنما قلبت طاء؛ لامتناع إدغام الصاد في التاء نحو - اصتبر، وذلك لأن الصاد حرف مصوت، والتاء حرف أخرس<sup>(٢)</sup>، "فكروها إدغام مصوت في أخرس، فلما فاتهم الإدغام وجدوا الطاء معتدلة في المخرج بين التاء، والصاد، والضاد، لتكون غير ذاهبة بواحد من الحرفين"<sup>(٣)</sup>.

والفراء بهذا يذهب إلى أن القلب في هذه الصيغة ليس من أجل التماثل - الجزئي -، وإنما لامتناع التماثل التام (الإدغام)، حيث فيه إدغام الصوت الرخو في الشديد، وهذا رأي فيه كثير من الغرابة، ويمكن الرد عليه بالأمور التالية:

١- أنه إن كان يقصد بالمصوت (الرخو) المصوت، والأخرس (الشديد)، كما ظن السيرافي، وكما يفهم من تعريف الفراء لهذين المصطلحين، فليس هناك ما يمنع من إدغام الرخو في الشديد، بل هو جائز ومستحسن عند العلماء؛ لأنه يُعَدّ - عندهم - من باب إدغام الأضعف في الأقوى - هذا من ناحية -، وناحية أخرى أن إدغام الصاد في التاء ممتنع في نحو - اصتبر -؛ لتمييز الصاد بالصفير، إلا أنه من الممكن الإدغام هنا، ولكن بطريقة فيها خروج على الأصل في الإدغام من حيث إن الأول يقبل إلى جنس الثاني، فيتم الإدغام بقلب الثاني إلى جنس الأول ويقال: اصْبِر.

وقد اغتفر هذا؛ لتمييز الأول بصفة ليس في الثاني - كما سبق<sup>(٤)</sup> -، وذلك يعني أنك حينما حاولت مذهباً جاز لك الإدغام.

٢- أن في الإبدال إحلال صوت أخرس (شديد) مكان آخر مثله، فكأنه لم يعمل شيء.

(١) الخصائص ١: ٢٦٢.

(٢) يريد بالمصوت - كما فسره السيرافي - الصوت الرخو، الذي يجري فيه الصوت، أما الأخرس: فهو الصوت الشديد، الذي لا يخرج له صوت. ينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٤٤ أ، وهذان - كما نرى - اصطلاحان جديدان، لم يقل بهما أحد من العلماء - فيما أعلم -

(٣) المصدر نفسه ١١: لوحة ١٤٥ أ.

(٤) ينظر: الإدغام في ذوات التاء لسيبويه بهذه الرسالة (مسمع).....ص ١٨٦ وما بعدها

٣- أن الطاء التي جيء بها، ليست معتدلة في المخرج بين التاء والصاد والضاد - كما ذكر الفراء -، بل هي من مخرج التاء، وملاصقة للصاد، ويفصل بينها وبين الضاد أكثر من فاصل<sup>(١)</sup> - حسب توزيع القدماء للمخارج الصوتية -.

ونخلص من هذا إلى القول: بأن ما ذهب إليه الفراء لا يستقيم له، ولا يصح الأخذ به، أو الاعتماد عليه.

### ثانياً: الإقلاب:

ومن صور التقريب عند ابن جني ما يعرف بالإقلاب، وهو إبدال النون الساكنة الواقعة قبل الباء ميماً في اللفظ، وذلك نحو - قُنْب<sup>(٢)</sup>، وقُنْبَلَة<sup>(٣)</sup>، يقال فيهما: قنب، وقمبلة، "فقربوها من الباء بأن قلبوها إلى لفظ أقرب الحروف من الباء، وهو الميم"<sup>(٤)</sup>.

وقد سبق - أيضاً - تفسير حدوث التماثل في هذه الصورة<sup>(٥)</sup>. ويلاحظ هنا أن ابن جني ذكر أن التخفيف الذي يحدث من جراء الإقلاب ليس ناتجاً من استبدال صوت ثقيل بآخر خفيف - كما هو ملاحظ في بعض أمثلة الإبدال -، وإنما هو ناتج من استبدال صوت ثقيل بما هو أثقل منه.

وقد يبدو أن في ذلك تناقضاً وتدافعاً بين الغاية والوسيلة، ولكن الأمر في حقيقته على خلاف الظاهر، فقد يكون العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل ضرباً من الاستخفاف - كما قال بهذا ابن جني<sup>(٦)</sup> -، وهذا هو الشأن في هذه الصورة.

وذلك يعني أن الخفة - بقطع النظر عن صعوبة الحكم بأن أحد الصوتين أثقل أو أخف من الآخر - لم تتحقق من خلال إحلال صوت مكان آخر، وإنما حدثت من جراء ما نتج عن هذا الإحلال. فإبدال النون ميماً يؤدي إلى تجاور الميم والباء - وهما من مخرجين متحدين -، والنطق بـ"عمبر" أخف من النطق بـ"عنبر"، وفي هذا نقض للقاعدة العامة التي أطلقها ابن دريد (٣٢١هـ)، وهي "أن الحروف إذا تقاربت مخرجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت"<sup>(٧)</sup>.

### ثالثاً: الإشمام:

- 
- (١) الردان الأخيران ذكرهما السيرافي في شرحه على الكتاب ١١: لوحة ١٤٥ أ.  
(٢) القُنْب: جراب قضيب الدابة، وقيل: هو وعاء قضيب كل ذي حافر - هذا هو الأصل -، ثم استعمل في غير ذلك.. الخ، وقُنْب الأسد: ما يدخل فيه مخالبه من يده، والقُنْب: شرع ضخم من أعظم شرع السفينة. اللسان ١: ٦٩٠ (قنب).  
(٣) القُنْبَلَة: طائفة من الناس ومن الخيل، قيل: هم ما بين الثلاثين إلى الأربعين ونحوه...، والقُنْبَلَة: مصيدة يصاد بها النُهْس، وهو أبو براقش. اللسان ١١: ٥٦٩، ٥٧٠ (قنبل).  
(٤) سر صناعة الإعراب ١: ٤٢٢. وينظر: التصريف الملوكي، ص ٤٠.  
(٥) ينظر: التماثل عند سيبويه (الإقلاب) ص ١٢٩ فما بعدها.  
(٦) ينظر: الخصائص ٣: ٢٠.  
(٧) الجهرة، ابن دريد، ١: ٩.

وتشمل ظاهرة التقريب عند ابن جني ما يمكن تسميته بالإشمام الحرفي<sup>(١)</sup>، حيث يقول: "ومنه (أي من ضروب الإدغام الأصغر) تقريب الحرف من الحرف، نحو قولهم في نحو مصدر: مزدر وفي التصدير: التزدير. وعليه قول العرب في المثل (لم يُحْرَمَ مَنْ فُزِدَ لَهُ) أصله فُصِدَ لَهُ، ثم أسكنت العين... فصار تقديره: فُصِدَ لَهُ، فلما سكنت الصاد فضعت به، وجاورت الصاد - وهي مهموسة - الدال - وهي مجهورة - ففُرِّبَتْ منها بأن أُشْمِتَ شيئاً من لفظ الزاي المقاربة للدال في الجهر"<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال هذا النص يتبين لنا أن هذه الصورة التماثلية لا تتم إلا وفق أصول وشروط محددة وهي:

١- أن تكون الصاد ساكنة؛ وذلك لأن التسكين يضعف الحرف، ويجعله عرضة للاستجابة للتأثر الصوتي.

٢- أن تقع الصاد قبل الدال.

وقد ذكر ابن جني في موضع آخر أن الصاد الساكنة إذا وقعت قبل الدال فيجوز فيها الإبدال التام، والإشمام، أما إن تحركت نحو - صَدَرَ، وَصَدَفَ - فيمتنع الإبدال التام، ويجوز الإشمام فقط "وذلك أن الحركة قوّت الحرف وحصنته، فأبعدته من الانقلاب"<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة القول في هذه المسألة: أنه إذا وقعت الصاد ساكنة وبعدها دال، فيجوز فيها ثلاثة أوجه:

١- البيان، وهو أن تجعلها صاداً خالصة. وهو الأكثر.

٢- الإبدال التام، وهو أن تجعلها زايّاً خالصة، وقد سمع ذلك عن العرب الفصحاء.

٣- الإشمام، وهو أن تشرب الصاد صوت الزاي، وهو أكثر وأعرّب من الإبدال.

أما إن تحركت الصاد فلا يجوز سوى البيان والإشمام، ويمتنع الإبدال التام إلا فيما سمع عن العرب<sup>(٤)</sup>.

وإذا نظرنا إلى كيفية رسم الصاد المشربة بصوت الزاي - عند القدماء - نجد أنها لا تختلف عن الزاي الصريحة (المرفّقة)، مما قد يوقع في اللبس، والسبب في هذا عدم وجود رمز كتابي للزاي المفخّمة.

(١) أطلقت هذا المصطلح؛ احترازاً من مصطلح آخر هو الإشمام، الذي إذا أُطلق فُصِدَ به: الإشارة إلى الحركة من غير تصويت. ينظر: النشر ١: ١٢١، والفرق بين المصطلحين أن الأول يحدث في الصوامت، أما الآخر فيحدث في الصوائت. للمزيد ينظر: نهاية القول المفيد، ص ٢٢٠.

(٢) الخصائص ٢: ١٤٤.

(٣) سر صناعة الإعراب ١: ٥١.

(٤) ينظر: شرح المفصل ١٠: ٥٢، ٥٣، شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٣٢، ٢٣٣. وقد نسب الإشمام إلى قبيلة قيس. ينظر: البحر ١: ٢٥، الاتحاف، ص ٣٦٥، كما نسب الإبدال إلى عذرة، وكتب، وبنى القين. مقدمة كتاب المباني، ص ١٤٨، تفسير القوطي ١: ١٤٧.

وقد وصفها ابن جني بقوله: "وأما الصاد التي كالزاي فهي التي يقل همسها قليلاً، ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي"<sup>(١)</sup>، كما سماها ابن سينا زايًا ظائية<sup>(٢)</sup>. ووصف طريقة إخراجها بقوله: "يكون وسط اللسان فيها أرفع، والاهتزاز في طرف اللسان خفيًّا جداً"<sup>(٣)</sup>.

وتنطبق هذه الأوصاف على ما نسمعه الآن في نطق عامة المصريين والسوريين للطاء نحو "ظالم"، حيث تنطق الطاء زايًا مفخمة، كما نجد ذلك مستعملًا عند عوام السوريين واللبنانيين في نحو "صغير"، حيث تنطق الصادر زايًا مفخمة - أيضاً -.

وقد أشار ابن جني إلى شيء مهم في هذه الصور التماثلية - أعني الإبدال والإشمام -، حيث ذكر أن السين حينما تتحول إلى صاد في نحو "صويق"، أو التاء حينما تتحول إلى طاء في نحو "اصطبر"، أو الصاد حينما تتحول إلى زاي مجهورة مفخمة في نحو "مزدر"... كل تلك التحولات لا تخرج الصوت من فونيمه إلى فونيم آخر، وإنما التقريب (التمائل) لم يتعد مرحلة الجهر بالسين أو إطباقها، كما لم يتجاوز إطباق (تفخيم) التاء، وكذا لم يتجاوز ترقيق الصاد والجهر بها، أو تفخيم الزاي، وهذا يعني أن التحول واقع على الصفة دون المخرج.

يقول في ذلك: "...ألا ترى أنك إذا قربت السين في سويق من القاف بأن قلبها صاداً فإنك لم تخرج السين من مخرجها، ولا بلغت بها مخرج القاف فيلزم إدغامها فيها، فأنت إذاً قد رُمّت تقريب الإدغام المستخف، لكنك لم تبلغ الغاية التي توجبه عليك، وتتوط أسبابه بك.

وكذلك إذا قلت في اصتبر: اصطبر، فأنت قد قربت التاء من الصاد بأن قلبتها إلى أختها في الإطباق والاستعلاء، والطاء مع ذلك من جملة مخرج التاء، وكذلك إذا قلت في مصدر: مزدر، فأخلصت الصاد زايًا، قد قربتها من الدال بما في الزاي من الجهر، ولم تختلجها (أي لم تنتزعها) عن مخرج الصاد، وهذه أيضاً صورتك إذا أشممتها رائحة الزاي فقلت: مصدر، هذا المعنى قصدت، إلا أنك لم تبلغ بالحرف غاية القلب الذي فعلته مع إخلاصها زايًا"<sup>(٤)</sup>.

إن هذا النص يقفنا على أمور مهمة في ظاهرة التقريب (التمائل) هي:

- ١- إن التماثل في هذه الصور لا يؤدي إلى انتقال المخرج، وإنما يؤدي إلى انتقال الصفة.
- ٢- أن التماثل فيما ذكر لا يؤدي إلى تغير الفونيم، ومن ثم تكثر عدد الفونيمات في هذه الظاهرة، وإنما يبقى الفونيم كما هو، ويتفرع - بسبب هذه الظاهرة - إلى ألوفونات متعددة.

(١) سر صناعة الإعراب ١: ٥٠.

(٢) أسباب حدوث، ابن سينا، ص ١٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤) الخصائص ٢: ٢٢٩، ٢٣٠.

٣- أن التماثل يأتي على درجات، وأقصى درجة يمكن أن يصل إليها هو الإدغام.

٤- أن التماثل في الإبدال أكثر وضوحاً منه في الإشمام.

وقد يعترض معترض، فيقول: إن أحسن الابنية في كلام العرب ما تباعدت مخارجه من الحروف، وفي هذه الصور التماثلية تقرب الحرفين المتباعدين، فكيف يؤثران في ابنيتهما تباعد مخارج الحروف، وهنا نجدهم يؤثران في الحرفين المتباعدين أن يقربوا أحدهما من صاحبه ويدنوه إليه.؟.

والجواب عن هذا ما ذكره ابن جني من أن ما حدث في هذه الصور من التقريب، وما ذكر من استحسان العرب لتأليف كلامهم من الحروف المتباعدة المخارج، إنما هو من باب تدافع الظاهر، أي أنه يوحي في ظاهرة بأن فيه تناقضاً، وتعارضاً.. ولكن الأمر في حقيقته ليس كذلك..؛ لأن إدغام حرف في حرف أخف عليهم من إظهارهما "فلما كان في إدغامهم الحرف في الحرف ما أوريناه من استخفافهم إياه صار تقريبيهم الحرف من الحرف ضرباً من التطاول إلى الإدغام، وإن لم يصلوا إلى ذلك فقد حاولوه واشربوا نحوه، إلا أنهم مع هذا لا يبلغون بالحرف المقرب من الآخر أن يصيروه إلى أن يكون من مخرجه؛ لئلا يحصلوا من ذلك بين أمرين كلاهما مكروه، أما أحدهما فأن يدغموا مع بعد الأصلين، وهذا بعيد. وأما الآخر فأن يقربوه منه حتى يجعلوه من مخرجه ثم لا يدغموه، وهذا كأنه انتكاث وتراجع؛ لأنه إذا بلغ من قربه إلى أن يصير من مخرجة وجب إدغامه، فإن لم يدغموه حرموه المطلب المروم فيه"<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن التقريب في مثل تلك الصور لم يُودَّ إلى تقارب المخرجين (أي اتحادهما)، وإنما أدى إلى تقارب الصفات "فهذا وجه التقريب مع إيثارهم الإبعاد"<sup>(٢)</sup>، وعليه فلا تدافع بين هذا التقريب، وبين تأليف الكلمة من الحروف المتباعدة.

أما إن أدى التماثل إلى تقارب المخرجين (اتحادهما)، كما في نحو - اطعن، وادتعى، فإن اجتماعهما قبيح مستكره، ويطرد حينئذ ورود الإدغام.

فقال: اطعن، وادّعى، "وذلك أن الحروف إذا كانت من مخرج واحد ضاقت مساحتها أن تدنى بالتقريب منها، لأنها إذا كانت معها من مخرجها فهي الغاية في قربها، فإن زدت على ذلك شيئاً فإنما هو أن تخلص الحرف إلى لفظ أخيه البتة، فتدغمه فيه لا محالة"<sup>(٣)</sup>.

(١) الخصائص ٢: ٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ٢: ٢٣٠.

(٣) المصدر نفسه، ٢: ٢٣٠.



وهذا يدل على أن الحالة التي يكون عليها الحرفان المتجاوران في الموقع، هي التي تحدد نوع التقريب الممكن حدوثه فيها، فقد تستدعي تلك الحالة أن يكون التقريب جزئياً ليس غير، وقد تستدعي أن يكون كلياً، وذلك مما يفسر ويعلل تفاوت درجات التقريب ونسبة التأثير في هذه الظاهرة.

على أننا نلاحظ أن التقريب فيما يعرف بالإقلاب قد أدى إلى تقارب المخرجين (اتحادهما)، كما نحو عنبر، حيث يقال فيها: عمبر، فاجتمعت الميم والباء - وهما من مخرج واحد -، وكان الأولى في مثل هذه الصورة - حسب ما ذكره ابن جني - أن تدغم الميم في الباء؛ تخلصاً من تقارب المخرجين.

والجواب عن هذا، أن إحصائية جذور معجم تاج العروس للزبيدي ذكرت أن تتابع الميم والباء لم يأت في الجذر الثلاثي مطلقاً، وإنما جاء مرة واحدة في الجذر الرباعي، ومرة أخرى في الجذر الخماسي<sup>(١)</sup>، وتلك نسبة ضئيلة إذا قورنت بعدد جذور التاج، ثم إن المبرد ذكر صراحة أنه "ليس في الكلام ميم ساكنة قبل باء"<sup>(٢)</sup>، مما يدل فعلاً على استنباحهم لتركيب ما تقاربت مخارجه.

وحيث إن التقريب في الإقلاب قد أفضى إلى اجتماع صوتين متحدين في المخرج، وذلك مما يُستكره في تأليف الكلمة العربية، ويُعدُّ في الوقت ذاته بيئة صالحة لحدوث الإدغام، إلا أنه "ليس بمطلق أن كل متقاربين في المخرج يدغم أحدهما في الآخر"<sup>(٣)</sup>، حيث قد يعرض لهما من الموانع ما يحول دون الإدغام.

وتأسيساً على هذا فإن الإدغام في هذه الصورة غير ممكن؛ لاتصاف الميم بالغنة. ولقد كان ابن جني دقيقاً في عبارته حينما قال: "فإذا كان الحرفان جميعاً من مخرج واحد، فسلكت هذا الطريق (أي التقريب بين الحروف) فليس إلا أن تقلب أحدهما إلى لفظ الآخر البتة، ثم تدغم لا غير، وذلك نحو اطعن القوم، أبدلت تاء اطعن طاء البتة، ثم ادغمتها فيها لا غير"<sup>(٤)</sup>.

وذلك يعني أن هناك فرقاً بين التقريب في كل من "عنبر"، و"اطعن"، فبالنظر إلى أصل كل منهما نجد أنه يختلف عن الآخر، ففي "عنبر" تجاورت النون والباء - وهما من مخرجين متباعدين -، أما في "اطعن" فقد تجاورت الطاء والتاء - وهما من مخرج واحد -، فالتقريب

(١) ينظر: الجداول رقم ٦، ١٦، ٢٦.

(٢) المقتضب ١: ٢٢٠.

(٣) المفصل، ص ٣٩٧.

(٤) الخصائص ٢: ٢٣٠.

في "عنبر" يؤدي إلى الإقلاب، أما في "اطعن" فإنه يفضي إلى الإدغام الذي توجبه الضرورة (أطراد الورد).

وهذا يؤكد ما ذكرته سابقاً من أن التقريب (التماثل) في مثل اَطْعَن وادّعى وأشباهاها جزئي (ناقص)؛ وذلك بالنظر إلى مرحلته التأثرية الأولى (الإبدال)، أما المرحلة الأخرى (الإدغام) فلا علاقة لها بهذه الظاهرة؛ لأنها في حكم إدغام المثليين - أصلاً -، وذلك مما لا يدخل ضمن نطاق ظاهرة التماثل.

وبالعودة إلى ما سبق، فإن التقريب بين الصوامت في تلك الصور الإبدالية ينتج منه أصوات فرعية، وهي ما تعرف بالأصوات الموقعية التي تأتي في مواقع اتصال الحرف بغيره، أو بتعبير آخر أنها تلك الأصوات التي تحدث بسبب التغيرات الصوتية الناتجة عن تجاور الحروف وتأثير بعضها في بعض.

وقد صرح ابن جني بهذا، حيث يقول: "قأما تقريب الحرف من الحرف فليس ذلك التقريب بينهما بمصير للمقرب إلى حرف يجاور المقرب منه، وإنما هي مضارعة وإيجاد حروف فروع غير أصول، وهي التي ذكرناها في أول هذا الكتاب، ألا ترى أن ألف الإمالة، والضاد التي كالزاي إنما هما من الفروع الستة، وليستا بأصليين مستقرين كالثاء، ولا السين، ولا الجيم اللواتي إذا ضممتهم إلى مجاورهن فقد استعملت هناك أصولاً مستقرة، ولم ترتجل فروعاً يمكن التسلط عليها وقلة الحفل بها"<sup>(١)</sup>. وينطبق هذا - أيضاً - على السين حينما تتحول إلى صاد أو زاي، والصاد حينما تتحول إلى زاي صريحة، أو زاي ظائنية.

أي أنه يمكن القول: إنّ التقريب (التماثل) فيما تقدم من أمثلة أوجد صوراً صوتية للفونيم الواحد، ولم يوجد وحدة أو وحدات صوتية جديدة.

وقبل أن انتقل إلى صورة أخرى من صور التقريب (التماثل) أود أن أشير إلى أن مصطلح "المضارعة" استعمل عند بعض العلماء استعمالاً لا يدل على أنهم يعنون به ظاهرة التقريب (التماثل)<sup>(٢)</sup>، وإنما يُعدُّ - كما يبدو من تناولهم لها - جزئية من جزئيات هذه الظاهرة، وصورة من صورها، فهي عندهم لا تتجاوز أن تكون وسيلة إلى غاية، لا غاية في ذاتها.

وأقرب مثال لهذا ما نجده في قول بعضهم: "هذا باب الحروف التي يضارع بها حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موقعه ليقربه مما بعده"<sup>(٣)</sup>، فإذا صُغِّنا هذا بعبارة مختصرة أمكن القول: هذا باب المضارعة التي يوتى بها للتقريب، وذلك

(١) سر صناعة الإعراب ٨١٧:٢.

(٢) ينظر - على سبيل المثال: شرح المفصل ١٠: ٥٣، شرح شافية ابن الحاجب ٣: ٢٣٢، ٢٣٣، المساعد على تسهيل الفوائد ٤: ٢٢٧.

(٣) النكت في تفسير كتاب سيبويه (للأعلم الشننمري) ١٢٧٠:٢.

يعني أن المضارعة - التي لا تتعدى أن تكون هي الإشمام الحرفي - إنما يؤتى بها طلباً للتقريب (التماثل).

غير أنه قد تبين لي في هذه الناحية أن بعض علماء اللغة كسيبويه، وابن جني، وابن منظور (٧١١هـ) - استخدم هذا المصطلح استخداماً مرادفاً للتقريب (التماثل) (١).

ومن المصطلحات الأخرى التي نجدها مستخدمة في هذه الظاهرة "التشاكل"، أو "المشاكل"، و "التجنيس"، أو "المجانسة"، و"التناسب"، أو "المناسبة". فأما "التشاكل" فقد استخدمه بعض اللغويين تعليلاً لبعض التماثل الصوتي، كالإشمام، والإبدال، والإمالة (٢). وكذلك مصطلح "التجنيس" (٣) استخدام لتعليل الإتياع الحركي، وبعض صور الإبدال (٤) وكل ذلك يدل على أن هذين المصطلحين مرادفان للتقريب - أيضاً -.

وأما التناسب فهو وإن كان بعض العلماء علل به الإمالة والإشمام (٥)، إضافة إلى معناه اللغوي (٦)، مما يدل على أنه هو والتقريب من المصطلحات المترادفة، إلا أنه يبدو أن هذا المصطلح أوسع باباً، وأكثر مرونة في الاستعمال؛ حيث يجري على ظواهر مختلفة في النحو، والصرف والقراءات، والأدب، والنقد والبلاغة، وفي الفنون - أيضاً - . وذلك يعني أنه اعم، في حين أن التماثل أخص.

ومجمل القول: أن هذه الاصطلاحات المستخدمة عند القدماء\* - على تفاوت بينهم - يرادف بعضها بعضاً، وجميعها يدل على مصطلح التماثل، وإن كنت أقدم مصطلحي التقريب والتجنيس على ما سواهما؛ لما يحمله من دلالة لغوية واصطلاحية دقيقة تُعبّر عن مضمون هذه الظاهرة.

(١) ينظر: الكتاب ٤:٤٧٧ - ٤:٤٨١، سر صناعة الإعراب ١:١٥، اللسان ٣:٥٦ (مصح)، ٤:٣٧٢ (سلخ)، ٨:٤٤١ (صلخ)، ١٠:١٧٠ (سوق).

(٢) ينظر: الحجة (لأبي علي الفارسي) ١:٣٩، التبصرة والتذكرة (للسيوري) ٢:٨٧٠، شرح المفصل ٩:٦٤.

(٣) التجنيس في اللغة يعني المشاكلة. قال: هذا يجانس هذا - أي يشاكله - اللسان ٦:٤٣ (جنس).

(٤) ينظر: الحجة (للفارسي) ١:١٥٤، المنصف ٢:٣٢٤، ٣:٢٥، شرح المفصل ١٠:٤٧.

(٥) ينظر: شرح المفصل ٩:٥٤، ٥٥، شرح التصريح على التوضيح (خالد الأزهرى) ٢:٣٤، الهمع ٦:١٨٣.

(٦) التناسب في اللغة - كما يفهم من حديث ابن منظور عنه - يعني المشاكلة والتقارب. ينظر: اللسان ١:٧٥٥، ٧٥٦ (نسب).

(\* جميع ما ذكر من اصطلاحات وغيرها - كالمماثلة والتماثل - استعملها علماء البلاغة والنقد، للدلالة على ظواهر بلاغية ونقدية. ينظر: - على سبيل المثال -: تحرير التعبير (لابن أبي الإصبع) ص ١٠٢، ٢٩٧، ٣٦٣، ٣٩٣، مناهج البلغاء (الحازم القرطاجني) ص ١٥، ٨٧. وفي الحقيقة أن جميع هذه المصطلحات استخدمت من قِبَل القدماء في علوم مختلفة، وأصبحت أمراً مشاعراً بينهم، فلم تُعدْ مقصورةً على بعض الفئات العلمية دون بعض، بل اقتبسها كل من علماء القراءات والنقد والبلاغة، بالإضافة إلى علماء اللغة والنحو، مما أدى - بطبيعة الحال - إلى التشابه، والتداخل، والخلط بينها، وهذا مما يجعل تحديد كل مصطلح بغضه ضرورة لا غنى عنها في الدراسات المعاصرة.

المبحث الثاني  
الإدغام عند ابن جني  
مفهوم الإدغام عند ابن جني  
الإدغام الأكبر  
الحروف التي تدغم عند ابن جني  
الحروف التي يمتنع إدغامها  
موقف ابن جني من القراءات القرآنية التي تظهر ما حقه الإدغام عند النحاة  
وتدغم ما حقه الإظهار  
الإدغام الأكبر على ضوء ضعف الحرف وقوته

## مفهوم الإدغام عند ابن جني:

ومن التقريب (التمائل) عند ابن جني الإدغام.

ويعد الإدغام أبرز صور التماثل بين الأصوات الصامتة، إذا به يتم إدغام أحد الصوتين في الآخر، ولذا عُني به العلماء، وجعلوه محوراً للدراسة الصوتية الذي تلتقي عنده بقية الظواهر اللغوية، وجوانب البحث الصوتي - بصفة عامة-.

وإذا نظرنا حديث ابن جني عن الإدغام نجد أن مفهومه له أرحب وأشمل من مفهوم علماء النحو واللغة القدماء، كما أن نظرتهم فيه أعم وأدق - أيضاً -، فليس الإدغام عنده فناء لأحد الصوتين في الآخر وحسب، كما قال بهذا أكثر علماء النحو واللغة -، وإنما هو قبل ذلك تقريب صوت من صوت<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن القضية الأساسية في الإدغام هي التقريب، وأما الفناء فهو نوع من الإدغام، وليس هو الإدغام.

وقد شعر ابن جني بأن المفهوم الواسع للإدغام قد يكون فيه لبس بالمفهوم التقليدي للإدغام، ولذا فإنه احتاط لذلك بإضافة سمةٍ أخرى بهذا المصطلح وهي "الإدغام الصغير"، أو "الإدغام الأصغر"؛ "لأن في هذا إيذاناً بأن التقريب شامل للموضعين، وأنه هو المراد المبغي في كلتا الجهتين، فأعرف ذلك"<sup>(٢)</sup>، فالإمالة - إدغام أصغر، مثله الإشمام، وروم الحركة، واختلاسها<sup>(٣)</sup>.

وكل ما تقدم من صور لا يمتُّ بصلة لمفهوم الإدغام المعروف، ولذا فإن ابن جني حدَّ الإدغام الأصغر بقوله: "تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك"<sup>(٤)</sup>، فالإدغام الأصغر - كما هو ملاحظ في دوره، وضروره - ليس المراد به سوى مجرد التقريب.

أما الإدغام الآخر ذو المعنى المتعارف عليه عند النحاة واللغويين فقد أطلق عليه ابن جني مصطلح "الإدغام الأكبر"، وجعل المعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصوت<sup>(٥)</sup>.

وفي ضوء هذه النظرة العامة، فإنه يمكن القول: إنّ الإدغام (التقريب) يعتبر ظاهرة لغوية قائمة بذاتها، يندرج تحتها صور شتى، وضرور متعددة، فاستبدال صوت بصوت، وفناء صوت في آخر.. كل ذلك يعد إدغاما (تقريباً).

(١) الخصائص ٢: ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه ٢: ١٤٥.

(٣) المصدر نفسه ٢: ١٤١ - ١٤٥. والروم عند القراء: عبارة عن النطق ببعض حركة، أو هو تضعيف الصوت بالحركة حت يذهب معظمها، وكلا القولين واحد. أما عند النحاة فهو: عبارة عن النطق بالحركة بصوت خفي. النشر ١٢١: ٢: الاختلاس: هو الاتيان بثلاثي الحركة، أو بأكثرها. الإتحاف، ١٣٦.

(٤) المصدر نفسه ٢: ١٤١.

(٥) المصدر نفسه ٢: ١٣٩ - ١٤١. وينظر: المنصف ٢: ٢٢٣.

وهذا المفهوم للإدغام لا يقتصر فيه على ما يحدث بين الأصوات الصامتة من التقريب فحسب، بل يشمل ما يحدث للصوائت من تقريب - أيضاً - .

وذلك يجعلني أُقرّر أن مفهوم ابن جني عن التقريب (التمائل) لا يختلف عن مفهوم المحدثين عن هذه الظاهرة، حيث نراهم يستخدمون مصطلح التماثل (Assimilation) للدلالة على الإدغام<sup>(١)</sup> بمفهومه الواسع عند ابن جني، وكذا فقد استخدم مصطلح الإدغام استخداماً يضارع مصطلح التماثل عند المحدثين، وبذا يصبح مفهوم الإدغام عند ابن جني مقابلاً لمفهوم التماثل عند المحدثين، وذلك بعد استبعاد إدغام المثليين، والاقتصار على إدغام المتقاربين ومن ثمّ فهما يعدان مصطلحين مترادفين، كل منهما يُعبّر عن الآخر، ويدل عليه، بحيث إذا ذكر التماثل قصد به الإدغام، وكذلك إذا ذكر الإدغام عُني به التماثل، سواء بسواء.

الإدغام الأكبر: وإذا عدنا إلى حديث ابن جني عن الإدغام الاصطلاحي (الإدغام الأكبر) نجد أنه قسمه إلى قسمين:  
أ- إدغام مثليين.  
ب- إدغام متقاربين.  
ويأتي كل منهما على صورتين.

إحدهما - أن يكون الحرف الأول ساكناً، نحو قطع، وامحى، وهذا ما يعرف بالإدغام الصغير، والأخرى - أن يكون الحرف الأول متحركاً، نحو شدّ، وأثاقل وهذا ما يعرف بالإدغام الكبير<sup>(٢)</sup>.

وقد سبق أن ذكرت عدم صلة إدغام المثليين بظاهرة التقريب (التمائل)؛ حيث إن هذا النوع من الإدغام ما هو إلا النقاء النظير بالنظير، مما يجعل النطق بهما حرفاً مضعفاً أمراً طبيعياً مطرد الوجود. أما إدغام المتقاربين فالعلاقة وتُقى بينه وبين ظاهرة التماثل، حيث فيه تفاعل وتأثر وتأثير بين الأصوات المتجاورة، وذلك ما تقوم عليه هذه الظاهرة.  
وقد أثار ابن جني مسألة مهمة، ذات صلة بهذين النوعين من الإدغام في الخفة والاقتصاد في الجهد الذي يحققه كل منهما.

ويمكن صياغة ذلك في السؤال الآتي:

كيف تُفسّر الخفة في إدغام المثليين والمتقاربين بصورتيهما المذكورتين آنفاً؟.

(١) في اللهجات العربية (د. انيس) ص ٦٠.

(٢) ينظر: الخصائص ٢: ١٣٩ - ١٤١.

والجواب عن هذا، أن ابن جني يرى أن الخفة في إدغام المثلين الصغير، نحو قطع، واضربُ بكراً، متحققة في نـبو اللسان عن الحرفين نبوة واحدة، وبدا " زالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت بها وقفة عليها تمتاز من شدة مـمازجتها للثانية بها، كقولك قطع، وهذا إنما تحكمه المشافهة به. فإن أنت ازلت تلك الوقفة والفترة على الأول خلطته بالثاني فكان قربه منه وإدغامه فيه أشد لجذبه إليه والحاقة بحكمه"<sup>(١)</sup>.

أما الخفة في إدغام المثلين الكبير، نحو شدّ، وضربُ بكر، فهي متحققة في زوال الحركة الفاصلة بين الحرفين المدغمين. يقول في هذا: فإن كان الأول من المثلين متحركاً ثم أسكنته ودغمته في الثاني فهو أظهرأ أمراً، وأوضح حكماً، ألا ترى أنك إنما أسكنته لتخلطه بالثاني، وتجذبه إلى مضامته ومماسة لفظة بلفظة، بزوال الحركة التي كانت حاجزة بينه وبينه"<sup>(٢)</sup>.

وهذا يعني أن الخفة في هذا النوع من الإدغام واضحة لا تحتاج إلى بيان. وأما الخفة في إدغام المتقاربين فتتضح في قلب الثاني إلى جنس الأول، ثم إدغام بعضهما في بعض. يقول في هذا: "وأما إن كانا مختلفين، ثم قلبت وأدغمت، فلا إشكال في إيثار تقريب أحدهما من صاحبه؛ لأن قلب المتقاربين أوكـد من تسكين النظير"<sup>(٣)</sup>. وذلك يعني أن الخفة في هذه الصورة الإدغامية أكثر وضوحاً مما هي عليه في صور الإدغام السابقة.

وهذا صحيح، لا اعتراض عليه، غير أنه يلمس من خلال معالجته لقضية الخفة في الإدغام - بنوعيه وصورتيه - أمران بالغا الأهمية في هذه الظاهرة. فأما أحدهما - فهو أن إدغام المثلين أظهر أمراً، وأوضح حكماً، وكل ما هناك أن الصوتين المثلين التقيا، فلم يكن بُدُّ من إدغامهما، بعكس إدغام "المتقاربين الذي يتضح فيه إيثار تقريب أحد الصوتين من الآخر".

وحيث إن الأمر كذلك، فقد كان حرياً بابن جني أن يُخرج إدغام المثلين من ظاهرة التقريب (التمائل)، إلا أنه لم يفعل، وأصرَّ على أن المعنى الجامع لهذا كله - سواء أكان إدغام مثلين أم المتقاربين - هو تقريب الصوت من الصوت.. ولذا فإنني أخالفه الرأي في هذا؛ لما تقدم ذكره من أسباب. والأمر الآخر - علاقة الخفة بالمتكلم، وسأذكر هذا بعد إيراد رأي السيرافي في هذه الناحية. ذكر السيرافي أن الإدغام يأتي على ضربين:

(١) الخصائص ٢: ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه ٢: ١٤٠.

(٣) المصدر نفسه ٢: ١٤٠.

أحدهما - ما توجبه الضرورة، أو ما يمكن تسميته "ما يطرد وروده"، والآخر ما يطلب به الخفة. فالضرب الأول يتمثل في إدغام المثلين الصغير، وكأن السيرافي بهذا يُشعرنا بأن حدوث الخفة هنا من باب تحصيل الحاصل، أي أنها حاصلة بالضرورة، قصدنا ذلك أو لم نقصد. وأما الضرب الآخر فيتحقق في إدغام المثلين الكبير، وإدغام المتقاربين<sup>(١)</sup>، وهذا صحيح - أيضاً - من حيث علاقة الخفة بالإدغام، لا من حيث علاقة المتكلم بالخفة.

وبيان ذلك، أنه يفهم من خلال تقسيم السيرافي لأضرب الإدغام، وشرحه لحدوث الخفة فيه، ومن خلال عبارات ابن جني في تفسير الخفة في الإدغام. وقبلهما سيبويه - أيضاً -.. يفهم من ذلك كله أن المتكلم يطلب الخفة ويلتمسها متعمداً قاصداً، أي أنه يُدغم أو حتى يُخفي ويبدل... الخ وهو يهدف إلى الخفة وبذل جهد أقل...، وليس هذا بصحيح؛ لأن المتكلم - بطبيعة الحال - يُدغم ويبدل ويخفي دون أن يتعمد ذلك، بل دون أن يشعر به - مجرد شعور -، وإنما هو عمل غير إرادي يحدثه دون أن يفكر فيه أو يقطن إليه، مما يدل على أن نصيب الغفلة والنسيان في إحداث مثل هذه الحوادث يفوق نصيب التفكير والقصد بكثير<sup>(٢)</sup>.

ويترتب على هذه المسألة قضية أخرى هي مدى صحة مبدأ أو قانون النزوع نحو السهولة وتوفير الجهد في ضوء التغيرات التي تطرأ على الأصوات.

وأواصل ما كنت قد ابتدأت به عن الإدغام الأكبر عند ابن جني، فأقول: إنه باستعراضنا ما ذكره في هذا المقام يتبين لنا الآتي:

أولاً: الحروف التي تدغم عند ابن جني: نجد أنه اقتصر على ذكر إدغام بعض الحروف، كالنون في الميم والواو، والراء، وإدغام لام التعريف في حروف الفم، وإدغام لام (هل) و(بل) في الشين، والتاء، و الناء، والإدغام في صيغة (افتعل) ومشتقاتها<sup>(٣)</sup>. والواقع أنه ليس هناك جديد يستحق الذكر في هذه الناحية، فما ذكره هنا لا يخرج مما أورده إمام النحاة (سيبويه).

والأمر الذي يثير الدهشة والاستغراب أن ابن جني أشار في بعض المواضع أنه سيعالج الإدغام في مبحثه الخاص، أو أن له قسماً برأسه<sup>(٤)</sup>، إلا أنني أفاجأ - حقاً - بعد البحث والتفتيب أنه ليس هناك - في كتبه المطبوعة على حد علمي - باب أو مبحث خاص يحمل هذا العنوان، عدا ما ذكره في (الخصائص) تحت عنوان "باب في الإدغام الأصغر"<sup>(٥)</sup>، وحتى هذا

(١) ينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١٤: لوحة ١١٠ ب، ١١١ أ.

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا (شاده)، ث ١٨. وللمزيد حول هذه القضية ينظر، المرجع السابق، ص ١٦ - ١٨، الأصوات (د. أنيس) ص ٢٣٥ - ٢٣٨.

(٣) ينظر: على سبيل المثال -: سر صناعة الإعراب ١: ٥٥، ٣٤٧، ٣٤٨، الخصائص ١: ٩٤، المنصف ٢: ٣٢٤ - ٣٣٢.

(٤) ينظر - مثلاً -: سر صناعة الإعراب ١: ٢١٨، التصريف الملوكي، ص ٩٢.

(٥) ٢: ١٣٩.



العنوان ما هو إلا مجرد مصطلح - كما تقدم -، ليس به ذكر لإدغام حروف الحلق، أو الفم، أو طرف اللسان والثنايا، على النحو الذي وجدناه عند سيبويه.

ثانياً: الحروف التي يمتنع إدغامها: منع ابن جني إدغام بعض الحروف، كالضاد، والشين، والفاء، والميم، والراء، وإدغام حروف الصفير؛ وذلك لتفردها بصفات مميزة<sup>(١)</sup> وقد سبق استيفاء ذلك في موضعه، مما يغني عن تكراره<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: موقف ابن جني من القراءات القرآنية التي تظهر ما حقه الإدغام عند النحاة، أو تدغم ما حقه الإظهار: وقف موقفاً متهجماً.

ويتضح ذلك في قراءة عاصم برواية حفص بإظهار النون الساكن عند الراء في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾<sup>(٣)</sup>، حيث وصف بيان النون في هذه القراءة بأنه "معيب في الإعراب، معيف في الأسماع"<sup>(٤)</sup>، ولم يكتف بهذا، بل أردف قائلاً: "فإن كان ارتكب ذلك ووقف على النون صحيحة غير مدغمة، لئيبه به على انفصال المبتدأ من خبره فغير مرضي أيضاً"<sup>(٥)</sup>.

ولست مع ابن جني في هذا - جملةً وتفصيلاً -، فالقراءة متواترة، صحيحة، وهي سنة متبعة، ينبغي تقبلها، والخضوع لها، وعدم الطعن فيها، أو التقليل من شأنها، فإذا خالفت القراءة مذهباً نحويًا، أو قاعدة صوتية، أو صرفية فليس ذلك بقادح فيها، فنُردُّ بسببه، كما أنه إذا وافقت القراءة مذهباً نحويًا، أو قاعدةً صوتيةً أو صرفيةً فليس ذلك بمسوخٍ لأن تُقبل بسببه؛ لأن القراءات القرآنية المتواترة الصحيحة أكبر من النحو، ومن الصرف؛ لأنها قائمة على الرواية والنقل، لا على القياس والعقل.

وحقيقة الأمر في قراءة عاصم - السابقة - أنه سكت سكتة لطيفة خفيفة لا بغرض الإظهار، وإنما ليبين للسامع أنهما كلمتان، حتى لا يتوهم أنها كلمة واحدة، ومن ثم ينعكس أثره على المعنى<sup>(٦)</sup>.

والإدغام هنا<sup>(١)</sup> - كما هو ملاحظ وملحوس ينقل الكلمة من المعنى المراد إلى معنى مغاير تماماً، حيث تصبح الكلمة كأنها على وزن "فَعَال" - إحدى صيغ المبالغة -، مرّاق" مشتق من الفعل مرق، والمروق: خروج السهم من الجانب الآخر<sup>(٢)</sup>، وقيل المرّاق - بائع المرقة<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ١: ٢١٤، ٢١٨، المنصف ٢: ٣٢٨، المحتسب ١: ١٠٦.

(٢) ينظر: حروف لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها (الإدغام عند سيبويه بهذه الرسالة) ص ١٤١ فما بعدها.

(٣) [القيامة: ٢٧]. ينظر: السبعة: ص ٦٦١، الحجة (لابن خالويه) ص ٣٥٧.

(٤) الخصائص ١: ٩٤.

(٥) المصدر نفسه ١: ٩٤.

(٦) ينظر: تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، لأبي مكي العقلي، تح عبد العزيز مطر، ص ٢٤٨.

وهذا معنى بعيد جداً عن مراد الآية الكريمة؛ حيث إن معناها مشتق من الرُّقى، وهو صعود الروح إلى السماء، وقيل: فاعل من الرُّقية - أي من أهل من مداوٍ<sup>(٤)</sup>، وشتان ما هما. وذلك يدعوني للقول: إن اشتراط العلماء لحدوث الإدغام في المستوى اللغوي العام ألا ينتج عنه التباس المعنى، هو - فيما أرى - شرط له وجاهته، فإذا كان الإدغام لا يبخص الحروف حقها، فمن باب أولى ألا يبخص المعنى حقّه - أيضاً -، فكما أن للصوت حقاً، فإن للدلالة حقاً - أيضاً -.

إن تداخل المعاني والتباسها - سمعاً وكتابةً - كما هو ملاحظ في الآية السابقة، وكما نلاحظه في قراءة من يدغم اللام في الراء من قوله تعالى: ﴿بَلْ رَانَ﴾<sup>(٥)</sup>، حيث تصبح كأنها "بَرَان" تنثية البر<sup>(٦)</sup>، وهو خلاف البحر، له نظائر في الشعر العربي، حيث يُروى أن قطرباً - النحوي المعروف - عدّ كلمة "بَرَد" من الأضداد، فهي في رؤية تُستعمل مرّةً بمعنى التبريد، وأخرى بمعنى التسخين، واستشهد على ذلك بقول الشاعر:

شَكَتِ البَرْدَ فِي الشِّتَاءِ فَقَلْنَا      بَرْدِيهِ تُوَافِقِيهِ سَخْنِيًّا

فبرديهِ هنا بمعنى سَخْنِيهِ<sup>(٧)</sup>، وتبعه في هذا الصَّاغاني (٦٥٠ هـ)، حيث اعتبر "بَرَد" من ألفاظ الأضداد - أيضاً<sup>(٨)</sup> -.

ولكن أبا الطيب اللغوي (٣٥١ هـ)، وغيره من العلماء اعترضوا على هذا، معللين الوهم الذي دفع بعض العلماء إلى اعتبار "بَرَد" من الأضداد بالكتابة الإدغامية - إن صح التعبير -؛ حيث إن الأصل في "بَرْدِيهِ" - "بَلْ رِدِيهِ"، فأدغمت لام (بل) في فعل الأمر (رِدِيهِ) المشتق من الفعل "وَرَدَ".

(١) قرأ بالإدغام: أبو عمرو، وابن عامر، ونافع، وابن كثير، وحمزة، والكسائي. ينظر: السبعة، ص ٦٦١، الحجة (لأبي زرعة) ص ٧٣٧، الغيث، ص ١٧٨.

(٢) الصحاح ٤: ١٥٥٤ (مرق).

(٣) تفسير القرطبي ١٩: ١١٠.

(٤) ينظر: معاني القرآن (للفراء) ٣: ٢١٢، الحجة (لابن خالويه) ص ٣٥٧، تفسير القرطبي ١٩: ١٠٩.

(٥) [المطففين: ١٤]. وقد قرأ بالإدغام: أبو عمرو، وابن عامر، وابن كثير، وأبو جعفر، ونافع، وحمزة، والكسائي، وعاصم بـرواية أبي بكر شعبة، مع اختلافهم في فتح الراء وكسرها. وقرأ عاصم بـرواية حفص بسكّنة على اللام، ثم بيندئ "ران" ينظر: السبعة، ص ٦٧٥، ٦٧٦.

(٦) ينظر: تفسير القرطبي ١٩: ١١٠. وقد ذكر القرطبي أن كسرة القاف في "راق"، وفتحة النون في "ران" تكفي لزال اللبس. ينظر: المصدر نفسه ١٩: ١١٠، على أنه يبدو أن السياق والمعنى العام للآيتين الكريميتين هو الذي يحدد المقصود، ومن ثم يزول اللبس الذي قد يحدث فيهما بسبب الإدغام.

(٧) الأضداد (لقطرب) ص ١٠٤، ١٠٥. ولم ينسب هذا الشاهد لأحد - فيما أعلم -، وللبيت روايتان أخريان، إحداهما: عافت الشرب في الشتاء فقلنا برديهِ تصافيه سخينا، الأضداد (لابن الأنباري) ص ٦٣، ٦٤ والأخرى - لا تفترق عما أورده قطرب، إلا في إحلال "المياه" بدل "الشتاء". ينظر: الأضداد (لأبي الطيب اللغوي) ١: ٨٦.

(٨) الأضداد - ملحق بثلاثة كتب في الأضداد -، ص ٢٢٤.

فالإدغام هنا هو الذي أدّى إلى الالتباس وخفاء المعنى، مما نتج منه حكم منافٍ لحقيقة الأمر، وهذا يؤكد ما ذكره أحمد علم الدين الجندي من أنه "كثيراً ما يقع سوء الفهم واللبس في اللهجات على عاتق الكتابة"<sup>(١)</sup>.

ويتضح موقف ابن جني من القراءات - أيضاً - فيما ذكره عن قراءة من يدغم الراء في اللام من قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، حيث أنكرها ورفضها، بحجة أن إدغام الراء في اللام "غير معروف عند أصحابنا، وإنما هو شيء رواه القراء، ولا قوة له في القياس"<sup>(٣)</sup>!. كما وصف لغة من يدغم الضاد في الطاء من قوله تعالى: ﴿اضْطَرَّهُ﴾<sup>(٤)</sup> بأنها لغة مردولة<sup>(٥)</sup>. وكل ذلك تعسف وغلو، فقد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن، لا خلاف في ذلك"<sup>(٦)</sup>، كما أن القراءة ليست قياساً - كما يدّعي ابن جني-، حيث إنّ "أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفضى في اللغة، والأفيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل. والرواية إذا ثبت عنهم لم يردّها قياس عربية، ولا فشو لغة؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها، والمصير إليها"<sup>(٧)</sup>.

**رابعاً: الإدغام الأكبر على ضوء ضعف الحرف وقوته:** نظر ابن جني - بصفة عامة - لإمكانية حدوث الإدغام الأكبر في ضوء ضعف الحرف وقوته، وقد صرح بهذا فالصغير، والاستطالة مما يجعلان الحرف قوياً، وهما قوتان ذاتيتان نابتان من داخل الصوت. وقد أضاف إلى مفهوم القوة والضعف شيئاً آخر، هو الموقع، يقول في ذلك: "وإنما المذهب أن تدغم الأضعف في الأقوى، فلذلك ادغم الساكن في المتحرك لضعفه وقوة المتحرك، أو لشيء في نظيره"<sup>(٨)</sup>.

وهذا يعني أن السكون مما يضعف الحرف، أما الحركة فتقويه، كما يدل على أن وقوع الصوت في آخر الكلمة يجعله عرضةً للتحويل والسقوط. على أنه لا بد من الإشارة إلى أن ما

(١) اللهجات العربية في التراث ١:١٥. وقد عزا بعض المحدثين سبب الوهم تلك التصحيف. ينظر: اللهجات العربية - د. أنيس) ص ١٩٤، الأضداد في اللغة (محمد حسين آل ياسين) ص ١٥٧، ١٦٢، ١٦٣ فصول في فقه العربية (د. رمضان عبد التواب) ص ٢٩٨، وهذا صحيح - أيضاً -، ولا تعارض بينه وبين ما نكرته، فالتصحيف حدث من خلال الكتابة الإدغامية.

(٢) [آل عمران: ٣١]. قرأ بالإدغام - أبو عمرو، ويعقوب. ينظر: البحر ٢:٤٣١. تفسير القرطبي ٤:٦١.

(٣) سر صناعة الإعراب ١:١٩٣.

(٤) [البقرة: ١٢٦]. قرأ بذلك ابن محيصن، ينظر المحتسب ١:١٠٦.

(٥) ينظر: المحتسب ١:١٠٦.

(٦) المزهر (للسيوطي) ١: ٢١٣ - نقلاً عن ابن خالويه في (شرح الفصيح).

(٧) النشر ١: ١٠، ١١ - نقلاً عن أبي عمرو الداني في (جامع البيان) -، وينظر: منجد المقرئين لابن الجزري ٩ ص ٢٤٣.

(٨) المنصف ٢: ٣٢٨. وينظر: المصدر نفسه ١: ٢٢١.

ذكره ابن حني في هذه الناحية - على وجه العموم - لا يعطي تصوراً واضحاً ودقيقاً لمفهوم القوة والضعف في الحروف.

وسأناقش هذه القضية بشيء من التوسع في الباب القادم - إن شاء الله -<sup>(١)</sup>.  
وقبل تسجيل نتائج هذه الدراسة أود الإشارة إلى أن ابن جني ذكر أن التقريب (التمائل) في الإبدال، والإقلاب، وفي الإلتباع الحركي - أو ما يعرف بـ"التوافق الحركي، أو تناسق الصوائت" (Vowel harmony) - إنما هو من باب التوقع.  
وتفسير ذلك - كما يرى ابن جني - أن العرب في الإدغام أبدلوا الأول للآخر في مثل - "مرأيت، واذهفي ذلك، واصحمطر"؛ توقعاً منهم بأن الصوت الثاني هو الذي يأتي من بعد. وكذلك الإقلاب، أبدلوا النون ميماً؛ لما يُتوقع من مجيء الميم بعدها، وكذلك في الإلتباع الحركي في مثل "مُنْتِن"، كسروا أوله "الميم" لأجل آخره "التاء"، وفي مثل "أُقْتُل" ضموا الهمزة لضمة التاء... الخ.

فالتغيير الذي حدث في هذه الأمثلة إنما تصورته العرب قبل أن يكون، مما حدا بهم على إيثار المتوقع، والابتداء بتغييره قبل وقوعه، على حد قول الشاعر:

رأى الأمر يُفْضِي إلى آخر فصَّير آخره أولاً<sup>(٢)</sup>.  
و"هذا كله وما يجري مجراه مما يطول ذكره يشهد لأن كل ما يتوقع إذا ثبت في النفس كونه كائن كأنه حاضر مشاهد"<sup>(٣)</sup>.

وهذا يدل على أن ما جرى على تلك الصور التماثلية المذكورة، يجري - أيضاً - على بقيتها من الصور المشابهة، كالإشمام، والإخفاء.

كما يدل - بصفة عامة - على أن التماثل الرجعي، أو كما يسميه ابن جني "التوقعي أو المتوقع" فيه عناية واستعداد للتهيؤ بالنطق قبل أن يشرع المتكلم في النطق بالحرف، مما يعني أن في هذا النوع من التماثل نشاطاً فكرياً ونطقياً معاً<sup>(٤)</sup>.

وقبل أن أناقش هذه القضية يجدر بي أن أنوه بهذه الملاحظة الدقيقة التي ذكرها ابن جني، وذلك ما يدعوني إلى القول: بأنه تنبّه لهذه الفكرة، واكتشفها، وصرّح بها قبل أن يذكرها اللغويون المحدثون بقرون طويلة.

(١) ينظر: نظرية القوة والضعف في التماثل التام عند مكي بن أبي طالب في هذه الرسالة ص ٢٥٣ وما بعدها.

(٢) لم أعثر على قائل هذا البيت. وقد ورد في: سر صناعة الإعراب ٢: ٦٨٧، المتحسب ١: ١٨٨، شرح الملوكي في التصريف، ص ٤٦٨، شرح المفصل ٥: ١٢٠. ومعناه - أنه حينما علم أن الأمر الذي سيقدم عليه معروف النتائج مسبقاً، بادر إلى الأخذ بها، دون أن ينتظر حدوثها.

(٣) الخصائص ٢: ٣٣. وينظر: المصدر نفسه ٢: ٣١ - ٣٣.

(٤) ينظر: الإمالة في القراءات واللهجات العربية، د. عبد الفتاح شبلي، ط ٣، دار الشروق جدة ١٤٠٣ هـ ص ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٤٦.

والأمر المثير للعجب مدى تطابق هذه الفكرة عند ابن جني واللغوي الفرنسي فندريس، حيث يقول: "... والصوت المشبه يسبق في أغلب الأحيان الصوت المشبه به. أي أن هناك في الواقع حالة تعجل: فالعقل باشتغاله ينطق صوت ما في داخل مجموعة صوتية يجعله يصدره قبل أوانه، وينتج مرتين متتابعتين الحركات الصوتية التي يقتضيهما هذا الصوت.."<sup>(١)</sup>.

وأعود، فأقول: إن ما ذكره ابن جني قد يبدو صحيحاً، إلا أن ذلك يوحي بأن العرب - أو المتكلم على وجه الخصوص - عنده تصور سابق لما عليه حال الكلمة، ومن ثم فقبل أن يبدأ بنطقها يجمع أمره ويهيئ نفسه لأن يحدث تغييراً في حروف الكلمة وفق متطلبات الموقع.

وقد سبق أن ذكرت عدم صحة هذا، فالمتكلم في مثل هذه الأحوال مثله - كما يقول شادة - كمثل الفاتح فمه قبل أن يبلغ الطعام شفثيه، فالشخص الذي "يريد أن ينطق بكلمة المصدر" مثلاً، بينما هو ينطق بالصاد، يهيئ أوتاره الصوتية كما تقتضيه الدال، ونتيجة ذلك العمل الغريزي هو أن جهازة الدال تنتقل إلى الصاد فتصير زاياً، أعني زاياً مطبقة"<sup>(٢)</sup>.

وكذلك في الإدغام، والإخفاء، والإقلاب، العمل فيهنّ غريزي - أيضاً -، حيث يوضع اللسان في مخرج الصوت التالي له، نظراً لسرعة التأثر ومتطلبات النطق. ومن المعروف - بدهاءة - أن المتكلم هو الذي يقوم بهذا العمل، ولكن هناك فرقاً بين أن يقوم به عامداً، وبين أن يقوم به تلقائياً..

وشيء آخر أشار إليه ابن جني، وهو أن بعض صور التقريب (التماثل) تؤدي إلى الإخلال بالحركة الإعرابية، كما في الإتياع الحركي مثل - الحمد لله -، وقول الشاعر:

وقال اضربِ السّاقينِ إمّك هابِلُ<sup>(٣)</sup>

فكسر "دال" الحمد - الذي هو مبتدأ -؛ لكسرة اللام بعدها، كما كسر "ميم" أمك - الذي هو مبتدأ - أيضاً -؛ إتياعاً لكسرة الهمزة قبلها.

والإخلال بالحركة الإعرابية لا يقتصر على الإتياع الحركي فحسب، وإنما نجده - أيضاً - في الإدغام الكبير، حيث لا يتم هذا النوع من الإدغام إلا بتسكين حركة الحرف المدغم<sup>(٤)</sup>.

فهذا مجمل حديث ابن جني عن ظاهرة التقريب (التماثل) بين الأصوات الصامتة، ويمكن من خلاله استخلاص النتائج الآتية:

أولاً: يطلق على هذه الظاهرة عند ابن جني مصطلحات عديدة، كالتقريب، والتجنيس، والمضارعة، وكلها يصلح أن يكون مصطلحاً رديفاً للتماثل أو المماثلة.

(١) اللغة، فندريس، ص ٩٣، ٩٤.

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، ص ١٨.

(٣) ينظر: الخصائص ٢: ١٤٥. ولا يعرف صدر هذا البين، كما أن قائله مجهول. و للبيت روايات أخرى. ينظر: الكتاب: ٤: ١٦٤، الخصائص ٣: ١٤١، تفسير القرطبي ١: ١٣٦، شرح شواهد الشافية، ص ١٧٨، ١٧٩، وهابل: من هَيْلَنَه أمّه: أي تكلمته، وعدمته، وجملة " أمك هابل " دعائية. شرح شواهد الشافية، ص ١٧٩.

(٤) للمزيد حول هذه القضية ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ٣٣٢ - ٣٨٥ للهجاء العربية في التراث (د. الجندي) ١: ٣١٥، ٣١٦.

ثانياً: يعد التماثل مظهراً من مظاهر التأنق في الألفاظ، والعناية بها، وحسن الاختيار لها.  
ثالثاً: يعتبر التماثل في صورته جميعها من باب العجلة في الأداء اللغوي، وتوقع الشيء قبل حدوثه.

رابعاً: تتضح هذه الظاهرة في الإبدال، والإدغام - بشكل عام -، مع الأخذ في الاعتبار أن هاتين الصورتين مقيدتان، وليستا على عموم إطلاقهما.

خامساً: أن جزءاً كبيراً من أمثلة هذه الظاهرة يُعزى إلى لهجات القبائل العربية.  
سادساً: تميل اللغة العربية إلى تأليف الكلام من الأصوات المتباعدة المخارج؛ حيث إن في ذلك الوضوح واستقلال أصوات اللغة.

فإذا تقاربت الأصوات من حيث المخرج، أو الصفة، فإن ذلك مما يُهيئُ الفرصة لحدوث ظاهرة التقريب (التماثل).

سابعاً: يؤدي التقريب (التماثل) في بعض صورته إلى نشأة أصوات فرعية (ألفونات)، مما ينتج عنه توسيع دائرة ألفونات اللغة.

ثامناً: أن الإدغام في رأي ابن جني يشمل مفهوماً أوسع من المعنى التقليدي له عند النحاة واللغويين، مما يجعل مصطلح الإدغام يرادف مصطلح التماثل عند المتحدثين - بصفة عامة -.

تاسعاً: أن الخفة التي تهدف إليها هذه الظاهرة ليس ضرورياً أن تتحقق بواسطة العدول من الصوت الثقيل إلى الخفيف، بل قد تكون عن طريق استبدال صوت ثقيل بآخر أثقل منه، مما يدل على أن مفهوم الخفة نسبي.

### الباب الثالث

التمائل عند علماء القراءات ويشتمل على تمهيد وفصلين

#### الفصل الأول

التمائل عند مكي بن أبي طالب القيسي

#### الفصل الثاني

التمائل عند أحمد ابن محمد الجزري

## تمهيد:

أسهم علماء القراءات بجهد وافر في ميدان الدراسات الغوية، وعلى وجه الخصوص الجانب الصوتي، أو بما يعرف عندهم بالجانب الأدائي القرآني.

ومن المسلم به أن الدرس الصوتي بدأ أول ما بدأ من خلال قراءة القرآن الكريم، بعد أن أخذ النبي ﷺ يُعلم أصحابه كيفية قرأته، وترتيبه، وتجويده، فكان يُعنى بالضبط المحكم لتلاوته، دون أن يكون هناك تععيد لهذا الجانب.

ثم انتقل الاهتمام بهذا الجانب إلى اللغويين الذين نحا به مساراً آخر، فبعد أن كان مرتبطاً بعملية الأداء القرآني (التجويد)، أصبح موصولاً بلغة العرب ولهجاتها المتعددة.

وتلّفه بعد ذلك علماء القراءات الذين أخذوا من النص القرآني مادة بحوثهم الصوتية، متمثلاً ذلك في القراءات القرآنية المتعددة المروية عن الرسول ﷺ.

وقد اهتم بهذا الجانب - أيضاً - علماء البلاغة، والفلسفة، غير أن ما أودّ ذكره في هذا المقام هو أن علماء القراءات - على الرغم من أن دراستهم الصوتية كانت منحصرة في جانب النص القرآني -، كثيراً ما رووا بعض القراءات المتواترة، والمسماة شاذة<sup>(١)</sup> اللتين فيهما خروج على قواعد اللغويين، مما أدّى إلى ذلك الخلاف المعروف بين الفريقين.

ولقد تناول كل من علماء اللغة والقراءات ظاهرة التماثل بالدراسة والتحليل في ضوء المستويين: النظري، والتطبيقي، وكان حديث كل منهم في الجانب النظري لا يفترق عن حديث الآخر - في الغالب الأعم -. أما الاختلاف بينهما فيتضح في الجانب التطبيقي؛ حيث إن علماء اللغة تناولوا هذه الظاهرة بالاستشهاد لها من المأثور من أقوال العرب - شعراً ونثراً -، إضافةً إلى تلك الأمثلة التي يغلب عليها طابع التكلف والاصطناع - كما تقدم -، علاوةً على إيراد بعض القراءات القرآنية.

أما علماء القراءات فقد قصرُوا الجانب التطبيقي على القرآن - وحده -، بقراءاته المتعددة.

وقد وقع اختياري لدراسة هذه الظاهرة عند علماء القراءات على عالَمين عاشا في فترتين متباعدتين، وأسهما بجهدٍ وافرٍ وبشكلٍ واضحٍ متميزٍ في مجال الدراسات القرآنية.

فأما أحدهما فقد عاش بين المنتصف الأخير من القرن الرابع الهجري. والمنتصف الأول من القرن الخامس الهجري، وهو مكي بن أبي طالب القيسي (٣٥٥ - ٤٢٧ هـ).

وأما الآخر فقد عاش بين النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، والنصف الأول من القرن التاسع الهجري، وهو أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، المعروف بابن الجزري (٧٥١ - ٨٣٣ هـ).

(١) للعلماء آراء متعددة في تحديد مفهوم القراءة الصحيحة، والقراءة الشاذة.

للمزيد ينظر: المحتسب ١: ٣١ - ٣٦، النشر ١: ٩ فما بعد، تاريخ القرآن (د. عبد الصبور شاهين) ص ١٩١ - ٢٢٥.



المبحث الأول  
الإبدال عند مكى بن أبى طالب القيسى  
توطئة  
صور الإبدال عند مكى بن أبى طالب  
إبدال تاء افتعل  
الإشمام الحرفى  
الإقلاب  
الإخفاء

## توطئة:

تناول مكي ظاهرة التماثل بالدراسة المستفيضة، ولم يكتف بإيراد النص القرآني المستشهد به، بل قرنه بالتحليل والتعليل اللغوي. وسنرى مصداقية ذلك فيما يستقبل من هذه الدراسة.

وتتضح ظاهرة التماثل عند مكي من خلال حديثه عن إبدال حرفٍ مكان آخر في وجود علاقة مخرجية أو وصفية بين الحرفين المبدلين، وعلاقة أخرى بين الحرفين المراد تماثلهما، كما تتضح في الإشمام، وفي الإدغام، وفي الإخفاء. وقبل أن أبدأ بعرض دراسته لهذه الصور التماثلية، لابد من الإشارة إلى أن مكيّاً دعا قبل ذكر هذه الصور إلى إعطاء الحروف حقّها من النطق - مخرجاً وصفةً -، محذراً في الوقت ذاته من التساهل في هذه الحقوق؛ حيث إن ذلك يؤدي إلى حدوث ظواهر عدة - كالإبدال، والإدغام، واللبس، والحذف، واللحن... الخ..

صور الإبدال عند مكي: وسأبدأ بذكر الإبدال، تاركاً بقية صور هذه الظاهرة لمواضعها من الدراسة. فأما الإبدال فقد ذكر مكي أنه إذا وقع بعد الغين الساكنة شين نحو "يَعْشَى" (١) ولم تُبَيَّن الغين، فإنها تقرب من لفظ الخاء، حيث العلاقة قائمة بينهما - من جهة-، كما أنها قائمة - أيضاً - بين الخاء - الصوت المبدل - وبين الشين - الصوت المجاور للمبدل منه- (٢)، كما يؤدي إلى أمرٍ غايةٍ في الخطورة هو تأثر الجانب الدلالي. ويُعدّ هذا التغيير حينئذٍ من النوع المتطرف الذي يوقع المتكلمين في ورطة دلالية.

ومما ذكره - أيضاً - الجيم الساكنة إذا جاء بعدها تاء، نحو "حَرَجْتَ" (٣)، فإن لم تُعْطَ الجيم حقّها من الأداء، فإن اللسان يُسارع إلى مخالطة الجيم للفظ الشين؛ لما بينهما من علاقة مخرجية، ولأن الشين أقرب إلى التاء في الهمس من الجيم (٤)، وبذا تتم عملية التماثل الرجعي، الجزئي.

ومثل ذلك الزاي الساكنة قبل دال، أو تاء «تَزْدِرِي» (٥)، و«مَا كَنْزَتْمْ» (٦)، فإن عَدَمَ التحفظ بجهر الزاي يؤدي إلى همسها، فتصبح سينا (٧)، وبذا تتماثل مع التاء في الهمس، ويكون التماثل في الصورة الأول تقديمياً، جزئياً، في حين أنه في الأخرى رجعي، جزئي.

(١) [النجم: ١٦].

(٢) ينظر: الرعاية، ص ١٧٠.

(٣) [البقرة: ١٤٩].

(٤) الرعاية، ص ١٧٧.

(٥) [هود: ٣١].

(٦) [التوبة: ٣٥].

(٧) الرعاية، ٢١٠.

ومما ذكره مكي - أيضاً - السين إذا جاء بعدها حرف مطبق، نحو ﴿يَيْسُطُ﴾<sup>(١)</sup>، و﴿مَسْطُورًا﴾<sup>(٢)</sup>، فإن لم تُتَحَفَّظْ ببيانها، بادر الطاء إلى التأثير عليها، وحولها إلى صاد<sup>(٣)</sup>، مؤدياً بهذا إلى حدوث التماثل الرجعي، الجزئي.

ويلاحظ في هذا الموقع أن السين جاورت حرفاً قوياً، والقوي من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاوراً له جذبته إلى نفسه - غالباً -؛ ليعمل اللسان عملاً واحداً.

وقد أشار مكي في هذا المقام إلى شيء مهم، هو أن الحرف المطبق لا يقتصر تأثيره على السين المجاورة لها، بل يمتد إليها - أيضاً - وهي بعيدة عنها، نحو ﴿أَسَاطِيرُ﴾<sup>(٤)</sup>، و﴿سَرَقَ﴾<sup>(٥)</sup> و﴿يَسْتَطِيعُ﴾<sup>(٦)</sup>؛ "لأن الحرف المطبق قوي لا يرد قوته حرف حائل"<sup>(٧)</sup>.

هذا يعني أن التماثل كما يحدث في المتصل من الكلمة الصوتية، يحدث في المنفصل منها - أيضاً -.

ومثل ما تقدم من صور إبدالية السين الساكنة التي يأتي بعدها جيم، نحو ﴿وَاسْجَدْ﴾<sup>(٨)</sup>، و﴿الْمَسْجُورِ﴾<sup>(٩)</sup>، فإن جُهر بها - في حالة عدم التحفظ بها - تصبح قريبة من الزاي، أو زايًا خالصةً؛ "لأن الزاي بالجيم أشبه من السين بالجيم؛ لأن السين مهموسة، والجيم مجهورة، والزاي مجهورة، فهي للجيم أشبه، وهي من مخرج السين..."<sup>(١٠)</sup> وغني عن القول: أن ما حدث من تغيير يمكن إدراجه ضمن الإبدال الذي يكون للتماثل. وأود أن أذكرها هنا أننا نسمع مثل هذا الإبدال في بعض اللهجات الحديثة، فيقال في تَسْجِيل: تَرْجِيل، وفي مُسْجَل: مُرْجَل.

إذا وقعت الصاد الساكنة قبل تاء الضمير نحو "حَرَصْتَ"<sup>(١١)</sup>، ولم تُعْطَ حَقَّهَا، فإن اللسان يبادر إلى إحلال السين محلها؛ "لأن السين أقرب إلى التاء من الصاد إلى التاء، إذ السين

(١) [القصص: ٨١].

(٢) [الإسراء: ٥٨].

(٣) الرعاية، ص ٢١٢.

(٤) [الأنفال: ٣١].

(٥) [يوسف: ٧٧].

(٦) [المائدة: ١١٢].

(٧) الرعاية، ص ٢١٤.

(٨) [العلق: ١٩].

(٩) [الطور: ٦].

(١٠) الرعاية، ص ٢١٤.

(١١) [يوسف: ١٠٣].

والتاء ليس فيهما إطباق، ولا استعلاء، مثل ما في الصاد، وكلاهما مهموس<sup>(١)</sup>، وبذا يحدث التماثل الرجعي، الجزئي.

ومثل ذلك الذال إذا وقع بعدها قاف، نحو "الأذْقَانِ"<sup>(٢)</sup>، فإن لم تُرَقِّقِ الذال انقلبت إلى ضاد، أو ظاء، والسبب في هذا عائد إلى القاف، حيث تؤثر - في ذا الموقع - في الذال، فتحولها إلى صوت مستعلٍ<sup>(٣)</sup>، على سبيل التماثل الرجعي، الجزئي.

وقد نعت مكي ما يحدث للحروف في حالة عدم التحفظ بها وإعطائها حقوقها بصفات عدة كالتصحيح، والخطأ، والتعسف، والقبح... الخ، وكأنه بهذا يَعُدُّ ما يقع من تبدلاتٍ وتغيراتٍ بسبب عامل التماثل.. يعدها مظهراً طارئاً على اللغة، وخروجاً على أنظمتها.

على أنه ينبغي ألا يُفهم من ذلك أن مكيًا ينظر إلى ظاهرة التماثل التي تحدث بسبب ما يلحق بالأصوات من تغيرات - على سبيل الإطلاق -، وإنما نظر إلى هذه الظاهرة في ضوء المستوى اللغوي الخاص (القرآن الكريم)، الذي تحفّه، الرواية القرآنية من أمامه وورائه، فهو مقيد بها، فإذا ورد من ذلك شيء أثبتته، وأجازه، واحتج له، وإذا لم يرد رفضه، واستبعده. وهذا هو الفارق بين علماء القراءات - بصفة عامة -، واللغويين في تناولهم لهذه الظاهرة.

وبالعودة مرة أخرى إلى الإبدال نجد مكيًا يذكر أن العرب تبدل السين صاداً في مواقع صوتية محددة، وذلك فيما إذا وقع بعدها طاء، أو قاف، أو غين، أو خاء.

والغرض من هذا الإبدال؛ "ليكون عمل اللسان من جهة واحدة، فذلك أخف عليهم"<sup>(٤)</sup>.

ومكي يشير بهذا إلى أن الإبدال في تلك المواقع إنما يُؤتى به طلباً للخفة، التي تتحقق في عمل اللسان مرةً واحدةً. ففي نحو "السَّرَاطِ" يعمل اللسان مرتين: مرةً بتسفل السين، وأخرى بتصعد (إطباق) الصاد، وفي هذا خروج من تسفل إلى تصعد، وذلك فيه كلفة، وصعوبة، ومشقة على اللسان.

فِيُتَخَلَّص من هذا بإبدال السين صاداً، حيث يتلاعب الحرفان ويتجانسان، وبذا يُخَفَّفُ على اللسان بأدائه حركةً نطقيةً واحدةً، والسير عند النطق بالحرفين في اتجاه واحد، وبمستوى صوتي موحد.

وقد دعم مكي رأيه هذا باختياره لقراءة من قرأ بالصاد في «الصَّرَاطِ»<sup>(١)</sup>، وفي «بِصْطُ»<sup>(٢)</sup>، وفي «بِصْطَةَ»<sup>(٣)</sup>، معللاً ذلك بقوله: " والصاد هو الاختيار: للمطابقة في

اللفظ، والمجانسة بين الحرفين، ولأن عليه خط المصحف، وأن عليه أكثر القراء"<sup>(٤)</sup>.

(١) الرعاية، ٢١٩.

(٢) [يس: ٨].

(٣) الرعاية، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٤) الكشف ١: ٣٥. وينظر: السبعة، ص ١٠٧، الحجة (للفارسي) ٢: ٢٦٠، ٢٦١.

ويتضح من هذا النص أن مكياً أطلق على ظاهرة التماثل مصطلحي "مطابقة"، و"مجانسة".  
وقد اختيرت الصاد - دون غيرها من الأصوات-؛ لما لها من علاقة صوتية مع السين -  
من جهة -، ومع الطاء - من جهة ثانية-.

وقد سبق أن ذكرت أهمية ذلك في ظاهرة التماثل، حيث لا يُكتفى بوجود علاقة بين الصوتين  
المبدلين، ويُتوقف عندها، بل لابد من تجاوز ذلك إلى وجود علاقة أخرى بين الصوتين المراد  
تماثلهما، وإلا لما كانت هناك ظاهرة تماثل - أصلاً - من خلال صورته الإبدالية.

ومن الأمور المهمة التي أشار إليها مكي معرفة الأصل في الإبدال، فقد ذكر أن الأصل في "الصراط"،  
وفي "بصطة" هو السين حيث إن إبدال السين صاداً كان لعله، أما لو كان الأصل الصاد، وأبدلت سينا،  
فليس لهذا الإبدال مبرر<sup>(٥)</sup>، وأراني متفقاً معه في هذا الرأي؛ لمنطقيته، غير أن ما نكره من تعليل آخر لعدم  
إبدال الصاد سينا، وهو "الضعف السين، وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الأضعف، وإنما  
أصولهم في الحروف إذا أبدلوا أن يردوا الأضعف إلى الأقوى أبداً"<sup>(٦)</sup>، ذلك مما لا أقره عليه، فقد يُبدل  
الحرف القوي بأخر ضعيف، كما في إبدال القاف كافاً في نحو "قَشَطْتُ"، و"كَشَطْتُ"... الخ، ولو قُيد هذا  
الحكم لكان أقرب إلى الصحة، وأدعى للقبول.

إبدال تاء افتعل ومن صور الإبدال عند مكي قلب تاء "افتعل" الزائدة ومشتقاتها طاء، إذا  
وقعت بعد حروف الإطباق، كما في نحو "اصْطَفَى"<sup>(٧)</sup>، و"يَصْطَرِحُونَ"<sup>(٨)</sup>، و"اضْطُرَّ"<sup>(٩)</sup>.

الأصل في ذلك - اصتقى، يصترخون، اضتر، جاورت الصاد والضاد - المطبقتان،  
المستعليتان - التاء - المنفتحة، المستقلة -، فلم يكن بُدّ - في الحالة هذه - من قلب التاء  
طاء؛ لتوافق الصاد والضاد في الإطباق والاستعلاء، و"ليعمل اللسان عملاً واحداً"<sup>(١٠)</sup>.  
كما أن تاء "افتعل" تقلب دالاً، إذا وقع قبلها زاي، نحو "مُزْدَجِر"<sup>(١١)</sup>، و"تَزْدِرِي"<sup>(١٢)</sup>، أصلها  
- مُزْدَجِر، وتَزْدِرِي.

- 
- (١) [الفاحة: ٦]. وهي قراءة الجمهور. ينظر: السبعة: ص ١٠٥، البحر ١: ٢٥.
  - (٢) [البقرة: ٢٤٥]. قرأ بذلك: نافع، الكسائي، البزّي، وشعبة، ينظر: الغيث، ص ١٦٨.
  - (٣) [الأعراف: ٦٩]. قرأ بذلك: نافع، والكسائي، والبزّي، وشعبة، وابن ذكوان، وبلاد بخلاف عنه. ينظر الغيث، ص ٢٢٥.
  - (٤) [الكشف: ١: ٣٠٣]. وينظر: المصدر نفسه ١: ٣٥.
  - (٥) ينظر: المصدر نفسه ١: ٣٤، ٣٠٢.
  - (٦) المصدر نفسه ١: ٤٣. وقد قال بهذا البطليوسي - أيضاً. ينظر: ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة، ص ٢٣٨.
  - (٧) [آل عمران: ٣٣].
  - (٨) [فاطر: ٣٧].
  - (٩) [البقرة: ١٧٣].
  - (١٠) [الرعاية، ص ٣٠٧].
  - (١١) [القمر: ٤].

وقد علّل مكي للإبدال هنا بقوله: "لَمَّا وقعت التاء وهي حرف مهموس ضعيف بين حرفين مجهورين قويين، وهما الجيم والزاي، والزاي والراء خفيت وضعفت لقوة ما قبلها وما بعدها، ولضعفها في أصلها، فأبدل منها حرف من مخرجها يؤاخي الجيم والزاي والراء في الجهر والقوة، ويقرب من مخرجهن، وهو الدال؛ ليعمل اللسان عملاً واحداً بالحروف القوية المتفقة في الصفة"<sup>(٢)</sup>.

وبالنظر في هذا النص نجد أنه فسّر الإبدال في ضوء وجود علاقة ثلاثية بين الأصوات، هي: الدال والتاء من جهة، والدال والزاي من جهة أخرى، والدال والجيم من جهة ثالثة - هذا في مزدجر -، أما في تزدري، فالعلاقة كالتالي: الدال والتاء من جهة، والدال والزاي من جهة ثانية، والدال والراء من جهة ثالثة.

على أنني أرى أنه ليس للعلاقة الصوتية بين الدال والجيم في مزدجر، أو بين الدال والراء في تزدري أهمية في هذا الإبدال، وإنما تبدو أهميتها بشكل واضح بين الصوتين المتبادلين من جهة، وبين الصوتين المراد تماثلها - من جهة أخرى، ويُعَضد هذا الرأي ما نراه من إبدال في نحو - ازدهر، واضطهد، فإن العلاقة قائمة - في الأنموذج الأول - بين الدال والتاء - طرفي الإبدال -، وبين الزاي والدال - طرفي التماثل - فقط -، وليس هناك - كما ترى - علاقة بين الدال والهاء، ومثله الأنموذج الآخر، فالعلاقة فيه قائمة بين الطاء والتاء، كما أنها قائمة بين الضاد والطاء، وليس هناك علاقة بين الطاء والهاء.

وبلاحظ - من خلال رأي مكي - أن التماثل يُفسّر بأن الزاي في ازدجر وتزدري أثرت في التاء تأثيراً تقديمياً، كما أثرت الجيم، أو الراء في التاء تأثيراً رجعياً.

**الإشمام الحرفي:** وانتقل بعد ذلك إلى ما يعرف بالإشمام الحرفي، ويطلق عليه مضارعة عند بعض علماء اللغة - كما تقدم -، إلا أنه عندهم أوسع صورة، فالإشمام الحرفي خاص بالصاد، أما المضارعة فإنها تحدث مع الصاد، والسين، والشين، والجيم، غير أنها في الصاد أكثر، وأعرف<sup>(٣)</sup>.

وقد علّل مكي لهذه الصورة تعليلاً لا يخرج عما ذكره اللغويون قبله<sup>(٤)</sup>، إلا أنه حذر - مرةً أخرى - من التساهل في نطق الصاد حين مجاورتها للدال، نحو "قَصْدُ السَّبِيلِ"<sup>(٥)</sup>؛ "لأن

(١) [هود: ٣١].

(٢) الرعاية، ص ٢٠٢، ٢٠.

(٣) ينظر: الكتاب ٤: ٤٧٨، ٤٧٩ (هارون) الحجة (للفارسي) ١: ٤٠، ٤١.

(٤) ينظر: الكشف ١: ٣٩٣، ٣٩٤، الرعاية، ص ٢١٨.

(٥) [النحل: ٩].

الزاي من مخرج الصاد، وهي في الصفة أقرب إلى الدال من الصاد إلى الدال، فاللسان يبادر إلى اللفظ بما قَرَّبَ من الحرف، وما هو أَلْيَقُ به من غيره؛ ليعمل اللسان عملاً واحداً، فإذا لم تُبَيَّن الصاد بياناً ظاهراً خالطها لفظ الزاي<sup>(١)</sup>.

ومكي حينما يدعو إلى هذا، إنما ينشد من ورائه الحفاظ على أصوات القرآن الكريم - إن صح التعبير -، وذلك بإعطاء كل صوت حقه ومستحقه من حيث المخرج أو الصفة. ومن المعروف أن الأصوات المتقاربة حينما تلتقي في الوحدات الكلامية تكون عرضة لحدوث شيء من التغيير، والتبديل، والتأثر أو التأثير في نظامها اللغوي حسب مقتضيات السياق، أو الموقع - بتعبير أدق -.

ومن المحتمل أن يتبع ذلك تداخل بين الأصوات، مما قد يؤدي إلى اللبس، والبعد عن المعنى المقصود، وذلك ما حَسَبِي منه مكي - وغيره من علماء القراءات - فاهتموا به، ونَبَّهوا إليه، وحدِّروا منه؛ بُغْيَةَ المحافظة على كتاب الله<sup>(٢)</sup>. إلا أن ما ذكره علماء القراءات هنا لا يتفق ورأي اللغويين، والبلاغيين، حيث يرى هؤلاء أن الأصوات المتقاربة - إذا تجاوزت - ذلك مدعاة للحكم عليها بكَراهية الاجتماع، أو قبحه، أو تنافر الأصوات، ويتخلص من هذا - من ضمن ما يُتَخَلَّصُ به - بإحدى صور التماثل<sup>(٣)</sup>.

وعوداً على بدء، فإن الغرض من الإشمام هو طلب الخفة، إلا أن أبا علي الفارسي (٣٧٧هـ) أورد رأياً لابن السراج (٣١٦هـ) في هذه المسألة يختلف عما ذكره العلماء، وهو أنه ليس في المضارعة (الإشمام) خفة؛ "لأنه تكلفَ حرف بين حرفين، وذاك أصعب على اللسان، لأنه إنما استعمل في هذه الحال فقط، وليس بحرفٍ يُنْبِنِي عليه الكَلِم، ولا هو من حروف المعجم، ولست أدفع أنه من كلام الفصحاء من العرب"<sup>(٤)</sup>.

والذي يبدو أن ابن السراج نظر لتلك الكلفة من زاوية اصطلاحية نظرية، والأمر في حقيقته لا يتعدى - من الناحية التطبيقية الأدائية - أن يُنطَق بالصاد زايًا مفخمة، وليس في هذا - فيما أرى - صعوبة أو مشقة.

(١) الرعاية، ص ٢١٨. وينظر: النشر ١: ٢١٩.

(٢) ينظر: الإقناع ١: ١٧٦ فما بعدها، النشر ١: ٢١٠ فما بعدها، لطائف الإشارات ١: ٢١٨ فما بعدها.

(٣) ينظر: الحجة (للفارسي) ١: ١٥٥، سر صناعة الإعراب ١: ٦٥، سر الفصاحة، ص ٩٤.

(٤) الحجة ١: ٣٨، وقد أورد هذا القول (الفارسي) منسوباً إلى (أبي بكر). (هكذا)، وذكر محققو الكتاب أن المقصود به (ابن السراج)، اعتماداً على ما ذكره (الفارسي) في خطبة كتابه من أنه أسند في كتابه (الحجة) ما فسره (أبو بكر ابن السراج) ينظر: الحجة ١: ٣، ٤، ٣٦. إلا أن (أبا حيان النحوي) عزا ذلك إلى (أبي بكر بن مجاهد). ينظر: البحر ١: ٢٥، ولعل ما ذهب إليه المحققون هو الصواب، خاصة وأنني تتبعت هذا القول في كتاب (السبعة) (لابن مجاهد) - الذي اعتمد عليه (الفارسي) - أيضاً - فلم أعثر على شيء منه. والله أعلم.

إن ما رآه ابن السراج تكلفاً، يراه آخرون - ممن تُنسبُ إليهم هذه اللغة، أو ممن يُجيد هذا النوع من الأداء - كالقرّاء -... سهلاً ميسراً، وذلك يدل على أن الخفة أو الثقل معيار نسبي، لا يتأتى للباحث أن يحكم يهما على سبيل التأكيد والإطلاق.

**الإقلاب:** ومن صور التماثل عند مكي - أيضاً - الإقلاب، الذي يحدث نتيجةً لمجاورة النون الساكنة أو التنوين للباء، نحو "أُنْبئُهُم"<sup>(١)</sup>.

وقد عدّ مكي ما يحدث في هذه الصورة من قبيل الإبدال الذي يكون لغير إدغام<sup>(٢)</sup>، ويفهم من هذا أن هناك إبدالاً للإدغام، وذلك صحيح، وكلا النوعين ملحق بما يسمى بالإبدال الصرفي، والفرق بينهما أن الأول يعالج في باب الإبدال الصرفي، ويذكر الآخر في مبحث الإدغام.

وبالنظر في الإقلاب نجد أنه ظاهرة أدائية منتشرة بين عوامّ الناس وخواصهم، بحيث لا تكاد تجد فرقاً بين الفئتين في نطق كلمة نحو - مَنبَر، أو جَنب.

ويمكن أن يفسر هذا بأن النطق بالنون الساكنة ميماً - في هذا الموقع - أمر لا حرية للمتكلم فيه ولا اختيار، فهو لا شعورياً يُخرج النون من الشفتين.

وإذا أَرَدْتُ الدقة أكثر - قلت: إن الفرق يتّضح في الزمن الذي تستغرقه غنة الصوت المبدل (الميم)، حيث يطول أو يقصر بحسب الأداء.

والعلاقة الصوتية في الإقلاب واضحة لا تحتاج إلى بيان، وقد جعلها مكي علةً له، وسبباً لحدوثه<sup>(٣)</sup>.

**الإخفاء:** ومن صور التماثل التي ذكرها مكي الإخفاء، وقد سبق ذكر مواقع حدوثه، وتفسير التماثل فيه<sup>(٤)</sup>. والغاية التي يهدف إليها الإخفاء هي الخفة، وقد فسّر مكي ذلك بأن للنون مخرجين: أحدهما - مخرج لها، والآخر - لغنتها، فاتّسعت بذلك في المخرج بخلاف سائر الحروف، فأحطت باتساعهم بذلك في المخرج بحروف الفم، فشاركتها بالإحاطة بها، فخفيت عندها، وكان ذلك أخف، لأنهم لو استعملوها مظهرة لعمل اللسان فيها من مخرجها، ومن مخرج غنتها، فكان خفاؤها أيسر ليعمل اللسان مرة واحدة<sup>(٥)</sup>.

(١) [البقرة: ٣٣].

(٢) الكشف ١: ١٦٥.

(٣) المصدر نفسه ١: ١٦٥.

(٤) ينظر: التماثل عند سيبويه (إخفاء النون بهذه الرسالة) ص ١٦٦ فما بعدها.

(٥) الكشف ١: ١٦٦. ويلاحظ أن في العبارة خللاً يبدأ من قوله: "فأحاطت باتساعهم بذلك في المخرج بحروف الفم، فشاركتها بالإحاطة بها، ولم يتنبّه المحقق إلى ذلك. جزاه الله خيراً -".



ويفهم من هذا النص أن الخفة ناتجة عن استخدام مخرج واحد بدل مخرجين، وذلك صحيح إذا فهم أن المخرجين اللذين يُسْتَعْنَى عن العمل في أحدهما هما: مخرج النون، ومخرج الحرف المجاور لها، لا مخرج النون، ومخرج غنتها.

ومن صور التماثل - أيضاً - عند مكي الإدغام (التمائل التام)، وقد عالجه مكي بشيء من التوسع والعمق. ونظراً لأهمية ذلك فإني سأفرد له دراسة مطولة: لنتبين بعدها مجمل رأيه في هذه الصورة التي تُعَدُّ من أوضح صور التماثل، وأكثرها خلافاً بين علماء اللغة وعلماء القراءات.

## المبحث الثاني

الإدغام عند مكي بن ابي طالب

مفهوم الإدغام عند مكي ابن أبي طالب

صور الإبدال عند مكي ابن أبي طالب وعلاقته بقوة الحرف وضعفه

الإدغام في منطقة الحلق

الإدغام في منطقة الفم

الإدغام في منطقة الشفتين

## مفهوم الإدغام عند مكي بن أبي طالب القيسي:

بدأ مكي حديثه عن الإدغام بمقدمة عن أصوله، وأنواعه، ثم اتبع ذلك بمعرفة الحروف القوية والضعيفة..، تلك المعرفة التي أقام عليها نظريته في الإدغام.

وقد عرّف الإدغام بقوله: "الإدغام معناه إدخال شيء في شيء"<sup>(١)</sup>، وهذا هو المعنى اللغوي له، أما معناه الاصطلاحي فهو: "أن يلتقي حرفان متقاربان أو مثلان، فتدغم الأول في الثاني، وتردهما بلفظ حرف واحدٍ مشدّد"<sup>(٢)</sup>.

وبالنظر في هذا نجد أن مفهوم الإدغام عند مكي لا يتجاوز مجرد فناء صوت في آخر، وذلك هو المفهوم التقليدي السائد عند أكثر العلماء، وهو بدأ يختلف عما سبق أن ذكرته في مفهوم الإدغام عند سيبويه، وابن جني، وغيرهما من العلماء<sup>(٣)</sup>، وشيء آخر يستنتج من هذا التعريف، وهو أنه لا يحدث إلا بين أصوات متقاربة، أو مثليه، وهو بهذا يتفق مع سيبويه.

وقد ذكر مكي أن الأصل في الإدغام أن يكون بين مثلين، فإن حدث بين متقاربين فيلزم إبدال أحدهما إلى جنس الآخر، بحيث يصبحا مثلين<sup>(٤)</sup>. أي أن إدغام المتقاربين يُفضي إلى إدغام المثلين. على أنه ينبغي التنبيه إلى أن ذلك لا يعني إلحاق إدغام المثلين بظاهرة التماثل، فهناك فرق بين أن يتم الإدغام عُفْلاً من عمليات ممهدة له، وبين أن يتم بذلك، ولذا كان الإدغام في الحروف المتقاربة على التشبيه بالأمثال، وليس على أنها أمثال حقيقية.

وفي هذا المقام أشار مكي إلى أن الإدغام إنما يحسن في غير المثلين<sup>(٥)</sup>، وذلك يعني - فيما أراه - عدم أهمية إدغام المثلين في هذه الظاهرة.

وقبل أن أوصل الحديث، لابد من القول: إن مكيّاً اهتم بدراسة كل صوت لغوي على حده، مبيناً مخرجه، وصفاته، ومميزاته في النظام اللغوي، ولم يقف عند هذا الحد، بل تجاوز البحث في هذه الأصوات حينما تأتلف مع غيرها، فاللغة ليست نظاماً فحسب، ولكنها أداء، ونشاط، وممارسة<sup>(٦)</sup>.

(١) الكشف ١: ١٤٣.

(٢) التبصرة في القراءات السبع (مكي بن أبي طالب القيسي)، ص ٣٥٠، ٣٥١.

(٣) ينظر: مفهوم الإدغام عند سيبويه وعند ابن جني بهذه الرسالة ص ١٣٢ فما بعدها و ٢٢٦ فما بعدها.

(٤) الكشف ١: ١٣٤.

(٥) المصدر نفسه ١: ١٣٥.

(٦) وضع مكي في ذلك كتاباً مستقلاً، أسماه "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" وقد قام بعض الباحثين بعمل دراسة لهذا الكتاب ينظر: أصوات العربية والقرآن الكريم، منهج دراستها وتعليمها عند مكي بن أبي طالب، بحث للدكتور (عبد الله ربيع محمود) نشر في مجلة كلية اللغة العربية، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد العاشر، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ص ٢٢٧ - ٢٨٠.

## صور الإدغام عند مكي بن أبي طالب وعلاقته بقوة الحرف وضعفه:

وحيثما تصدّى مكي للإدغام وجد أنه يقوم على أساس قوة الحرف، التي تتحقق في ضوء ما يتميز به من صفات، وبناءً عليه فقد جعل الإدغام يأتي على ثلاث صور، هي على الترتيب:

الصورة الأولى: ما تقارب فيها الحرفان في المخرج، والحرف الأول أضعف من الثاني، وهذا حسن جيد؛ لأن الحرف الضعيف حينما يدغم في القوي ينتقل من ضعف إلى قوة.

الصورة الثانية: ما تقارب فيها الحرفان في المخرج، وتكافؤاً في المنزلة<sup>(\*)</sup> وهذا حسن؛ لأن الإدغام لا يُنقص شيئاً من قوة الحرف الأول.

الصورة الثالثة: ما تقارب فيها الحرفان في المخرج، وكان الحرف الأول أقوى من الثاني، وهذا ضعيف قليل؛ لأن الإدغام يُضعف من قوة الحرف الأول التي كان عليها قبل الإدغام<sup>(١)</sup>.

ومما تقدم يتضح لنا أن فكرة الإدغام قائمة على ركيزتين: الأولى - التقارب في المخرج، والأخرى - القوة.

وقبل أن أبدأ بتفصيل جوانب نظرية القوة، ينبغي أن أذكر أن هذه النظرية قال بها اللغويون قبل علماء القراءات.

واستطيع القول: إنه ليس لعلماء اللغة في هذه النظرية - فيما أعلم - سوى إطلاق عمومها، أما تفصيل مجملها، ورسم حدودها، وتوضيح معالمها فقد قام به - فيما تبين لي - علماء القراءات.

والسؤال المطروح، هو - ما مقياس القوة والضعف عند هؤلاء العلماء - بصفة عامة؟ وللإجابة عنه أقول: لقد نظر علماء القراءات إلى صفات الأصوات مشتركة كانت أو منفردة، وفي ضوءها وضعوا مقياسهم لقوة الحرف وضعفه، إلا أن آراءهم تعددت في تحديد الصفات القوية والضعيفة، وذهبوا مذاهب شتى<sup>(٢)</sup>. على أننا نراهم يتفقون في كثير منها، فضعف الحرف يكون في اتصافه بالهمس، والرخاوة، أما القوة فتكمن في الجهر، والشدة، والصّفير، والتفشي، والاستطالة، والتكرار، والإطباق، والاستعلاء، والتفخيم، والغنة<sup>(٣)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن اتصاف الصوت بصفة قوة لا يعني بالضرورة أنه قوي مطلقاً، بل قد يصاحبه صفة ضعف، كالتاء - مثلاً - فهو صوت شديد، لكنه مهموس، وينطبق ذلك

(\*) أعني بالتكافؤ في المنزلة: تساويهما قوة، أو ضعفاً، وليس المقصود به التبادل في الإدغام من حيث إن الحرف يدغم في مقاربه، ويدغم مقاربه فيه، كالقاف في الكاف، والكاف في القاف... الخ.

(١) ينظر: الكشف، ١: ١٣٥، ١٣٦. وقد نكر (أبو عمر الداني) هذه الصور بشيء من الإيجاز. ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ٥ ب، ٦ أ.

(٢) ينظر على - سبيل المثال -: الكشف ١: ١٣٧، النشر ١: ٢٠٢، لطائف الإشارات ١: ٢٠٤، نهاية القول المفيد، ص ٦٢.

(٣) الكشف ١: ١٣٧.

على اتصاف الصوت بصفة ضعف، فليس ضرورياً أنه ضعيف أبداً، بل ربما صاحبة صفة قوة، كالزاي - مثلاً - فهو مجهور، صفيري، ولكنه رخو. وتجتمع صفات القوة أو الضعف في الأصوات، كما تتداخل - أيضاً -، فالطاء - مثلاً - صوت مهموس، رخو، وهذه صفات ضعف.

أما الصاد - مثلاً - فهو مهموس، رخو، مطبق، مستعلٍ، مفخّم، صفيريّ، وفي هذا من تتداخل صفات الضعف والقوة ما فيه<sup>(١)</sup>. ولمزيد من الايضاح إليك جدولاً لبيان قوة الأصوات وضعفها، متبوعاً بدراسة تحليلية - في ضوء رأي مكي -.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه ١: ١٣٧، ١٣٨.

	صفات القوة							صفات الضعف							مجموع صفات القوة	مجموع صفات الضعف
	الجهر	الشدّة	الإطباق	الاستعلاء	التفخيم	الصغير	التفسي	التكرار	الاستطالة	الغنة	الهمس	الرخاوة	الخفاء			
و	x													١	-	
م	x	x												٢	-	
ي	x		x							x	x			١	٢	
ف						x				x	x			١	٢	
ث	x										x	x		١	٢	
ذ	x		x	x	x						x			٤	١	
ظ	x		x	x	x						x	x		١	٢	
ص			x	x	x	x				x	x			٤	٢	
ز	x					x					x			٢	١	
ك		x								x				١	١	
د	x	x												١	-	
ط	x	x	x	x	x									٢	-	
ر	x						x							٥	-	
ن	x								x					٢	-	
ل	x							x						٥	١	
ض	x		x	x	x									١	-	
ي	x	x												٢	-	
ح	x					x				x	x			١	٢	
ش							x			x	x			١	٢	
ك		x								x				١	١	
ق	x	x		x							x	x		٣	-	
خ				x						x	x			١	٢	
غ	x			x							x			٢	١	
ح										x	x			-	٢	
ع	x													١	-	
م										x		x		-	٣	
هـ	x	x										x		٢	-	
أ														-	٢	
٦														٢	-	
مجموع صفات القوة														٢٠	٢٠	
مجموع صفات الضعف														٢٠	٢٠	

وبالنظر في هذا الجدول استطيع تسجيل النتائج التالية:

أولاً: أقوى الأصوات هو - الطاء المهملة، حيث فيه خمس صفات قوية. يلي ذلك الضاد، إذ فيه خمس صفات قوة، وصفة ضعف واحدة، يليه الظاء الذي فيه أربع صفات قوة، وصفة ضعف واحدة، ثم القاف الذي به ثلاث صفات قوة.

ثانياً: أقل الأصوات قوة الصاد، حيث به أربع صفات قوة، ووصفتا ضعف، ثم الدال، والجيم، والباء، والهمزة، والنون، والميم، والراء حيث في كل واحد منها صفتا قوة، يلي ذلك الغين، والزاي اللذين فيهما صفتا قوة، وصفة ضعف واحدة، يلي ذلك اللام، والياء والواو، والعين، حيث في كل واحد منها صفة قوة واحدة.

ثالثاً: الأصوات المتوسطة هي - الكاف، والتاء، والذال، إذ في كل واحد منها صفة ضعف، وصفة قوة واحدة.

رابعاً: الأصوات الضعيفة هي - الشين، والسين، والفاء، والخاء، إذ في كل واحد منها صفتا ضعف، وصفة قوة واحدة.

خامساً: أضعف الأصوات هي - الحاء، والثاء، ثم الهاء، حيث في كل واحد منها إما صفتا ضعف - كالحاء، والثاء، وإما ثلاث صفات ضعف - كالحاء - وبناءً على هذا يمكن توزيع الأصوات إلى خمسة أقسام: قوية، وأقوى، وضعيفة وأضعف، ومتوسطة، وقد تختصر إلى ثلاثة أقسام، هي قوية -، وضعيفة، ومتوسطة.

وفي ضوء ذلك قام مكي بتحليل صور الإدغام. وقبل أن أقوم بتوضيح ذلك، أود أن أذكر أن مكياً وزّع المخارج الصوتية إلى مناطق ثلاث - على وجه الاختصار - هي:

أ- منطقة الحلق، ويمثلها ستة حروف، هي:- الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء.  
ب- منطقة الفم، ويمثلها ثمانية عشر حرفاً<sup>(١)</sup>، هي:- القاف، الكاف، الجيم، الشين، الياء، الضاد، اللام، النون، الراء، الطاء، الدال، التاء، الزاي، السين، الصاد، الظاء، الذال، الثاء.  
ج- منطقة الشفتين، ويمثلها أربعة حروف، هي:- الفاء، الباء، الميم، الواو<sup>(٢)</sup>.

وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

### أولاً: الإدغام في منطقة الحلق:

ذكر مكي أن حروف هذه المنطقة لا تدغم في حروف المنطقتين الأخرين؛ وذلك لبعدها عن المخارج، أما الإدغام فيما بينها - أي بين حروف الحلق - فجازز على قلة<sup>(٣)</sup>. فإذا جاورت الحاء الهاء

(١) هذا ما ذكره مكي. وبعض العلماء يجعلها تسعة عشر حرفاً. ينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٣٦ ب، الممتع ٢: ٧٠٣، ولعلمهم ألحقوا الفاء بمنطقة الفم؛ لقربها منها.

(٢) الكشف ١: ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه ١: ١٤٠.

فينبغي - كما يقول مكي - التحفظ بإظهار الهاء، سواء أكانت الهاء قبل الحاء أم بعدها، كما في نحو ﴿فَسَبَّحَهُ﴾<sup>(١)</sup>، فإن لم يُحَفَّظْ بها جذبت الحاء الهاء إلى نفسها، ووقع الإدغام بينهما. وعَلَّ مكي ذلك بقرب مخرجيهما، وأن إدغام الهاء في الحاء من باب إدغام الأضعف في الأقوى<sup>(٢)</sup>. وهذا التعليل الأخير وافقه كثير من العلماء القدامى<sup>(٣)</sup>، كما وافقه بعض المحدثين<sup>(٤)</sup> ولعلمهم نظروا إلى قوة الحاء وضعف الهاء من حيث إن في الحاء صفتي ضعف، هما الهمس والرخاوة، في حين أن في الهاء ثلاث صفات ضعف، هنّ الهمس، والرخاوة، والخفة<sup>(\*)</sup>، ولذا عدّ الحاء أقوى - قليلاً - من الهاء؛ لقلّة صفات الضعف فيه، كما عدّ الهاء أضعف؛ لكثرة صفات الضعف فيه، أو لعلمهم - كما يقول عبد الصبور شاهين: "أحسّوا بما تتصف به الهاء من ضعف صوتي، ووجدوا أن الحاء أكثر منها قوةً ووضوحاً في السمع؛ لما فيها من الاحتكاك، فحكموا بجواز إدغام الهاء في الحاء، أي إدغام الأضعف في الأقوى"<sup>(٥)</sup>. على أنني أرى أنه لو قيل - في هذا المقام -: بأن إدغام الهاء في الحاء إنما هو إدغام الأكثر ضعفاً في الأقل ضعفاً، أو لو قيل: إنه إدغام الأقل وضوحاً في الأكثر وضوحاً لكان أكثر دقة من القول: بأنه إدغام ضعيف في قوي، وذلك حتى لا تتداخل مقاييس الضعف والقوة، وإن كنت أرى أن الإدغام هنا بين متكافئين في الصفات. وقد سبق أن ذكرت - بالتفصيل - موقف علماء اللغة من هذه الصورة الإدغامية<sup>(٦)</sup>.

وبعد مقارنة بينهما، نجد أن علماء اللغة يجيزون إدغام الهاء في الحاء؛ لقرب المخارج، ويمنعون العكس؛ لخروجه على قاعدة الإدغام في أن الأقرب إلى الفم لا يدغم فيما وراءه جهة الحلق، إلا إذا عرض عارض فيستنثى منها، والعارض هنا هو خفة الحاء. أما علماء القراءات فيجيزون إحدى الصورتين، ويمنعون الأخرى بناءً على ضعف الهاء وقوة الحاء ليس إلّا. والفرق بين الفريقين - كما هو ملاحظ - كبير، وجوهري.

وذكر مكي - أيضاً - أن العين إذا لاصقت الهاء، كما في نحو ﴿أَعْهَدَ﴾<sup>(٧)</sup>، و﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾<sup>(٨)</sup> فيجب بيانها، وعدم إدغامها لا فرق بين أن تتقدم العين الهاء، أو تتأخر عنها، فإن لم تُعْطَ حقّها من ذلك، فإنها تُقَرَّبُ من لفظ الحاء، ويندغم فيها الهاء، فتصير

(١) [ق: ٤٠].

(٢) الرعاية، ص ١٥٨، ١٥٩، ١٦٦.

(٣) ينظر: النشر: ١: ٢١٨، لطائف الإشارات ١: ٢٢٣.

(٤) ينظر: نهاية القول المفيد، ص ٦٩، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ١٨٤.

(\*) ذكر مكي أن الحروف الخفية، وهي الهاء، وحروف المد واللين الثلاثة. إنما سميت ذلك؛ لأنها تخفى في اللفظ إذا اندرجت بعد حرف قبلها. ينظر: الرعاية، ص ١٢٧.

(٥) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ١٨٤.

(٦) ينظر: الإدغام في حروف الحلق لسببويه في هذه الرسالة (إدغام الهاء في الحاء) ص ١٤٧ فما بعدها.

(٧) [يس: ٦٠].

(٨) الممتحنة: ١٢].



حاءً مشددة<sup>(١)</sup>. ولم يبيّن مكي صفة الإدغام فيه، هل هو من قبيل إدغام الضعيف في القوي، أو العكس؟ ويبدو أن العين عندما تتحول إلى حاء - أولاً - يُعَدُّ من قبيل الانتقال من الأقوى إلى الأضعف، أما عندما تتحول الهاء إلى حاء فيُعَدُّ من باب المتكافئين في المنزلة (الضعف)، حيث كلاهما مهموس رخو.

ومما ذكره مكي - أيضاً - أن العين إذا جاء بعدها غين نحو "وَأَسْمَعُ غَيْرَ"<sup>(٢)</sup> وجب إظهارها؛ "لأن اللفظ يبادر إلى إدغام العين في الغين، لأنهما من الحلق جميعاً"<sup>(٣)</sup>، ومثلها الحاء مع العين في نحو ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، والغين مع العين نحو ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا﴾<sup>(٥)</sup>، والغين مع القاف نحو ﴿لَا تَرْغُ قُلُوبَنَا﴾<sup>(٦)</sup>.

ولم يُوضِّح مكي - أيضاً - مسألة القوة والضعف، على أنها تبدو في العين مع الغين والحاء مع العين من باب إدغام الضعيف في القوي، أما في الغين مع العين فمن باب إدغام القوي في الضعيف، وأما في الغين مع القاف فمن باب إدغام القوي في الأقوى. وتحليل حدوث التماثل في الصورتين الأخيرين نجد أن الغين في الأولى تنتقل إلى الوراة قليلاً، مع تحولها من الرخاوة إلى التوسط، ومن الاستعلاء إلى الاستفال، وأما في الأخرى فتنتقل إلى الأمام، مع تحولها من الرخاوة إلى الشدة، وهذا يعني أن التماثل في كلا الصورتين مخرجي، وصفي.

ويستنتج من خلال حديث مكي السابق أن الإدغام يُعَدُّ نوعاً من التساهل في الأداء اللغوي، أو إن شئت فسمّه كَسَلاً، مما يدل على أن إعطاء كل حرف مستحقّه من الأداء يعتبر نشاطاً، على حين أنه يُفَنَّقُ عندما تفنى الحروف بعضها في بعض.

ومما يلاحظ على إدغام الغين في القاف أنهما من منطقتين مخرجيتين متباعدين، حيث إنّ الغين من الحلق، والقاف من الفم، وقد ذكر مكي أن كل منطقة استقلّت بإدغام بعض أصواتها في بعض، فحروف الحلق لا تدغم في حروف الفم، والعكس لا يجوز - أيضاً -، كما أن حروف الشفتين لا تدغم في حروف الحلق والفم، والعكس غير جائز - أيضاً<sup>(٧)</sup> -.

## ثانياً: الإدغام في منطقة الفم:

(١) الرعاية، ص ١٦٣.

(٢) [النساء: ٤٦].

(٣) الرعاية ص ١٦٣، وينظر: النشر: ١: ٣٢٠.

(٤) [الزخرف: ٨٩].

(٥) [البقرة: ٢٥٠].

(٦) [آل عمران: ٨]. ينظر: الرعاية، ص ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩.

(٧) ينظر: الكشف ١: ١٤٠.

تُعَدّ حروف هذه المنطقة من أكثر الحروف، وهذا عائد - كما سبق - إلى اتساع حدودها، ووفرة أحيائها، فهي تمتد من أعلى الحلق إلى الشفتين، مشتملة بهذا على عشرة مخارج<sup>(\*)</sup>، كما أن طرف اللسان يشترك في إصدار أكثر هذه الحروف، مما يدل على مرونته، ولذا فإن الإدغام يقع كثيراً في حروف هذه المنطقة.

ولنبداً في عرض صور الإدغام هنا. فقد ذكر مكي أن القاف إذا جاورت الكاف - قبلها أو بعدها -، وكانت القاف أو الكاف متحركة فإنه يجب البيان، نحو «خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(١)</sup>، و«وَتَرْكُوكَ قَائِمًا»<sup>(٢)</sup>.

أما إن سكنت القاف نحو «نَخْلُكُمُ»<sup>(٣)</sup> - فيجب الإدغام؛ لقرب المخرجين، مع الإبقاء على صفة الاستعلاء التي في القاف<sup>(٤)</sup>، وأما إن سكنت الكاف فلم يتعرض له مكي، ولعل ذلك راجع إلى أنه لم يرد في القرآن الكريم كاف ساكنة بعدها قاف في كلمتين.

ولم يُبين مكي حكم الإدغام من حيث القوة والضعف، على أنه يبدو أن إدغام القاف في الكاف من قبيل الأقوى في الضعيف، وهذا - حسب ما - يراه مكي - ضعيف قليل، والتماثل هنا جزئي (ناقص)؛ لعدم وقوعه على خواص الصوت جميعها. أما الشين فقد ذكر أنه يجب تبيينها إذا وقع بعدها جيم؛ "لئلا تقرب من لفظ الجيم؛ لأنها أختها ومن مخرجها. ولكن الجيم أقوى منها؛ لأنها مجهورة شديدة"<sup>(٥)</sup>.

ويفهم من هذا أن الشين لو أدغمت في الجيم<sup>(\*)</sup>، فإنها تنتقل من ضعف إلى قوة، إلا أن علماء اللغة منعوا ذلك، لتمييز الشين بالتفشي.

وأما الجيم فلزم بيانها إذا وقعت قبل زاي، نحو «وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ»<sup>(٦)</sup>، ويتحقق ذلك بقلقلة الجيم، فإن لم يُتَحَفَّظْ بإظهارها وقع الإدغام، وبذا "يعمل اللسان عملاً واحداً في حرفين رخوين، فكان ذلك أسهل من عمله في حرف شديد وحرف رخو فيه صفير مع تقارب المخارج"<sup>(٧)</sup>.

(\*) هذا الحكم مبني على نظرة القدماء للمخارج، أما عند المحدثين فتمتد منطقة الفم - كما هو ملاحظ في الجدول - من الأسنان حتى اللهاة، وهي بهذا تشتمل على ستة مخارج فقط.

(١) [الزمر: ٦٢].

(٢) [الجمعة: ١١].

(٣) [المرسلات: ٢٠].

(٤) ينظر: الرعاية، ص ١٧١ - ١٧٤.

(٥) الرعاية، ص ١٧٥.

(\*) لم يرد في القرآن شين ساكنة بعدها جيم - من كلمتين - حسب إحصاء الحاسب الآلي -.

(٦) [المدثر: ٥]، ولم يرد في القرآن جيم ساكنة أو متحركة بعدها زاي من كلمتين.

(٧) الرعاية، ١٧٦.

والإدغام هنا ينقل الجيم من وسط اللسان، ووسط الحنك الأعلى إلى طرف اللسان وفوق الثنايا، علاوة على تحولها من الشدة إلى الرخاوة، فالتماثل مخرجي، وصفي، ويُعدُّ إدغامهما من حيث القوة والضعف قوي في الأقل قوة.

أما الضاد فذكر أنه لأبَدُّ للقارئ المجوّد من المحافظة على صفاتها ومخارجها، كما ذكر أنها إذا جاورت صوتاً مطبقاً، نحو «أَنْقَضَ ظَهْرَكَ»<sup>(١)</sup>، ونحو «اضطر»<sup>(٢)</sup>، وَعُفِلَ عن التحفظ ببيانها فإن الإدغام واقع عليها؛ لتقارب المخارج، واجتماعهما في الصفات والقوة، وكذا إذا سكنت قبل تاء نحو «فَرَضْتُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وبتحليل التماثل في هذه الصور، فإن الضاد حينما تدغم في الطاء تنتقل مخرجياً إلى الأمام، مع إلغاء صفة الاستطالة، وعليه فالتماثل مخرجي فقط، إضافةً إلى كونه كلياً، رجعيّاً، وإذا أدغمت في الطاء فإن مخرجها ينتقل إلى الأمام - أيضاً - مع تحولها من الرخاوة إلى الشدة، فالتماثل مخرجي، وصفي، علاوةً على أنه كلي، رجعي.

وإذا أدغمت في التاء فمخرجها ينتقل إلى الأمام أيضاً -، مع تحولها من الرخاوة إلى الشدة، ومن الجهر إلى الهمس، ومن الإطباق إلى الانفتاح، وافتقادها لصفة الاستطالة، فالتماثل مخرجي، وصفي، إضافةً إلى أنه كلي، رجعي.

ومما تجدر الإشارة إليه في مثل هذه الصورة الأخيرة أن ابن محيصر قرأ الآية من قوله تعالى: «فَقَبِضَتْ»<sup>(٤)</sup>، بإدغام الضاد في التاء، مع إبقاء صفة الإطباق<sup>(٥)</sup>، وهذا يعني أن التماثل جزئي.

وبتطبيق نظرية مكّي في القوة والضعف فإن إدغامها في الطاء يُعدُّ إدغام الأكثر قوة في الأقل قوة، على حين أن إدغامها في الطاء من باب إدغام الأقل قوة في الأكثر قوة، وأما إدغامها في التاء فهو من قبيل إدغام الأقوى في الأضعف.

وانتقل بعد هذا إلى ما ذكره مكّي في إدغام اللام - بصورها الثلاث -.

### لام التعريف:

تدغم هذه اللام عند مكّي في أربعة عشر حرفاً، هي - التاء، والثاء، والذال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، واللام، والنون.

(١) [الشرح: ٣].

(٢) [البقرة: ١٧٣].

(٣) [البقرة: ٢٣٧]. ينظر الرعاية ص ١٨٤ - ١٨٧.

(٤) [طه: ٩٦].

(٥) ينظر: الإتحاف، ص ٣٠٧.

وهذه الحروف تقع - كما هو ملاحظ - ضمن منطقة الفم التي تعد أصل الإدغام. والعلة في الإدغام هنا - كما يذكر مكي - هي أن مخرج هذه الحروف جميعها من الفم، فهي بهذا متحدة في المخرج العام، كما أن هذه اللام يكثر استعمالها في الكلام، علاوة على أن الإدغام هنا - في أغلبه - ينقل الحرف من الضعف إلى القوة<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن توزيع صور الإدغام من حيث القوة يكون علي النحو الآتي:

١- إدغام ضعيف في قوي ل+ ن: ل+ ر: ل+ ط: ل+ ظ: ل+ ص: ل+ ض: ل+ د:  
ل+ ز.

٢- إدغام قوي في ضعيف: ل+ ت: ل+ س: ل+ ذ: ل+ ش: ل+ ث.

وقد فرّق مكي بين لام التعريف ولام أخرى مشابهة لها، كما في نحو - السنة، الثَّمَّة، فلام التعريف يلزمها السكون دائماً، وهذه اللام لا يلزمها، حيث يمكن القول: لَسَنُهُ، وَلَثْمُهُ، ثم إن لام التعريف زائدة، وهذه اللام أصلية، وفرق ثالث أن لام التعريف يكثر استعمالها في الكلام، والعكس في هذه اللام، وآخر هذه الفروق أن إدغام هذه اللام يؤدي إلى اللبس وتغيير المعنى، فلو قيل في السِنَّة: السِنَّة - بالإدغام - لا ننتقل إلى النَّوم<sup>(٢)</sup>.

ومما يلاحظ على الحروف التي تدغم لام التعريف فيها أن مكيّاً ذكر منها اللام، وواقفه بعض علماء اللغة والقراءات<sup>(٣)</sup>، وفي مقابل ذلك أهمل بعضهم ذكرها<sup>(٤)</sup>.

وسواء أدغمت اللام أم لم تدغم، فذلك أمر لا يعنيني في هذه الدراسة، حيث إنَّها إذا أُدغمت فَيُعَدُّ ذلك من إدغام المثليين، وهذا النوع من الإدغام سبق لي أن ذكرت عدم علاقته بموضوع دراستي.

### لام (هل) و(بل):

أختلف القراء - كما يذكر مكي - في إدغام هذه اللام عند ثمانية أحرف هي: التاء، الثاء، الزاي، السين، الضاد، الطاء، الظاء، النون، بعضهم يظهرها جميعاً، وبعضهم يدغمها جميعاً وآخرون يظهرون بعضاً، ويدغمون بعضاً.

وقد احتج مكي لكل فريق، فمن أظهر فلأن الكلمتين منفصلتان عن بعضهما، والانفصال يَقْوِي معه الإظهار، بعكس لام التعريف هي متصلة بما بعدها، والاتصال يقوي معه الإدغام إضافة إلى أن الإظهار، هو الأصل.

وأحسب أن العلة الأولى هي المقنعة، أما الأخرى فليست كذلك، لأن استصحاب الأصل من أضعف العلل والأدلة.

(١) ينظر الكشف ١:١٤١.

(٢) المصدر نفسه ١:١٤١، ١٤٢.

(٣) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء (لابن الأثيري) ١:٢٢٠، المفصل، ص ٣٩٩، شرح شافيه ابن الحاجب ٣:٢٧٩، النشر ١:٢٢١.

(٤) ينظر: الكتاب ٤:٤٥٧ (هارون)، المقتضب ١:٢١٣، أسرار العربية، ص ٤٤٦، الهمع ٦:٣٠١.

ومن أدغم فلما بين هذه اللام ولام التعريف من شبه، حيث السكون ملازم لهما لا ينفك عنهما. وأما من يُدغم في بعض الحروف ويُظهر الآخر فقد جمع بين اللغتين، مع روايته ذلك عن أئمة<sup>(١)</sup>. ويلاحظ أن الإدغام في هذه اللام مقصور على ثمانية أحرف، على حين أنها تدغم عند اللغويين فيما تدغم فيه لام التعريف ومرد هذا التباين بين الفريقين إلى الرواية القرآنية التي تقف خلف ذلك بالحصر في بعض المواقع، وبالتوسّع في بعضها الآخر.

### اللام المفردة:

ذكر مكي أن اللام إذا سكنت قبل نون نحو ﴿عَفُنَا﴾<sup>(٢)</sup> تعين بيانها، "لئلا تدغم في النون، للتناسب الذي بينهما. وذلك أن اللام حرف انحراف من مخرجه إلى مخرج النون، فإدغام اللام إذا سكنت النون يُسارع إليه اللسان للتقارب الذي بينهما"<sup>(٣)</sup> كما ذكر أن لام ﴿قُلْ﴾ لا تدغم فيما بعدها<sup>(٤)</sup>، نحو ﴿قُلْ نَعَمْ﴾<sup>(٥)</sup>، و ﴿قُلْ رَبِّ﴾<sup>(٦)</sup>، لأن السكون عارض في هذه اللام<sup>(٧)</sup>، وأضاف بعض العلماء علة أخرى، هي أن في الكلمة إعلالا هو حذف عين الفعل، فإذا أدغم أضيف إليه إعلال آخر، هو حذف لامه، فيجتمع في الكلمة إعلالان وفي ذلك إجحاف بها<sup>(٨)</sup>.

وقد يبدو هذا صحيحاً من وجهة لغوية، إلا أنه مردود في اللام مع الراء، لإجماع القراء علي إدغامهما - عدا ما روي عن قالون من إظهارها عندها حيث وقع<sup>(٩)</sup>.

ومما ذكره مكي - أيضاً أن إدغام هذه اللام في الذال، نحو ﴿يفعل ذلك﴾<sup>(١٠)</sup> يُعدُّ قبيحاً، لكون السكون عارضاً، ولتفرّد بعض الرواة به عن الكسائي. وأضاف علة قياسه أخرى هي أنه "قد كان يلزمه إدغام اللام في النون في ﴿يُبَدِّلْ نعمه الله﴾<sup>(١١)</sup> لأن اللام أقرب إلى النون منها إلى الذال<sup>(١٢)</sup>.

ولست مع مكي في هذا، فالقراءة واردة من أحد أئمة النحو، ثم إنها مقيدة بالرواية، فليس لأحد أن يُحدِّث شيئاً في القراءات بحجة القياس، أو قواعد اللغة.

### إدغام النون:

ذكر مكي أنها تدغم في ستة أحرف هي النون، واللام، والراء، والميم، والواو والياء.

(١) ينظر تفاصيل ذلك في الكشف ١: ١٥٣، ١٥٤.

(٢) [الكهف: ٢٨].

(٣) الرعاية، ص ١٨٨.

(٤) ينظر: لطائف الإشارات ١: ٢٢٨.

(٥) [الصفوات: ١٨].

(٦) [الإسراء: ٢٤].

(٧) الكشف ١: ١٥٣.

(٨) ينظر: لطائف الإشارات ١: ٢٢٨.

(٩) الإقناع ١: ١٩٢.

(١٠) [آل عمران: ٢٨].

(١١) [البقرة: ٢١١].

(١٢) الكشف ١: ١٥٤، ١٥٣.

فأما إدغامها في اللام والراء نحو ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾<sup>(١)</sup>، و﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فلتقارب المخارج، ولام التعريف تدغم فيهما، كما أن في إدغام النون في الراء قوة الحرف الأول<sup>(٣)</sup>. ولم يُبيّن مكي إدغامها في اللام هل هو كإدغامها في الراء من حيث القوة أولاً؟.

والذي يبدو أن إدغامها في الراء إدغام متكافئ، في حين أن إدغامها في اللام من قبيل إدغام الأقوى في الأضعف. أما من حيث الغنة فهي تسقط معهما<sup>(٤)</sup>، وبذا يكون التماثل كلياً. ولي ملاحظة على التعليل بإدغام لام التعريف فيهما الذي يذكره مكي كثيراً لجواز الإدغام، أو ليس لحسن الإظهار، حيث يبدو أنه لا قيمة تأثير لهذه العلة في تسويغ الإدغام أو الإظهار، ولو اقتصر مكي في التعليلات الصوتية على ما بين المخارج والصفات من علاقات، أو على القوة والضعف لكان أقوى حجةً، وأسلم دليلاً. وأما إدغامها في الميم، نحو ﴿مِنْ مَاءٍ﴾<sup>(٥)</sup>، فلتقاربهما في المخرج، واتحادهما في الصفة، وتساويهما في القوة. والغنة لازمة لا محالة، سواء أكان ذلك في القرآن أم في كلام العرب، في الحرف المدغم أم في المدغم فيه، "فحينما حاولت مذهباً لزمته الغنة ظاهرة، فلم يكن بد من إظهار الغنة في هذا كله إجماع من القراء والعرب، ولا يتمكن أبداً في إدغام النون والتنوين في الميم والنون إدغام الغنة إلا بذهاب لفظ الحرفين جميعاً إلي غيرهما من الحروف مما لا غنة فيه إذا سكن، وذلك تغير لم يقع في كلام العرب"<sup>(٦)</sup>.

والسؤال الذي يطرح: هل الغنة للحرف المدغم (النون) أو للمدغم فيه (الميم)؟ والجواب عن هذا، أن ذلك مما وقع الخلاف بين العلماء، فبعضهم يجعلها للنون، وبعضهم الآخر يجعلها للميم. والرأي السائد أنها للميم<sup>(٧)</sup>، وهذا يعني أن الإدغام بغير غنة، فهو بهذا تام. وأما في الواو، والياء نحو ﴿مِنْ وَالٍ﴾<sup>(٨)</sup>، و﴿مَنْ يَقُولُ﴾<sup>(٩)</sup>، فلتشابه الصفات. وتدغم فيهما بغنة<sup>(١٠)</sup>، أي أنه ناقص، ويُعدّ الإدغام من باب إدغام القوي في الضعيف، وأما إدغامها في النون فليس له أهمية في هذه الدراسة.

(١) [النساء: ٤٠].

(٢) [البقرة: ٥].

(٣) ينظر: الكشف ١: ١٦١، ١٦٢، الرعاية، ص ٢٦٣.

(٤) الكشف ١: ١٦٢. ولمعرفة موقف القراء من الغنة ينظر: الإقناع ١: ٢٤٦ فما بعدها، النشر ٢: ٢٣ فما بعدها.

(٥) [البقرة: ١٦٤].

(٦) ينظر: الإقناع ١: ٢٤٧، النشر ٢: ٢٥، ٢٦. الأصوات (د. أنيس) ص ٧٤، أحكام تجويد القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث (د. عبد الحميد سويد) ص ١٠٧ فما بعدها. وقد ذكر ابن البادش أنه جاء عن عاصم وحمزة إدغام النون الميم بغير غنة. ينظر الإقناع ١: ٢٤٧.

(٧) ينظر: الإقناع ١: ٢٤٧، النشر ٢: ٢٥، ٢٦، الأصوات، د. أنيس ص ٧٤.

(٨) [الرعد: ١١].

(٩) [البقرة: ٨].

(١٠) الكشف ١: ١٦٣، ١٦٤.

ولأبد من الإشارة إلى أن التّشديد علامة الإدغام - سواء أكان إدغام مثلين أو متقاربين-، ويطلق على الإدغام بغنة إدغام ناقص، لنقص التماثل فيه، كما يطلق على الإدغام بغير غنة إدغام تام: لا ستغراق التماثل فيه، واشتماله على خصائص الصوت المدغم جميعها. وإذا نظرنا إلى اصطلاحات ضبط المصحف نجدتها تنصّ على أن تعرية الحرف من علامة السكون، مع تشديد الحرف التالي، يدل على الإدغام التام أما تعريته من السكون مع عدم تشديد الحرف التالي فهذا دليل على الإدغام الناقص، أو الإخفاء أيضاً، لا فرق بين النون الساكنة أو التنوين<sup>(١)</sup>.

وبتطبيق هذا نجد أن الراء، واللام، والميم، والنون مشدّدة أما الواو والياء فغير مشدّدة، واستطيع القول في ضوء ما تقدم عن التماثل في إدغام النون يأتي على صورتين: الأولى:- تماثل تام (كلي): ويكون عند إدغامها في الراء، واللام، والميم والأخرى - تماثل ناقص (جزئي): ويكون عند إدغامها في الواو، والياء.

وأما الراء فنذكر مكي أن إدغامها في اللام قبيح عند سيبويه والبصريين، لأن في الإدغام أخلافاً بصفة التكرير الذي فيها، كما أن الراء أقوى من اللام، وإدغامها فيها يُعدّ إدغام قوي في ضعيف، وذلك مكروه<sup>(٢)</sup>.

وهذا - إن كان صحيحاً من حيث التعليل - إلا أنه مردود، لوروده في قراءة قرآنية منسوبة إلى بعض القراء السبعة - كما سبق به البيان<sup>(٣)</sup> -، يضاف إلى كل ما ذكر أن النطق باللام أسهل من النطق بالراء المكررة<sup>(٤)</sup>، وذلك مما يُقوّي الإدغام. وأما الطاء إذا لاصقت التاء في نحو ﴿أَحَطْتُ﴾<sup>(٥)</sup>، فإنها تدغم فيها، مع إبقاء صفة الإطباق، مثلها مثل إبقاء الغنة في النون مع الراء، واللام، والميم.<sup>(٦)</sup> وهذا يعني أن التماثل جزئي (ناقص).

والإدغام - كما هو ملاحظ - فيه نقل للصوت من قوة إلى ضعف، وقد اكتفى مكي بهذه الصورة الإدغامية للطاء، ولم يتعرض لبقية ما تدغم فيه. وأما التاء فإدغامها يأتي في صورتين:

(١) المحكم في نطق المصاحف (للداني) ص ٧٣ - ٧٤.

(٢) الكشف ١: ١٣٦، ١٥٧.

(٣) ينظر: التماثل عند سيبويه (حروف لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها) بهذه الرسالة ص ١٤١ فما بعدها.

(٤) ينظر: شرح السيرافي على الكتاب ١١: لوحة ١٥٤ ب الإدغام الكبير، لوحة ١٩ ب. الممتع ٢: ٧٢٥.

(٥) [النمل: ٢٢].

(٦) ينظر: الرعاية ص، ١٩٩، ٢٠٠. وقد اتفق القراء على إدغام الطاء في التاء مع بقاء صفة الإطباق. ينظر: الإتحاف، ص ٣٣٥، الغيث، ص ٣١١.

الأولى: - ما إذا كانت هذه التاء للتأنيث، والأخرى - ما إذا لم تكن تاء تأنيث. وقد أفرد مكي للصورة الأولى فصلاً مستقلاً، ويكون الإدغام فيها على مستوى الكلمتين، أما الأخرى فهي التي تكون في كلمة واحدة. وشيء آخر هو أن التاء في الصورة الأولى ساكنة - غالباً -، في حين أنها في الأخرى متحركة. وكلتا هاتين الصورتين تمثل إدغام التاء - على وجه العموم -.

ومما ذكره مكي في تاء التأنيث أن القراء اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف، الجيم، والطاء والصاد، والتاء، والسين، والزاي. فعله من ادغمها في الجيم نحو ﴿نُضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وفي الطاء نحو ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾<sup>(٢)</sup>، وفي الصاد نحو ﴿لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي الزاي نحو ﴿خَبَّتْ زِدْنَاهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، أنهن يشتركن في الخرج العام، كما أن الإدغام ينقلها من ضعف إلي قوة، وذلك حسن<sup>(٥)</sup>.

ومن إدغامها في السين، نحو ﴿أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾<sup>(٦)</sup>، فلاشتركاها في المخرج العام، وإدغام لا التعريف فيهما، وتكافئهما من حيث القوة والضعف، "فحسن الإدغام، لأنك لا تنتقل الأول إلى ضعف، بل تنتقله إلى مثل حاله من القوة والضعف"<sup>(٧)</sup>.

وتفسير هذا التكافؤ، أن في السين صفيراً يُعَدُّ أقوى من شدة التاء، فهو بهذا يُقَوِّي مما في السين من همس ورخاوة، تقويةً توصلها إلى أن تكون هاتان الصفتان بمثابة صفة ضعفٍ واحدة، وبذا يتساويان في القوة والضعف، إلا أن مكياً وقع في تناقض حينما ذكر في موضع آخر أن التاء حينما تدغم في السين إنما تنتقل من ضعف إلى قوة<sup>(٨)</sup>!

ومن أدغمها في التاء، نحو ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾<sup>(٩)</sup>، فلما تقدم من علل. أما من حيث القوة والضعف فذكر مكي "أن التاء حرف فيه بعض الشدة، والرخاوة أغلب فيه، والتاء حرف مهموس، والهمس ضعف في الحرف، فكأنما تقاربا لاشتراكهما في الهمس والمخرج، ويجوز إدغام لام التعريف فيهما، فيجاز لذلك الإدغام"<sup>(١٠)</sup>.

(١) [النساء: ٥٦].

(٢) [الأنبياء: ١١].

(٣) [الحج: ٤٠].

(٤) [الإسراء: ٩٧].

(٥) ينظر: الكشف ١: ١٥٠.

(٦) [التوبة: ١٢٤].

(٧) الكشف ١: ١٥١.

(٨) ينظر: السابق ٢: ٢٢٢.

(٩) [الشمس: ١١].

(١٠) [الكشف ١: ١٥٠، ١٥١].



ويستفاد من هذا النص أنهما متساويان في المنزلة، ولست أدري من أين جاءت الشدة للثاء! ولعل مكيًا نظر إليها من حيث انتشارها في الفم، انتشاراً يُوصلها بمخارج الحروف الشديدة، لذا عدّ الثاء صوتاً متفشيّاً. إلا أنه حينما استحسن الإظهار، وقواه، علل ذلك بأن الثاء أقوى من الثاء<sup>(١)</sup>، وأكّد هذا مرةً أخرى حينما ذكر إدغام الثاء في الثاء من كلمة واحدة<sup>(٢)</sup>، وفي هذا من التعارض ما فيه، والذي أراه أن الإدغام هنا إدغام قوي في ضعيف، لأن الثاء فيها صفة قوة واحدة، وليس في الثاء شيء من صفات القوة. هذا ما ذكره مكي عن إدغام ثاء التانيث التي وقع بين القراء خلاف فيها، وهناك حرفان آخران تدغم فيهما ثاء التانيث بإجماع من القراء السبعة، هما - الطاء - والذال<sup>(٣)</sup>، نحو «وَدَّتْ طَائِفَةٌ»<sup>(٤)</sup> و«أَنْقَلَتْ دَعَا»<sup>(٥)</sup> ذكرهما مكي في موطن آخر مَجَّوزاً الإدغام فيهما بحجة " أنك إذا أدغمت أبدلت من الأول حرفاً قوياً أقوى من الأول بكثير، وبحسن الإدغام لذلك ويُختار، لأنك تزيد الكلمة قوة مع ما في الإدغام من تسهيل اللفظ وتخفيفه"<sup>(٦)</sup>، وكل هذا صحيح لا اعتراض عليه. ومما ذكره مكي أيضاً - إدغام هذه الثاء في الذال، والصاد، والزاي، إدغاماً كبيراً، والذي يعيننا هنا هو إدغامها في الذال، أما البقية فقد تقدم ذكر رأي مكي فيها. فإذا أدغمت في الذال نحو «والذاريات ذرّوا»<sup>(٧)</sup>، فلاشتراكهما في المخرج، ولأن الإدغام - كما يقول مكي - : "يَقْوَى به الحرف الأول، لأنه يُبدل بأقوى منه"<sup>(٨)</sup>. وأكبر الظن أن مكيًا نظر إلى أن الذال أقوى من الثاء من حيث أنها مجهورة، والجهر أقوى من الشدة - كما صرح بهذا<sup>(٩)</sup>.

والعجيب في هذه المسألة أنه عدّ إدغام الذال في الثاء من باب إدغام المتقاربين في القوة والضعف<sup>(١٠)</sup> فهل هذا الحكم لا يجري - أيضاً - على إدغام الثاء في الذال؟.

(١) المصدر نفسه، ١: ١٥١.

(٢) الكشف ١: ١٥١.

(٣) ينظر: التبصرة (مكي بن أبي طالب القيسي) ص ٣٥٩. إلا أنه روي عن أبي نشيط الإظهار فيهما. ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٥٩.

(٤) [آل عمران: ٦٩].

(٥) [الأعراف: ١٨٩]. ينظر: الغيث، ص ٢٣٢.

(٦) الكشف ١: ١٥٨.

(٧) [الذاريات: ١].

(٨) الكشف ١: ١٥١.

(٩) المصدر نفسه ١: ١٤٧.

(١٠) المصدر نفسه ١: ١٣٥، ١٣٦، ١٤٧.

والذي أراه أن المفاضلة بين درجات القوة في هذه الصورة لا حاجة لها، فالحرفان متساويان في القوة والضعف، لا زيادة ولا نقص بينهما في ذلك ومن ثمّ فالإدغام هنا متكافئ، وذلك مما تستحسنه قوانين الإدغام.

أما التاء الأخرى فأمثلتها كالاتي:

﴿اطِيرَنَا﴾<sup>(١)</sup>، ﴿يَصْعَدُ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَأَزَيْتُ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿تَطَاهَرَا﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿أَنَا قَلْنُمُ﴾<sup>(٦)</sup>، ﴿فَادَارَاتُمْ﴾<sup>(٧)</sup>، ﴿يَذْكُرُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، ﴿يَشَقُّقُ﴾<sup>(٩)</sup>، والأصل فيما تقدم: تطيرنا، يتصعد، تزينت، لا يتسمعون، تتظاهرا، تناقلتم تداراتم، يتذكرون، يتشقق<sup>(١٠)</sup>.

دال قد: وأما الدال قد جعل لها مكي فصلاً خاصاً أسماه "قصل في إدغام دال قد" وإظهارها<sup>(١١)</sup>، ولم يقتصر على هذه الدال، بل تجاوزها إلى دال أخرى تأتي ساكنة في نهاية الفعل.

وباستعراض ما ذكره، نجد أنها تدغم في الحروف الآتية: الجيم، والزاي، والذال، والصاد، والضاد، والطاء، والسين، والشين، علي اختلاف بين القراء في ذلك.

أ- فأما إدغامها في الجيم نحو ﴿قَدْ جَعَلَهَا﴾<sup>(١٢)</sup>، فلاشتراكهما في المخرج العام، واتحادهما في الصفات<sup>(١٣)</sup>، ولم يبين مكي صفة الإدغام هنا، على أنه يبدو - في ضوء رأي القدماء - أنه من قبيل المتكافئين في المنزلة لأنهما مجهوران، شديدان.

ب- وحجة من ادغم في الزاي نحو ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾<sup>(١٤)</sup> اشتراكهما في المخرج من الفم، وفي إدغام لام التعريف فيهما، وأنها مجهوران، يضاف إلى ذلك أن في الإدغام زيادة قوة الدال<sup>(١٥)</sup>.

(١) [النمل: ٤٧].

(٢) [الأنعام: ١٢٥].

(٣) [يونس: ٢٤].

(٤) [الصفافات: ٨].

(٥) [التحريم: ٤] قرأ بتشديد الطاء: السبعة - عدا الكوفيين (جمزة، الكسائي، عاصم) ينظر: الغيث، ص ٣٧٠.

(٦) [التوبة: ٣٨].

(٧) [البقرة: ٧٢].

(٨) [الأنعام: ١٢٦].

(٩) [البقرة: ٧٤].

(١٠) ينظر الرعاية، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(١١) ينظر: الكشف ١: ١٤٤.

(١٢) [يوسف: ١٠٠].

(١٣) [الكشف ١: ١٤٤].

(١٤) [الملك: ٥].

(١٥) [الكشف ١: ١٤٤].

ويلاحظ أنه على الرغم مما في الزاي من رخاوة، وهي صفة ضعف، وليس بالدال صفة ضعف، فإن مكياً عدّ الزاي أقوى من الدال، وذلك بالنظر إلى صفير الزاي، وهو بهذا يفاضل بين درجات القوة، ويعتبر الصفير أقوى من الجهر والشدة - أيضاً - . وإن كان لهذا أهمية في بعض صور الإدغام، إلا أننا نجد مكياً يقع بسبب هذه المسألة - في تعارض، فتراه يذكر في بعض المواضع أن الصفير أقوى من الجهر<sup>(١)</sup>، كما يذكر في مواضع أخرى أن الجهر أقوى من الصفير<sup>(٢)</sup>!.

ج- وإذا أدغمت في الدال، نحو ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾<sup>(٣)</sup> فإنها تنقل إلى ما هو مثلها، لا نقص يدخلها<sup>(٤)</sup>. وهذا يعني أنهما متكافئان في المنزلة.

وأحسب أن الأمر ليس كما ذكر، فالدال أقوى من الدال، لجهرها وشدتها، والدال أضعف من الدال، لما بها من رخاوة، فالإدغام هنا يُعدّ من إدغام القوي في الضعيف.

د- ومن أدغمها في الصاد، نحو ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، أو في الضاد نحو ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾<sup>(٦)</sup>، أو في الظاء نحو ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾<sup>(٧)</sup>، فلاشتراكهم في المخرج العام، ولأن في الإدغام نقلاً من قوة إلى ما هو أقوى منها، وهذا مما يجعل الإدغام حسناً قوياً<sup>(٨)</sup>.

هـ- وأما من أدغمها في السين، نحو ﴿قَدْ سَمِعَ﴾<sup>(٩)</sup>، فلما تقدم من علل، على أن في إدغامها نقلاً لها من قوة إلى ضعف، وذلك مكروه، لذا كان الإظهار أولى<sup>(١٠)</sup>.

وقد كان الكسائي يستحسن الإدغام، ويقول: "إدغامها أكثر، وأفصح، وأشهر، وإظهارها لكنة، ولحن"<sup>(١١)</sup>.

و- وإذا أدغمت في الشين، نحو ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾<sup>(١٢)</sup>، فإنها تنتقل من قوة إلى ضعف، وهذا قليل<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: الكشف ١: ١٤٩.

(٢) ينظر: الرعاية، ص ١٢٠.

(٣) [الأعراف: ١٧٩].

(٤) الكشف ١: ١٤٦.

(٥) [القمر: ٣٨].

(٦) [الروم: ٥٨].

(٧) [ص: ٢٤].

(٨) الكشف ١: ١٤٥.

(٩) [المجادلة: ١].

(١٠) ينظر: الكشف ١: ١٤٥.

(١١) الحجة (لابن خالويه) ص ١١٧.

(١٢) [يوسف: ٣٠].

وأما الدال الأخرى فهي في نحو ﴿يُرِدُّ ثَوَابَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر مكي أن الإدغام ينقلها من قوة إلى ضعف، ولذا فإن "علة الإدغام ضعيفة، لأن الدال أقوى من الثاء، للجهر الذي في الدال، فأنت تنقلها بالإدغام إلى أضعف من حالها، فالإظهار أقوى وأولى"<sup>(٣)</sup>.

وانتقل إلى إدغام الأصوات الأسنانية (الطاء، والذال، والفاء).

فأما الطاء فقد ذكر مكي أنه يجب المحافظة عليها - مخرجاً وصفة - حتى لا يصيبها تَغْيِيرٌ، فإن لم يتحقق ذلك، خرجت إلى لفظ الضاد أو الذال، ونكر - أيضاً - أنه إذا سكنت قبل تاء نحو ﴿أَوْعَظْتَ﴾<sup>(٤)</sup>، فيجب بيانها، حيث إن عدم تبيينها يؤدي إلى إدغامها<sup>(٥)</sup>.  
والإدغام - كما هو ملاحظ - ينقل الصوت من قوة إلى ضعف.

وذكر بعض العلماء أن الإدغام بعيد، "لأن الطاء حرف إطباق إنما يدعم فيما قرب منه جداً، وكان مثله ومخرجه"<sup>(٦)</sup> وهذا التعليل لا يستقيم والواقع اللغوي، فالطاء تدغم في أحد عشر حرفاً - كما - تقدم - من بينها التاء.

وعلى بعض العلماء - أيضاً - لامتناع الإدغام تعليلاً دلاليّاً، فنذكر أن أهل الأداء يابون الإدغام، ولا يأخذون إلا بالإظهار، "وكأنهم عدلوا عن الإدغام لما فيه من اللبس"<sup>(٧)</sup>، وهو يقصد بهذا التباس هذه الكلمة بصيغة أخرى وهي وَعَتٌ من الوعد، وذلك تعليل من الأهمية بمكان، وكما هو ملاحظ فإن لكل حجته ودليله، فمن أدغم فالرواية القرآنية تقف إلى جانبه مقوية ومدعمة، ومن أظهر فكذلك، إضافة إلى أن متطلبات النظام اللغوي تدعو إلى طلب الخفة، والاقتصار على أقل جهد في أخراج الصوت، وذلك حق للمتكلم أو الناطق، كما تدعو في الوقت نفسه إلى البيان، والوضوح، وعدم خفاء المعنى، أو اللبس فيه، وذلك حق للسامع.

واختتم هذه المسألة بقول أبي حيان النحوي (٧٤٥هـ) "والإدغام إنما يحسن في المتماثلين أو المتقاربين إذا كان الأول أنقص من الثاني. وأما إدغام الأقوى في الأضعف فلا يحسن، على أنه قد جاء من ذلك أشياء في القرآن بنقل الثقافات فوجب قبولها، وإن كان غيرها هو أفصح، وأقيس، وأعدل"<sup>(٨)</sup>.

(١) الكشف: ١، ١٤٦، ١٤٥.

(٢) [آل عمران: ١٤٥].

(٣) الكشف: ١، ١٥٧.

(٤) [الشعراء: ١٣٦].

(٥) ينظر: الرعاية، ص ٢٢٠ - ٢٢٢.

(٦) تفسير القرطبي ١٣: ١٢٥.

(٧) الإقناع ١: ١٨٧-١٨٨.

(٨) البحر ٧: ٣٣.

ذال إذ: وأما الذال فقد خصّها مكي بفصل أسماه "فصل في إدغام ذال" إذ " وإظهارها" موضعاً ما تُدغم فيه هذه الذال - في ضوء اختلاف القراء -، ومعللاً لمن أدغم منهم أو أظهر<sup>(١)</sup>. فهي تدغم في ستة أحرف، هي: التاء، والذال، والزاي، والسين، والصاد، والجيم.

أ- فحجة من أدغمها في التاء نحو ﴿إِذْ تَبَرَّأ﴾<sup>(٢)</sup>، ولتاخيها في المخرج، وتقاربها في القوة والضعف. إلا أن مكياً حينما تعرض لإدغام الذال في التاء على مستوى الكلمة الواحدة نحو ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وحينما رأى أن بعض القراء يُدغم في بعض الكلمات، ويظهر الآخر، على الرغم من تشابه الصور قام بإيراد أربع عللٍ مسوغةٍ للإدغام، هي:

١- أن على الإدغام أكثر القراء، وذلك حجة.

٢- أن الحرفين المدغمين معتدلان في القوة والضعف، وهذا حسن.

٣- أنه لما قلّت حروف الكلمة حسن الإدغام، والكلمة الطويلة تُخَفَّفُ بالإدغام.

٤- أن أول الكلمة مدغم، فأتبع آخرها بالإدغام، لينتق أول الكلمة وآخرها<sup>(٤)</sup>.

وبالنظر في هذه العلل نجد أن الأولى والثانية واضحتان ومقنعتان لا تحتاجان إلى مناقشة، وأما العلتان الأخريان فأرى أنه لا بد من وقفة عندهما..، ففي العلة الثالثة يبدو أن الصحيح في هذا هو أن الكلمة الطويلة هي التي تسوّغ الإدغام أكثر من الكلمة التي حروفها قليلة، لأنها هي التي في حاجة إلى التخفيف الذي يختزل زمن النطق بها، وعمل اللسان فيها.

والتعليل الرابع لا يستقيم أمره، حيث ذكر العلماء - ومنه مكي - أن الكلمة الواحدة إذا اجتمع فيها تغييران ففي ذلك إضعاف لها، وإجحاف بحقها<sup>(٥)</sup>، وشيء آخر إن القول: بأن الإدغام مستحسن هنا، ليتحدّ صدر الكلمة وعجزها، وكأنه من باب حمل الآخر على الأول.. ذلك - فيما أحسبه دليل واهٍ لا يسوّغ حدوث الإدغام.

والذي أراه بعد ما تقدم أن مكياً لو اكتفى في تعليل الإدغام على وروده في الرواية، وموافقته لقوانين القوة والضعف، لكان أفضل وأقرب إلى الإقناع والقبول.

ب- ومن أدغمها في الدال، نحو ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾<sup>(٦)</sup>، فلأنها من حروف الفم، كما أن في الإدغام انتقالاً للذال من ضعف إلى قوة "وذلك تقوية للحرف، فحسن الإدغام وقوي"<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر: الكشف ١: ١٤٧-١٤٩.

(٢) [البقرة: ١٦٦].

(٣) [البقرة: ٥١].

(٤) ينظر: الكشف ١: ١٥٩، ١٦٠. وللمزيد ينظر: الحجة (للفارسي) ٢: ٦١.

(٥) ينظر: المقتضب ١: ٢٥١، الكشف ١: ١٥٢، ١٥١، التمام في تفسير أشعار هذيل (ابن جني) ص ١٧٦، ١٧٧.

(٦) [الحجر: ٥٢].

(٧) الكشف ١: ١٤٨.

ج- وأما إدغامه في الزاي، نحو ﴿وَإِذْ زَاغَتْ﴾<sup>(١)</sup>، فلاشتراكها في المخرج، وفي بعض الصفات، إضافة إلى أنّ الإدغام ينقلها إلى قوة، ولذا حسن الإدغام وقوي<sup>(٢)</sup>.  
د- وفي حجة من أدغم في السين، نحو ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾<sup>(٣)</sup>، أنهما من حروف الفم، ولتساويهما في القوة والضعف.

وقد فسر مكي هذا التساوي بقوله: "إن السين فيها ضعف وقوة و الضعف فيها مكرر، لأنها مهموسة رخوة، وقوتها أنها فيها صفير. والذال فيها رخاوة تضعفها كالسين، وفيها جهر يقويها ويوازى الصفير الذي في السين، والصفير أقوى، فجاز الإدغام لتقاربهما في القوة والضعف... ولولا قوة الصفير الذي في السين ما جاز الإدغام"<sup>(٤)</sup>. وذلك يعني أنه فاضل بين درجات القوة، وعدّ الصفير أقوى من الجهر، وبذا يُفوّي من ضعف السين المتكرر، مما يؤدي إلى أنه يجعلها متكافئة مع الذال.

هـ- ومن أدغمها في الصاد، نحو ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾<sup>(٥)</sup>، فلاشتراكها في المخرج العام، ولأن في الإدغام تقوية لها، حيث إن الصاد أقوى من الذال بكثير<sup>(٦)</sup>.

و- ومن إدغامها في الجيم، نحو ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾<sup>(٧)</sup>، فلأنهما من حروف الفم، كما أن الإدغام ينقلها إلى قوة<sup>(٨)</sup>. هذا ما ذكره مكي عن إدغام ذال "إذ" التي وقع بين القراء خلاف فيها، وهناك موضع تدغم فيه الذال، وهو مع الظاء في نحو ﴿إِذْ ظَلَمُوا﴾<sup>(٩)</sup>، بإجماع من العلماء<sup>(١٠)</sup>، ولم يفت ذلك مكيًا، فقد أورده مستحسنًا له ومختارًا، بحجة أن الإدغام ينقل الحرف إلى قوة كبيرة<sup>(١١)</sup>.

وبالنظر في هذه الصور الإدغامية للذال، نجد أن فكرة القوة منطبقة على أغلب صورها، وليس بينها صورة واحدة أدغم فيها قوي في ضعيف.

(١) الأحزاب: ١٠.

(٢) الكشف: ١: ١٤٩.

(٣) [النور: ١٢].

(٤) الكشف: ١: ١٤٩.

(٥) [الأحقاف: ٢٩].

(٦) ينظر الكشف: ١: ١٤٧-١٤٨.

(٧) [البقرة: ١٢٥].

(٨) ينظر: الكشف: ١: ١٤٨.

(٩) [النساء: ٦٤].

(١٠) ينظر: الإقناع: ١: ٢٤٠.

(١١) الكشف: ١: ١٥٨.

**الثاء:** وأما الثاء فقد ذكر مكي إدغامها في الذال، والثاء. فإذا أدغمت في الذال، نحو «يَهْتِ ذَلِكُ»<sup>(١)</sup>، فالعلة في ذلك أنها تنتقل من ضعف إلى قوة، " فسحن انتقال الأول إلى القوة بالإدغام"<sup>(٢)</sup>.

وإذا أدغمت في التاء، نحو «أورثموها»<sup>(٣)</sup>، فالحجة في ذلك أن الحرفين متصلان في كلمة واحدة، كما أنهما مهموسان، وفوق هذا فإن في الإدغام نقلاً للثاء من ضعف إلى قوة<sup>(٤)</sup>. وللغراء تعليل آخر للإدغام، هو أن الأصوات الأسنانانية (الذال، والثاء، والطاء) مخرجها ثقيل ويتخلص من ذلك بالإدغام فما أتاك من هذه الثلاثة أحرف فادغم، وليس تركك الإدغام بخطأ، إنما هو استئصال<sup>(٥)</sup>، ثم إن الثاء - والثاء - كما يذكر الغراء - متناسبتان في المخرج<sup>(٦)</sup>، ولذا جاز الإدغام.

وفي هذا المقام أطلق الغراء قاعدة عامة في الإدغام والإظهار، هي "ما ثقل على اللسان إظهاره فادغم، وما سهل لك فيه الإظهار فأظهر، ولا تدغم"<sup>(٧)</sup>.

والغراء في هذه النصوص يدعو إلى طلب الخفة، وتلمس أيسر السبل في الأداء اللغوي، وبطبيعة الحال فالدعوة مقصورة على المستوى اللغوي العام (لغة العرب)، وليس لها علاقة بالمستوى اللغوي الخاص (القرآن الكريم).

ويستنتج من النص الأول ثقل المخارج يُعدُّ مسوغاً لوقوع الإدغام، وذلك صحيح، مما يؤكد ما قاله المبرد من أن الإدغام إنما هو نقل الأثقل إلى الأخف<sup>(٨)</sup>.

### ثالثاً - الإدغام في منطقة الشفتين:

الأصوات الشفوية - كما ذكرت - أربعة، هي: الباء والميم، والواو، والفاء.

ويقع الإدغام فيهن - خلا الواو فهي لا تدغم فيهن، ولا يدغمن فيها -، كما أن حروف الفم لا

تدغم في حروف هذه المنطقة، عدا ما نكر من إدغام النون في الميم، والواو، - والعكس لا

يحدث - أيضاً -، عدا ما وقع من إدغام الواو في الياء، وكذلك حروف هذه المنطقة لا تدغم في

حروف الحلق، كما لا تدغم هذه في تلك، عدا ما رد من إدغام الغين في القاف.

وكل هذا يعني استقلال كل منطقة مخرجيه بإدغام أصوتها. وتتضح صور إدغام منطقة

الشفيتين - عند مكي - فيما يأتي:

(١) [الأعراف: ١٧٦].

(٢) الكشف: ١: ١٥٧.

(٣) [الأعراف: ٤٣].

(٤) الكشف: ١: ١٥٧.

(٥) معاني القرآن: ١: ١٧٢.

(٦) المصدر نفسه الصفحة نفسها.

(٧) المصدر نفسه ٢: ٣٥٤.

(٨) المقتضب: ١: ٢٢٢. وهذا الحكم على سبيل الأغلبية، حيث هناك أصوات تنتقل عند الإدغام من ثقل إلى أثقل، كما

هو الحال في أصوات الحلق.

أ- تدغم الباء في كل من الميم، والفاء:

وحجة من أدغم في الميم، نحو ﴿أَرْكَبُ مَعَنَا﴾<sup>(١)</sup>، اشتراكها في المخرج الشفوي وأن في الإدغام نقلاً للباء من قوتها إلى ما هو أكثر منها قوة<sup>(٢)</sup>.

وقد نظر مكي إلى قوة الميم الزائدة عن الباء من حيث إن بها غنةً، وجهرًا، وشدةً، وليس بالباء سوى الجهر، والشدة، وقد أكد مكي هذا الرأي غير مرة<sup>(٣)</sup>.

والذي أراه أن هذا الحكم يكون صحيحاً فيما لو كانت الميم شديدة - خالصة الشدة -، لكنها - كما تقدم - صوت متوسط بين الشدة والرخاوة<sup>(٤)</sup>.

وأحسب أن الإدغام هنا من قبيل المتساويين في المنزلة، لأن في كلٍ منها صفتي قوة. ومن أدغم في الفاء، نحو ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾<sup>(٥)</sup> فحجته في ذلك كما يذكر مكي - أن في كل واحدٍ منهما قوةً، واشتراكاً في المخرج الشفوي، وفي عدم إدغام لام التعريف فيهما<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن علل الإدغام هنا غير مقنعة، عدا ما ذكر من العلاقة المخرجية التي تكفي وحدها - فيما أرى - لتبرير هذا الإدغام، وفوق هذا فالقراءة القرآنية تؤيد الإدغام بدرجة أكبر.

أما من حيث القوة والضعف فهو من باب إدغام القوي في الضعيف، ولذا عدّ مكي الإظهار أحسن، وأقوى<sup>(٧)</sup>.

ب- وتدغم الفاء في الباء، نحو ﴿نُخَسِفُ بِهِمْ﴾<sup>(٨)</sup>، لاشتراكها في المخرج الشفوي، ولأن في الإدغام نقلاً للفاء إلى ما هو أقوى منها<sup>(٩)</sup>.

وقد سبق أن ذكرت موقف البصريين من هذه الصورة الإدغامية<sup>(١٠)</sup>، ويبدو أن مكيًا يميل إلى الأخذ بهذا المذهب هنا، بدليل أنه عدّ الإظهار في هذا أحسن، محتجاً له - من ضمن ما احتج - بالأسباب التي عدّها البصريون مانعةً من الإدغام.

والعجيب في هذا المقام ما ذكره ابن خالويه (٣٧٠هـ) من أن إدغام الباء في الفاء صواب، في حين أن إدغام العكس غير جائز، لأن الإدغام يُزيل نقشي الفاء<sup>(١)</sup> والواقع أن الأولى - طبقاً لمبدأ الإدغام - أن يكون إدغام الفاء في الباء هو الصواب، وليس العكس.

(١) [هود: ٤٢].

(٢) ينظر: الكشف، ١: ١٥٦.

(٣) ينظر: الرعاية، ص ٢٢٩، ٢٣٢.

(٤) تبين لي في هذه الصفة (التوسط) أنه ليس لها وجود عند مكي، فحينما عقد باباً لصفات الحروف وألقابها وعللها ذكر أربعة ووثلاثين صفة دون أن يكون من بينها تلك الصفة. ينظر: الرعاية ص ١١٥ - ١٤٤، والكشف ١: ١٣٧.

(٥) [الرعد: ٥].

(٦) الكشف ١: ١٥٥.

(٧) الكشف ١: ١٥٥.

(٨) [سبأ: ٩].

(٩) الكشف ١: ١٥٦.

(١٠) ينظر: حروف لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها لسببويه في هذه الرسالة (د) ص ١٤٤ فما بعدها.



ج- وأما الميم فقد ذكر مكي أنها إذا سكنت، وجاء بعدها باء نحو ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، أو واو نحو ﴿هُمُ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، أو فاء نحو ﴿هَمَّ فِيهَا﴾<sup>(٤)</sup> فيجب بيانها، وعدم إخفائها، أو إدغامها<sup>(٥)</sup>. إلا أن أهل الأداء، وعلماء اللغة لا يمتنعون إخفاء الميم الساكنة عند الباء<sup>(٦)</sup>، وأما الميم الساكنة قبل الواو فلا أعلم أن أحداً قال بإدغامها، أو إخفائها، بل المعول عليه الإظهار، وكذلك الميم الساكنة قبل الفاء<sup>(٧)</sup>، إلا أن ابن البادش (٥٤٠هـ) ذكر أن أحمد بن أبي سريح روى عن الكسائي الإدغام هنا<sup>(٨)</sup>، فإن كان الأمر كذلك، فإن المسوّج للإدغام هو وجود علاقة مخرجيه بينهما، حيث إنهما متحذان في المخرج الشفوي.

ويعتبر الإدغام هنا من قبيل إدغام القوي في الضعيف، وذلك ما تنفر منه قوانين الإدغام. ويغلب على الظن أن التعبير بالإدغام إنما هو من باب المجاز، مثله كمثل التقاء الميم الساكنة بالباء، والأولى أن يطلق عليه إخفاء. والذي يُحدّد ذلك هو المشافهة والسّماع<sup>(٩)</sup>، واختتم صور الإدغام بذكر الغرض منه - وهو - كما يقول مكي - : "إرادة التخفيف"<sup>(١٠)</sup>... هذا جملة ما أورده مكي عن الإدغام، أستطيع من خلاله إثبات النتائج التالية:

أولاً: أن الإدغام - من حيث دلالته اللغوية والاصطلاحية - ما هو إلا فناء لأحد الحرفين في الآخر.

ثانياً: مسوّغات القوة والعلاقة المخرجية أو الوصفية، وإدغام لام التعريف في الحرفين المدغمين، وموقعيه هذين الحرفين - بأن يتصلا في كلمة واحدة، يضاف إلى هذا - بطبيعة الحال - الرواية القرآنية، وإن كان هذا المسوّج الأخير لم يتكرّر كثيراً في التعليل به للإدغام، مقارنة بتكريره له حين تعليل الإظهار. أما مسوّغات الإظهار فهي -الضعف وأصليته في الحرف، وانفصال الحرفين عن بعضهما - وذلك بوجودهما في كلمتين -، وعدم إدغام لام التعريف فيهما، ووروده في قراءة قرآنية.

(١) الحجة، ابن خالويه، ص ٢٩٢.

(٢) [المائدة: ٤٢].

(٣) [يس: ٥٦].

(٤) [البقرة: ٣٩].

(٥) الرعاية، ص ٢٣٢، ٢٣٣ وينظر: النشر: ١: ٢٢٢.

(٦) ينظر: الإقناع ١: ١٧٩-١٨٢، لطائف الإشارات ١: ٢٤٧، الممتع ٢: ٧٢٠.

(٧) ينظر: النشر: ١: ٢٢٢، لطائف الإشارات ١: ٢٤٧.

(٨) الإقناع ١: ١٨٠، ١٨١.

(٩) ذكر ابن البادش أن بعض القراء يقرأ بإخفاء الميم عند الفاء. الإقناع ١: ١٧٧، ١٧٨.

(١٠) سوف نتأكد من مدى صحة هذا أو عدمه.

ثالثاً: جعل مكي الإدغام والإظهار في مواضع كثيرة متساويين في الاستحسان، حيث عدّ كلاً منهما حسناً، دون تفصيل أحدهما على الآخر، لكنه اعتبر الإظهار في مواضع أخرى أحسن، وأقوى من الإدغام

رابعاً: يقوم الإدغام - بصفة عامة - على مبدأ القوة، فهو الأصل الذي يُعتمدُ عليه. خامساً: تتحقق القوة في الحروف (الأصوات) باتصافها ببعض الصفات المتميزة، أو التي تشترك معها غيرها، وتتفاضل درجات القوة في هذه الصفات من حرف لآخر.

سادساً: تنقسم الحروف (الأصوات) - من حيث القوة والضعف - إلى ثلاثة أقسام: قوية، ضعيفة، ومتوسطة، وكلما تكررت في الحرف صفات القوة كان أقوى له، وكذلك إذا تكررت صفات الضعف كان أضعف له.

سابعاً: الأجود في الإدغام أن ينقل الحرف الضعيف إلى القوي، وكذلك الحرف الثقيل إلى الخفيف.

ثامناً: نظر مكي للعلاقة المخرجية في ضوء المخارج الصوتية إلى ثلاث مناطق مخرجيه - بصفة مختصرة -، وقام بتعليل صور الإدغام بناءً على اشتراك الحرفين في المخرج العام، وهذا يعني أنه لم يُراعَ ما بين المخارج الصوتية داخل هذا المخرج من علاقة اتحاد، أو تقارب، وذلك بعكس ما عليه علماء اللغة، حيث قد رأينا سببويه يُفسر صور الإدغام اعتماداً على الاتحاد أو التقارب في المخرج الخاص.

تاسعاً: استقلال كل منطقة مخرجيه بإدغام أصواتها، لا يخرج عن هذا سوى صور معدودة، نابت فيها العلاقة الوصفية مناب العلاقة المخرجية، مما يدعو إلى تأكيد القول: بأن الإدغام يقوم على فكرة التقارب - مخرجياً كان أو وصفياً

عاشراً: جميع صور الإدغام عند مكي من نوع الإدغام الصغير - عدا ثلاث صور فقط<sup>(١)</sup> مما يعطي الدليل على أنه الأصل والمراد عند إطلاق لفظ الإدغام.

حادي عشر: ومن الأمور اللافتة للنظر ظاهرة التعليل عند مكي، فلم يكتفي - رحمه الله - بإيراد الأحكام فحسب، بل قام بتعليل ما أمكن منها تعليلاً يدل - كما يقول أحد الباحثين - على فقه في اللغة، وبصير في العربية، وإدراك لتصاريفها وأسرارها<sup>(٢)</sup>.

(١) هي إدغام التاء في كل من الصاد، والزاي، والذال من قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَاتِ صَفَاً فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا﴾ [الصافات: ١ -

٢]، وقوله: ﴿وَالدَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ [الذاريات: ١]. ينظر: الكشف: ١: ١٥١.

(٢) الرعاية، ص ٢٦ (مقدمة للمحقق).

وبعد... فهذه دراسة مكى المفصلة عن ظاهرة التماثل بين الأصوات الصامتة، ويمكن في ضوءها الخروج بالنتائج الآتية:

أولاً: تتمثل هذه الظاهرة في الإبدال، والإقلاب والإشمام، والإخفاء والإدغام.

ثانياً: يُعدُّ التماثل ظاهرة موقعية، لا يتم حدوثها إلا بشروطٍ محدّدة، وفي مواقع معينة.

ثالثاً: يحدث التماثل في الكلمة الصوتية حالة اتصال حروفها، دون فاصل بينها، كما يحدث فيها وحروفها منفصلة بعضها عن بعض.

رابعاً: تقوم هذه الظاهرة على أساس تأثير الحروف، وجذب بعضها إلى بعض، مع اختلافٍ في درجات التأثير والتأثير.

خامساً: تتم صورها - جميعها - حينما يتساهل المرء في إخراج الأصوات من مخارجها المحدّدة، وفي عدم إعطائها كافة حقوقها الوصفية، فهي بهذا نوع من الكسل في الأداء اللغوي.

سادساً: التماثل - وإن كان فيه حل لمشاكل النظام اللغوي - يعتبر خروجاً على هذا النظام، وذلك يعني أن ظاهرة التماثل تقع في التطبيق العملي لنظام اللغة (الكلام) على حساب النظام الصوتي لها.

الفصل الثاني  
التماثل عند ابن الجزري  
المبحث الأول  
صور التماثل عند ابن الجزري  
المبحث الثاني  
الظواهر الصوتية في الصوائت عند ابن الجزري  
المبحث الثالث  
مقارنة بين علماء القراءات وعلماء اللغة في التماثل بصفة عامة والإدغام  
بصفة خاصة

المبحث الأول  
صور التماثل عند ابن الجزري  
ملاح من صور التماثل عند ابن الجزري  
الإدغام عند ابن الجزري  
مفهوم الإدغام عند ابن الجزري  
أحكام الإدغام  
الإدغام الكبير في المتقاربين

## ملاح من صور التماثل عند ابن الجزري:

في الواقع إنّ دراسة ابن الجزري عن هذه الظاهرة لم تكن مفصلة ومستفيضة كما هو الحال عند من تعرضت لهم الدراسة، وإنما عبارة عن رصدٍ لقراءات القراء، واختلافهم في صور هذه الظاهرة، دون الكشف عنها، أو الاحتجاج لها.

ولا يعني هذا أنه لم يُؤام بين القراءات القرآنية والتعليقات اللغوية - مطلقاً -، بل كان لها نصيب، ولكنه غير كثير.

ولذا فإن دراسته في هذا المبحث تُعدُّ مكملةً لعمل مكّي، خاصة في الجانب النظري، وعليه فإنني سأورد ما ذكر ابن الجزري من صور التماثل، ثم أناقش رأيه، - إن وجد -، مع الاستعانة بآراء بعض علماء القراءات، أو اللغة.

وفي البداية ذكر ابن الجزري أن لكل صوتٍ مخرجاً خاصاً به، لا يكاد يشركه فيه غيره، كما أن له صفات قد يشترك فيها مع غيره، وقد يميّز بها عنه، فإن حدث، أن اتّحد صوتان أو أكثر في مخرج واحد - كالصاد والزاي والسين -، فالصفة تقوم بدور التمييز بين الأصوات، وكذا إن اتفقا في الصفات - كالتاء والهاء -، فالمخرج يُحدّد ملاح الفروق بينها<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أنه من غير الممكن أن تجد أصواتاً اتفقت في الصفات، والمخارج متحدة، كما أنه من غير الممكن - أيضاً - أن نجد أصواتاً متحدةً في المخارج، متفقة في الصفات. وكل ذلك يدل على أن اختلاف المخارج والصفات له أهميته في التفريق بين الأصوات، حيث بها يُفَرِّقُ في السمع بين صوت وآخر، وبها - أيضاً - يُفَهَمُ الكلام. كما أن الصوت إن كان مستقلاً بنفسه، منعزلاً عن غيره، فهو في منأى عن التأثير أو التأثير، أما إن جاء مع غيره في بيئة صوتية قابلة للأخذ والعطاء، فلا شك أنه سيخرج عن عزلته، وربما يفقد استقلاله، ليؤثر أو يتأثر بما يجاوره، وفقاً لمقتضيات الموقع، ومتطلبات الجوار الصوتي<sup>(٢)</sup>.

وبتتبع صور التماثل عند ابن الجزري نجدها لا تخرج عما ذكره السابقون - أمثلة وتعليلاً -، وأخصّ بالذكر منها - الإبدال، والإشمام، والإقلاب، والإخفاء وقد ناقشت القول فيها بما يكفي ويغني عن إعادته مرة أخرى، غير أن الذي يجدرُ ذكره في هذا المقام هو أن ابن الجزري حينما تحدّث عن خصائص الأصوات العربية - كل صوتٍ على حده -، عبّ على ذلك بذكر ما يعتري تلك الأصوات من تغيرات وتبدلات بسبب المجاورة في الموقع، وعدّ ذلك من باب الوارد على السنة القراء.

(١) ينظر: النشر ١: ٢١٤.

(٢) النشر ١: ٢١٤، ٢١٥.

وقد ارجع سبب ذلك إلى ما يعرف بالعادة اللغوية (العُرف اللغوي)، وإلى الاتصال بالعجم والنبط<sup>(١)</sup> والاحتكاك بلغتهم، وما يتبعه من اكتساب لهذه اللغة والتأثر بها، مما انعكس أثره على اللغة العربية، فلحقها ذلك التطور (التغيُّر) الذي نلمسه في كثيرٍ من مستويات الدرس اللغوي، ومن بينها المستوى الصوتي<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد ابن الجزري في هذه الرؤية الدراسات اللغوية المعاصرة<sup>(٣)</sup> وشيء آخر ذكره ابن الجزري هو أن الحرف المدغم إذا بقيت فيه صفة من صفات فليس بإدغام صحيح، بل هو بالإخفاء أشبه<sup>(٤)</sup> مما يدل على العلاقة الوثقى بين الإدغام الناقص والإخفاء - وقد سبق بيان ذلك<sup>(٥)</sup> - وأعود فأقول: إنه يبقى من صور التماثل المتقدمة الإدغام، وقد ذكرت في الفصول والمباحث السابقة كثيراً من الصور الصوتية التي يقع بينها الإدغام، إلا أنه - كما يلاحظ - كانت منحصرة فيما سُمِّي بالإدغام الصغير، أما الإدغام الكبير فلم يرد من صورهِ إلا النَّزْر اليسير.

وحيث إن هذا النوع من الإدغام له أهميته في الدرس اللغوي، لذا سيكون الحديث عنه في هذا المبحث مفصلاً، وذلك من خلال ما ذكره ابن الجزري - على وجه الخصوص - وعلماء القراءات - على وجه العموم -، وإليك بيان ذلك:

### الإدغام (التماثل التام) عند ابن الجزري:

#### مفهوم الإدغام عند ابن الجزري:

لا يختلف تعريف ابن الجزري للإدغام عما ذكره أكثر علماء القراءات.... فهو - في نظرهم - يتكون من شقين هما وسيلة وغاية.

فأما الوسيلة فتتم عن طريق حذف الحركة - إن كانت موجودة في الحرف المدغم -، ثم قلب الحرف المدغم إلى مثل المدغم فيه - إن كان الحرفان متقاربين غير مثليين -، ثم النطق بهما حرفاً واحداً مشدداً.

وهذا يعني أن مفهوم الإدغام عندهم منحصر في فناء أحد الصوتين في الآخر.

(١) النَّبْطُ: قوم من جِبَلَة العرب، وإن تبرا العرب منهم، وأبعدوا أنفسهم عنهم، وعابوا لهجتهم وعدّوها من لغات العجم، لتأثرهم باللغة الإرمية. وقد نشأت دولتهم قبل الميلاد في المنطقة الشمالية الغربية من الجزيرة العربية، ومن مدنها "البتراء"، و "الحجر". وللزيد ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (د. جواد علي) ٢: ٥-٧٥.

(٢) النشر ١: ٢١٤-٢٢٤. ينظر: التمهيد في علم التجويد (لابن الجزري) ص ٣١-٥٢.

(٣) ينظر: علم اللغة، د. وافي، ص ٢٤٩ فما بعدها، الأصوات، د. أنيس، ص ٢٣١ فما بعدها.

(٤) ينظر: التمهيد في علم التجويد، ص ١٠.

(٥) ينظر: التماثل عند سيبويه إخفاء النون (الفرق بين الإدغام والإخفاء في هذه الرسالة) ص ١٦٦ فما بعدها.

وأما الغاية فهي طلب التخفيف، وكرهية الاستئصال عن طريق ارتفاع اللسان ارتفاعاً واحدة<sup>(١)</sup>. وقد قسم ابن الجزري الإدغام إلى قسمين: أحدهما - يكون أول الحرفين ساكناً. ويطلق عليه "إدغام صغير"، والآخر يكون فيه أول الحرفين متحركاً، ويطلق عليه "إدغام كبير"<sup>(٢)</sup>.

وعلى ابن الجزري لهذه التسمية الأخيرة بقوله: وَسَمِّيَ كَبِيرًا لِكَثْرَةِ وَقُوعِهِ، إِذْ حَرَكَةُ أَكْثَرِ مِنَ السُّكُونِ، وَقِيلَ: لِتَأْثِيرِهِ فِي إِسْكَانِ الْمُتَحَرِّكِ قَبْلَ إِدْغَامِهِ، وَقِيلَ: لِمَا فِيهِ مِنَ الصَّعُوبَةِ، وَقِيلَ: لِشُمُولِهِ نَوْعِي الْمُثَلِّينَ وَالْجَنْسِيِّينَ وَالْمُتَقَارِبِينَ"<sup>(٣)</sup>. وأحسب أن التعليقات الثلاث الأولى هي التي تتفق ومصطلح الإدغام الكبير، وإن كان التعليل بتأثره في إسكان المتحرك، ولما فيه من الصعوبة يبدوان تعليلاً واحداً، وليس باثنين، لأن الصعوبة في الإدغام الكبير تتحقق في تغيير حركة الحرف الأول، وجعلها ساكنة بعد أن كانت متحركة.

وأما التعليل الأخير فيظهر أنه غير دقيق، لأنه لا يختص بذلك وحده، بل يشترك معه في ذلك الإدغام الصغير - أيضاً -، حيث يشمل هذا النوع من الإدغام المثليين، والمتجانسين، والمتقاربين، لذلك كله فإن التعليل لسبب التسمية بكثرة وقعه في الأصوات، ولما فيه من الصعوبة، هو الأنسب، والأدعى للقبول.

ومن الملاحظ أن ابن الجزري لم يُعَلِّ لتسمية الإدغام الصغير، ولعله نظر إليه من حيث إنه الأصل في الإدغام، وما كان أصلاً فلا يُسأل عن علته، على أن بعض العلماء ذكر أنه سَمِّيَ بذلك لما به من عملٍ أقل، مقارنةً بالإدغام الكبير، فهو إن كان بين مثليين ففيه عمل واحد في النطق بهما حرفاً واحداً مشدداً، وإن كان بين متجانسين أو متقاربين ففيه عملان هما - القلب، والإدغام.

وأما الإدغام الكبير ففيه عملان - إن كان بين مثليين - هما الحذف، والإدغام، كما أن فيه ثلاثة أعمال - إن كان بين متجانسين أو متقاربين - هي الحذف، والقلب، والإدغام<sup>(٤)</sup>.

## أحكام الإدغام:

ذكر ابن الجزري أن للإدغام شروطاً، وأسباباً، وموانعاً<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: الإدغام الكبير، أبو عمر الداني لوحة ٤ ب، ٥ أ، الإقناع ١: ١٦٤، التمهيد في علم التجويد، ص ١٠، الإيتقان (للسيوطي) ١: ١٢٣.

(٢) النشر ١: ٢٧٤، ٢٧٥.

(٣) المرجع نفسه ١: ٢٧٤، ٢٧٥، وللمزيد ينظر: الإقناع ١: ١٩٥، شرح طيبة النشر (أحمد بن الجزري)، ص ٥٨-٥٩.

(٤) ينظر: نهاية القول المفيد، ص ١٠٥.

(٥) النشر ١: ٢٧٨.



ويعني بالشرط ما ينبغي أن يكون عليه الحرفان المدغمان، أما السبب فهو الحالة أو الوضعية التي تُعدّ وتهيئ الحرفين المتجاورين للإدغام، وأما المانع فهو الذي يحول دون وقوع الإدغام. فشرط الإدغام في الحرف المدغم أن يلتقي بالمدغم فيه خطأً ولفظاً، أو خطأً لا لفظاً، وشرطه في المدغم فيه كونه أكثر من حرفٍ، إن كانا بكلمة واحدة<sup>(١)</sup>.

وابن الجزري في شرطه هذا يشير إلى أمرين هما: أن الإدغام يُراعى فيه الالتصاق المباشر بين الحرفين المدغمين، وأن قلة عدد حروف الكلمة الصوتية الواحدة تجعل فرصة الإدغام غير مواتية.

وأما سبب الإدغام فهو ما بين الحرفين المدغمين من علاقة، سواء كانت مثلية، أو مجانسة، أو مقارنة.

فالعلاقة المثلية تنتضح في الصوتين المتفقين مخرجاً وصفةً - كالباء والباء -... الخ، وعلاقة التجانس تتمثل فيما بين الصوتين من اتفاق في المخرج، واختلاف في الصفة - كالدال والتاء -، والسين والزاي -، والعين والحاء -... الخ، وأما علاقة التقارب فتتحقق في صورتين: أولاًهما - أن يكون الصوتان مختلفين في المخرج، وفي الصفة - كالدال والشين -، وأخراًهما - أن يكون الصوتان مختلفين في المخرج، متحدين في الصفة - كالواو والياء، والدال والجيم... الخ - ومما يلاحظ على هذا التوزيع أن فكرتي التجانس والتقارب تبدو متشابهةً إلى حدّ كبير، ولذا فإنني أرى أنه يمكن توحيد المصطلحين تحت مسمى واحد هو "التقارب"، ومن ثمّ يُكتفى به مع إدغام المثليين في سبب الإدغام، وذلك ما عليه أكثر العلماء<sup>(٢)</sup>.

وأما موانعه فهي أربعة - بصفة عامة -، منها ثلاثة متفقٌ عليها، وواحد مختلفٌ فيه. فالتفق عليها هي أن يكون الصوت الأول تاء ضمير - متكلماً كان أو مخاطباً - نحو ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾<sup>(٣)</sup>، و ﴿جِئْتَ شَيْئًا﴾<sup>(٤)</sup>، أو مشدداً نحو ﴿وَهُمْ بِهَا﴾<sup>(٥)</sup>، أو مُتَوَّنَا نحو ﴿ظَلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

وأما المختلف فيه فهو إذا كان الصوت الأول مجزوماً نحو ﴿يُوتَ سَعَةً﴾<sup>(٧)</sup>. وأضاف إليها ابن الجزري موانع أخرى هي "قلة الحروف، وتوالي الإعلال، ومصيره إلى حرف مد، وأختص

(١) المصدر نفسه ١: ٢٧٨.

(٢) ينظر - علي سبيل المثال -: الأصول (لابن السراج) ٣: ٤٠٥، التيسير، ص ١٩، النشر ١: ٢٧٨.

(٣) [الإسراء: ٦١].

(٤) [مريم: ٢٧].

(٥) [يوسف: ٢٤].

(٦) [الزمر: ٦].

(٧) [البقرة: ٢٤٧].

بعض المتقاربين بخفة الفتحة، أو بسكون ما قبله، أو بهما، أو يفقد المجاور، أو عدم التكرار<sup>(١)</sup>.

والواقع أن هذه الموانع - كما تبين لي - غير مطردة، فقد رُوِيَ الإدغام في الجزم، وفي تاء الضمير، وفي الكلمة الصوتية ذات الحروف القليلة، وفيما توالى فيه الإعلال (التغيير). وقد ناقش عبد الصبور شاهين هذه القضايا - على وجه العموم - بشيء من التفصيل والموضوعية<sup>(٢)</sup>، مما يجعلني أتجاوزها إلى قضية مهمة أشار إليها ابن الجزري، وتستوجب الوقوف عندها ومناقشتها، وهي أن الصوت إذا أُدغم فيما يقاربه، أو يجانسه، فإنه لا يفنى في المدغم فناءً كاملاً، "بل الصحيح أن الحرفين ملفوظ بهما - كما وصفنا - طلباً للتخفيف"<sup>(٣)</sup>.

وهذا يعني أن الصوت المدغم لم يفقد شخصيته و وجوده، بل يبقى له أثر يدل عليه. ويبدو أن المسألة هذه ينبغي أن يُنظر لها من زوايا ثلاث، هي الموقع، والمخرج، والصفة. وتعدُّ هذه الزوايا بمثابة مكونات وعناصر الصوت في الكلمة.

فمن حيث الموقع فإن الصوت المدغم لا يفنى فناءً تاماً، ومن ثمَّ فهو لا يفقد وجوده، خاصة أن الموقع يعتبر عنصراً أساسياً يشير إلى وجود الصوت في البنية، والدليل على احتفاظه به أنه إذا أُدغم رُمزَ له بالتشديد، يقول أبو عمرو الداني: والإدغام لا يُقْصُ من الكلام شيئاً، لأنك إذا أدغمت شددت الحرف، فلم تنقص شيئاً<sup>(٤)</sup>، مما يدل على أن الصوت المدغم لا يصيب موقعه تغيير، يُذكر، لا فرق في هذا بين إدغام مثلين، أو متجانسين، أو متقاربين.

ومن حيث المخرج، فإما أن يكون الصوتان المدغمان من مخرج واحد - كالدال والتاء -، أو من مخرجين مختلفين - كالدال والطاء -.

فإن كانا من مخرجين مختلفين، فلا شك أنه يفقد مخرجه، وينتقل إلى مخرج الصوت المدغم فيه، وهذا يعني عدم احتفاظه بوجوده المخرجي.

ومن حيث الصفة، فإما أن يكون الصوتان المدغمان متصفيين بصفة واحدة - كالدال والجيم -، أو بصفتين متغايرتين - كالدال والسين -.

وفي كلتا الحالتين يكون حكم الصفة كحكم المخرج تماماً.

(١) النشر ١: ٢٧٩. وينظر: الإدغام الكبير، لوحة ١٧ - ٨ ب.

(٢) ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ١٣٠ فما بعدها.

(٣) النشر ١: ٢٨٠.

(٤) الإدغام الكبير، لوحة ٤ ب.

واخلص من هذا كله إلى القول: إن الصوت المدغم في حالة التجانس يفقد الصفة، ويبقى له المخرج والموقع - وفي حالة التقارب يفقد المخرج والصفة ويبقى له الموقع إن كانا مختلفين في المخرج وفي الصفة -، وإن كانا مختلفين في المخرج، متحدين في الصفة، فيفقد الصوت المدغم المخرج، ويبقى له الصفة والموقع<sup>(١)</sup>. وكل هذا يدل على أهمية الموقع في جميع صور الإدغام.

### الإدغام الكبير في المتقاربين:

قبل أن استعرض صور الإدغام الكبير يجدر الإشارة إلى أن ابن الجزري وَّزَع صور الإدغام (التمائل التام) إلى صور ثلاث - كما فعل مكي من قبل -، وهي:  
الأولى: إدغام الأنقص صوتاً في الأزيد، وهذا جائز ومختار، "لخروجه من حال الضعف إلى حال القوة"<sup>(٢)</sup>.

والثانية: إدغام الأزيد صوتاً في الأنقص، وهذا ممتع، "للإخلال الذي يلحقه"<sup>(٣)</sup>.

والثالثة: إدغام ما تكافأ في المنزلة، وهذا جائز.

ويتتبع مفهوم القوة والضعف عنده نجد أنه لا يكاد يخرج عما ذكره مكي، فالضعف يكون في همس الصوت ورخاوته، وتحقق القوة في الجهر، والشدة، والإطباق و الاستعلاء<sup>(٤)</sup>.

وفيما يتعلق بالإدغام الكبير، أوضح ابن الجزري أن هذا النوع من الإدغام يُنسَبُ إلى أبي عمرو بن العلاء، ولكن ليس معنى هذا أنه اختص أو انفرد به - كما ذكر ذلك ابن الباذش<sup>(٥)</sup> -، بل قد ورد - أيضاً - عن بعض أئمة القراء، وإنما نسب إليه واشتهر به، لكثرة وقوعه في قراءته<sup>(٦)</sup>. ومما ذكر - أيضاً - أن هذا النوع يكثر وقوعه في الكلمتين، ويندر وقوعه في الكلمة الواحدة، إذ لم يرد - بهذه الصورة - إلا إدغام القاف في الكاف<sup>(٧)</sup>.

وقد يقول قائل: إن الإدغام في الكلمة الواحدة من نحو «طَيْرِنَا»، "يَصْعَد... الخ - إنما هو من نوع الإدغام الكبير، حيث أصلها تَطَيْرِنَا، وَيَتَّصَعِد، فَلِمَ لا يدخل ضمن ما نُسِبَ إلي أبي عمرو؟.

(١) هذا الحكم جاري على جميع صور الإدغام، عدا ما ذُكر من إدغام الصوت المطبق، أو المستعلي، أو المغنون فيما ليس كذلك، واحتفاظه بصفته المميزة.

(٢) النشر ١: ٢٧٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) النشر: ٢٠٢ - ٢٠٥.

(٥) الإقناع ١: ١٩٥.

(٦) النشر ١: ٢٧٥. ينظر: إبراز المعاني من حرز الأمانى، لأبي شامة الدمشقي، ص ٧٧.

(٧) ينظر: التيسير، ابن الجزري، ٢٢، نهاية القول المفيد، ص ١٠٧.

والجواب - إن إدغام أبي عمرو فيما هو من كلمة واحدة مردّه الرواية القرآنية في حين أنه في الكلمات السابقة يرجع السبب فيه إلي القاعدة الصرفية التي ذكرها العلماء في صيغة "تَفَعَّل" حينما يكون فأوهما احد حروف الفم، وأريد إدغام التاء في هذه الحروف. وكما هو ملاحظ لا علاقة لإدغام أبي عمرو بذلك.

وانتقل الآن إلى ذكر صور الإدغام الكبير حسب ما أورده ابن الجزري، وغيره من علماء القراءات.

أولاً: الباء: وتدغم في الميم نحو ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>. وقد حصر العلماء جملة ذلك في خمسة مواضع<sup>(٢)</sup>، على الرغم من مجيء الباء متحركة بعدها ميم في مواضع متعددة. وعلة الإدغام عندهم هي وجود المجاور. وقيل: من أجل كسرة الدال، وقيل: لوروده في رواية صحيحة.

وتفسير العلة الأولى أن الجزء الأول أو الأخير من هذه الآيات تُرئ بالإدغام، فلما كان كذلك أتبع ما قبله أو ما بعده بإدغام آخر، وكأن الإدغام جئ به ليتناسب طرفا الآية.

وأما العلة الثانية فقد أُستتقل الخروج من كسرٍ إلى ضم، والعلة الثالثة واضحة لا تحتاج إلى بيان. ويبدو أن العلة الأولى غير مقنعة، إذ ما أهمية حمل الآخر على الأول، أو الأول على الآخر عند الإدغام، إلا أن يكون ذلك من أصول الإدغام عند أبي عمرو - كما ذكر ذلك ابن يعيش<sup>(٣)</sup> -، فعندئذٍ يصبح المسوِّغ مقبولاً، ولا سبيل للاعتراض عليه.

أما العلة الثانية فقد رفضها الداني، بحجة أن أبا عمرو قرأ بالإظهار في آيات مشابهة لهذه، نحو ﴿وَكُذِّبَ مُوسَى﴾<sup>(٤)</sup>. وقد رُدَّ على الداني في هذا بأن الرواية خاصة بالباء المضمومة بعد كسر. وأما العلة الأخيرة - كما يبدو - هي التي لا مجال للنقاش فيها. وقد أخذ بها ابن الجزري، مقرونةً بموافقة الجوار، وعدّهما علةً جيدة<sup>(٥)</sup>.

والعجيب أن ابن الجزري استشهد على أهمية التعليل بموافقة الجوار بإدغام أبي عمرو في ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمَةٍ﴾<sup>(٦)</sup>، حيث أدغم الباء في الميم، موافقةً لإدغامه الدال في الظاء<sup>(٧)</sup>.

(١) [آل عمران: ١٢٩].

(٢) وردت هذه المواضع في ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ﴾ [آل عمران: ١٢٩]، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ﴾ [المائدة: ١٨-٤٠]، ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ﴾ [العنكبوت: ٢١]، [الفتح ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ﴾ [الفتح: ١٤]. ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ٢٢ ب، الإقناع ١: ٢٠٠، النشر ١: ٢٨٧. وهناك آية أخرى في ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، لم تلحق بهذه المواضيع؛ لأن أبا عمر قرأها بالجزم ولذا عد الإدغام فيها صغيراً، تبعاً للقراءة. وقد رَسَمَتْ في المصحف برواية الدوري عن أبي عمرو هكذا ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾. ينظر: ص ٦١ من المصحف المذكور. وللمزيد ينظر: الإقناع ١: ٢٠٠، النشر ٢: ١٠.

(٣) شرح المفصل ١٠: ١٤٧.

(٤) [الحج: ٤٤]، ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ٢٣ أ.

(٥) النشر ١: ٢٨٧.

(٦) [المائدة: ٣٩].

(٧) النشر ١: ٢٨٧.

وإذا كان الأمر كذلك فكان أولى أن تُلْحَقَ هذه الآية تلك المواضع الخمسة المتقدمة التي ذُكِرَ فيها أن الباء تدغم في الميم، لوجود المجاور المدغم، ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، مما يؤكد أهمية التعليل بصحة النقل والرواية .

وقد توسّع بعض العلماء في مواضع إدغام الباء في الميم عند أبي عمرو، فنذكر أنه كان يدغم في القرآن، لكسر ما قبل الباء<sup>(١)</sup>، وأباح غيره القياس على ما يرد من أمثال وأشباه تلك المواضع<sup>(٢)</sup>. علي أنني لا اتفق مع من أجاز القياس، لأن الأصل في هذا أن تؤخذ القراءة رؤيئةً وسماعاً، لا قياساً وعقلاً، بدليل ورود آيات مشابهة لتلك المواضع الخمسة لم يرد بشأنها رواية بالإدغام. وسبق أن ذكرت ما يتعلق بحالة الإدغام من حيث القوة والضعف<sup>(٣)</sup>.

أما إدغام الباء في الفاء إدغاماً كبيراً فلم يذكره ابن الجزري، وقد أشار الى ذلك الداني عازياً رواية الإدغام إلى العباس بن الفضل عن أبي عمرو<sup>(٤)</sup> نحو ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾<sup>(٥)</sup>، وسبق - أيضاً - ذكر ما يتصل بالقوة والضعف في هذه الصورة الإدغامية<sup>(٦)</sup>.

ثانياً: التاء: تدغم في عشرة أحرف هي - الطاء نحو ﴿الصَّلَاةَ طَرْفِي﴾<sup>(٧)</sup>، والزاي نحو ﴿الْجَنَّةِ زُمْرًا﴾<sup>(٨)</sup>، والسين نحو ﴿السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ﴾<sup>(٩)</sup>، والصاد نحو ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾<sup>(١٠)</sup>، والظاء نحو ﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي﴾<sup>(١١)</sup>، والذال نحو ﴿الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾<sup>(١٢)</sup>، والتاء نحو ﴿الْمَوْتِ ثُمَّ﴾<sup>(١٣)</sup>، والضاد نحو ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾<sup>(١٤)</sup>، والجيم نحو ﴿الصَّالِحَاتِ جَنَاتٍ﴾<sup>(١٥)</sup>، والشين نحو ﴿بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءٍ﴾<sup>(١٦)</sup>.

(١) السبعة ص ١١٨ .

(٢) التيسير، ص ٢٨ .

(٣) ينظر: الإدغام في منطقة الشفتين لمكي ابن أبي طالب ص ٢٧٢ .

(٤) الإدغام الكبير لوحة ٢٣ب .

(٥) [البقرة: ٢] .

(٦) ينظر: الإدغام في منطقة الشفتين لمكي ابن أبي طالب ص ٢٧٢ .

(٧) [هود: ١١٤] .

(٨) [الزمر: ٧٣] .

(٩) [الأعراف: ١٢٠] .

(١٠) [العاديات: ٣] .

(١١) [النساء: ٩٧] .

(١٢) [غافر: ١٥] .

(١٣) [العنكبوت: ٥٧] .

(١٤) [العاديات: ١] .

(١٥) [إبراهيم: ٢٣] .

(١٦) [النور: ٤] .

والذي يهمننا في هذه الصور الإدغامية أمران هما: إدغام التاء في كل من الضاد والشين، حيث لم يذكر مكي هاتين الصورتين، والأمر الآخر تعليل ابن الجزري لبعض صور الإدغام هنا.

فأما الأمر الأول، فإن إدغامها في الضاد ينقلها من ضعف إلى قوة، وذلك مما تدعو إليه قوانين الإدغام، وأما إدغامها في الشين، فإنه ينقلها إلى مثلها في القوة والضعف، فهو بدأ إدغام متكافئ<sup>(١)</sup>، وهذا الرأي قائم على المفاضلة بين درجات القوة، واعتبار النقشي أقوى من الشدة، كما فعل مكي مع إدغام التاء في السين، حيث اعتبر صفير السين أقوى من شدة التاء.

والأمر الآخر يتعلق بما أورده ابن الجزري في تعليل الإدغام في نحو ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup>، و ﴿جَنَّتْ شَيْئًا﴾<sup>(٣)</sup>، وهو قوة الكسر، وما أورده في تعليل عدم الإدغام في نحو ﴿الصَّلَاةَ طَرْفِي﴾<sup>(٤)</sup>، وهو خفة الفتحة<sup>(٥)</sup>، حيث يشير في هذه التعليلات إلى أن الكسرة - وهي من أصوات العلة الضيقة<sup>(٦)</sup> - ثقلاً ناتجاً من المجهود العضلي الذي يبذل معها، ولذا فإن الإدغام يلغي هذا الثقل.

أما الفتحة - وهي صوت علة متسع<sup>(٧)</sup> فليس به ثقل، نظراً لخفته في النطق، ولذا لم تُدغم الآية - في بعض الروايات - لأن الإدغام في هذه الحالة لا يحقق الغرض منه وهو الخفة، فاندعت الوسيلة لانعدام الغاية.

ثالثاً: التاء: تدغم في خمسة حروف، هي - الذال نحو ﴿وَالْحَرْثِ ذَلِكَ﴾<sup>(٨)</sup>، والسين نحو ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانَ﴾<sup>(٩)</sup>، والتاء نحو ﴿الْحَدِيثِ تَعَجَّبُونَ﴾<sup>(١٠)</sup>، والضاد نحو ﴿حَدِيثِ ضَيْفٍ﴾<sup>(١١)</sup>، والشين نحو ﴿ثَلَاثِ شُعْبٍ﴾<sup>(١٢)</sup>.

وقد ذكر مكي إدغامها في الذال، والتاء، ويبقى إدغامها في كل من السين، والضاد، والشين، وكما هو ملاحظ فالإدغام ينقلها من ضعف إلى قوة.

(١) ينظر: صور الإدغام الواردة في القرآن الكريم وقراءته (د. أحمد مختار عمر) بحث نشر في كتاب (في قضايا الأدب واللغة)، إعداد وتقديم: (د. عبده بدوي) ص ٢١٦.

(٢) [الإسراء: ٢٦].

(٣) [مريم: ٢٧].

(٤) [هود: ١١٤].

(٥) ينظر: النشر ١: ٢٨٨، ٢٨٩.

(٦) صوت العلة الضيق: هو ما يكون مجري الهواء معه أضيق ما يمكن أن يصل إليه مع أصوات العلة الأخرى، بحيث لا يدخل في نطاق الأصوات الصامتة، مثل الضمة والكسرة في اللغة العربية الفصحى. ينظر: مصطلحات في علمي الأصوات واللغة، ص ٢١٢.

(٧) صوت العلة المتسع: هو ما يتسع معه مجري الهواء أكثر من اتساعه مع أصوات العلة الأخرى، مثل الفتحة المفخمة في "صبر" و"قطع". ينظر: المرجع نفسه، ص ٢١٢.

(٨) [آل عمران: ١٤].

(٩) [النمل: ١٦].

(١٠) [النجم: ٥٩].

(١١) [الذاريات: ٢٤].

(١٢) [المرسلات: ٣٠].

رابعاً: الجيم: تدغم في حرفين، هما - الشين نحو ﴿أَخْرَجَ شَطَاهُ﴾<sup>(١)</sup>، وفي التاء نحو ﴿المَعَارِجُ \* تَعْرُجُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإذا أدغمت في الشين، فإنها تنتقل إلى مثلها في القوة والضعف، وحينما تدغم في التاء، فإنها تنتقل من قوة إلى ضعف، إلا أن الداني - كما يذكر ابن الجزري يُعَدُّ إدغام الجيم في التاء قبيحاً، لتباعد مخرجيهما<sup>(٣)</sup>، ويبدو أن التعليل ببعد المخرج لا يستقيم، للأسباب الآتية:

١- إن إدغام التاء في الجيم لم يعترض عليه العلماء بحجة بعد المخارج، وإنما أجازوه بالنظر إلى أنه إدغام ضعيف في قوي.

٢- أنه لا يفصل بين الجيم والتاء سوى أربعة أحياز - عند القدماء -، أما عند المحدثين فالفاصل بينهما حيّز واحد فقط، وهذا بالنظر إلى المخرج الخاص، أما المخرج العام (الفم) فهما متحدان فيه ولهذا فإني أرى أن ندرة وقوع الإدغام وقبحه في هذه الصورة ليس لأنهما متباعدان في المخرج، وإنما لأن الإدغام ينقل الجيم من قوة إلى ضعف، وذلك مما لا تستحسنه قوانين الإدغام.

وأضاف بعض العلماء موضعين اثنين لإدغام الجيم إدغاماً كبيراً، هما، مع الصاد والضاد، نحو ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾<sup>(٤)</sup>، و ﴿أَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾<sup>(٥)</sup>.

والإدغام - كما هو ملاحظ - ينقل الجيم من ضعف إلى قوة. ويحدث الإدغام بين الجيم والتاء بانتقالها المخرجي إلى الأمام، مع تحولها من الجهر إلى الهمس، فالتماثل مخرجي، وصفي، إضافة إلى كونه تاماً، رجعيّاً. ويُعَلَّل أنيس هذا الانتقال المخرجي الأمامي بقوله: والذي يمكن أن يبرر هذا الانتقال هو كسرة "الجيم" التي هي صوت لين أمامي، فهي تجذب الصوت الساكن إلى الأمام، فينتقل مع الكسرة إلى أول اللسان الذي هو مخرجها أيضاً<sup>(٦)</sup>.

وأما حينما تدغم في الصاد فإنها تنتقل مخرجياً من وسط اللسان والحنك الأعلى إلى مما بين الثنايا وطرف اللسان - أي إلى الأمام أيضاً-، مع تحويلها من الجهر إلى الهمس، ومن الشدة إلى الرخاوة، ومن الانفتاح إلى الإطباق، فالتماثل مخرجي، وصفي، كما أنه تام، رجعي.

وأما حينما تدغم في الضاد، فإن مخرجها ينتقل قليلاً إلى الأمام، مع تحولها من الشدة إلى الرخاوة، ومن الانفتاح إلى الإطباق، فالتماثل كالسابق تماماً.

(١) [الفتح: ٢٩].

(٢) [المعارج: ٣-٤].

(٣) النشر ١: ٢٩٠.

(٤) [الإسراء: ٨٠].

(٥) [النازعات: ٢٩].

(٦) [الأصوات، ص ٢٥٦].

خامساً: الحاء: وتدغم في حرف واحد، هو العين نحو ﴿فَمَنْ زُحْرِحَ عَنِ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup>. وعلة الإدغام - كما يذكر الداني - أنهما مشتركان في المخرج الخاص، وهو وسط الحلق<sup>(٢)</sup>، في حين أن ابن الجزري يرى أن العلة هي طول الكلمة، وتكرار الحاء<sup>(٣)</sup>، فأما التعليل بطول الكلمة فذلك صحيح، بل إنه يعد في نظر الدرس الصوتي الحديث من مسوغات ما يطرأ على الصوت من تغير، يقول قندير في هذا: "والكلمات القصيرة كثيراً ما تقاوم الانحرافات التي تصيب الكلمات الطويلة باطراد، أما الكلمات الطويلة فعلى العكس من ذلك، تقدم لنا في بعض الأحيان انحرافات خاصة ناجمة من طولها"<sup>(٤)</sup> وهذا يعني أن الكلمة الصوتية الطويلة يُخَفَّف من طولها بالإدغام. ويجري هذا - أيضاً - على تكرار الحاء، حيث يعد الحاء من الأصوات الثقيلة، كما أنه من حروف الحلق، ويكون أكثر ثقلًا في الأداء اللغوي حينما يتكرر، فيتخلص من هذا كله بالإدغام.

وأستطيع القول بعد هذا: إنَّ التعليل باتحاد المخرج، وطول الكلمة، وتكرار الحاء.. كل ذلك يعتبر مسوغاً قوياً لحدوث الإدغام، ومما يزيده قوةً أيضاً - أن الإدغام ينقل الحاء من ضعف إلى قوة. والشيء اللافت للنظر في هذه الصورة الإدغامية هو كيف يدغم أبو عمرو في الآية السابقة إدغاماً كبيراً، ولا يدغم في نحو ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، على الرغم من أن إدغام هذه الساكنة أولى وأكد من إدغام تلك المتحركة!؟

والجواب عن هذا - أن إدغام الحاء في العين هنا ليس بقياس، بل مقصور على السماع - كما يقول ابن الجزري<sup>(٦)</sup> -، مما يؤكد أقدميه الرواية القرآنية على القياس العقلي .

سادساً الدال: وتدغم في عشرة حروف، هي - التاء نحو ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ﴾<sup>(٧)</sup>، والزاي نحو ﴿يَكَادُ رَبُّهَا﴾<sup>(٨)</sup>، والسين نحو ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾<sup>(٩)</sup>، والصاد نحو ﴿نَفَقْدُ صَوَاعٍ﴾<sup>(١٠)</sup>، والظاء نحو ﴿يُرِيدُ ظُلْمًا﴾<sup>(١١)</sup>، والذال نحو ﴿وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ﴾<sup>(١٢)</sup>، والثاء نحو ﴿يُرِيدُ نَوَابَ﴾<sup>(١٣)</sup>، والضاد نحو

(١) [آل عمران: ١٨٥]. ينظر الإقناع ١: ٢١٠، ٢٠٩، النشر ١: ٢٩١، ٢٩٠.

(٢) الإدغام الكبير، لوحة ١٠ ب.

(٣) النشر ١: ٢٩٠.

(٤) اللغة، ص ٨٩.

(٥) [الزخرف: ٨٩].

(٦) النشر، ١: ٢٩١.

(٧) [الملك: ٨].

(٨) [النور: ٣٥].

(٩) [طه: ٦٩].

(١٠) [يوسف: ٧٢].

(١١) [آل عمران: ١٠٨].

(١٢) [المائدة: ٩٧].

(١٣) [النساء: ١٣٤].



﴿بَعْدَ ضِرَاءٍ﴾<sup>(١)</sup>، والجيم نحو ﴿دَاوُدُ جَالُوتٌ﴾<sup>(٢)</sup>، والشين نحو ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وقد تحدث العلماء في هذه الصور الإدغامية عن أمرين هما:

الحركة الإعرابية التي تكون عليها الدال، وحركة الحرف الذي قبل الدال، فإن تحركت هي بأي حركة كانت، فلا يُرَاعِي ذلك عند الإدغام، إلا إذا كانت مفتوحة وما قبلها ساكن فإنها لا تدغم إلا مع التاء، نحو ﴿بَعْدَ توكيدها﴾<sup>(٤)</sup>، أما إن سكن ما قبلها، وتحركت بالضم أو الكسر نحو ﴿يَكَادُ سَنًا﴾<sup>(٥)</sup>، ﴿بَعْدَ ظلمه﴾<sup>(٦)</sup>، فكان يدغم فيهما<sup>(٧)</sup>.

ونستخلص من هذا أن هناك قرابة صوتية بين حركتي الضمة والكسرة والواقع أن هذه المسألة لم تكن خافية عن اللغويين القدامى فقد أشاروا إلى أن الضمة أخت الكسرة<sup>(٨)</sup>، وهذه النظرة مما أيدها الدرس الصوتي الحديث<sup>(٩)</sup>. وكل هذا يدل على أن ما يجري على الضمة يجري على الكسرة - أيضاً - في الغالب أما الفتحة فلها أحكام خاصة بها.

ومن المسائل المهمة التي تتفرع عن هذه القضية اجتماع ساكنين من جرّاء الإدغام، وقد تناول هذه المسألة القدماء<sup>(١٠)</sup>، وكذلك بعض المحدثين<sup>(١١)</sup>. وأعود فأقول: إن الذي يهمننا في هذه الصور هو إدغام الدال في التاء، أما البقية فقد ذكرها مكي - مفصلاً -، فإذا أدغمت الدال في التاء فإنها تنتقل من قوة إلى ضعف.

سابعاً: الذال: وتدغم في حرفين، هما - السين نحو ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾<sup>(١٢)</sup>، والصاد نحو ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾<sup>(١٣)</sup>، وقد سبق ذكر رأي مكي في الإدغام من حيث القوة والضعف<sup>(١٤)</sup>.

(١) [يونس: ٢١].

(٢) [البقرة: ٢٥١].

(٣) [يوسف: ٢٦].

(٤) [النحل: ٩١].

(٥) [النور: ٤٣].

(٦) [المائدة: ٣٩].

(٧) ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ١٤ ب - ١٥ ب، النشر ١: ٢٩١، ١٩٢.

(٨) ينظر - علي سبيل المثال - تصحيح الفصح (لابن درستويه) ص ١٠٥، سر صناعة الإعراب ١: ٢٠، المزهر ١: ٢٠٧.

(٩) ينظر: في اللهجات العربية (د. أنيس) ص ٨١، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ٣٧١، مدخل إلى علم اللغة (د. رمضان عبد التواب) ص ٩٤.

(١٠) ينظر - علي سبيل المثال - : شرح المفصل ١: ١٢٠-١٣١.

(١١) ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ٣٨٦-٤١٢.

(١٢) [الكهف: ٦١].

(١٣) [الجن: ٣].

(١٤) ينظر: الإدغام في منطقة الفم لمكي ابن أبي طالب في هذه الرسالة (الذال) ص ٢٦٩ فما بعدها.

ثامناً: الراء: وتدغم في اللام على أي حركة كانت، نحو ﴿أَطَهَرَ لَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، فإن سكن ما قبل الراء، وتحركت هي بضمة أو كسرة، أدغم أبو عمرو ما جاء من ذلك نحو ﴿الْكَفَّارُ لِمَنْ﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿بِالْخَيْرِ لَفْضِي﴾<sup>(٣)</sup>.

أما إن تحركت بالفتحة نحو ﴿الْأَبْرَارَ لَفِي﴾<sup>(٤)</sup>، فلم يكن يدغم إلا ما جاء في بعض الروايات. وقد اختلف العلماء في مواقع تحديد الراء المدغمة في اللام، فجعلها بعضهم ستة وثمانين موضعاً<sup>(٥)</sup>، وإدغام الراء في اللام مما وقع الخلف فيه بين اللغويين والقراء. تاسعاً: السين: وتدغم في الزاي نحو ﴿النَّفُوسُ رُوجَتْ﴾<sup>(٦)</sup>، وفي الشين نحو ﴿الرَّأْسُ شَيْبًا﴾<sup>(٧)</sup>. واشترط لهذا الإدغام أن تكون السين مضمومة، أما إن فتحت نحو ﴿النَّاسَ شَيْبًا﴾<sup>(٨)</sup>، فقد أجمعوا على إظهارها، لخفة الفتحة<sup>(٩)</sup>.

فإذا أدغمت في الزاي فإنها تنتقل إلى قوة، في حين أنها إذا أدغمت في الشين فَيَعُدُّ من باب إدغام المتكافئين، حيث إنهما مهموسان، رخوان، وتتميز السين بالصفير، والشين بالتقشي. إلا أن الداني يرى أنّ إدغام السين في الشين من قبيل إدغام الأضعف في الأقوى، معللاً ذلك بأن الشين أقوى من السين، لما بها من تقشي يوصلها إلى مخرج الطاء<sup>(١٠)</sup>. وهذا يحتاج إلى نظر، فالصوتان - كما تقدم - متساويان في المنزلة حيث في كل واحد منهما صفتا ضعف، وقوة واحدة.

وهناك شيء آخر يثيره الإدغام هنا، وهو أن السين - الصوت الصفيري - أدغم فيما ليس كذلك، وهذا خلاف ما عليه اللغويون، مما يدل على أن الصفير عند القراء لا يُعَدُّ حاجزاً حصيناً يحول دون الإدغام، ويؤيد هذا ما قاله ابن الجزري "ولا يمنع الإدغام من أجل صفير السين"<sup>(١١)</sup>. وإذا أدغمت السين في الشين، فإن مخرجها ينتقل إلى الراء، مع تحولها من الصفير إلى التقشي، فالتماثل مخرجي، وصفي.

(١) [هود: ٧٨].

(٢) [الرعد: ٤٢].

(٣) [يونس: ١١].

(٤) [المطففين: ٢٢]. ينظر: النشر: ١: ٢٩٢.

(٥) الإدغام الكبير، لوحة ١٩، الإقناع: ١: ٢١٣.

(٦) [التكوير: ٧].

(٧) [مريم: ٤].

(٨) [يونس: ٤٤].

(٩) ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ١٧ب، النشر: ١: ١٩٢.

(١٠) الإدغام الكبير، لوحة ١٧ب.

(١١) النشر: ١: ٢٩٣.

عاشراً الشين: وتدغم في السين فقط، نحو ﴿العَرْشِ سَبِيلاً﴾<sup>(١)</sup>، والإدغام هنا - كما هو ملاحظ - متكافئ في المنزلة. ويحدث بواسطة انتقال مخرج الشين إلى الأمام، مع تحويلها من التنقيشي إلى الصفي، فالتماثل مخرجي، وصفي.

حادي عشرة: الضاد: وتدغم في الشين نحو ﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، واكتفى بعض العلماء بذكر هذه الصورة<sup>(٣)</sup>. وأضاف بعضهم<sup>(٤)</sup> إدغامها في: الجيم نحو ﴿وَالْأَرْضِ جَاعِلٍ﴾<sup>(٥)</sup>، والتاء نحو ﴿الْأَرْضِ نُكَلِّمُهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>، والزاي نحو ﴿الْأَرْضِ زُخْرُفَهَا﴾<sup>(٧)</sup>، والطاء نحو ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾<sup>(٨)</sup>، والذال نحو ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾<sup>(٩)</sup>.

والذي يهمننا في هذه الصور هو إدغامها في: الشين، والجيم، والزاي، والذال، أما بقية الصور فقد تقدم تحليلها.

فإذا أدغمت في الشين، فإنها تنتقل مخرجياً إلى الورا قليلاً، مع تحويلها، من الجهر إلى الهمس، ومن الإطباق إلى الانفتاح، ومن الاستطالة إلى التنقيشي، فالتماثل مخرجي، وصفي، وكما هو ملاحظ فإن المخرجين متقاربان. أما من حيث القوة والضعف فقد تبين لي أن للعلماء أحكاماً مختلفة في ذلك. فالسيراقي لا ينكر الإدغام - على خلاف ما عليه النحاة واللغويون - معللاً ذلك ب" أنها مقاربة للشين في المخرج، والشين أشد استطالة من الضاد، وفي الشين تفش ليس فيها، وعلى أن سيبويه قد حكى "اطجع" بإدغام الضاد في الطاء، فدل ذلك على جواز إدغامها في الشين؛ لأن الشين أقوى منها وأفشى"<sup>(١٠)</sup>.

أما الداني فيرى أنهما متكافئان؛ لأن في الشين تفشياً، وهو بمنزلة الاستطالة، فاعدلتا فذلك، فجاز الإدغام لما ذكرناه في صدر الكتاب في الحرفين إذا تكافأ في المنزلة من الزيادة وغيرها، وبالله التوفيق"<sup>(١١)</sup>. وبناء على ما تقدم فنحن أمام رأيين: أحدهما - يجعل الشين أقوى من الضاد، والآخر يجعلهما متساويين. فأما الرأي الأول فيبدو أن مصدر القوة هو

(١) [الإسراء: ٤٢].

(٢) [النور: ٦٢].

(٣) ينظر: التيسير، ص ٢٣، النشر: ١: ٢٩٣.

(٤) ينظر: الإقناع ١: ٢١٦، ٢١٧.

(٥) [فاطر: ١].

(٦) [النمل: ٨٢].

(٧) [يونس: ٢٤].

(٨) [الشرح: ٣].

(٩) [الطارق: ١٢].

(١٠) شرح السيراقي على الكتاب ١١: لوحة ١٥٥ ب.

(١١) الإدغام الكبير، لوحة ٢٢ ب.

الوضوح السمعي، فإذا كان الأمر كذلك فلاشك أن التفشي أوضح في السمع من الاستطالة، ولكن هناك صفات أخرى في الضاد ينبغي الاعتبار بها حين الحكم على أي الصوتين أقوى أو أضعف. وأما الرأي الآخر فهو قائم على تميز كل من الصوتين بصفة زائدة، على أن الحكم عليهما من خلال ذلك يعد - فيما أحسب - ناقصاً. ولهذا كله أذهب إلى أن إدغام الضاد في الشين يعتبر إدغام قوي في أضعف؛ لأن في الضاد أربع صفات قوة هي - الجهر، الإطباق، الاستعلاء، والاستطالة، في حين أنه ليس للشين سوى صفة واحدة هي - التفشي. وقد وقف بعض النحاة من إدغام الضاد في الشين من الآية السابقة موقفاً معارضاً، لهذه الصور الإدغامية، وتجاوز ذلك إلى الطعن والتجريح فيها<sup>(١)</sup>. وإذا أدغمت في الجيم، فإنها تنتقل إلى الوراة قليلاً، مع تحولها من الرخاوة إلى الشدة، ومن الإطباق إلى الانفتاح، وتنازلها عن صفة الاستطالة، والتماثل مخرجي، وصفي، والإدغام كما هو ملاحظ ينقلها من قوة إلى ضعف. ولا بد من الإشارة في هذا المقام إلى الضاد التي ذكر أنها تدغم إدغاماً كبيراً في الجيم، لم يرد - فيما أعلم - أنها تدغم إدغاماً صغيراً في نحو ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾<sup>(٢)</sup>، وعلى الرغم من أن إدغامها هنا جائز لغة، مما يؤكد أهميته الأثر، والنقل، والرواية.

وإذا أدغمت في الزاي، فإن مخرجها ينتقل إلى الأمام، مع تحولها الوصفي من الإطباق إلى الانفتاح، وتنازلها عن الاستطالة، فالتماثل كالسابق، وتنتقل حينئذٍ من قوة إلى ضعف - أيضاً. ثاني عشر: القاف: وتدغم في الكاف - بشرط أن يتحرك ما قبلها - نحو ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup>، فإن سكن ما قبلها نحو ﴿وَفَوْقَ كُلِّ﴾<sup>(٤)</sup>، لم تدغم. وتعد القاف الصوت الأوحد الذي يدغم إدغاماً كبيراً في الكلمة الواحدة - كما تقدم - نحو ﴿خَلَقْتُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، ولذلك شروط هي:

- ١- أن يتحرك ما قبل القاف بأي حركة كانت.
  - ٢- أن يجيء بعد الكاف ميم جمع<sup>(٦)</sup>.
- فإن سكن ما قبل القاف في الكلمة الواحدة نحو ﴿مَا خَلَقْتُمْ﴾<sup>(٧)</sup>، لم يدغم أيضاً -، وكذلك إن لم يأت بعد الكاف ميم جمع نحو ﴿خَلَقْتَ﴾<sup>(٨)</sup>، وأختلف في ﴿طَلَّقَنَّ﴾<sup>(٩)</sup>، فرواه

(١) ينظر شرح المفصل، ١٠: ١٤٠، حيث وصف قراءة الإدغام في الآية السابقة بالضعف.

(٢) [الحجر: ٨٨].

(٣) [الفرقان: ٢].

(٤) [يوسف: ٧٦].

(٥) [البقرة: ٢١].

(٦) ينظر الإقناع ١: ٢٢١، ٢٢٠، النشر ١: ٢٨٦.

(٧) [لقمان: ٢٨].

(٨) [الإنفطار: ٧].

بعضهم بالإدغام، وآخرون بالإظهار، واختار الإدغام، الداني لثقل الجمع، وتقل التأنيث<sup>(٢)</sup>، وذكر ابن الجزري أن القاف إذا أدغمت في الكاف، فإن صفة الاستعلاء تسقط منها<sup>(٣)</sup> وهذا يعني أن التماثل كلي، لجريانه على خواص الصوت جميعها. ومما يلاحظ أن اشتراط وجود ميم الجمع يدل ويؤكد مرة أخرى على أن الكلمة الصوتية الطويلة تُعدّ بيئةً مناسبةً لحدوث الإدغام.

وقد حصر العلماء موضع إدغام القاف في الكاف من كلمتين في أحد عشر موضعاً<sup>(٤)</sup>. وجدير بنا الإشارة إلى أنها وردت في القرآن - بصفة عامة - في اثني عشر موضعاً، وهذا يعني أنهم استبعدوا ما ورد في سورة يوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ﴾، لكون ما قبل القاف ساكناً. كما حصروا مواضع إدغامها من الكلمة الواحدة في سبعة وثلاثين موضعاً<sup>(٥)</sup>، وقد وردت في القرآن - بصفة عامة - في ستين موضعاً، منها ثمانية وثلاثون موضعاً موافقة للشروط. وذلك يعني أنهم لم يذكروا ما ورد من كلمات لم يأت ميم الجمع<sup>(٦)</sup>، كما لم يذكروا ما ورد من كلمات سكن فيها ما قبل القاف<sup>(٧)</sup>، كذلك لم يَعْتَدُوا بما ورد في الكهف ﴿بِوَرَقِكُمْ﴾<sup>(٨)</sup>، وذلك أن أبا عمرو قراها بسكون الراء<sup>(٩)</sup>.

ثالث عشر: الكاف: وتدغم في القاف - بشرط أن يتحرك ما قبلها - نحو ﴿رَبُّكَ قَدِيرٌ﴾<sup>(١٠)</sup>، فإن سُكِنَ ما قبلها نحو ﴿يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾<sup>(١١)</sup>، لم يدغم إلا في بعض الروايات. وقد اختلف العلماء في تحديد مواضع أبي عمرو للكاف في القاف، فنكر بعضهم أنها أربعة وأربعون موضعاً..<sup>(١٢)</sup> وذكر بعضهم أنها اثنان وثلاثون موضعاً<sup>(١٣)</sup>. وبحصر مواضع التقاء الكاف المتحركة بالقاف من كلمتين في القرآن الكريم نجد أنها تبلغ تسعة وثلاثون موضعاً فقط، منهما اثنان وثلاثون مستوفية للشروط، والبقية على خلاف ما اشترط فيه، حيث ما قبل الكاف ساكن. وعليه فإن ما ذكره ابن الجزري هو الذي يتفق وإحصاء الحاسب الآلي.

(١) [التحريم: ٥].

(٢) التيسير، ص ٢٢.

(٣) النشر، ٢: ٢٠.

(٤) الإدغام الكبير، لوحة ١٢ أ، الإقناع ١: ٢٢١، النشر ١: ٢٩٣.

(٥) المصادر والصفحات نفسها.

(٦) بلغ ذلك خمسة مواضع.

(٧) بلغ ذلك سبعة عشر موضعاً.

(٨) [الكهف: ١٩].

(٩) ينظر: الإقناع ١: ٢٢١.

(١٠) [الفرقان: ٥٤].

(١١) [يونس: ٦٥].

(١٢) الإدغام الكبير، لوحة ١٢ ب، الإقناع ١: ٢٢٢.

(١٣) النشر ١: ٢٩٣.

ومما يلاحظ أن المواضع التي خرجت على الشرط المذكور جميعها مفتوحة الكاف، وليس بينها موضع مكسور الكاف أو مضموم، ولعل هذا ما دعا ابن الجزري إلى الحكم المطلق بأنه إذا سكن ما قبل الكاف لم يدغم<sup>(١)</sup>. والإدغام هنا ينقل الكاف من ضعف إلى قوة.

رابع عشر: اللام: وتدغم في الراء - بشرط أن يتحرك ما قبلها - نحو ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾<sup>(٢)</sup>، فإن سكن ما قبلها أدغمت في حالة كونها مضمومة أو مكسورة، نحو ﴿رَسُولُ رَبِّكَ﴾<sup>(٣)</sup>، ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾<sup>(٤)</sup>، أما إن كانت مفتوحة نحو ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>، فلا تدغم إلا لام (قال) حيث وقعت، لكثرة دورها<sup>(٦)</sup>.

وقد اختلف العلماء -أيضا- في تحديد مواقع الإدغام، فمن قائل: أنها ستة وثمانون موضعاً<sup>(٧)</sup>، وآخر يذكر أنها واحد وسبعون موضعاً<sup>(٨)</sup>، وثالث يقول: إنها أربعة وثمانون موضعاً<sup>(٩)</sup>.

ويلاحظ هنا أنهم أجازوا الإدغام في المفتوح بعد الساكن على غير المؤلف، معللاً بعضهم بكثرة دورها. وهذا يعني أن الكلمة إذا كثر استعمالها، وشاعت في التداول اللغوي، فإنها تكون عرضه لكثير من الظواهر اللغوية، وذلك ما أبدته الدرس اللغوي الحديث، حيث أنشأ نظرية تسمى "نظرية الشبوع"، وعدّها من جملة الأسباب التي تؤدي إلى تطور الأصوات، والصيغ<sup>(١٠)</sup>.

خامس عشر: الميم: وتدغم في الباء - إذا تحرك ما قبلها - نحو ﴿بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾<sup>(١١)</sup>، فإن سكن ما قبلها فإما أن يكون الساكن حرف مد (صائت)، أو حرف صحيح (صامت). فإن كان صائتاً نحو ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾<sup>(١٢)</sup>، أدغم في بعض الروايات، وإن كان صامتاً نحو ﴿العُلْمُ بَعِيّاً﴾<sup>(١٣)</sup>، فلا خلاف في إظهارها<sup>(١٤)</sup>.

(١) النشر ١: ٢٩٣.

(٢) [الفيل: ١].

(٣) [مريم: ١٩].

(٤) [النحل: ١٢٥].

(٥) [الحاقة: ١٠].

(٦) النشر ١: ٢٩٤.

(٧) الإدغام الكبير، لوحة ٢١ ب،

(٨) الإقناع ١: ٢٢٧.

(٩) النشر ١: ٢٩٤.

(١٠) ينظر: الأصوات (د. أنيس) ص ٢٣٨.

(١١) [الأنعام: ٥٣].

(١٢) [البقرة: ١٣٢].

(١٣) [آل عمران: ١٩].

(١٤) ينظر: الإقناع ١: ٢٢٨، النشر ١٢٩٤.

وقد حصر العلماء مواضع ذلك في ثمانية وسبعون موضعاً<sup>(١)</sup>، وهذا يعني مقارنة بالإحصاء العام لمواضع مجيء الميم المتحركة بعدها باء من كلمتين الذي بلغ خمسة وتسعين موضعاً - أنهم استبعدوا ما كان قبل الميم من ساكن صحيح الذي ورد في ثلاثة مواضع أوساكن معتل حيث بلغ أربعة عشر موضعاً.

ومن الملاحظات أنهم لم يعتدوا - كما هو الحال فيما تقدم - بالحركة التي عليها الميم المسبوقه بساكن، فرغم أنها وردت في بعض المواضع مضمومة، وفي بعضها مكسورة إلا أنه لم يرد بشأنها رواية الإدغام، لذا "يلزم إتباع النقل، والوقوف عند الرواية، لأن القراءة سنة تُتبع، ولا تُعارض بالقياس ولا بغيره"<sup>(٢)</sup>.

سادس عشر: النون: وتدغم في الراء واللام - بشرط أن يتحرك ما قبلها، نحو ﴿تَأَذَّنْ رَبُّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، و ﴿أَتُومِنُ لَكَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فإن سكن ما قبل النون، أظهرت بلا خلاف - سواء كان الساكن صائتاً، نحو ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>، أو صامتاً، نحو ﴿بِأَذْنِ رَبِّهِمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

وقد حصر العلماء مواضع إدغام النون المتحركة في الراء في خمسة مواضع<sup>(٧)</sup>، وهذا يعني أنهم استبعدوا ما سكن قبلها من الصوائت، حيث ورد في القرآن منها أربعة وستون موضعاً، وكذلك استبعدوا ما سكن قبلها من الصوامت، التي بلغت سبعة مواضع. أما إن سكن ما قبل اللام نحو ﴿الَّذِينَ لَوَّاعٍ﴾<sup>(٨)</sup>، فلم يكن يدغم إلا ما ورد في أصل مطرد، مثل كلمة "تَحْنُ"، حيث وقعت، كقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾<sup>(٩)</sup> وقد وقع الخلف في حصر مواضع إدغام النون المتحركة في اللام، فذكر بعضهم أنها واحد وستون موضعاً<sup>(١٠)</sup>.

ونتطبيق ما ذكر من شروط لإدغام النون في اللام على مواضع ورودها في القرآن - بصفة عامة - نجد أنها تبلغ ثلاثة وستين موضعاً، وذلك ما عليه ابن الجزري.

(١) ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ٢٣ ب، الإقناع ١: ٢٢٨، النشر ١: ٢٩٤.

(٢) الإدغام الكبير، لوحة ١٩ ب.

(٣) [إبراهيم: ٧].

(٤) [الشعراء: ١١١].

(٥) [الأنعام: ٥٢].

(٦) [إبراهيم: ١].

(٧) ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ١٨ أ، ب، الإقناع ١: ٢٢٩، النشر ١: ٢٩٤.

(٨) [الذاريات: ٦].

(٩) [البقرة: ١٣٨]. ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ١٨ ب، النشر ١: ٢٩٤. وقد وردت كلمة "تحن" في القرآن الكريم في خمسة

وثمانين موضعاً، منها عشرة مواضع جاءت اللام فيها بعد "تحن"، وقد عدّها الداني وابن الباش تسعة مواضع. ينظر: الإدغام

الكبير، لوحة ١٨ ب، الإقناع ١: ٢٣٠، في حين أنها عند ابن الجزري عشرة مواضع. ينظر: النشر ١: ٢٩٤.

(١٠) ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ١٨ ب، الإقناع ١: ٢٣٠.

وكما لم يَعْتَدُوا بحركة الميم - إن كان قبلها ساكن - كذلك لم يَعْتَدُوا بها في النون. والسؤال المطروح هو - لماذا خصت نون "تَحْنُ" بالإدغام في اللام، ولم يكن ذلك لغيرها؟. والجواب:- أن العلماء ذكروا عللاً ثلاثاً لذلك هي:

١- ثِقَلُ ضَمَةِ النون.

٢- لزوم حركتها، وامتناعها من الانتقال من الضم إلى غيره، وليس ما عداها كذلك.

٣- تكرر النون، وكثرة دورها، ولم يكن ذلك في غيرها<sup>(١)</sup>.

وأما العلة الأولى فعلى الرغم مما يبدو عليها من صحة، كان ينبغي أن يجري على الصور المشابهة نحو «ما يَكُونُ لي»<sup>(٢)</sup>.

وأما العلة الأخرى فيبدو أنها مقنعة، خاصة التعليل بكثرة الدور في الكلام، فكلما كَثُرَ شِيوع صوت من الأصوات في الاستخدام اللغوي.. كان أكثر تعرضاً للتغيير، وكذلك الابنية والصيغ. وبعد. فذلك جملة ما ورد من الإدغام الكبير في ضوء ما ذكره ابن الجزري وبعض علماء القراءات، واستطيع من خلال ما أورده ابن الجزري في الإدغام- بصفة عامة - أن أخرج بالنتائج الآتية:

أولاً: يتفق ابن الجزري مع أكثر العلماء في مفهوم الإدغام الذي لا يعني أكثر من فناء صوت في آخر.

ثانياً: العلاقة التي تُسَوِّغُ الإدغام هي المثلية، والتجانس، والتقارب.

ثالثاً: يأتي الإدغام على صور ثلاث، منها صورتان جائزتان، وهما - إدغام صوت ضعيف في قوي، وإدغام متساويين في القوة والضعف، والصورة الثالثة ممتنعة، وهي إدغام صوت قوي في ضعيف.

رابعاً: الصوتان المتقاربان إذا أدغما بعضهما في بعض، فلا يفنيان مطلقاً، بل يُلْفِظُ بهما على الصحيح.

خامساً: أن الكلمة الصوتية الطويلة تستجيب للإدغام أكثر من الكلمة القصيرة التي تقاوم الإدغام، والتغيير على وجه العموم.

سادساً: لا يجتمع في الكلمة الصوتية الواحدة إدغامان، كما لا يجتمع فيهما تغييران - بصفة عامة-.

سابعاً: ليس للصفات الصوتية المتميزة أهمية عند الإدغام، فالصغير، والاستطالة، والنقشي، والتكرار، والغنة، والاستعلاء لا تعد حاجزاً حاصلاً يحول دون الإدغام.

ثامناً: يتطلب الإدغام الصغير عمليتين لإتمامه، هما، القلب، ثم النطق الموحد، في حين أنه يتطلب في الإدغام الكبير ثلاث خطوات، هن - الحذف والقلب، ثم النطق الموحد.

(١) الإدغام الكبير، لوحة ١٨ب، الإقناع ٢٣٠/١.

(٢) [المائدة: ١١٦].



تاسعاً: يكثر وقوع الإدغام الكبير في الكلمتين، ولا يقع في الكلمة الواحدة إلا في صورة واحدة.

عاشراً: اعتمد ابن الجزري في تعليل بعض صور الإدغام على الرواية، ولم يعتد بالقياس في الصور المشابهة.

حادي عشر: اعتمد - أيضاً - في تعليل كثير من صور الإدغام التي خرجت على الشروط المحددة على ثقل الضمة والكسرة.

ثاني عشر: أن الإدغام الكبير يُلغى الحركة الإعرابية، كما يؤدي في بعض صورهِ إلى التقاء ساكنين.

ثالث عشر: وضع ابن الجزري للإدغام إطاراً محدداً، وتصوراً دقيقاً لا يخرج عنه إلا في حالاتٍ تبيحها الرواية القرآنية، ولها وجه في اللغة، ولذا فإن ابن الجزري أكثر دقة من مكّي، ومن اللغويين الذين ذكروا فيما سبق.

هذه هي النتائج الخاصة لدراسة ابن الجزري عن الإدغام، أما النتائج العامة لدراسته عن التماثل بين الأصوات الصامتة فهي لا تكاد تخرج عما سبق ذكره من نتائج عند العلماء الذين تعرضت لهم هذه الدراسة، مما يغني عن تكرارها.

المبحث الثاني  
الظواهر الصوتية في الصوائت عند ابن الجزري  
الإمالة  
الفتح والإمالة بين اللفظين  
حكم الإمالة  
فائدة الإمالة  
موانع الإمالة  
أسباب الإمالة عند ابن الجزري  
إمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف  
أسباب الإمالة في كتب الاحتجاج

## الفتح والإمالة وبين اللفظين:

الفتح: "عبارة عن النطق بالألف مركبة على فتحة خالصة غير ممالة إلى مصاف الكسر، وتحديدته: أن يؤتى به على مقدار انفتاح الفم"<sup>(١)</sup>.

ورأى أحمد بن محمد الجزري أنّ الفتح: "هو عبارة عن فتح القارئ لفيه بالألف، وما قبلها فتحا مستقيماً"<sup>(٢)</sup>.

ويطلق على الفتح مصطلح النصب<sup>(٣)</sup>، أو التخميم<sup>(٤)</sup>، ومصطلح قديم آخر وهو الفجر<sup>(٥)</sup>.

### والفتح على قسمين:

شديد: وهو نهاية فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف الذي بعده ألف، والقراء يعدلون عنه، ولا يستعملونه وأكثر ما يوجد في ألفاظ أهل خراسان، ومن قرب منهم"<sup>(٦)</sup>.

وهو عند أحمد بن محمد الجزري: "التخميم كما يتلفظ به العجم فإنّ ذلك لا تجوز القراءة به"<sup>(٧)</sup>.

متوسط: هو "ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القراء"<sup>(٨)</sup>. وصفه أحمد بن محمد الجزري بأنّه: "ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة"<sup>(٩)</sup>.

### والإمالة:

"أن تتحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض، ويقال له: الإضجاع، ويقال له: البطح، وربما قيل له الكسر أيضاً (وقليلاً) وهو بين اللفظين، ويقال له التقليل، والتلطيف، وبين بين، فهي بهذا الاعتبار تنقسم إلى قسمين: إمالة شديدة وإمالة متوسطة، وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب"<sup>(١٠)</sup>.

### حكم الإمالة:

(١) ينظر: التمهيد، ص ٧١-٧٢.

(٢) شرح طيبة النشر، ص ١١٥.

(٣) ينظر: المقتضب، ج ٣، ص ٤٢.

(٤) ينظر: النشر، ج ٢، ص ٢٩.

(٥) ينظر: التمهيد، ص ٧٢.

(٦) ابراز المعاني، ص ٢٠٣.

(٧) شرح طيبة النشر، ص ١١٥، وينظر: النشر، ج ٢، ص ٣٠.

(٨) ابراز المعاني، ص ٢٠٤.

(٩) شرح طيبة النشر، ص ١١٥.

(١٠) النشر ٢: ٣٠ وينظر المفصل، ج ٢، ص ٢٢٨.

والإمالة جائزة لا واجبة بدليل اختلاف العرب في استعمالها فمنهم من أمال ومنهم من لم يمل<sup>(١)</sup> فالإمالة لغة هوازن، وبكر بن وائل، وسعد ابن بكر<sup>(٢)</sup> وتميم. وأسد فالإمالة تنسب إلى قبائل البادية في وسط شبه الجزيرة وشرقيها، وغالباً ما يذهب الحجازيون إلى الفتح<sup>(٣)</sup> ويقول السيوطي: "ثم الإمالة جائزة لا واجبة بالنظر إلى لسان العرب"<sup>(٤)</sup>، ويردّ السيوطي في الإتيان على من حكموا عليها بالكراهة بقوله: "كره قوم الإمالة لحديث "نزل القرآن بالتفخيم"<sup>(٥)</sup>، وأجيب عنه بأوجه: أحدها أنه نزل بذلك ثم رخص في الإمالة، ثانيها: أن معناه أنه يقرأ على قراءة الرجال لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء، ثالثها: أن معناه أنزل بالشدة والغلظة على المشركين... رابعها: أن معناه بالتعظيم والتجليل، أي: عظموه وبعجلوه فخص بذلك على تعظيم القرآن وتبجيله، خامسها: أن المراد بالتفخيم تحريك أو ساط الكلم بالضم والكسر في المواضع المختلف فيها دون إسكانها لأنه أشبع لها وأفخم"<sup>(٦)</sup>. ومع هذه الأوجه المتعددة التي خرج بها الحديث فإننا وجدنا ابن الجزري يذكر أن الإمالة من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم معتمداً في ذلك على ما نقله عن أبي عمرو الداني من إسناده حديث حذيفة بن اليمان أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين"<sup>(٧)</sup> قال (الداني) فالإمالة لا شك من الأحرف السبعة ومن لحون العرب وأصواتها"<sup>(٨)</sup>. بل إن البعض قد صرح بأن النبي ﷺ كان ينطق بالإمالة، فقد ذكر السيوطي أن صفوان بن عسال سمع رسول الله ﷺ يقرأ: "يا يحيى" فقليل له يا رسول الله تميل وليس هي لغة قريش فقال: هي لغة الأخوال بني سعد"<sup>(٩)</sup> ولقد ذكر العلماء أن معظم القراء العشرة كانوا يميلون إلا ابن كثير<sup>(١٠)</sup>، ويستطيع أن يرجع إلى كتب القراءات<sup>(١١)</sup> من يريد بمواضع الإمالة في القراءات القرآنية، وسأكتفي هنا بذكر بعض ما يدخل تحت ضابط

(١) ينظر: همع الهوامع، السيوطي، ج ٢، ص ٢٠٠.

(٢) السابق الصفحة نفسها، وينظر: منجد المقرئين، ص ٦٠.

(٣) ينظر المحيط، ج ١، ص ٩٤.

(٤) الهمع، ج ٢، ص ٢٠٠.

(٥) الحديث في المستدرک على الصحيحين للحاكم، ج ٢، ص ٢٣١، ويقول: الذهبي عنه (لا والله العوفي مجمع على ضعفه ويكار ليس بعمده والحديث واه منكر).

(٦) الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي، ج ١، ص ٩٣.

(٧) الحديث في جامع الأصول: ٢: ٤٩٥ ولطائف الإشارات ٢١٨.

(٨) النشر، لابن الجزري، ج ٢، ص ٣٠.

(٩) الإتيان، للسيوطي، ج ١، ص ٩١.

(١٠) السابق، ج ١، ص ٩٠، ٩١.

(١١) ينظر: النشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٢٩، والسبعة في القراءات، لابن مجاهد، ص ٤٥.

معين، منها: أن حمزة والكسائي وخلفا أمالوا كل ألف منقلبة عن ياء حيث وقعت في القرآن، سواء كانت في اسم نحو: الهدى والهوى أو فعل نحو: أتى وأبى<sup>(١)</sup>. وكذلك أمالوا كل ألف تأنيث جاءت من (فعلى) مفتوح الفاء، نحو موتى، أو مضمومها نحو: طوبى أو مكسورها نحو إحدى<sup>(٢)</sup>. وكذلك أمالوا ما رسم في المصاحف بالياء، نحو متى وبلى<sup>(٣)</sup> ووافقهم أبو عمرو من جميع ما تقدم على ما كان فيه راء بعدها ألف ممالاة بأي وزن كان، نحو ذكرى وبشرى وأسرى<sup>(٤)</sup> وأمال أبو عمرو والكسائي كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة، سواء كانت الألف أصلية أم زائدة نحو الدار والغار والقهار<sup>(٥)</sup>. وأمال حمزة الألف من عين الفعل الماضي من عشرة أفعال وهي: زاد وشاء وجاء وخاب وران وخاف وزاغ وطاب وضاق وحاق حيث وقعت وكيف جاءت<sup>(٦)</sup>، وأمال الكسائي هاء التأنيث وما قبلها في الوقف، وعندما قيل له: (إنك تميل ما قبل هاء التأنيث فقال: هذا طباع العربية، وقال الحافظ أبو عمر الداني: يعني بذلك أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة وهي باقية فيهم إلى الآن وهم بقية أبناء العرب يقولون: إأخذته أخذه وضربته ضربه"<sup>(٧)</sup>).

وأمال حمزة والكسائي وخلف وابن عامر وأبو بكر (الر) في أول يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر، (والمر) أول الرعد<sup>(٨)</sup>.

### فائدة الإمالة:

هي: تتناسب الأصوات وصيرورتها من نمط واحد وبيان ذلك أنك إذا قلت عابد كان لفظك بالفتحة والألف تصعدا ً واستعلاء فإذا عدت إلى الكسرة كان انحداراً وتسفلاً، فيكون في الصوت بعض اختلاف فإذا أملت قرب من الياء وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة فتقارب الكسرة الواقعة بعد الألف وتصير الأصوات من نمط واحد<sup>(٩)</sup> فالإمالة قصد بها: أن يتناسب الصوت فيتشابه ولا يتباين<sup>(١٠)</sup> وعن طريقها يمكن تحقيق الانسجام الصوتي<sup>(١١)</sup>،

(١) النشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٣٥، وحمزة من قرأ الكوفة ينظر: غاية النهاية، ج ١، ص ٥٣٥.

(٢) ينظر: النشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٣٦.

(٣) السابق ج ٢، ص ٣٧.

(٤) السابق، ج ٢، ص ٤٠.

(٥) السابق، ج ٢، ص ٥٤، ٥٥.

(٦) السابق، ج ٢، ص ٥٩.

(٧) السابق، ابن الجزري، ج ٢، ص ٨٢.

(٨) السابق، ج ٢، ص ٦٦ وابن عامر هو عبد الله ابن عامر ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، ١: ٤٢٣، وأبو بكر: هو

شعبة ابن عياش، ينظر: غاية النهاية ١: ٣٢٥.

(٩) شرح التصريح على التوضيح، ج ٢، ص ٣٤٦، وشرح المفصل، ابن يعيش، ج ٩، ص ٥٦.

(١٠) التكملة، ص ٥٢٧.

(١١) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص ٢٠١.

والاقتصاد في الجهد العضلي كما أن ابن الجزري، قد توصل إلى تعليل مقنع بقوله: "وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو أصل"<sup>(١)</sup>.

### موانع الإمالة:

يمنع إمالة الألف ثمانية أحرف هي الراء و أصوات الاستعلاء السبعة، وأصوات الاستعلاء إذا جاء بعدها الألف تمنع الإمالة؛ لأنها أصوات مستعلية إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، وعلى هذا الأساس يكون العمل من وجه واحد أخف للصوتين إذا تقارب موضعهما<sup>(٢)</sup>، وقريب من هذا ما ذكره الأشموني: "أن السبعة الأولى تستعلي إلى الحنك فلم تمل الألف معها طلباً للمجانسة، وأما الراء فشبهت بالمستعلية لأنها مكروره"<sup>(٣)</sup>.

وهذه الحروف المانعة من الإمالة إما أن تأتي متأخرة عن الألف، أو متقدمة عليها، فإن تأخرت عن الألف يشترط فيها - لكي تمنع الإمالة - أن تكون متصلة بها، وذلك نحو: ناصح وناضج وباطل وناظر وفاقد وراغب، فلا تمال الألف في هذه الكلمات لاتصالها بأحد حروف الاستعلاء. أما إذا فصلت هذه الأحرف عن الألف بحرف مثل: ناشط، أو حرفين مثل: مواثيق ومواعيظ فالأكثر عدم الإمالة، وحكى سيبويه أن قوماً أمالوا حين تراخت حروف الاستعلاء عن الألف وهي قليلة<sup>(٤)</sup>، وذهب المبرد إلى منع الإمالة في مناشيط وأخواتها<sup>(٥)</sup>، وجعل أبو حيان الفصل بين حروف الاستعلاء والألف بحرف كعدم الفصل في منع الإمالة بقوله: "وإذا تأخر عن الألف حرف استعلاء متصل نحو: ناقد وعاطس وساقط وعاضب وباخل ولاغب وخاظل أو بينهما حرف نحو: نافخ وناقق وسامط وناهض وواعظ وداحض غلب المستعلي الكسرة، ولايميلها أحد إلا من لا يؤخذ بلغته، فإن كان الفصل بحرفين نحو: مناشيط ومغاليط ومغاريض ومواعيظ ومباليغ ومنافخ ومساليخ فالنصب هو الكثير"<sup>(٦)</sup>.

(١) النشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٣٥.

(٢) ينظر: الكتاب، لسيبويه، ج ٢، ص ٢٦٤، والتكملة، ص ٥٣١، والمقتضب، ج ٦، ص ٤٦٦.

(٣) شرح الأشموني على الألفية، ج ٣، ص ١٤٧.

(٤) ينظر: الكتاب، لسيبويه، ج ٤، ص ١٣٠.

(٥) المقتضب، للمبرد، ج ٢، ص ٤٧.

(٦) ارتشاف الضرب، ج ١٢٣٨، ص ٢٣٩.

أما إذا تقدمت الحروف المانعة من الإمالة على الألف فيشترط فيها - لكي تمنع الإمالة - أن لا تكون هذه الحروف مكسورة أو ساكنة بعد كسر، فإن كانت هذه الحروف مكسورة مثل: طلاب وقاتل وغلاب أو ساكنة بعد كسر<sup>(١)</sup> مثل: إصلاح ومطواع وإرشاد جازت إمالة الألف في كل ذلك.

هل تجوز إمالة الألف مع وجود هذه الحروف الثمانية السابقة؟ سبق أن ذكرت أن هناك حروفا ثمانية تمنع الألف من الإمالة سواء تأخرت أم تقدمت، ولكن الراء المكسورة تبطل عمل حروف الاستعلاء فتزد الكلمة إلى الإمالة، وعلى ذلك يمال نحو: على أبصارهم، ونحو: غارم وضارب، ولا أثر لحروف الاستعلاء ولا للراء غير المكسورة لوجود الراء المكسورة.

وترد الراء المكسورة الألف إلى الإمالة إذا كانت متصلة بها فإن كانت منفصلة فلا تؤثر نحو: بقادر<sup>(٢)</sup>، يقول سيبيويه: "واعلم أن الذين يقولون هذا قارب (فيميلون) يقولون: مررت بقادر، ينصبون الألف ولم يجعلوها حيث بعدت تقوى"<sup>(٣)</sup> وقد ذكر النحاة أن شرط تأثير سبب الإمالة أن يكون من الكلمة التي فيها الألف، فلا تمال ألف: سابور للياء قبلها في قولك: رأيت يدي سابور، ولا ألف (مال) للكسرة قبلها من قولك: لهذا الرجل مال، وكذلك لو قلت: ها إن ذي عذرة لم تمال ألف (ها إن) لكسرة (إن) لأنها من كلمة<sup>(٤)</sup>، يقول ابن مالك: "ولا يؤثر سبب الإمالة إلا وهو بعض ما الألف بعضه"<sup>(٥)</sup>.

وصوت الراء يمنع الإمالة إذا كان مفتوحا أو مضموما<sup>(٦)</sup>.

### أسباب الإمالة:

تتحصر أسباب الإمالة بثلاثة أمور رئيسة:

الإمالة بسبب الكسر.

الإمالة دلالة على الأصل.

الإمالة للإمالة<sup>(٧)</sup>، وهناك من جعل علل الإمالة أكثر من اثنتي عشرة علة<sup>(١)</sup>.

(١) بعض العرب يمنع الإمالة في الساكن إثر كسر لأجل حرف الاستعلاء، ينظر: ارتشاف الضرب: ١: ٢٣٩ وشرح الأشموني: ٤: ١٤٨.

(٢) بعض العرب يجيز تأثير الراء المكسورة في إمالة الألف المنفصلة عنها. ينظر: ارتشاف الضرب: ١: ٢٤٠، وشرح الأشموني: ٤: ١٤٨، ١٤٩.

(٣) ينظر: المقتضب، ج ٣، ص ٤٨-٥١.

(٤) يستثنى من ذلك ألف (ها) التي هي ضمير المؤنثة في نحو: لم يضرها... فإنها قد أميلت وسببها من كلمة أخرى ينظر: شرح الأشموني: ٤: ١٤٩.

(٥) تسهيل الفوائد، ابن مالك، ص ٣٣٦.

(٦) ينظر: الكتاب، لسيبيويه، ج ٤، ص ١٣٦.

(٧) ينظر: الكشف، ج ١، ص ١٧.

وذكر أحمد بن محمد الجزري أمثلة للإمالة لكنه لم يشر إلى الأسباب الرئيسة بطريقة مفصلة، وإنما اكتفى بعرض أمثلة لما يندرج ضمن هذه الأسباب<sup>(٢)</sup>.

### ١- الإمالة بسبب الكسر:

ذكر سيبويه أنّ الألف تمال إذا تبعثها كسرة، أو سبقتها كسرة<sup>(٣)</sup>. وقال: "اعلم أنّ الألف إذا دخلتها الإمالة دخل الإمالة ما قبلها"<sup>(٤)</sup>، فالألف عند سيبويه قد أميلت لأجل الكسرة التي بعدها، أما الحركة التي قبلها فإنها تمال بسبب إمالة الألف، فالحركة قبل الألف إنما كانت بسببه، ولمناسبته فتغير أذن بتغيره، وربما لا يوجد ما هو مفتوح قبل الألف، وما يقال لنا من أنّ ما قبل الألف صوت مفتوح إن هو إلا تصور منطقي للحركات لا وجود له في الأصوات<sup>(٥)</sup>. ولم يشر أحمد بن محمد الجزري إلى ما يصيب الألف أو الذي يسبقها من تغير عند الإمالة. ومن أمثلة ما أميل بسبب الكسرة حركة إعراب<sup>(٦)</sup>. وقد أشار أحمد بن محمد الجزري إلى هذا النوع من الإمالة قائلاً: "إنّ ما أميل لأجل كسرة: كالدّار، والحمّار، والنار، والأبرار، والناس، والمحراب، فلا يمنع ما أدغم منه أو وقف عليه بالسكون إمالته محضة كانت، أو بين بين، لعروض ذلك"<sup>(٧)</sup>.

فهو يرى أنّ إدغام هذه الكلمات، أو الوقف عليها بالسكون ليسا سببا في منع الإمالة؛ لأنّهما عارضان، وذكر أحمد بن محمد الجزري أمثلة على إدغام هذه الكلمات: كقوله تعالى: ﴿الأبرار لفي﴾<sup>(٨)</sup> كذلك ذكر أمثلة على الوقف بالسكون في هذه الكلمات نحو ﴿الدّار﴾<sup>(٩)</sup>، ﴿النّار﴾<sup>(١٠)</sup>(١١)، وإمالة ﴿المحراب﴾<sup>(١٢)</sup>، يشوبها من الضعف؛ لأنّ الرّاء مفتوحة قبل الألف وهي بهذا تمنع الإمالة وأيضا الكسرة حركة إعراب غير لازمة، وهذا لا يعني أنّها لا تحوي على نقاط قوة تعين على الإمالة، فالكسرة الموجودة على الميم تقوي الإمالة قليلا، والكسرة الموجودة على الباء أيضا، وكلا السببين يجيز الإمالة قليلا، فلمّا اجتمعا قويت

(١) ينظر: النشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٣٢.

(٢) ينظر: الكتاب، لسبويه، ج ٢، ص ٢٥٩، وشرح المفصل، لابن يعيش، ج ٩، ص ٥٤.

(٣) ينظر: الموضح، ج ١، ص ٢١٠.

(٤) الكتاب، لسبويه، ٢: ٢٦٣.

(٥) ينظر: الدراسات اللّغوية والصوتية عند ابن جني، ص ٢٠١.

(٦) ينظر: الكشف: ١: ١٧٠.

(٧) شرح طيبة النشر، ص ١٣٠.

(٨) [المطففين: ٢٢].

(٩) [البقرة: ٩٤].

(١٠) السابق، الصفحة نفسها.

(١١) [البقرة: ٢٠١].

(١٢) [آل عمران: ٣٩].



الإمالة بعض الشيء<sup>(١)</sup>. ومما يمال لأجل الكسرة أيضا هو: وجود الكسرة على راء مكرورة، وتكون الإمالة هنا بسبب الكسرة الموجودة بعد الألف، والكسرة على الراء أقوى منها في غيرها للتكرير الذي فيها<sup>(٢)</sup>.

وأشار ابن الجزري إلى إمالة الألف: "إذا وقعت الراء المكسورة مكرورة نحو: القرار، ومع الأبرار، ومن الأشرار"<sup>(٣)</sup>.

وتوالي الكسرات يؤدي إلى الإمالة كما في «كافرين»<sup>(٤)</sup>. وذكر ابن الجزري إمالة (كافرين) كيف أتى بالياء معرفا، أو منكرا ومجرورا، أو منصوبا، وتكون الإمالة هنا بين بين عن الأزرق<sup>(٥)</sup>. إن المجانسة الصوتية الناتجة عن توالي الكسرات هي التي أدت إلى إمالة الألف نحو الياء، ولعل كثرة دوران الكلمة هو أحد أسباب إمالتها إلى جانب ما ذكرناه من أسباب. إن إمالة الكسرة التي هي حركة بناء أقوى من إمالتها وهي حركة إعراب، لأنها ثابتة في البناء أما في الإعراب فهي ملتزمة بحالة الخفض.

ومن أمثلة الإمالة للكسرة إمالة عين الفعل والذي تفرد بإمالاته حمزة في نحو «زاد»<sup>(٦)</sup>، «جاء»<sup>(٧)</sup>، «شاء»<sup>(٨)</sup>، «خاب»<sup>(٩)</sup>، «طاب»<sup>(١٠)</sup>.

وسبب الإمالة هو أن الأول منها ينكسر عند الإخبار في قولك جنّت، وشئت وخفت وزغت، وأقواها في الإمالة "جاء وشاء" لأنّ الأول ينكسر عند الإخبار (جنّت وشئت)، وكذلك أن أصل الألف الممالة ياء، والهمزة في آخرها والعين في المستقبل مكسورة<sup>(١١)</sup> أما وجهة النظر الحديثة فتري أن جهد الجهاز الصوتي أقل في (جاء، وشاء) من باقي الأفعال<sup>(١٢)</sup> ففي نطق الهمزة هناك انطباق تام للحظة، ثم انفراج في الوترين الصوتيين اللذين كانا في حالةذبذبة للإمالة أي انطباق وانفراج سريع جداً، ثم بعد التوقف للهمزة يعودان للانفراج ثم الانطباق، والانفراج السريع من أجل جهر الفتحة فالعملية أيسر نسبياً من أعمال أعضاء أخرى في الجهاز

(١) وقد أمال «المحراب» الكسائي وأبو عمرو، ينظر الكشف ١: ١٧٢، والنشر ٥٩: ٢.

(٢) ينظر الكشف ١: ١٧١، ١٧٢، ارتشاف الضرب ١: ٢٤٠.

(٣) ذكر ابن الجزري أن الإمالة هنا لأبي عمرو والكسائي وخلف وينظر: شرح طيبة النشر ١٢٥

(٤) [البقرة: ١٩].

(٥) ينظر: شرح طيبة النشر ١٢٦، وذكر ابن الجزري أن من أمال (كافرين) كيف أتت أبو عمرو والكسائي والدوري،

ينظر التيسير ٥٢ وإبراز المعاني ٢٣٣ والنشر ٥٩: ٢.

(٦) [التوبة: ١٢٤].

(٧) [النساء: ٤٣].

(٨) [البقرة: ٢٠].

(٩) [إبراهيم: ١٥].

(١٠) [النساء: ٣].

(١١) ينظر: الكشف ١: ١٧٤.

(١٢) ينظر: القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، ص ١٣٠.

الصوتي بعد الألف الممالة. فليست الإمالة أقوى في مثل هذه الأفعال بل جهد الجهاز الصوتي أقل فيها من غيرها كما في الأفعال زاد وخاب وطاب.

## ٢ - الإمالة على الأصل:

هي أكثر أنواع الإمالة فتعال الألف التي أصلها ياء سواء أكانت اسما أم فعلاً<sup>(١)</sup> وقال ابن الجزري: "أما ألفات نوات الياء والمراد بذوات الياء ما أصل ألفه ياء وانقلبت الألف عنه، هذا هو الأصل في ذلك، وما ألحق به فمحمول عليه كتابة وإمالة<sup>(٢)</sup> وذكر طريقة معرفة أصل الألف في الأسماء قائلاً: "إن أردت معرفة أصل الألف في الأسماء فتن الاسم فإن ظهرت فيه الياء علم أنها أصل الألف التي في المفرد فلم نمل نحو (الفتى، والصفاء) فنقول في الأول فتين، وفي الثاني صفوان<sup>(٣)</sup>، أما طريقة معرفة أصل ألف الفعل فهي بأن يرد: "فعل الألفات التي يراد إمالتها إليك.... فنقول إذا ردّ الفعل إلى نفسك اشتريت، واستعليت، وأتيت<sup>(٤)</sup>".

فالألف تعال إذا كان أصلها ياء سواء أكانت فعلاً نحو ﴿رمى﴾<sup>(٥)</sup>، أو اسماً نحو ﴿الهدى﴾<sup>(٦)</sup>، وتمال الألف أيضاً إذا وقعت رباعية في فعل زاد على ثلاثة أحرف وإن كان أصلها الواو نحو ﴿زكى﴾ لأنك تقول زكيت هذا فيما يخص الألف الأصلية التي تعال دلالة على أصلها وهو الياء فينحى بها نحو الياء وينحى بالفتحة التي قبلها نحو الكسرة<sup>(٨)</sup>. والألف الزائدة تجري على حكم الأصلية فتعال نحو: إمالة ألف (فعالي)، وأشار ابن الجزري إلى إمالة (فعالي) سواء كانت بالفتح أو بالضم نحو: ﴿فرادى﴾<sup>(٩)</sup> ومنه أيضاً إذا سبقت الألف براء وما فيه ألف تأنيث، وألف التأنيث زائدة غير منقلبة عن شيء لكنها لما انقلبت ياء في التثنية والجمع، وأيضاً الكسر الذي يلحقها أشبهت نوات الياء.

## الإمالة للإمالة:

إن الإمالة للإمالة تكون على ضربين:

(١) ينظر: الكشف: ١، ١٧٧، ١٧٨.

(٢) شرح طيبة النشر، ص ١١٥.

(٣) السابق، ص ١١٥.

(٤) السابق، الصفحة نفسها.

(٥) [الأفعال: ١٧].

(٦) وأمال الألف حمزة والكسائي ينظر شرح طيبة النشر ١١٩-١٢١، وينظر الكشف: ١، ١٧٧، ١٧٨.

(٧) [البقرة: ١٩٦].

(٨) ينظر: شرح طيبة النشر ١١٦، والكشف: ١، ١٧٧ - ١٦٨، والنشر ٣٤: ٢.

(٩) [الأنعام: ٩٤].

الأول: أن تمال فتحة في كلمة؛ لإمالة فتحة في تلك الكلمة... فأما أن يمال الثاني؛ لإمالة الأول، أو يمال الأول؛ لإمالة الثاني.

الثاني: أن تمال فتحة في كلمة؛ لإمالة مثل تلك الفتحة في نظير تلك الكلمة في الفواصل كقوله تعالى: ﴿والضحى﴾<sup>(١)</sup> أميل؛ ليزواج ﴿قلى﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلتها أيضا: إمالة ﴿رأى﴾<sup>(٣)</sup>، و﴿رأه﴾<sup>(٤)</sup>، ﴿رآك﴾<sup>(٥)</sup> وقد أمليت الألف التي بعد الهمزة، لتقرب من أصلها وهو الياء، وعلى هذا الأساس أمليت فتحة الهمزة؛ ليوصل بذلك إلى إمالة الألف، وأمليت الراء لأنها تليبت بحرفين ممالين.

وذكر ابن الجزري إمالة الراء من ﴿تراءى الجمعان﴾<sup>(٦)</sup> في الوصل أمّا في الوقف فتمال الهمزة أيضا من أجل الألف المنقلبة عن الياء، فقد وقف حمزة على (تراءى الجمعان) واجتمع في وقفه أربعة أحرف مماله هي: الراء، والألف التي بعدها، والهمزة والألف التي بعدها حيث يقف حمزة على الألف التي بعد الهمزة بالإمالة؛ لأنّ أصلها (رأى) وسبب إمالته هو تقريب الألف من أصلها وهو الياء، ولا يمكن إمالة الألف ما لم تمل الفتحة التي قبلها نحو الكسرة، لذلك أمليت الفتحة الموجودة على الهمزة الموجودة قبل الألف، ومن شأنه تخفيف الهمزة في الوقف فيخففها بعد ألف مماله، ولا يمكن إمالة الألف التي بعد الراء ما لم تمل الفتحة الموجودة على الراء نحو الكسرة<sup>(٧)</sup>.

إمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف:

المراد بهاء التأنيث: ما كانت في الوصل تاء فأبدلت في الوقف هاء سواء أكانت للتأنيث نحو (رحمة، ونعمة) أو مشابهة له نحو (همزة، وخليفة).

لقد اختلف في محل الإمالة في هذا الباب، فقال قوم محلها الحرف الذي قبلها، فإنّ التغير إلى الكسر يدخله وهي على ما كانت عليه، وقال آخرون محلها الحرف الذي قبلها والهاء، وهو ما اختارها الداني، والشاطبي، وابن الجزري.

وإن من موجبات الفتح ما فيه قبل هاء التأنيث أحد هذه الأصوات وهي أصوات الاستعلاء: (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والغين، والحاء، والقاف) والحاء والعين وهما صوتان حلقيان والصوت العاشر هو الألف.

(١) [الضحى: ١].

(٢) [الضحى: ٣].

(٣) [الأنعام: ٧٦].

(٤) [النمل: ٤٠].

(٥) [الأنبياء: ٣٦].

(٦) [الشعراء: ٦١].

(٧) ينظر: النشر: ٢: ٧٤-٧٥.

كذلك أصوات كلمة (اكهر) كالأصوات العشرة السابقة في منع الإمالة إلا إذا جاءت بعد كسرة، أو ياء ساكنة فإنها تمال، ومنع إمالة هاء التأنيث إذا جاء قبلها أحد أصوات الاستعلاء هو أنها لما منعت من الإمالة مع الألف كان منعها من الإمالة مع الهاء المشبهة بالألف أولى.

وللتشبه بين الألف وهاء التأنيث وجوه منها:

١- قرب المخرج من الألف.

٢- إنها زائدة كالألف للتأنيث،

٣- الهاء تدل على التأنيث كالألف.

٤- تسكن الهاء في الوقف كالألف.

٥- إن ما قبل الهاء لا يكون إلا مفتوحا كالألف.

فلما تمكن الشبه في الوقف بالسكون أجرى الكسائي الهاء مجرى الألف في الوقف، فأمال ما قبلها من الفتح فقربه من الكسر كما يفعل بألف التأنيث غير أن ألف التأنيث عند الإمالة تقرب نحو الياء، وليست الهاء كذلك فإن وصل فتح؛ لأنها تصير تاء فلا تشبه الألف حينئذ، فلذلك حسن الوقف بالإمالة<sup>(١)</sup>. ويمكن إجمال أسباب الإمالة فيما ذكرته كتب الاحتجاج فيما يلي:

١- ياء متقدمة، نحو: عيلان وشيبان<sup>(٢)</sup>(٣).

٢- كسرة متقدمة، نحو: كتاب وسربال<sup>(٤)</sup>(٥).

٣- ياء متأخرة، نحو: مبايع<sup>(٦)</sup>.

٤- كسرة متأخرة، نحو: عالم ومسافر<sup>(٧)</sup>(٨).

٥- ياء مقدرة، نحو: رمى، وقضى، والهوى<sup>(٩)</sup>.

٦- كسرة مقدرة، نحو: خاف، أصله: خوف بكسر العين<sup>(١٠)</sup>.

٧- ياء عارضة، نحو: دعا وغزا، فالألف في هذين الفعلين ونحوهما أصلها واو، غير

أنها تعود في بعض التصاريف ياء، نحو: دعا وغزا<sup>(١١)</sup>.

(١) ينظر: النشر ١: ٢٠ وما بعدها وينظر الكشف ١: ٢٠٣ والهداية ١: ١٢٠١.

(٢) ينظر: الموضح ١: ٢١٠.

(٣) ينظر: الكتاب ٤: ١٢١، ١٢٢.

(٤) ينظر: الموضح ١: ٢١٠.

(٥) ينظر: الكتاب ٤: ١١٧.

(٦) ينظر: الموضح ١: ٢١٠.

(٧) السابق الصفحة نفسها.

(٨) ينظر: الكتاب ٤: ١١٧.

(٩) ينظر: الكشف ١: ١٧٧، الهداية ٩٣: ١، الموضح ١: ٢١٠.

(١٠) ينظر: الكشف ١: ١٧٥.

(١١) ينظر: الكشف ١: ١٨٩، والهداية ١: ٩٣، والموضح ١: ٢١٠.

- ٨- كسرة عارضة، نحو: خاب وزاد وطاب، لأن أوائل هذه الأفعال ونحوها تتكسر عند إخبار المتكلم عن نفسه: خبت وزدت وطبت<sup>(١)</sup>.
- ٩- الإمالة للإمالة، نحو: رأيت عمادا، " فيميلون الألف المبدلة من التتوين في حال النصب، إمالة ألف عماد التي بعد الميم، وهي التي أميلت لأجل الكسر<sup>(٢)</sup>.
- ١٠- إمالة ألف لشبهها بألف تمال، نحو: معزى وقصارى، وبلى ومتى<sup>(٣)</sup>.
- ١١- الفرق، ومن ذلك إمالة بعض الأحرف المتقطعة في فواتح السور، نحو: ﴿طه﴾<sup>(٤)</sup>، قال مكي: "وعلة الإمالة في ذلك كله أن هذه الحروف ليست بحروف معان ك (ما) و(لا)، إنما هي أسماء لهذه الأصوات... فلما كانت أسماء أمالها من أمالها، ليفرق بالإمالة بينها وبين الحروف التي للمعاني.." <sup>(٥)</sup>.
- ١٢- كثرة الاستعمال، نحو: الناس، والحجاج علماء، "لأنهما كثيرا في الكلام واستجيز ذلك فيهما للكثرة<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: الهداية ١: ١١٤، والكشف ١: ١٧٥، والموضح ١: ٢١٢.

(٢) الموضح ١: ٢١١، وينظر الكشف ١: ١٩١،

(٣) ينظر: الكشف ١: ١٦٨، والهداية ١: ٩٣.

(٤) [طه: ١].

(٥) الكشف ١: ١٨٨، الكتاب ٤: ١٣٥.

(٦) الكتاب ٤: ١٢٧-١٢٨، الموضح ٣: ١٤١٨.

## المبحث الثالث

### مقارنة بين علماء القراءات

### وعلماء اللغة في التماثل بصفة عامة

### والإدغام بصفة خاصة

#### المقارنة بين علماء اللغة وعلماء القراءات:

وانتقل الآن لمقارنة آراء علماء القراءات بآراء علماء اللغة في التماثل - بصفة عامة - ،  
والإدغام - بصفة خاصة، لنرى مدى اتفاقهما أو اختلافهما في ذلك، فأقول: لقد تبين لي -  
من خلال الدراسة السابقة - أن موقف علماء القراءات لا يختلف في هيئته العامة عن  
موقف علماء اللغة وبالذات فيما يتعلق بالإبدال، والإقلاب، والإشمام، والإخفاء.

وأما فيما يتعلق بالإدغام فقد اختلفوا في كثير من صورته، وإليك جدولاً يوضح صور  
الإدغام عند كل فريق، مع ملاحظة أنني استبعدت صوتي الهمزة والألف من الإحصاء،  
وذلك لعدم جريان الإدغام في المتقاربين عليهما، واستبعدت - أيضاً - إدغام المثليين لعدم  
أهميته، كما أنني ضمنت صور الإدغام الكبير إلى الصغير، واعتبرتهما صورة إدغاميةً  
واحدة، دونما نظر إلى ذلك التقسيم وبيان ذلك علي النحو الآتي جدول رقم (٧):

الإدغام عند اللغويين	صور الإدغام عند علماء القراءات
أولاً - الإدغام في منطقة الحلق	
هـ: تدغم في - ح	ع: تدغم في - غ
ع: " - ح - خ - غ	ح: " - ع
ح: " - غ - خ	غ: " - ق

	غ: " خ
	خ: " - غ
<b>ثانياً - الإدغام في منطقة الفم</b>	
ق: تدغم في - ك	ق: تدغم في - ك
ك: " - ق	ك: " - ق
ج: " ش - ض - ت - - ص	ج: " ش
ل: " ن - ر - ط - د - ت - ز -	ل: " ن - ر - ط - د - ت - ز - ص -
ن: " ل - ر - ي - م - و	ن: " ل - ر - ي - م - و
ط: " - ت	ط: " د - ت - ز - س - ص - ظ
ر: " - ل	ذ - ث - ض - ش - ج
د: " - ت - ز - س - ص - ظ - ذ -	د: " ت - ط - ز - س - ص - ظ - ذ -
ت: " - ط - د - ز - س - ص - ظ -	ت: " ط - د - ز - س - ص - ظ - ذ -
ش: " - س	ز: " س - ص
س: " - ز - ش	س: " ص - ز
ض: " - ش - ج - ت - ط - ز - ذ - ظ	ص: " ز - س
ظ: " - ت	ظ: " ذ - ث - ز - س - ص - ط - د - ت
ذ: " - ظ - ز - س - ص - ط - د -	ذ: " ث - ظ - ز - س - ص - ط - د -
ث: " - ذ - ز - س - ص - ط - د	ث: " ظ - ذ - ز - س - ص - ط - د
<b>ثالثاً - الإدغام في منطقة الشفتين</b>	
ب: " - ف - م	ب: " - ف - م
ف: " - ب	و: " - ي

### وبالنظر في هذا الجدول يتضح ما يأتي:

أ- بلغت الأصوات المدغمة عند اللغويين واحداً وعشرين صوتاً، كما بلغت الصور الإدغامية أربع صور ومائة صورة.

ب- بلغت الأصوات المدغمة عند علماء القراءات عشرين صوتاً، كما بلغت الصور الإدغامية ستاً وسبعين صورة.

وفي ضوء ذلك نجد أن مواطن الخلاف بين الفريقين - على وجه الإجمال - تتمثل فيما يلي:

أ- لم يذكر اللغويون مطلقاً - إدغام الأصوات الآتية: الفاء، الراء، الشين، الضاد، وهذا يعني أن علماء القراءات انفردوا بإدغام هذه الأصوات.

ب- لم يذكر علماء القراءات - مطلقاً - إدغام الأصوات الآتية: الهاء، الخاء، الزاي، الصاد، الواو. وذلك يعني تفرد علماء اللغة بإدغام هذه الأصوات .

ج- هناك أصوات اتفقوا من حيث المبدأ على إدغامها، ولكنهم اختلفوا في صورها الإدغامية، أي فيما تدغم فيه. وتفصيل ذلك على النحو التالي.

أولاً: لم يذكر اللغويون الصور الإدغامية الآتية:

أ- إدغام الحاء في: العين.

ب- إدغام الغين في: القاف.

ج- إدغام الجيم في: الضاد - التاء - الصاد.

د- إدغام السين في: الشين.

ثانياً: لم يذكر علماء القراءات الصور الإدغامية الآتية:

أ- إدغام الحاء في: الخاء - الغين.

ب- إدغام الغين في: الخاء.

ج- إدغام العين في: الحاء - الخاء.

د- إدغام الطاء في: الدال - الزاي - السين - الصاد - الظاء - الذال - التاء - الضاد -

الشين - الجيم.

هـ- إدغام الدال في: الطاء.

و- إدغام السين في: الصاد.

ز- إدغام الظاء في: الدال - التاء - الزاي - السين - الصاد - الطاء - الدال -

الضاد - الشين - الجيم.

ح- إدغام الذال في: التاء - الطاء - الضاد - الشين.

ط- إدغام التاء في: الظاء - الزاي - الصاد - الطاء - الدال - الجيم.

وبمقارنة ما ذكره علماء القراءات بما ورد عند اللغويين من الإدغام بصفة تفصيلية - نجد

أنهم انفردوا علي اللغويين بالصور الإدغامية الآتية:

ح+ع: غ+ق: ج+ض: ج+ت: ج+ص: ش+س: ض+ش: ض+ج: ض+ت: ي+ط:

ض+ز: ض+ذ: ض+ظ: ر+ل: س+ش: ف+ب.

ويبلغ هذا ست عشرة صورة. ومما يلاحظ هنا أن الصفات الصوتية المتميزة التي

عدها اللغويون والنحاة من موانع الإدغام، لا تُمثَل شيئاً لدى علماء القراءات. وسبق أن

ذكرت في مبحث اللغويين، أن كل منطقة مخرجيه استقلت بإدغام أصواتها - عدا - ثلاث

-، وقد صرح مكي بهذا القانون العام - كما تقدم -، وبتطبيقه على صور الإدغام عند

علماء القراءات - خاصة على ما انفردوا به - يتضح صحة هذا - أيضاً -، ولم يخرج عنه

سوى مرة واحدة هي إدغام الغين في القاف. وبإحصاء نسبة ما وافق ذلك القانون نجدها تبلغ

٩٣.٧٥%، في حين أنها تبلغ فيما عدا ذلك ٦.٢٥% .



وبتوزيع تلك الصور على المخارج الصوتية الخاصة (الصغرى) - عند علماء القراءات -  
فإنها تكون على النحو الآتي:

### المخارج المتحدة:

وتشمل الصور الآتية: ح+ع، ونسبة ذلك ٦.٢٥ % .

أ- المخارج المتجاورة (المتلاصقة):

وتشمل الصور الآتية: ف+ب: غ+ق: ج+ض: ض+ج: ض+ش، أي بنسبة ٣١,٢٥ %.

### المخارج غير المتجاورة:

١- ما يفصل بينها فاصل واحد: وتشمل: ر+ل، أي بنسبة ٦.٢٥ %.

٢- ما يفصل بينها ثلاثة فواصل: وتشمل: ض+ت: ض+ط، أي بنسبة ١٢.٥٠ %.

٣- ما يفصل بينها أربعة فواصل: وتشمل: ج+ت: ض+ز، أي بنسبة ١٢.٥٠ %.

٤- ما يفصل بينها خمسة فواصل: وتشمل: ج+ص: ش+س: س+ش: ض+ذ: ض+ظ،

أي بنسبة ٣١.٢٥ %.

وبذا يصبح مجموع ما أدغم في أصوات متحدة أو متجاورة ست صور، في حين أنه يبلغ

في الأصوات غير المتجاورة عشر صور.

واستطيع - من خلال هذا - أن أثبت النتائج الآتية:

\* أن نسبة وقوع الإدغام في الأصوات غير المتجاورة، يفوق نسبة وقوعه في الأصوات المتحدة أو المتجاورة (٥٠ و ٦٢: ٥٠ و ٣٧) وكما قلت فيما مضى: إن هذا لا يعطي دليلاً على أن الإدغام يقع بين الأصوات المتباعدة، لأن الحكم على ذلك من خلال التوزيع المخرجي الخاص ليس بدقيق.

\* أن وقوع الإدغام في الأصوات غير المتجاورة له ما يبرره، فهن في بعض تلك الصور إما يتحدن مخرجاً في المنطقة الكبرى (الفم)، وإما يتقاربان في الصفات، وقد تجتمع العلتين معاً، مما يدل على أنه ليس هناك بُعد في إدغام هذه الأصوات.

وإذا أردنا تقسيم صور الإدغام عند علماء القراءات - من حيث الإدغام فيما بينها<sup>(١)</sup> -

فإنها تبدو على النحو التالي:

(١) لأبي عمرو الداني تقسيم للإدغام في حروف المعجم يختلف عن هذا، فهو يقسمها إلي سبعة أقسام دون تحديد لأصوات كل قسم، وهذه الأقسام هي: ما لا يدغم ولا يدغم فيه، وما يدغم ويدغم فيه، وما لا يدغم إلا في مثله خاصة ولا يدغم فيما قاربه، وما يدغم في مثله وفيما قاربه، وما يدغم فيما قرب منه و لا يدغم هو فيما أدغم فيه، وما يدغم في البعيد منه، وما لا يدغم في القريب منه. ينظر: الإدغام الكبير، لوحة ٦ أ. وكما هو ملاحظ فإنه نظر في هذا التقسيم إلي الإدغام بصورتيه: إدغام المثلين، والمتقاربين، في حين أن تقسمي معتمد

- أ- أصوات لا تدغم في غيرها، ولا يدغم غيرها فيها. ويمثلها: ء - ه - خ.
- ب- أصوات لا تدغم في غيرها، ويدغم غيرها فيها، وهي: ي - ز - ص - و - م.
- ج- أصوات تدغم في غيرها، ويدغم غيرها فيها، وهي: ع - غ - ق - ك - ج - ش - ض - ل - ن - ر - ط - د - ت - س - ظ - ذ - ث - ف - ب.
- د- أصوات تدغم في غيرها ولا يدغم غيرها فيها، وهي ح<sup>(١)</sup>.

وبمقارنة هذا بتقسيم سيبويه السابق<sup>(٢)</sup>، واللغويين والنحاة - على وجه العموم - نجد أن الفرق بينهما كبير... وإذا تأملنا هذه الفروق والاختلافات فإنه يمكن رَجْعُهَا للأسباب الآتية:

١- تناول كل فريق للإدغام من زاوية معينة، فاللغويون عالجوه في ضوء المستوى اللغوي العام (لغة العرب)، وهو - كما نعلم - ميدان رحب واسع، يتيح لمن يرتاده قدراً كبيراً من الشمول والاستقصاء.

أما علماء القراءات فقد عالجوه من خلال المستوى اللغوي الخاص (القرآن الكريم)، وهو على الرغم من قدسيته وخصوبته وثرائه - فإنه محدّد مقيد بالنقل والرواية.

٢- عدم ورود بعض التتابعات الصوتية المهيّئة للإدغام في القرآن مطلقاً، كالزاي مع السين، والصاد، والصاد مع الزاي والسين، والغين مع الخاء، والحاء مع الغين... الخ. وأخلص من هذا إلى القول: بأن مجال اللغويين في دراسة الإدغام هو عموم الاستعمال العربي، في حين أنه عند علماء القراءات هو خصوص النص القرآني، والفرق بين المجالين جدٌ كبير.

وقبل أن أنقل إلى مناقشة القوة والضعف في الإدغام (التمائل التام) أود أن أشير إلى أن الإدغام - في معظم أقسامه وصوره - يُعدُّ تماثلاً رجعيّاً، حيث يؤثر الثاني في الأول، كما أن التماثل - بصفة عامة - يعتبر تماثلاً كليّاً، إذ يقع التأثير على خواص الصوت جميعها - مخرجية كانت أو وصفية.

### نظرية القوة والضعف في التماثل التام (الإدغام):

فيه على إدغام المتقاربين فقط، هذا الشيء، وشيء آخر أنه كان في الإمكان اختصار هذه التقسيمات، حيث تبدو بعض الأقسام كالشيء الواحد، فما الفرق بين ما يدغم في البعيد منه، وبين ما يدغم في القريب منه؟!..

(١) د. عبد الصبور شاهين إحصاء مغاير لما ذكرته، وبالتحديد في الأصوات الآتية (غ - ع). فأما الغين فقد عدّها من ضمن الأصوات التي لا تدغم في غيرها، ولا يدغم غيرها فيها، وأما العين فقد صنّفها في الأصوات التي لا تدغم في غيرها، ويدغم غيرها فيها. ينظر: أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ١٥٦.

(٢) ينظر: صور الإدغام عند سيبويه في هذه الرسالة ص ١٣٢ فما بعدها.

ذكرت في مبحثٍ سابق أن سيبويه منع إدغام بعض الأصوات في غيرها، لتفردھا بصفات لا توجد في سواھا، أو تقل في نظام الأصوات، وهذه الصفات بحسب أهميتها: الصفير، والتفشي، والاستطالة، والتكرار، والمد واللين، ثم الغنة، والإطباق.

أما الصفات الأخرى التي تشترك فيها أكثر الأصوات كالجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة، والاستعلاء فهذه لا تمثل شيئاً بالنسبة لامتناع الإدغام.

لقد نظر سيبويه إلى تلك الصفات المتميزة على أنها حقوق لأصوات خاصة ينبغي الاحتفاظ بها عند الإدغام، أو مراعاتها على أقل تقدير.

وفي ضوء هذا أطلق هو وغيره من اللغويين والنحاة قاعدة تنص على أن الإدغام لا يبخص ولا ينقص الأصوات حقها، فكل صوت ذي صفة متميزة لا يدغم فيما هو أنقص منه، والناقص يدغم في الزائد...، إلى غير ذلك من العبارات التي توحى أن الإدغام يقوم على نظرية القوة.

وقد تبين لي أن هذه النظرية - على الرغم من سبق سيبويه بالإيحاء بها - لم تكن واضحة عنده، وضوحها عند علماء القراءات.

أما ابن جنى فليس رأيہ ببعيد عما ذكره سيبويه، على أنه خطى بهذه النظرية خطوة إلى الأمام حينما أطلق صراحة ما يمكن تسميته - من باب المجاز - قانوناً هو أن "المذهب أن تدغم الأضعف في الأقوى"<sup>(١)</sup>، وتلك أول إشارة واضحة - فيما أعلم - لهذه النظرية. وبتتبع رأيہ في ذلك وجد أنه يعد الصفات الآتية: الصفير، والاستطالة والاستعلاء من صفات القوة.

وقد قدّم في أكثر من موضع تفسيرات متعددة لمفهوم القوة، فنراه يذكر مرة أن بعض الألفاظ تؤدي معاني بعضها أقوى من بعض، ويذكر في موضع آخر أن الرء أقوى من اللام، "لأن القطع عليها أقوى من القطع على اللام، وكأن ضعف اللام، إنما أتاها لما تشريه من الغنة عند الوقوف عليها..."<sup>(٢)</sup>، كما أن الطاء والتاء أقوى من الدال، "لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما أقوى منه وأظهر عند الوقوف على الدال"<sup>(٣)</sup>.

ويلمس من هذا أن الصوت يُعدّ قوياً - أيضاً - بوضوحه في السمع، أو ببذل جهد عضلي أكثر في إخراجه.

(١) المنصف ٢: ٣٢٨.

(٢) المصدر نفسه ١: ٥٤. وينظر: المصدر نفسه ١: ٦٥، ٦٦، سر صناعة الأعراب ٢: ٨١٤، ٨٢١.

(٣) الخصائص ١: ٥٤، ٥٥.

ومما أضافه إلى مفهوم القوة - كما تقدم - موقع الصوت...، ولكن على الرغم من هذا كله - فإنه توقف عند حدٍّ معين، ولم يَقم بتحديد مفهوم هذه النظرية تحديداً دقيقاً، كما أنه لم يوضح مقوماتها وأسسها توضيحاً نستطيع من خلاله تبيين ملامح وسمات هذه النظرية، مما يدعوني للقول: إنه اكتفى بوضع التصور العام لها، و" أن مراده من الأقوى غامض لا نستطيع تفسيره في ضوء القوانين الصوتية الحديثة"<sup>(١)</sup>.

وعندما تعرضت لدراسة ظاهرة التماثل عند علماء القراءات - وعلى وجه الخصوص عند مكي- اتضح أنه اعتمد على نظرية القوة اعتماداً كلياً، وجعلها من مصوغات الإدغام الكبرى.

ليس هذا فحسب، بل تجاوز ذلك إلى القول: بأن هذه النظرية تصلح للتطبيق - أيضاً - على ظاهرة أخرى من ظواهر اللغة، وهي - الإبدال.

وفي هذا المقام أطلق هو وغيره من العلماء قانوناً عاماً، مفاده أن من أصول كلام العرب إذا أبدلوا أن يردُّوا الأضعف إلى الأقوى أبداً، وليس من أمرهم ردُّ الأقوى إلى الأضعف<sup>(٢)</sup>. وكانت أولى خطواته في هذا المضمار أن قام بوضع التصور الشامل لهذه النظرية، ثم حدد مفهوم ذلك، والمعايير التي تستند إليها وتقوم عليها.

وقد سبق أن ذكرت مقاييس مكي في قوة الصوت وضعفه بما يغني عن تكرار<sup>(٣)</sup>. ويستنتج من ذلك أن مفهوم القوة والضعف يجري على صفات الأصوات المتميزة والمشاركة - سواء أكان لتلك الصفات مقابل أم ليس لها ذلك -، مما يعطي دلالة على أن المخارج الصوتية لا توصف بضعف أو بقوة.

وبعد ذلك قام مكي بإجراء تلك المقاييس على ما ذكره من صور إدغامية، كان بعضها متفقاً مع النظرية وبعضها لم يأت كذلك. ومجمل القول: أن علماء القراءات أولوا هذه النظرية عناية خاصة، وأقاموا كثيراً من أحكامهم في ضوءها، بل إنهم جعلوها مدار الحديث عن ظاهرة الإدغام، على أن ذلك لا يعني أنهم اتفقوا بشأنها - من حيث الجانب التفصيلي -، فهم وإن كانوا متفقين عليها - فكرةً عامة -، فإنهم مختلفون فيها - مقاييس محددة<sup>(٤)</sup>.

(١) موسيقي الشعر (د. إبراهيم أنيس) ص ٣٠. وينظر: الخليل بن أحمد الفرهيدي (مهدي المخزومي) ص ١٣٧ - ١٣٩.

(٢) ينظر: الكشف ١: ٣٤، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة، ص ٣٣٨.

(٣) ينظر: جدول صفات القوة والضعف عند مكي بهذه الرسالة.

(٤) ينظر - علي سبيل المثال -: الكشف ١٣٨، ١٣٧. التمهيد في علم التجويد، ص ٢٣، ٢٤ لطائف الإشارات ١: ٢٠٤، نهاية القول المفيد، ص ٦٢ - ٦٤.

وهذا جدول توضيحي لصفات القوة والضعف عند علماء القراءات في القديم والحديث  
جدول رقم: (٨).

محمد مكي نصر	شهاب الدين القسطلاني	ابن الجزري	مكي بن أبي طالب القيسي	
الإطباق: الاستعلاء: التكرار: التفخيم: الاستطالة: القعة: الإصمات <sup>(٢)</sup> : القلقلة: الانحراف: الجهر: الشدة	الإطباق: الاستعلاء: التفخيم: الصغير: التكرار: القلقلّة: الجرس: الهتف <sup>(١)</sup> : الجهر: الشدة	الإطباق: الاستعلاء: الصغير: الجهر: الشدة	الإطباق: الاستعلاء: التفخيم: الصغير: التكرار: التفخيم: الاستطالة: القعة: الجهر: الشدة	صفات القوة
الهمس: الرخاوة: البينية: الذلاقة: الاستفال: الانفتاح: اللين: الخفاء	الهمس: الرخاوة: الاستفال: الانفتاح: الترقيق	الهمس: الرخاوة: الخفاء	الهمس: الرخاوة: الخفاء	صفات الضعف

ومما يلاحظ على هذا الجدول، وعلى ما ذكره اللغويون والنحويون، أن القوة والضعف مرجعهما إلى الصوت نفسه، أي أنها ذاتية.

وقد عمّم هذه النظرية - أعني نظرية القوة- اللغوي الفرنسي جرامونت (Grammont)، وأنشأ قانوناً صوتياً أسماه (قانون الأقوى).

ويتلخص هذا القانون في "أنه حينما يؤثر صوت في آخر، فإن الأضعف بموقعه في المقطع، أو بامتداده النطقي هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر<sup>(٣)</sup>. وهذا القانون الصوتي ارتبط باسم صاحبه، ونُسب إليه، فيقال: (قانون جرامونت).

(١) الجرس: في اللغة الصوت، وتختص به الهمزة، لان الصوت يعلو بها عند النطق. والهتف: في اللغة الصوت الشديد، وتختص به الهمزة أيضاً -، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلي ظهور صوت قوي شديد. ينظر: الرعاية، ص ١٣٣، ١٣٧.

(٢) الإصمات: المنع، والحروف لمصمّنة هي التي مُنعت من أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب، دون أن يكون معها غيرها من الحروف المذلقة. والحروف المصمّنة هي ما عدا الحروف المذلقة الستة (فرمن لب). ينظر: الرعاية، ص ١٣٥.

(٣) دراسة الصوت اللغوي، ص ٣١٩. ينظر: علم الأصوات (المالبرج) ص ٢٥٧ اللغة (فندريس) ص ٩٥-٩٦.

وبالنظر في هذا القانون نجد أنه يعطي مفهوم القوة والضعف، بُعداً جديداً، ومساراً آخر يضاف إلى ما ذكر فيه، ويتمثل هذا في أن القوة والضعف يتحققان - أيضاً - في الموقع المقطعي للصوت، وذلك ما يعرف بالموقعية.

وتفسير هذا أن الصوت إذا كان في نهاية مقطع فهو ضعيف، وإن كان في بداية المقطع فهو قوي، كما أنه إن كان ساكناً فيحكم عليه بالضعف، وإن كان متحركاً فيحكم عليه بالقوة. وللحقيقة فإن الفضل في اكتشاف هذا المفهوم يعود لابن جني، فقد سبق جرامونت بالتصريح به.

وبناءً على ما تقدم يمكن القول: إن القوة في الصوت أو الضعف فيه يتضحان في عنصرين اثنين، أحدهما - داخلي، والآخر - خارجي، وهما:

١- ما يمكن تسميته بالعنصر الذاتي: وأعني به اتصاف الصوت بصفةٍ أو صفات نابعة من التكوين الداخلي له، وبحكم طبيعته في النظام اللغوي.

٢- ما يمكن تسميته بالعنصر الموقعي: وأقصد بذلك وجوده في بيئةٍ غير داخلية في تكوينه أو مرتبطة به، بل هي قادمة من الخارج بحكم وضعه في الموقع.

وإذا تأملنا ما قاله علماء القراءات في هذه القضية نجد أنهم أولوا العنصر الوصفي (الداخلي) للصوت العناية الكبرى، وجعلوه مقياساً وحيداً لقوة الصوت وضعفه، أما العنصر الموقعي (الخارجي) فلم ينل منهم اهتماماً يذكر. والسبب في هذا - كما يذكر أحد اللغويين المحدثين - " أن الموقعية متصلة، بدراسة النظام المقطعي، ولم يكن ذلك موضع اهتمام سيبويه والنحاة من بعده، إلا في بعض إشارات يسيرة عابرة نجدها في كتبهم، وهي ليست بذات قيمة هامة في علاج الموضوع"<sup>(١)</sup>. وبطبيعة الحال فإن ما يجري على سيبويه والنحاة من بعده في ذلك يجري - أيضاً - على علماء القراءات.

ولكي نتأكد بأنفسنا من مدى صحة هذا المبدأ (القانون) ينبغي أن نستعرض صور الإدغام - جميعها -، وبعدها نستطيع الإجابة عن هذا السؤال: أي الأصوات يؤثر في الآخر؟ هل هو الصوت القوي أو الصوت الضعيف؟.

وقبل أن أبدأ بعرض صور الإدغام المقرون بكيفية الانتقال في ضوء قوة الصوت وضعفه، أود أن أذكر بعض الملاحظات على هذا الإحصاء، وهي:

(١) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص ٢٣١.

- ١- عاملت الأصوات معاملة المحدثين لها- خاصة من حيث الصفات، فالطاء والقاف مهموسان، والضاد شديدة، والعين رخوة، والجيم مركبة.
- ٢- فاضلت بين درجات القوة - إذا استلزم الأمر -، ونظرت إليها من حيث التفرد بالصفة، فالصوت المنفرد بصفة هو أقوى من الصوت الذي يشترك معه غيره في تلك الصفة.
- ٣- جعلت صفات القوة تكمن في الإطباق، والاستعلاء، والصفير، والاستطالة، والنقشي، والتكرار، والغنة، والجهر، والشدة.
- أما صفات الضعف فهي: الانفتاح، والاستفال، والهمس، والرخاوة.
- وهذا يعني أنني استبعدت الصفات الآتية: الترقيق، والتوسط (البينية)، والتركيب، والققلقة، والإصمات، والدّلاقة، واللين، والخفاء، والجرس، والانحراف، والتهف،... الخ، وذلك إما لعدم وضوح القوة أو الضعف فيها، وإما لعدم ثبات تلك الأصوات، ولزومها له.
- وتوضيح ذلك في الجدول الآتي:
- وباستعراض صور الإدغام التي ذكرها كلُّ من اللُّغويين وعلماء القراءات البالغة عشرين ومائة صورة، نجد أنه يمكن توزيعها على النحو الآتي:

جدول رقم (٩) توضيحي لصفات القوة والضعف

	صفات القوة										صفات الضعف				مجموعة صفات القوة	مجموع صفات الضعف	
	الإطباق	الاستعلاء	التفشي	التكرار	الاستطالة	الجهر	الشدّة	الصغير	الغنة	الاستفال	الانفتاح	الهمس	الرخاوة				
و						X				X						١	٢
ب							X			X						٢	٢
م						X			X	X						٢	٢
ف										X	X					-	٤
ث										X	X					-	٤
ذ						X				X	X					١	٣
ظ	X	X				X				X		X				٣	١
ن							X			X	X					١	٣
د						X	X			X	X					٢	٢
ط	X	X						X				X				٣	١
س								X		X	X	X				١	٤
ز						X			X	X		X				٢	٣
ص	X	X						X				X				٣	٢
ض	X	X			X	X	X					X				٥	-
ن						X		X		X						٢	٢
ل						X	X			X	X					١	٢
ر				X		X	X			X	X					٢	٢
ج						X				X	X					١	٢
ش			X							X	X	X				١	٤
ي										X	X					١	٢
ك							X			X	X	X				١	٣
ق		X					X			X	X					٢	٢
غ		X				X				X	X	X				٢	٢
خ		X								X	X	X				١	٣
ع						X				X	X	X				١	٣
ح										X	X	X				-	٤
هـ										X	X	X				-	٤
ء	X									X	X	X				١	٣



## أولاً: الانتقال من ضعف إلى قوة:

ف+ب: ذ+ظ: ذ+د: ذ+ط: ذ+ص: ذ+ض: ذ+ز: ذ+ج: ذ+ذ: ذ+ظ: ذ+ت: ذ+ط: ذ+س:  
ث+س: ث+ز: ث+ص: ث+ض: ث+ش: ث+ج: ث+د: ث+د: ت+ط: ت+ز: ت+ص:  
ت+س: ت+ض: ت+ج: ز+ص: س+ز: س+ص: ل+ن: ل+ر: ل+ظ: ل+د: ل+ط:  
ل+ز: ل+ص: ل+ض: ج+ص: ج+ض: ك+ق: خ+غ: ح+ع: ع+غ: ح+خ.  
وتبلغ صورته خمساً وأربعين صورة.

## ثانياً: الانتقال من قوة إلى أكثر قوة:

د+ص: د+ض: د+ط: د+ظ: ط+ض: ظ+ض. وهذه الصور الست من الممكن أن  
يعطي لها حكم الانتقال من ضعف إلى قوة، وعلي هذا يبلغ مجموع الانتقال من ضعف إلى  
قوة إحدى وخمسين صورة. أي بنسبة ٤٢,٥٠%.

## ثالثاً: الانتقال من قوة إلى ضعف:

ب+ف: ظ+ذ: ظ+ث: ظ+ت: ظ+ز: ظ+س: ظ+ش: ظ+ج: ذ+ث: ط+ت: ط+ز:  
ط+س: ط+ذ: ط+ث: ط+ش: ط+ج: د+ت: د+س: د+ذ: د+ث: د+ش: د+ج: ت+ث:  
ص+ز: ص+س: ز+س: ض+ت: ض+ز: ض+ذ: ض+ش: ض+ج: ل+ث: ن+و:  
ن+ي: ن+ل: ر+ل: ج+ت: ق+ك: غ+خ: ع+ح.  
وتبلغ صورته أربعين صورة.

## رابعاً: الانتقال من قوة إلى أقل قوة:

ظ+د: ظ+ص: ط+د: ط+ص: ض+ط: ض+ظ.  
وتبلغ صورته ست صور.

## خامساً: الانتقال من ضعف إلى أكثر ضعف:

ل+ت: ل+س: ل+ذ: ل+ش  
تبلغ صورته أربع صور.

وهذه الصور العشر من الممكن أن تتدرج تحت حكم الانتقال من قوة إلى ضعف، وبذا  
يبلغ مجموع الانتقال من قوة إلى ضعف خمسين صورة. أي بنسبة ٤١.٦٦%.

## سادساً: التكافؤ في الانتقال:

ب+م: ذ+ت: ظ+ط: ت+ذ: ط+ظ: س+ش: ن+ر: ن+م: ش+س: و+ي: غ+ق:  
ع+خ: ه+ح: ذ+ش (باعتبار التنفسي أقوى من الجهر) ذ+س (باعتبار الصفير أقوى من

الجهر): ت+س (باعتبار الصفير أقوى من الشدة) ت+ش (باعتبار التفشي أقوى من الشدة) ج+ش (باعتبار التفشي أقوى من الجهر) د+ز (باعتبار الصفير أقوى من الشدة). وعلي هذا يبلغ مجموع ذلك تسع عشرة صورة. أي بنسبة ١٥.٨٣%.

وفي ضوء هذه النتائج أستطيع أن أقرر بأن نظرية الضعف والقوة الذاتيتين، أو قانون الأقوى إنما هو أمر نسبي، حيث قد تبين أن الإدغام ينقل الصوت من ضعف إلى قوة، كما ينقله - أيضاً - من قوة إلى ضعف، وليس هناك كبير فرق بين الحالتين.

وذلك يدعوني إلى تأكيد القول بأن القانون الصوتي، أو القوانين اللغوية بصفة عامة ليست إلزامية بالمعنى العلمي للمصطلح<sup>(١)</sup>، بل أنها تصدق حيناً وتند حيناً آخر، وعليه فقانون الأقوى من خلال المفهوم السابق له يُعدّ - كما يقول ماريوباي - : ظاهرة فردية متقلّبة تفسد عليه عموميته وحتميته<sup>(٢)</sup>.

---

(١) اللغة (فندريس) ص ٧١.  
(٢) ينظر: لغات البشر ٣٧-٤٤.

الباب الرابع  
المخالفة الصوتية  
الفصل الأول  
المخالفة الصوتية في التراث اللساني العربي  
المبحث الأول  
المخالفة الصوتية التعريف والدواعي  
المبحث الثاني  
مصطلحات المخالفة في التراث اللساني العربي  
الفصل الثاني  
المخالفة الصوتية في الدرس الصوتي الحديث  
المبحث الأول  
مصطلحات المخالفة عند اللغويين المحدثين  
المبحث الثاني  
أنواع المخالفة

الفصل الأول  
المخالفة في التراث اللساني العربي  
المبحث الأول  
المخالفة الصوتية التعريف والدواعي  
المبحث الثاني  
مصطلحات المخالفة في التراث اللساني العربي

المبحث الأول  
المخالفة الصوتية التعريف والدواعي  
العلة من حدوث المخالفة الصوتية

## المخالفة التعريف والدواعي:

فطن علماء العربية إلى هذه الظاهرة منذ عهد مبكر، وبالتحديد في عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد أدركها هذا الرجل، وأطلق عليها المصطلح الشائع في عصرنا غير أنه استعمل صيغة الفعل منه - فقد قال: "وأما مهما فإن أصلها ماما ولكن أبدلوا من الألف الأولى هاء ليختلف اللفظ"<sup>(١)</sup>.

فالخليل بن أحمد استعمل الصيغة الفعلية (يختلف) للمصطلح الذي أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وهو (التخالف)<sup>(٢)</sup>.

وتعد المخالفة الصوتية مظهرا آخر من مظاهر الاقتصاد اللساني، ومن التطورات التي تعرفها الأصوات اللغوية في تجاورها بعضها مع بعض.

والمخالفة ضد المماثلة فإذا كانت هذه الأخيرة تعمل على التقريب بين الأصوات المتنافرة، فإن المخالفة تعتمد إلى التفريق بين الأمثال والمتقاربات فهي: "أن تشتمل الكلمة على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين"<sup>(٣)</sup> فالمخالفة معناها حدوث اختلاف بين الصوتين المتماثلين في الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين ويقلب إلى صوت لين طويل أو إلى أحد الأصوات الشبيهة به وهي اللام والنون والميم والراء<sup>(٤)</sup>. والمخالفة في منظور الدرس الصوتي الحديث هي: "تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين"<sup>(٥)</sup>.

فالمخالفة بوصفها أثرا لقانون الاقتصاد في الجهد، تعتمد إلى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات، فتدفع أحدهما إلى التغاير، ويغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة، أو من الأصوات المتوسطة أو المائعة المعروفة في اللاتينية باسم (LIGUID) وهي اللام والميم، والنون والراء<sup>(٦)</sup>.

(١) العين، الخليل، ٣: ٣٨٥.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية ١٦: ٢١٥.

(٣) اللهجات العربية في التراث، القسم الأول، د. أحمد علم الدين الجندي، ص ٣٤٩.

(٤) مجلة التراث العربي، اتحاد كتّاب العرب، دمشق، مقال بعنوان: الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات الغوية العربية المعاصرة، د. عبد الفتاح المصري، ص ٢٦٢.

(٥) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار، ص ٣٨٤.

(٦) التطور اللغوي، مظاهره وعمله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص ٣٧.

يؤكد اللغوي بروسنهان أن معظم اللغات تستعمل الأصوات الأنفية والترددية كاللام والميم والنون والراء لتحقيق ظاهرة المخالفة التي يمكن في ضوءها تفسير الكثير من الظواهر التشكيلية التي تطوف على سطوح بعض الوحدات اللغوية<sup>(١)</sup>.

وقد فسرت المخالفة بأنه إذا كان هناك صوتان متماثلان تمام المماثلة في كلمة فإن أحدهما قد يتغير إلى صوت ثالث يغلب أن يكون من أصوات العلة، أو من الأصوات المائعة، ولعل السر في ذلك أن الصوتين المتماثلين يتطلبان مجهوداً عضلياً زائداً عن الحاجة حين النطق بهما في الكلمة الواحدة، ومن أجل التقليل من هذا الجهد إلى الحد الأدنى، يخالف أحد الصوتين إلى مجموعة الأصوات التي سهلت في الكلام كأصوات اللين وأشباهاها<sup>(٢)</sup>.

### العلة من حدوث المخالفة الصوتية:

إذا كانت المماثلة تطور يرمي إلى تيسير النطق عن طريق تقريب الفونيمات بعضها من بعض، أو ادغامها لتحقيق الانسجام الصوتي<sup>(٣)</sup> فإن برجستراسر يفسر حدوث المخالفة في ضوء العلة النفسية الناتجة عن الخطأ بسبب تتابع الأصوات المتشابهة. يقول: " فأما التخالف، فالعلة فيه نفسية محضة، نظيرة الخطأ في النطق، فإننا نرى الناس كثيراً ما يخطئون في النطق، ويلفظون بشيء غير الذي أرادوه، وأكثر ما يكون هذا إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض، لأن النفس يوجد فيها قبل النطق بالكلمة تصورات للحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعب عليها إعادة تصور بعينه بعد حصوله بمدّه قصيرة، ومن هنا ينشأ الخطأ، إذا أسرع الإنسان في نطق جملة محتوية على كلمات تتكرر وتتابع فيها حروف متشابهة، وكثيراً ما يتسامر الصبيان إلى نطق أمثال هذه الجمل بسرعة وبدون خطأ<sup>(٤)</sup>.

وقد أرجع بعض العلماء علة حدوث المخالفة إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق المغايرة بين الأصوات، وهي بهذا عكس المماثلة التي تهدف - كما أسلفنا - تيسير الجانب النطقي، ولا تلقي بالا إلى الجانب الدلالي الذي يتأثر نتيجة تقارب صوتين متجاورين، فهذا أحمد مختار عمر يركز على الجانب الدلالي في بيان أهميتها يقول: " وإن كانت ضرورية لتحقيق التوازن وتقليل فاعلية عامل المماثلة، فالعلماء ينظرون إلى المماثلة على أنها قوة سالبة في حياة اللغة، لأنها

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص ٢٩١.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص ٢١٢.

(٣) الأزهري اللغوي صاحب معجم تهذيب اللغة، د. سميح أبو مغلي، ص ٨٩.

(٤) التطور النحوي للغة، برجستراسر، ص ٣٤.

ترمي إلى تخفيض الخلافات بين الفونيمات كلما أمكن، ويتخيلون أنه لو ترك العنان للمماثلة لتعمل بحرية فربما انتهت إلى الغاء التفريق بين الفونيمات ذلك التفريق الذي لا غنى عنه للتفاهم، وبذلك فإن عامل المخالفة يستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها، ولإبراز الفونيمات في صورة أكثر استقلالية<sup>(١)</sup>.

وسواء أكانت علّة حدوث المخالفة ترجع إلى جوانب نفسية أو إلى تيسير جانب الدلالة عن طريق الممايزة، فإنها الوجه المقابل والمعدّل لآثار المماثلة لأنها تهدف في منحها إلى التقليل أو التخلص من الفروق المميزة للأصوات.

واللغة العربية كغيرها من اللغات تحرص على المخالفة لما تؤمنه من تنوع موسيقي محبب تظهر معه الأصوات على حقيقتها نطقا وسمعا: "من الواضح أن النظام اللغوي والاستعمال السياقي جميعا يحرصان في اللغة العربية الفصحى على التقاء المتخالفين، أو بعبارة أخرى يحرصان على التحالف ويكرهان التنافر والتماثل"<sup>(٢)</sup>.

وإن كان بعض الدارسين يذهب إلى أنّ المخالفة في العربية أقل من المماثلة، فهذه الظاهرة نادرة في اللغة العربية بالنسبة إلى بعض اللغات السامية الباقية خصوصا الأكدية والآرامية<sup>(٣)</sup>.

بالرغم من أن المخالفة تشغل مساحة لغوية أقل من تلك التي تملؤها المماثلة، إلا أن وجودها ضروري لتحقيق التوازن والتقليل من فاعلية المماثلة<sup>(٤)</sup> وباعتبارها مظهرا من مظاهر التطور تتدرج فيه الأصوات عبر مسار تحولي يتجه نحو الأيسر والأسهل، هذا التطور هو إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها الكثير من المحدثين، والتي تشير إلى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي تحتاج إلى جهد عضلي، فيبدّل مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة<sup>(٥)</sup>. وهذا ما دفع هورويتز إلى عدّ قسم من الألفاظ العربية قد تولدت نتيجة عامل المخالفة، هذه الألفاظ تشغل فيها الأصوات المائعة جزءا من بنيتها التركيبية.

ويوثق هذا اللغوي رأيه ببعض الشواهد التي يمكن أن تكون نتاج عامل المخالفة بين

صوتين متماثلين مثل:

حَجَل - حرجل - ج ج - ر ج .

جَمَد - جلمد - م م - ل م .

(١) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص ٣٨٤

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ص ٢٦٤ .

(٣) ينظر: التطور النحوي، بروجستراس، ص ٣٥ .

(٤) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار، ص ٣٨٥ .

(٥) ينظر: السابق، د. أحمد مختار عمر، ص ٣٨٥ .



عكَب - عنكب - ك ك - ن ك.

عقَب - عرقب - ق ق - ر ق.

قمَط - قرمط - م م - ر م.

فطَح - فطح - ط ط - ل ط<sup>(١)</sup>.

اعتمد هورويتز في الشواهد التي ساقها على علّة التضعيف الذي يعقب الأصوات المتوسطة التي - في رأيه - تمثل ممراً مرناً للتضعيف ومسلكاً للتخلص من ثقل التماثل<sup>(٢)</sup>. والأمثلة على ظاهرة التخالف قليلة في العربية والسبب في ذلك يعود إلى أمرين: أولهما أن العربية في الأصل لم تتورط في تراكيب عسيرة تحتاج إلى التخالف. وقد أشار إلى ذلك اللغويون العرب القدماء حين قالوا: واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة، لصعوبة ذلك على ألسنتهم<sup>(٣)</sup>.

٢- الثاني أن العربية تتخلص من التقاء المتماثلين بطريقتين تفضلهما على طريقة التخالف: فأولهما الإدغام، فنقول: (شدّ ومدّ وفرّ) بدلا من (شدد ومدد وفرر)، وثانيهما: الحذف، فنقول: (تمايل الأشجار) بدلا من (تتمايل الأشجار).. وهكذا.

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص ٢٩١.

(٢) ينظر: السابق، ص ٢٩٢.

(٣) السيوطي، المزهري، ج ١، ص ١١٥.

## المبحث الثاني

مصطلحات المخالفة في التراث العربي

المخالفة عند اللغويين والنحاة العرب القدامى

المخالفة عند الخليل بن أحمد الفراهيدي

المخالفة عند سيبويه

المخالفة عند لمبرد

المخالفة عند ابن جني

إن المخالفة - بوصفها الوجه المقابل للمماثلة - من الظواهر الصوتية الضاربة جذورها في أعماق العربية، اهتم بها اللغويون والنحاة العرب القدامى وعلماء الأصوات المحدثون فرصدوا مظاهرها وأوجهها المختلفة وعالجوها بتسميات مختلفة.

### أ- المخالفة عند اللغويين والنحاة العرب القدامى:

عالج القدماء ظاهرة المخالفة وإن كانت معالجتهم لهذه الظاهرة موزعة على أبواب صرفية متنوعة، كما كانت أمثلتها متناثرة ضمن هذه الأبواب دون منهج ينتظمها، أو مصطلح محدد يغطي حدودها، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يعوا دورها أو لم ينتبهوا إلى أهميتها، بل كانوا على وعي تام بها، وإن لم يعرفوها كمصطلح فقد عرفوها كظاهرة صوتية تعرض للأصوات في السياق، فعالجوها وتسميات مختلفة، حتى تنوعت ألفاظ وتعابير الواحد منهم في تقييد أمثلتها.

### ب- المخالفة عند الخليل بن أحمد الفراهيدي:

يعدّ الخليل بن أحمد الفراهيدي من اللغويين الأوائل الذين فطنوا لهذه الظاهرة غير أنه لم يستقر على تسمية واحدة مقيدة لها، بل راح ينعتهها بجملة من التسميات منها: المغايرة متخذاً من فعل هذا المصدر هيئة للدلالة عليها، ومن فعل ألبّ مثلاً لذلك يقول: "وأما قولك لبيك، إنما يريدون قرباً ودنواً (على معنى بعد الباب) أي قرب بعد قرب، فجعلوا بدله لبيك، ويقال ألبّ الرجل بمكان كذا وكذا أي أقام، وكان الوجه أن تقول لبيتك لأنهم شبهوا ذلك باللّب، فإذا اجتمع في الكلمة حرفان غيروا الحرف الأخير كما قال الله عز وجل: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾<sup>(١)</sup>. والأصل دسّها فقالوا لبيك، قَرُبْتُ وَاقَمْتُ، وإذا قالوا أنا لبّ فإنما يريدون قريب منك مرّة واحدة، وإذا قالوا لبيك أرادوا أنا قريب منك، أنا قريب منك مرتين قال الشاعر:

دَعَوْتُ لِمَا نَا بَنِي مَشَوَارِ فَلَبَّيْ فَلَابَّيْ يَدَيِ مَسْوَرِ<sup>(٢)</sup>

وفي موطن آخر يوظف عبارة: "اجتماع حرفين من جنس واحد" للدلالة على هذه الظاهرة يقول: (وكذلك تفعل العرب إذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا مكانه حرفاً من غير ذلك الجنس، من ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾<sup>(٣)</sup> معناها دسّها ومثل قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾<sup>(٤)</sup> أي يتمطط فحولت السين والطاء ياء<sup>(٥)</sup>.

(١) [الشمس: ١٠].

(٢) كتاب الجمل في النحو، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح فخرالدين قبارة، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٣) [الشمس: ١٠].

(٤) [القيامة: ٣٣].

(٥) كتاب الجمل في النحو، الخليل، ص ٢٨٠.

رغم أن الخليل لم يستقر على مصطلح مقيد لظاهرة المخالفة إلا أنه أدرك وجودها في العربية، فقد نصّ في الأمثلة السابقة أن العرب تبدّل أحد الصوتين المتماثلين ياء تحقيقاً للسهولة في النطق.

### ج- المخالفة عند سيويه:

لم تفت سيويه هذه الظاهرة، كما لم يفته غيرها، وعلّل لها بکراهية التضعيف: "هذا باب ما شدّ فابدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف"<sup>(١)</sup>. وذلك في سياق حديثه عن إحلال الياء محلّ أحد المتماثلين: "وذلك قولك: تسرّيت، وتطنّيت وتقصّيت من القصّة، وامليت، كما أن التاء في اسنتوا مبدلة من الياء أرادوا حرفاً أخف عليهم منها، واجلد كما فعلوا ذلك في "اتلج" وبدلها شاذ هنا بمنزلته في سبت، وكلّ هذا التضعيف فيه عربي كثير جيد"<sup>(٢)</sup>. ويمضي سيويه في تكرار هذا المصطلح في مواضع متفرقة من كتابه من ذلك حديثه عن إحلال السين محلّ أحد المتماثلين، يقول: "وقال بعضهم، استخذ فلان أرضاً يريد اتّخذ أرضاً كأنهم أبدلوا السين مكان التاء في اتّخذ كما أبدلوا حيث كثرت في كلامهم وكانتا تائين، فأبدلوا السين مكانها، كما أبدلت مكانها في ست وإنما فعل هذا كراهية التضعيف"<sup>(٣)</sup>. نستنتج من الأمثلة التي ساقها سيويه أن الناطق صعب عليه التضعيف، فوجد في تحقيقه عسراً ومشقّة على اللسان في الارتفاع والعودة إلى نفس النقطة في اللحظة ذاتها لتحقيق الصوت ذاته ثانية، فأبدله بأحد الأصوات المتوسطة.

### د- المخالفة عند المبرّد:

يطلق المبرّد على المخالفة عبارة "استنقال التضعيف"، فقد نصّ أن قوماً من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا الياء من التاء من الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد<sup>(٤)</sup>، ثم يعرض لصور المخالفة التي يمكن أن تحدث بين صوتين متماثلين فيقلب أحدهما إلى ياء قصد اجتناب ثقل التضعيف، ومن ذلك قوله: "وذلك قولهم في تقضّيت: تقضّيت وفي" امليت "وكذلك "تسرّيت" في "تسرّرت" والدليل على أنّ هذا إنما أبدل لاستنقال التضعيف قولك: "دينار" و"قيراط" والأصل "دنّار" و"قرّاط" فأبدلت الياء للكسرة فلمّا فرقت بين

(١) الكتاب، سيويه، ٤: ٤٢٤.

(٢) السابق، الصفحة نفسها.

(٣) السابق، ج ٤، ص ٤٨٤.

(٤) ينظر: المقتضب، المبرّد تحقيق حسن حمد، مراجعة د. أميل يعقوب دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ:

١٩٩٩م، ج ١، ص ٢٧٢.

المضاعفين، رجع الأصل فقلت "دنانير" و"قراريط" و"قريريط"<sup>(١)</sup> والعلّة الصوتية عنده في إبدال أحد المتماثلين ياء أن رفع اللسان عنه مرّة واحدة ثم العودة إليه ليس كرفع اللسان عنه، وعن الحرف الذي من مخرجه ولا فضل بينهما<sup>(٢)</sup>.

الناظر في الأمثلة التي ساقها المبرد يدرك أن العربية قد نجحت في تخلّصها من ثقل التماثل الوارد فيها بالتماسها صوتا من الأصوات المتوسطة، ذلك أن النطق بالصوت المضعّف يجهد آلة التصويت لأنه يتطلّب في تحقيقه مجهودا عضليا أكبر.

#### هـ- المخالفة عند ابن جني:

على نهج الخليل يمضي ابن جني في التعبير عن ظاهرة المخالفة متخذا من عبارة "اجتماع حرفين من جنس واحد"<sup>(٣)</sup>، وذلك في قوله: "فإن قال قائل: ما تنكر أن يكون الحياء والعياء: فيعالا، ولكنهم كرهوا أن يحذفوا الياء على حد حذفهم إيّاها في: القتال والسباب لأنه كان يلزمهم أن يقولوا: حياء وعاء فيلزمهم اجتماع حرفين من جنس واحد في أوّل الكلمة، إلا أنه ترك الانفصال من هذه الزيادة وعدل إلى الاستدلال على أن حاجيت وأخواتها فعللت بقولهم في المصدر الحاحاة والعاعاة والهاهاة"<sup>(٤)</sup>.

يفهم من قول ابن جني أن حذف الحاء والعين الثانيين إنّما تمّ لغرض التخفيف والتقليل من الجهد العضلي الذي تبذله أعضاء الفم للنطق بصوتين متماثلين متواليين، وهذا ما تسعى إليه المخالفة الصوتية.

ومن أمثلة أقواله التي يستخدم فيها عبارة اجتماع حرفين من جنس واحد ، حديثه الذي يبيّن فيه إبدال الياء من أحد المتماثلين متخذا من الفعل دهدهت مثلا لذلك يقول: " قول بعضهم: دهدهت يدل على صحة ما ذهب إليه الخليل ،وأصل هذه: هذي فأبدلوا الهاء من الياء وكذلك أبدلوا الياء من الهاء في دهديت"<sup>(٥)</sup>.

ومن قبيل المخالفة ما ذكره ابن جني من أن الناطق بصوتين متماثلين يجنح عادة إلى تعويض أحدهما بصوت أخف وأسهل عادة ما ينتمي الصوت المبدل إلى مجموعة المخالفة: الياء والواو والميم واللام ويسوق لذلك أمثلة يبين فيها استئصال العرب لتوالي صوتين متماثلين

(١) المقتضب، المبرد، ثم حسن حمد مراجعة د. اميل، ج ١، ث ٢٧٢.

(٢) السابق الصفحة نفسها.

(٣) المنصف، ابن جني، ج ٢، ص ١٧٤.

(٤) الأشباه والنظائر في النحو، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٢٤.

(٥) السابق، ج ٢، ص ١٧٥.

فيمثل لذلك بكلمة "حيوان التي أصلها"حَيَّان"يقول: "والحيوان أصله الحَيَّان فقلبت الياء التي هي لام واوا استكراهاً لتوالي الياءين ليختلف الحرفان"<sup>(١)</sup>.  
من خلال هذا الاستقراء يتبين لنا أن لغويينا القدامى لم تفتهم هذه الظاهرة، بل تابعوها بحدود متناثرة في كتبهم، منظرين لها ودارسين لها تارة أخرى.

---

(١) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ٢، ص ٥٨٩.

الفصل الثاني  
المخالفة الصوتية في درس الصوتي الحديث  
المبحث الأول  
المخالفة الصوتية عند اللغويين المحدثين  
المبحث الثاني  
أنواع المخالفة

## المبحث الأول

المخالفة الصوتية عند اللغويين المحدثين

المخالفة عند إبراهيم أنيس

المخالفة عند أحمد مختار

المخالفة عند رمضان عبد التّوّاب

المخالفة عند الطيّب البكوش



## المخالفة عند إبراهيم أنيس:

تعرّض إبراهيم أنيس إلى ظاهرة المخالفة الصوتية مستخدماً نفس المصطلح للدلالة على أنه ترجمة للفظ "(Dissimilation)" وهي في منظوره إحدى نتائج نظرية السهولة التي نادى بها كثير من المحدثين، ذلك أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التي لا تحتاج إلى جهد عضلي<sup>(١)</sup>.

فالمخالفة في نظره مظهر من مظاهر التطور تتدرج فيه الأصوات عبر مسار تحوّلي يتجه نحو الأسهل، والسبب فيها من الناحية الصوتية عنده هو أن الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي عند النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود يقبل أحد الصوتين صوتاً آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب مجهوداً عضلياً كأصوات اللين وأشباهاها.

يدعم إبراهيم أنيس تفسيره للمخالفة ببعض الأمثلة التي انتقاها من مصادر التراث اللغوي، فهو يرى أن ألفاظاً مثل طحا، والماح، الجواب، العوس، زاح، غمس، انغمس، قيراط، دينار، قصيت، حنا، تكون قد انحدرت من بنائها المضعف تحت تأثير قانون الاقتصاد في الجهد وصيغها الأصلية كالأتي: الطحّ، المحّ، الجبّ، عسّ، زحّه، غسّ، انغمسّ، قرّاط، دنّار، قصّصت، حنّ<sup>(٢)</sup>.

ثم يخلص إلى نتيجة مفادها أنه إذا كانت المماثلة تقرب بين الأصوات المتجاورة بأن يصبحا متماثلين، فإنّ المخالفة تهدف إلى التقليل من الجهد العضلي، فتقلب أحد المتماثلين المتجاورين إلى صوت لين طويل أو إلى ما يشبه أصوات اللين كاللام والنون فهذه الأصوات مسلك من المسالك التي تنتهجها العربية للتخلص من ثقل التماثل.

## المخالفة عند أحمد مختار عمر:

يعدّ أحمد مختار من الدارسين المحدثين الذين آثروا استعمال مصطلح المخالفة للدلالة على أنه ترجمة للفظ "(Differentiation)" أو "(Dissimilation)" مبيناً أنها ظاهرة تحدث بصورة أقل من حدوث المماثلة وهي موجودة في كلّ اللغات<sup>(٣)</sup>.

ومن الأمثلة التي ساقها من العربية إبدال الفتحة كسرة عند مجاوتها ألفاً مما يفسر نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة بدل الفتحة، وإبدال الكسرة فتحة إذا جاورت ياء مد كما في كثير من العاميات العربية التي تبدّل صيغة "فعيل" بكسر الفاء إلى "فعيل" بفتح الفاء مثل "عويم" وإكيل "وحبيب" وسهير<sup>(٤)</sup>. ثم يخلص إلى أن المخالفة مظهر من مظاهر التطور الصوتي تستخدم لإعادة الخلافات التي لا غنى عنها، وإبراز الفونيمات في صور أكثر

(١) ينظر: الأصوات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٢١٢.

(٢) ينظر: السابق، ص ٢١٣.

(٣) دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٨٤.

(٤) دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٨٥.

استقلالية، وذلك لتيسير جانب الدلالة عن طريق المخالفة بين الأصوات، وهي عامل مهم لإحداث التوازن بين مطلب سهولة النطق، ومطلب سهولة التفريق بين المعاني.

### المخالفة عند رمضان عبد التواب:

أمّا رمضان عبد التواب فإنه يسير في النحو الذي سار عليه سابقه في استعمال نفس مصطلح المخالفة<sup>(١)</sup>. (Dissimilation) معرّفًا إيّاها بأنها قانون يعمد إلى صوتين متماثلين فيغيّر أحدهما إلى صوت آخر، فيغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة<sup>(٢)</sup> مشيرًا إلى أن هذه الظاهرة قد تظن إليها قدامى اللغويون العرب، وعبروا عنها بتسميات مختلفة منها "كراهية التضعيف" و"كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد" و"اجتماع الأمثال مكروه"<sup>(٣)</sup> مبيّنًا أنّ السبب فيها من الناحية الصوتية هو أنّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة، ولتيسير هذا المجهود العضلي يقبل أحد الصوتين صوتًا آخر من تلك الأصوات التي لا تتطلب جهدًا عضليًا، مثل أشباه صوت العلة (الواو والياء) وبعض الأصوات المتوسطة كاللام والنون والراء ويعد ذلك مظهرًا من مظاهر قانون التيسير اللغوي<sup>(٤)</sup>.

كما نجد المصطلح نفسه - أي المخالفة - يستعمله عبد القادر عبد الجليل ويتفق مع أحمد مختار عمر في أن المخالفة قوة سالبة تسعى إلى تخفيض حدّ الخلاف بين الأصوات، ولا يمكن الاستغناء عنها في إظهار قيم الفونيمات الاستقلالية، وأنها ضرورية لتحقيق حالة التوازن وتقليل المدى التأثيري للمماثلة<sup>(٥)</sup>.

تعتبر المخالفة عنده الوجه المقابل والمعدّل لآثار المماثلة، تسعى إلى التقليل من الجهد العضلي، حيث يقبل أحد الصوتين المتماثلين المتجاورين إمّا إلى صائت طويل أو إلى ما يشبهه من الأصوات كاللام والنون والميم وفي هذا أقصى مراحل التيسير<sup>(٦)</sup>.

### المخالفة عند عبد العزيز مطر:

تطرق مطر إلى التغيرات الصوتية التي تسعى في حركتها نحو التخالف، مستعملًا مصطلح المغايرة، مبيّنًا أنّها من السياقات الصوتية التي تحدث في الكلمة المشتملة على التضعيف بأن يتغير أحد الصوتين المضعفين إلى صوت لين طويل أو أحد الأصوات الشبيهة بها وهي اللام والراء والنون والميم<sup>(٧)</sup>. وغاية هذه الظاهرة عنده هي تحقيق السهولة

(١) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي، ص ٤٥، والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص ٣٧.

(٢) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ص ٣٧.

(٣) ينظر: لحن العامة والتطور اللغوي، ص ٤٦.

(٤) ينظر: السابق، الصفحة نفسها.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص ٢٩١.

(٦) ينظر: الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص ٢٩٣.

(٧) ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، عبد العزيز مطر، ص ٢٥٩.

في النطق وتقليل الجهد العضلي، ذلك أنّ النّظام اللغوي يسعى في تخلّصه من ثقل التضعيف، لاستخدام ظاهرة المغايرة التي تقضي بتبادل المثليين ومخالفتهما، وهذا بإبدال أحدهما صوتاً من السبعة المخالف بها، والتميّزة بالخفة والسهولة وفي ذلك يقول: "إنّ النطق بالمضعّف يتطلّب مجهوداً عضلياً أكبر ممّا لو قلب أحد الصوتين إلى صوت لين، أو صوت من الأصوات التي برهنت الدراسة الصوتية الحديثة على وجود شبه بينها وبين أصوات اللين وهي الأصوات الأربعة السابقة (الراء واللام والميم و النون)"<sup>(١)</sup>.

والظاهر من الأمثلة التي ساقها من كتب التراث أنّ الصوت المخالف لا يعدو أن يكون من الأصوات السبعة المذكورة كما يلي:

عدبّس - عدنبس - بب تتحول ن ب.

كرّاسة - كرناسة - ر ر تتحول رن.

قنّبيط - قرنبيط - ن ن تتحول ر ن.

مفطّح - مفلطح - ط ط تتحول ل ط.

اجّاص - انجاص - ج ج تتحول ن ج.

عقّافة - عرقافة - ق ق تتحول ر ق<sup>(٢)</sup>.

ووجه الشبه بين هذه الأصوات أن مجرى الهواء يتسع مع الأصوات المائعة أكثر من اتساعه مع الأصوات الساكنة، وأنّ الأصوات المتوسطة أقرب الأصوات في الوضوح السمعي إلى أصوات اللين، كما تتميز بالخفة والسهولة والاعتدال في الجهد العضلي المبذول.

وقد تبين ذلك من خلال استقراء بعض معاجم اللغة العربية والقرآن الكريم إنّ الراء وردت بأعلى نسبة في المعاجم الثلاثة (الصّحاح واللّسان والتاج)، ثم النون في اللّسان والتاج، ثم الميم في اللّسان والتاج، أمّا النون فقد وردت بأعلى نسبة في الصّحاح وكان اللام آخرها، أمّا فيما يتعلق بالقرآن الكريم فقد تبين أن اللام وردت ٣٣٠٢٢ مرة، والنون ٢٥٢٥ مرة، والراء ١١٧٩٣ مرة<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: السابق، ص ٢٦١.

(٢) السابق، ص ٢٦١.

(٣) دراسة إحصائية لجذور معجم باستخدام الكمبيوتر، علي حلمي موسى، الهيئة المصرية للكتاب، ص ١١٣.

ومن خلال الأمثلة التي ساقها، وعلى ضوءها فسّر حدوث ظاهرة اللحن، يخلص عبد العزيز مطر إلى حقيقة هي أنّ المغايرة قرّرها اللغويون المحدثون واعترفوا بأثرها في التطور الصوتي في جميع اللغات<sup>(١)</sup>.

### المخالفة عند محمود فهمي حجازي:

عبر محمود فهمي حجازي هو الآخر عن المخالفة بمصطلح المغايرة، وبيّن أنها نقيض المماثلة تؤدي إلى أن تصبح الصوامت المكوّنة مختلفة بعد أن كانت متّفقة أو متقاربة<sup>(٢)</sup>. وتتضح ظاهرة المغايرة عنده من خلال الأمثلة التي ساقها وهي:

عنوان - علوان - ن ن - ل ن.

لعلّ - لعنّ - ل ل - ل ن.

كرسار - كرسان - ر ر - ر ن.

وفي هذه الأمثلة خالفت الأصوات المتماثلة أو التي يؤدي تجاوزها إلى ثقل النطق وذلك بإحلال صوت آخر محلّ أحد المتماثلين، فالأمثلة توضح أن الصوتين الناتجين متباعداً عن الصوتين الموجودين في الكلمة الأساسية، ولذا فالتغير الحادث مغايرة<sup>(٣)</sup>.

### المخالفة عند الطيب البكوش:

تطرق الطيب البكوش إلى التغيرات الصوتية التي تسعى في حركتها نحو التخالف، مستعملاً مصطلح التباين الذي هو نزعة صوتين متماثلين، أو متقاربين إلى التباعد والتباين حتى يخف نطقها<sup>(٤)</sup>.

والتباين عنده من الظواهر التشكيلية التي يستلزم النظام الصوتي ومظهر من مظاهر التطور تتدرج فيه الأصوات عبر مسار تحوّلي يتجه نحو الأيسر والأسهل، وتحدث كثيراً في العربية، وبخاصة معالجة الكلمات الدخيلة وفي نطق العامّة للكلمات العربية الأصل.

والظاهر من الأمثلة التي ساقها، أنّ الناطق التمس سبيل التباين لتجاوز ثقل التماثل وذلك بإبدال أحدهما صوتاً من الأصوات المائعة مثل:

قبرة - قنبرة - ب ب - ن ب.

فقع - فرقع - ق ق - ر ق.

(١) ينظر: لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص ٢٦٩.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة، د. فهمي حجازي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٨، ص ٨٧.

(٣) السابق، ص ٨٧.

(٤) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، الطيب البكوش، ص ٧٢.

قَنَب - قَرَنب - ن ن - ن - رن.

كما أنّ الصوامت تتأثر بعامل التباين، كذلك هي الصوائت، حيث تتدخل المخالفة للتخلص من الثقل، ولعلّ الغاية من ذلك تحقيق التيسير النطقي والابتعاد عن نطق حركتين. وإذا كان أحمد مختار يركز على الجانب الدلالي في بيان أهمية المخالفة فإنّ الطيب البكوش يرى فيها قيمة تفارقية في تنوع الصيغ الفعلية كما في:

فَعَلَ - يَفْعَلُ<sup>(١)</sup>.

فَعَلَ - يَفْعُلُ أو يَفْعَلُ.

نخلص من معالجة المحدثين لظاهرة المخالفة أنهم تباينوا في تحديد مصطلحاتهم، لكنهم اتفقوا على أنّها الوجه المقابل للمماثلة، تسعى إلى التقليل من الجهد العضلي، وهي مظهر من مظاهر التطور يجنح إليها المتكلم لتجنب الثقل الناتج عن التضعيف، وهي بذلك إحدى نتائج السهولة التي نادي بها الكثير من اللغويين.

---

(١) ينظر: السابق، ص ٧٣.

المبحث الثاني

أنواع المخالفة

المخالفة التقدیمیة المتصلة

المخالفة التقدیمیة المنفصلة

المخالفة الرجعیة المتصلة

المخالفة الرجعیة المنفصلة

المخالفة المتباعدة

المخالفة الكمية

المخالفة بالحذف

## أنواع المخالفة:

تتنوع المخالفة إلى تقديمية ورجعية، والتقدمية أن يوجد صوتان متشابهان فيؤثر السابق في اللاحق، والرجعية أن يؤثر الصوت الثاني في الأول، وفي كلتا الحالتين قد يكون الصوتان محل التأثير في حالة الاتصال، وقد يكونا منفصلين بعضهما عن بعض، وإذا لم يتم تعويض الصوت المثل أو المجانس المحذوف فتكون المخالفة وقتئذ بالحذف وفيما يلي تتبع لأنواعها بالأمثلة والشواهد.

### المخالفة التقدمية المتصلة:

وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني المتصل، فيكون الثاني هو المخالف، وفي العربية كلمات كثيرة تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة، فيتحول الثاني إلى صوت لين طويل، أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين من ذلك:

كراسة - كراسة - رر - رن

فرك - فرنك<sup>(١)</sup> - رر - رن

ذروخ<sup>(٢)</sup> - ذرونخ - رر - رن

طرح<sup>(٣)</sup> - طرمح - رر - رم

اختارت العربية النون والميم بدلاً عن أحد عنصري التضييق فراراً من تتابع رائين في الأمثلة السابقة، لأن الناطق لهذه الكلمات يحس بثقل الإدغام فيها، لأن النطق بصوتين متماثلين يحتاج إلى مجهود عضلي<sup>(٤)</sup>.

ورغم أن الإدغام أسلوب من أساليب التسهيل كونه يختزل عمليتين في عملية واحدة فقط، إلا أن الناطق أراد أن يتحول من السهل إلى الأسهل عن طريق مخالفة الصوت الثاني للأول بقلبه بتلك الأصوات التي لا تلتزم مجهوداً عضلياً، كالنون في الأمثلة الثلاثة الأولى والميم في المثال الرابع.

ومن نماذج المخالفة التقدمية المتصلة صعوبة النطق بصوتين متماثلين كما في " تقعر " فعملت المخالفة الصوتية على فك هذا الاستتقال والاستعاضة عن الصوت الثاني بواو، لما تتميز به من خفة وسهولة في التحقيق فتصبح الصيغة كالاتي:

تقعر - تقعور - عع - عو

وكذلك:

(١) ينظر: المدخل إلى علم الأصوات، د. صلاح حسن حسين، ص ٨١-٨٢.

(٢) الزرنوخ والذرنوخ: دويبة حمراء منقطة بسواد تطير، وهي من السموم ينظر القاموس المحيط للفيروز أباذي مادة (ذرح) ج ١، ص ٣٠٢.

(٣) طرَح البناء وطرّمحه طوله، الطرموح كزنبور الطويل وكسمّار العالي النسب المشهور والطامح في الأمر، ينظر: القاموس المحيط مادة (طرح) ج ١، ص ٣٢٦.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢١٦.

ومن صور التخالف التقديمي المتصل ما ورد في كتب التراث فقالوا في "خبّبوا": "خبخبوا" إذ خالفوا بالباء الثانية فجعلوها خاء، ولم يجعلوها أحد الأصوات المائعة مماثلة للحاء الأولى، جاء في لسان العرب: (وخبخبوا: ابردوا، خبّبوا بثلاث باءات أبدلوا من الباء الوسطى خاء للفرق بين فعل وفعل وإنما زادوا الخاء من سائر الحروف لأن في الكلمة خاء، وهذه علّة جميع ما يشبهه من الكلمات) (١).

### ب - المخالفة التقديمية المنفصلة:

وفيها يؤثر الصوت الأول في الثاني المنفصل، فيكون الثاني هو المغاير، ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

مخالفة العربية بين المثليين المتباعدين في الكلمة بحذف أحدهما والتعويض عنه بصامت آخر غالبا ما يكون التعويض بأشبه الحركات (الياء والواو)، أو بأحد الأصوات المائعة ومن ذلك قول العرب: تلّعت "وأصله" تلّعت من اللعاعة فجاء بالياء مكان العين، قال ابن جني: "وأخبرنا أبو علي بإسناده عن يعقوب، قال: قال ابن الإعرابي: تلّعت من اللعاعة، بقلة وأصل تلّعت فأبدلوا من العين الآخرة ياء، كما قالوا تفضّيت وتظنّيت" (٢).  
ويتمطّى والأصل يتمطّط قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ (٣).

وبالإضافة إلى ما سبق، فقد ذكر اللغويين من هذا الباب لبيك أيضا والأصل فيه "لبيك" من ألبّ بالمكان قال الخليل: "ويقال ألبّ الرجل بمكان كذا وكذا أي أقام، وكان الوجه أن تقول لبيتك لأنهم شبهوا ذلك باللبب" (٤).

نستنتج من هذه الأمثلة أنّ القدماء استنقلوا التضعيف ووجدوا في تحقيقه عسراً ومشقة على اللسان، وذلك لصعوبة ارتفاعه والعودة إلى النقطة نفسها في اللحظة ذاتها لتحقيق الصوت ذاته ثانية فمالوا إلى إبدال الصوت المضعف بأحد الأصوات الصائتة (٥). وعلى أساس المخالفة بين الحركات نفسر إعراب جمع المؤنث السالم بالكسر نيابة عن الفتح في حالة النصب، فالتحريك بالكسر في حالة النصب ليس إلا مخالفة صوتية مع الفتحة الطويلة قبلها (٦)، وقد احتفظت اللغة العربية بألفاظ ظهر فيها الإعراب الأصلي لجمع المؤنث السالم بالفتح في حالة النصب من ذلك قول أبي عمرو بن العلاء "استأصل الله عَرَاقَتَهُمْ" (٧) -

(١) القاموس المحيط مادة (خبّب) ، ج ٥ ، ص ٧.

(٢) سر صناعة الإعراب، ج ٢، ص ٧٦٣.

(٣) [القيامة: ٣٣].

(٤) كتاب الجمل في النحو، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، ص ١٥٣.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص ٢٦٩.

(٦) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص ٣٨٨.

(٧) الخصائص، ج ١، ص ٣٨٤.



بفتح التاء - ومن بقايا الركام اللغوي التي تدل على أنّ أصل حركة نون المثني هي الفتحة كلمة (شَتَان) ومن ذلك قول العرب: (شَتَانٌ أَخوك وأبوک) أي هما متفرقان فهو تثنية شتّ "جاء في اللسان: (الشتّ المتفرق وتثنية شَتَان وجمعه اشتات)<sup>(١)</sup> وإن كان السلف يفرّقون بين شَتَان بالفتح وشَتَان بالكسرة فيزعمون أنّ شَتَان بالفتح يفيد التثنية، ولكن ليس له مفرد من لفظه قال أبو زيد: (شَتَانٌ منصوب على كل حال، لأنه ليس له واحد)<sup>(٢)</sup> أما تثنية شتّ فهي شَتَان بكسر النون وحقيقة الأمر أنّ "شَتَان" متطورة عن "شَتَان" وكلاهما يفيد التثنية، فشَتَان هي الصورة الأصلية للمثنى شَتَان "بكسر النون"<sup>(٣)</sup>.

ومن صور المخالفة بين الحركات، تحريك نون التوكيد الثقيلة بالكسر بعد الفتحة الطويلة وذلك في مثل قولهم: (هل تفعلان ذلك، وتضريان زيدياً)<sup>(٤)</sup>.

وفي القرآن الكريم نجد هذا الاستخدام قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٥)</sup> بينما تكون محرّكة بالفتح بعد الضمة والكسرة في مثل: لتضربنّ، ولتضربنّ<sup>(٦)</sup>.

ومن هذا القبيل تحريك نون الأفعال الخمسة بالكسر في مثل "يفعلان" و "تفعلان" وذلك لأجل المخالفة مع الفتحة الطويلة قبلها ، بينما بقيت مفتوحة في الأمثلة الباقية هي: "تفعلون" و "يفعلون" و "تفعلين" وذلك لأنها وقعت بعد ضمة طويلة وكسرة طويلة وكلاهما مخالف للفتحة<sup>(٧)</sup>.

ومن هذا القبيل ما رواه الفراء عن أبي الجراح قوله: "ما من قوم إلّا وقد سمعنا لغاتهم بنصب التاء، وقد ذكر الفراء أنّ أبا الجراح قد رجع عن قوله لغاتهم إلى لغاتهم بالكسر"<sup>(٨)</sup>. فمجيء الفتح في هذه المفردات دليل قوي على أنّ الأصل في جمع المؤنث المنصوب أنّ يحرك بالفتح، وأنّ ما آل إليه الاستخدام اللغوي من قلب الفتحة إلى كسرة كان استجابة لتأثير المخالفة لبلوغ اليسر في النطق والاكتفاء بالحد الأدنى من الجهد المبذول في عملية الإنتاج الصوتي<sup>(٩)</sup>.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة(ش ت ت) ج ٨، ص ٢٠.

(٢) السابق، ج ٨، ص ٢٠.

(٣) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي، ص ٣٩٠.

(٤) كتاب، سيوييه، ج ٣، ص ٥٢٢، ٥٢٣.

(٥) [يونس: ٨٩].

(٦) الخصائص، ابن جني، ج ١، ص ٣٨٤.

(٧) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي، ص ٣٨٨.

(٨) معاني القرآن للفراء، ج ٢، ص ٩٣.

(٩) ينظر: علم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، ص ١٤٩.

ومن المخالفة الصوتية في العربية، المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين إذا كانت الأولى منهما طويلة، إذ تتحول الثانية منهما في هذه الحالة إلى كبيرة<sup>(١)</sup> ومن ذلك ما يحدث لفتحة نون المثني التي تحولت إلى كسرة بسبب تتابع فتحتين طويلة وقصيرة، فخولف بينهما بتحويل فتحة النون إلى كسرة.

وقد ذهب السلف إلى أن الأصل في نون المثني هو الفتحة بدليل وجود بعض الألفاظ التي تمثل الركाम اللغوي للظواهر الغوية كقول الشاعر:

عَلَى أَحْوَدِيَيْنِ اسْتَقَلَّتْ عَشِيَّةٌ      فَمَا هِيَ إِلَّا لَمَحَّةٌ وَتَغِيْبُ

ثم أعقبه ابن مالك بقوله "هكذا أنشده الفراء بالفتح، وليس موضع ضرورة"<sup>(٢)</sup>.  
ومن الشواهد التي جاءت فيها نون المثني مفتوحة قول رؤية ابن العجاج<sup>(٣)</sup>:

وَهِيَ تَرَى سَيِّئَهَا إِحْسَانًا      أَعْرِفْ مِنْهَا الْأَنْفَ وَالْعَيْنَانَا  
وَمُنْخَرَيْنِ أَشْبَهَا ظُبْيَانَا.

وعلى أساس المخالفة بين الحركات نفس إبقاء حركة نون جمع المذكر السالم مفتوحة في جميع الأحوال، ذلك أن نون جمع المذكر السالم لم تكن مسبقة دائماً وأبداً إما بضمة طويلة مثل: "مسلمون" وإما بكسرة طويلة "رأيت المسلمين" و "مررت بالمسلمين"، والذي دعا إلى جعل حركة نون جمع المذكر السالم فتحة أن الكسرة والفتحة كلاهما حركة مغلقة<sup>(٤)</sup> والمقابل الخلافي لهما هو الفتحة المتسعة، فتحريك نون جمع المذكر السالم من أصل الوضع بالفتحة لعله روعي فيه تحقيق هذه المخالفة الصوتية<sup>(٥)</sup>.

### ج - المخالفة الرجعية المتصلة:

وفيها يؤثر الصوت الثاني في الأوّل المتصل فيكون الأوّل هو المخالف، ومن أمثلتها ما روي عن أهل العراق في القرن الثاني الهجري أنهم كانوا يقولون في: "إِجَاصٌ" للكُمثري: "انجاص" وفي "الترج" "الترنج" وفي "الجانه" "انجانه"<sup>(٦)</sup> فالناظر إلى هذه الأمثلة يدرك أن العربية قد نجحت في تخلصها من ثقل التماثل الوارد فيها بالتماسها صوتاً من المجموعة

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي، ص ٣٩٠.

(٢) شرح التسهيل، ابن مالك، ج ١، ص ٦٥.

(٣) ديوان رؤية ضمن مجموعة أشعار العرب، اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسي، ص ١٨٧.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٥) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي، ص ٣٩١.

(٦) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص ٣٨.

المائعة، لأن النطق بالصوت المضعف يجهد آلة التصويت، لأنه يتطلب في تحقيقه مجهوداً عضلياً أكبر، ومن هنا آلت في مسارها التخفيفي إلى استبدال أحد المتلين صوتاً مائعاً لأنه لا يستلزم لإنتاجه مجهوداً كالذي يحتاجه الصوت المضعف لإصداره.

ففي "إجاص" أثر الصوت الثاني على الأول فجعله يخالفه إلى نون وبالتالي التخلص من التضعيف لتصبح الحالة كالآتي:

إجاص - انجاص - جج - ن ج.

وكذلك في: اترج - اترنج - رر - ر ن.

وفي: اجانه - انجانه - جج - ن ج.

"اخترت العربية النون والراء بديلاً عن أحد عنصري التضعيف فرارا من تتابع جيمين أو رائين" ومن أمثلة المخالفة الرجعية المتصلة تأثير الصوت الثاني على الأول في "إجار" فيجعله يخالف إلى "نون" وبالتالي التخلص من التضعيف لتصبح "انجار" التي جمعت أناجير، كما ورد ذلك في حديث الهجرة: (استقبل الناس في المدينة النبي ﷺ على الأناجير) (١).

كلمة "قيراط" و"دينار"، بدلا من "قرّاط" و "دنّار" (٢) بدليل أنها في حالة الجمع تأتي "قراريط" و "دنانير" فقد فصل بين المتماثلين، وهما على الترتيب صوت الراء، وصوت النون بصوت الياء وذلك للمخالفة بينهما.

وقد تكون المخالفة جنوحاً إلى الخفة في النطق وهروباً من ثقل اجتماع صوتين مطبقين، فقد أورد سيبويه أن العرب تبدل الضاد من اضطجع لاما يقول: "ومثل ذلك قول بعض العرب الطجع في اضطجعّ أبدل اللام مكان الضاد كراهية النقاء المطبقين، فأبدل مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف" (٣).

ومن هذا القبيل المخالفة بين أشباه الحركات الواو والياء في مثل "طي" و "لي" وأصلها "طوي" و "لوي" وقد التزمت العربية المخالفة بينهما؛ لأن تتابع الواو والياء مستنقل مكروه، يعلّل سيبويه ذلك قائلاً: "وذلك لأن الياء والواو بمنزلة التي تدانت مخرجها لكثرة استعمالهم إياهم، وممرّهما على ألسنتهم. فلما كانت الواو ليس بينها وبين الياء حاجز بعد الياء ولا قبلها، كان العمل من وجه واحد ورفع اللسان من موضع واحد، أخف عليهم، وكانت الياء الغالبة في القلب لا الواو، لأنها أخف عليهم، لشبهها بالألف" (٤).

(١) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس ٢١٥.

(٢) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، ص ٢١٣.

(٣) كتاب، سيبويه، ج ٤، ص ٤٨٣.

(٤) السابق، ج ٤، ص ٣٦٥.

والمسوغ الصوتي لهذه المخالفة هو أن النطق بالواو يتطلب بروز الشفتين إلى الأمام واستدارتها، وهذا يحتاج إلى جهد عضلي، كما أن الواو يرتفع معها مؤخر اللسان، بينما الياء يرتفع الجزء الأساسي من اللسان وحركة الجزء الأساسي من اللسان أخف من حركة الجزء الخلفي منه، لهذه الأسباب التزمت العربية التخلص من الواو متى اجتمعت مع الياء دون أن يفصل بينهما فاصل من حركة أو صامت وعوضت عن الواو المحذوفة بمد الياء<sup>(١)</sup>.

تتأثر الواو بالكسرة التابعة لها في أول الكلمة فتبدل همزة كما هي:

وشاح - إشاح.

وسادة - إسادة.

وفادة - إفادة.

فما حدث في هذه الأمثلة أن الواو التقت بالكسرة، وهو التقاء يرفضه الذوق العربي وبخاصة إذا كان في أول الكلمة، والتعليل الصوتي لذلك هو أن: "الواو تستثقل ما لا يستثقل غيرها من الحروف، فإذا كان ذلك في أول الكلمة كان أثقل من أن يكون في الحشو منها، وقد يكون أكثر ما قلبت من الواوات.... ما كان مضموم في أول الكلمة.... والدليل على أن الواو أثقل من غيرها أن قلبها إلى غيرها أكثر من قلب غيرها إليها والدليل على أن الضمة تنقلها أنها متى كانت مضمومة جاز قلبها إلى همزة أين وقعت على الشرط الذي وضعنا، والدليل على أن أول الكلمة أثقل وأولى بالإعلال من الحشو أن الواو إذا كانت مكسورة في أول الكلمة جاز همزها كقولنا في وسادة: إسادة وفي وشاح إشاح... فلما كان ذلك على ما ذكرنا ووقعت الواو مضمومة في أول الكلمة جاز إبدالها لما ذكرنا فقلبت همزة<sup>(٢)</sup>.

والواو المفتوحة أو المكسورة أو المضمومة في بداية الكلمة تُخالف إلى همزة عند أهل تميم<sup>(٣)</sup>. لم تنتقيد العرب في معالجتها لنقل التماثل بأصوات اللين، أو الأصوات المائعة، التي اعتادت المخالفة بها، بل دعاها ذوقها إلى الاستعانة بأصوات أخرى لتجاوز ثقل التماثل ومن ذلك استئثار العرب القرآن بين المتجانسين الواو والضمة في: "وكلان"، و "وُراث" و "وُجاه" و "وقية" التي أصبحت "تكلان" و "تُراث" و "تُجاه" و "تقية"<sup>(٤)</sup>. فلما كان بين الحركات

(١) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، ص ٣٤٧.

(٢) السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، عبد المنعم فاطر، ص ٥٧٣.

(٣) المدخل إلى علم الأصوات، صلاح الدين صالح، ص ٨٢.

(٤) ينظر: التصريف الملوكي، ابن جني، ص ٤١.

والحروف هذه المناسبة أجروا الواو والضمة مجرى الواوين المجتمعتين فعملوا على المخالفة بينهما بإبدال الواو تاء تخفيفاً للنطق وتسهيله.

وقد ردّ عمر بن ثابت الثماني (ت: ٤٤٢هـ) سبب اختيارهم التاء هاهنا إلى كونها أقرب الأصوات من الواو يقول: "والسبب في ذلك أن الواو حرف معتل، والحركة فيه تنقل، والواو مخرجها من الشفة، ومخرج التاء من طرف اللسان وأصول الأسنان، فلما قارب مخرج التاء مخرج الواو وكانت التاء أجلد من الواو وأحمل للحركة قلبوا التاء من الواو فقالوا "تُجاه" وأصله "وُجاه" ... وقالوا: "تُراث" وأصله "وُراث" ... وقالوا: "تُكلان" وأصله "وُكلان" وقالوا: "تُكأة" وأصلها "وُكأة" ... وقالوا: "اتلُجه" وأصله "أولُجه" (١).

### المخالفة الرجعية المنفصلة:

وفيها يؤثر الصوت الثاني في الأول المنفصل، فيكون الأول هو المخالف، ومن صور هذا النوع ما ورد في قواعد الصرف من قلب الواو همزة إذا تصدرت قبل واو متحركة مطلقاً أو ساكنة، ومن أمثلة ذلك:

وُواق - أواق - وو - أو.

وواصل - أواصل - وو - أو.

وُوائق - أووائق - وو - أو.

وواني - أوواني - وو - أو.

(اختارت العربية همزة بديلاً عن أحد عنصري التضعيف فرارا من تتابع واوين).

والقاعدة الصرفية تفيد أنه يخالف بين واوين متى اجتمعتا في أول الكلمة وتحقق الكلمة وتحقق الحركة ينشأ عنه صوت همزة، وليس كلّ ذلك إلا نتيجة تأثير الواو الثانية على الواو السابقة لها، لنقل التضعيف عن طريق المخالفة بينهما، والمسوغ الصوتي في إبدال العرب الواو المضمومة همزة يرجع إلى كون الواو تستنقل ما لا يستنقل غيرها من الحروف، وقد التزمت العربية المخالفة بين الواوين متى اجتمعتا في أي سياق صوتي يقول ابن جني: "وإذا التقت واوان في أول الكلمة لم يكن من همز الأولى بدّ، وذلك نحو الأولى أصلها وُولى" (٢).

وإذا كان الأقدمون من النحاة واللغويين العرب قد ذهبوا إلى أن الواو الأولى أبدلت همزة، فإنّ بعض المحدثين يرى أنه لا يجوز أن نقول إن الواو أبدلت منها همزة في وواق - أواق ونظائرها

(١) شرح التصريف، تأليف عمر بن ثابت الثماني، تحقيق د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٩م، ص ٣٤٩.

(٢) سر صناعة الإعراب، ج١، ص ٩٨.

لأنه لا توجد أية قرابة صوتية بين الواو والهمزة من حيث المخرج ولا من حيث الصفات، فالهمزة صوت حنجري انفجاري لا هو مهموس ولا مجهور<sup>(١)</sup> والواو نصف حركة شفوي مجهور<sup>(٢)</sup>، فهما من حيث المخارج والصفات متباعدان، ومن ثم لا يمكن البتة أن يبدل أحدهما بالآخر. ومن ذلك كلمة "شمس" في السامية الأولى "شمش" كما هو الحال في الأكادية والعبرية والآرامية، والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم تقلب في العربية سيناً، وأن هذا القلب هو من قبيل التغيرات التاريخية لصوت الشين السامية، وبتطبيق القانون التاريخي، تصبح الكلمة العربية هي "شمس" إلا أن المخالفة بين صوتي السين في الكلمة أدّى إلى تحويل الأولى شيئاً<sup>(٣)</sup>.

### المخالفة المتباعدة:

تقع المخالفة المتباعدة في الأصوات التي يفصل بينها فاصل من صوت آخر غير مناظر<sup>(٤)</sup> مثل:

اخضر - اخضوضر - اعشيشب - اعشوشب.

خالفت الراء الأولى في المثال الأول، والباء الأولى في المثال الثاني المنفصلتان في كلّ فعل بالصائت الانتقال الواو، هروباً من ثقل التضعيف، والمتفحص لهذين المثالين يلاحظ أنّ التضعيف فيها قد شمل صوتين آخرين غير الراء والباء هما "الضاد" في "اخضر" و"الشين" في اعشيشب" فلم مست المخالفة التضعيف في الراء والباء، وخت سبيله في الضاد والشين وتضعيفهما أثقل من تضعيف سابقيهما؟

لو خصّت المخالفة الضاد في "اخضر" وتركت الراء، بإبدال أحد الضادين إلى أحد الأصوات المائعة لأجتمع لدينا الأشباه مع وجود الراء مكررة ونكون بذلك قد عدنا إلى ما فررنا منه، من حيث إن اجتماع الأشباه فيه ثقل على اللسان، شأنه شأن التضعيف فالتجئ إلى مخالفة التضعيف في الراء. أمّا "الشين" في "اعشيشب" فالسبب في إبقاء تضعيفها ومخافة تضعيف "الباء" هو وقوع الباء الانفجارية داخل سلسلة من الأصوات الاحتكاكية ممّا يعرقل حركتها الانسيابية، ويوقف جريان الصوت في وسطها، فعمد بالتالي إلى مخالفة "الباء" الثانية بأحد الأصوات الذي يستمر معه مدّ الصوت ويجانس مجاوريه، إراحةً للجهاز الصوتي واقتصاداً في الجهد.

(١) علم الأصوات، د. بشر، ص ٢٨٨.

(٢) السابق، ص ٣٦٩.

(٣) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التّواب، ص ٣٧.

(٤) الأصوات اللغوية، د. عبد القادر عبد الجليل، ص ٢٩٧.

## المخالفة الكمية:

غالبا ما تكون بين المقاطع، الصوتية، ومن أمثلتها ما يحدث لضمير المفرد الغائب، من تقصير حركته في اللغة العربية بعد المقطع الطويل وذلك للمخالفة الكمية بين المقطع لكي لا يتوالى مقطعان طويلان يصعب نطقهما:

لهو - له.

بهى - به.

لك - لكي<sup>(١)</sup>.

لَمَّا كان المقطع السابق لمقطع الهاء من النوع الطويل، كرهت العرب الاتيان بآخر يساويه في الطول، فعملت على المخالفة الكمية بينهما تيسيراً للنطق

ومما ساقه اللغويون القدامى من أمثلة دليل على أنّ الهاء أصلها الضم وبعدها الواو<sup>(٢)</sup> منها: "ضربهو زيد، ولديهو رجل"<sup>(٣)</sup>. ونسب سيبويه هذا الاستخدام لأهل الحجاز يقول "وأهل الحجاز يقولون مررت بهو قبل، ولديهو مال.

ويقروون: ﴿وخسفنا بهو وبدارهو الأرض﴾<sup>(٤)</sup> <sup>(٥)</sup> ويعلل سبب تخفيض كمية المقطع أو حذف الواو والياء قائلاً "لأنّ الهاء من مخرج الألف، والألف تشبه الياء والواو، تشبههما في المد، وهي أختهما، فلَمَّا اجتمعت حروف متشابهة حذفوا، وهو أحسن وأكثر"<sup>(٦)</sup>.

## المخالفة بالحذف:

وفيهما يحذف صوت أو أكثر من البنية اللغوية بدون تعويض بصوت آخر أو يتحوّل مقطعان صوتيان إلى مقطع واحد، فإذا ما توالى في العربية مقطعان صوامتهما متماثلة في أوّل الكلمة أو في وسطها، أو في آخرها، فإنه كثيرا ما يكتفي بواحد منهما<sup>(٧)</sup>.

ولئن كانت ظاهرة توالي الأمثال تلتقي مع المخالفة في مقصودهما العام فليس من التجوّز أو التعسّف عد ظاهرة توالي الأمثال نوعا من المخالفة، يقول برجشتراسر: "ومن الترقيم

(١) الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، ص ٢٩٧.

(٢) ينظر: كتاب، سيبويه، ج ٤، ص ١٩٥.

(٣) السابق، ج ٤، ص ١٨٩.

(٤) [القصص: ٨١].

(٥) كتاب سيبويه، ج ٤، ص ١٩٥.

(٦) السابق، سيبويه، ج ٤، ص ١٨٩.

(٧) ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي، ص ٣٠٠.

ماهو جنس التخالف، وهو حذف أحد المقطعين متتاليين أو لهما حرفان مثلان أو شبهان" (١).

ومن أبرز الأمثلة على المخالفة بحذف أحد المثليين المتتابعين في أول الكلمة، حذف إحدى الهمزتين في مضارع الثلاثي المزيد بالهمزة أي في مضارع "أفعل" نحو "أكرم" و "أخرج" فالمضارع منه "أكرم" و "أخرج"، فهنا اجتمعت همزتان: همزة المضارعة وهمزة "أفعل" فعمدت العربية إلى المخالفة بينهما اقتصاداً في الجهد العضلي عن طريق حذف إحداهما وهي الهمزة الثانية من "أفعل" نظراً للوظيفة اللغوية التي تؤديها همزة المضارعة ومن ثم أصبح الفعلان "أكرم" و "أخرج" (٢)، والتزام العربية حذف إحدى الهمزتين راجع إلى ثقل تتابعهما يقول سيبويه: "فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحققاً" (٣).

كما أن العربية قد تتخلص من تتابع صامتتين متماثلتين في وسط الكلمة طلباً للخفة من ذلك: ظلت والأصل فيها ظللت: تتابعت لامان فحذفت الأولى ومن ثم قيل ظلت وظلت "بكسر الظاء" ومنه قوله تعالى: ﴿فَطَلَّمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (٤)، وقوله: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفا﴾ (٥).

ومما التزمت العربية حذفه فرارا من تتابع الأمثال، حذف نون الأفعال الخمسة عند توكيدها بنون التوكيد وذلك نحو "لتضربان" و "لتخرجان" والأصل "لتضربان + ن" و "لتخرجان + ن" فمع التوكيد تتابع نونان قصيرة وطويلة ومن حيث الوظيفة اللغوية ثلاث نونات ولهذا فرّق بينها بحذف نون الأفعال الخمسة للاقتصاد في الجهد يقول سيبويه: "وإذا كان فعل الاثنتين مرفوعاً وأدخلت النون الثقيلة حذفت نون الاثنتين لاجتماع النونات" (٦) كذلك الحال بالنسبة لتفعلون وتفعلين أيضاً عند توكيدها بنون التوكيد الخفيفة أو الثقيلة إذ تحذف نون الفعل بسبب تتابع النونات تقول لتضربن زيدا والأصل لتضربونن ولتضربن زيدا والأصل لتضربينن "بكسر الراء والباء" فخولف بين النونين بحذف نون الفعل فصار الفعلان لتضربن، ولتضربن (بكسر الباء) (٧) ويمكننا الخروج بالنتائج التالية:

(١) التطور النحوي، برجستراس، ص ٧٠.

(٢) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي، ص ٣٠٠.

(٣) كتاب سيبويه، ج ٣، ص ٥٤٩.

(٤) [الواقعة: ٦٥].

(٥) [طه: ٩٧].

(٦) كتاب سيبويه، ج ٣، ص ٥١٩.

(٧) ينظر: أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب، ص ٣١٩.



١- لم يخص اللغويون والنحاة ظاهرة المخالفة بمصطلح مقيد لها بل جاءت تحت مسميات متباينة كالمغايرة وثقل التضعيف واستثقاله وكراهية اجتماع حرفين من جنس واحد وغيرها.

٢- الأمثلة على ظاهرة التخالف قليلة في العربية والسبب في ذلك يعود إلى أنّ العربية في الأصل لم تتورط في تراكيب عسيرة تحتاج إلى التخالف كما أنّها تتخلص من النقاء المتماثلين بالإدغام أو الحذف.

٣- العلة من حدوث التخالف هي طلب الخفة كما أنّها قد تكون لأسباب نفسية أو دلالية.

٤- قد يبدل حرف بحرف أثقل منه كراهة لاجتماع الأمثال (كما في حيوان).

٥- تفسر وتعلل المخالفة بعض القواعد النحوية (كنصب جمع المؤنث السالم بالكسرة).

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنتزل البركات، ويتوفيقه تتحقق الغايات، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة وبعد.. فهذا ما وسعه الجهد في دراستي المتواضعة والتي جاءت تحت عنوان "الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية والصرفية وعلاقتها بظاهرتي المماثلة والمخالفة" والذي أرجو أن تكون هذه الدراسة إضافة ذات قيمة إلى جهد من سبقني خدمة لكتاب الله عزّ وجل، وأن تكون قد فتحت الأفق لدراسات أوسع لمن يأتي من بعدي.

ويمكن أن ألخص أهم نتائج هذه الدراسة في ما يلي:

\* أصالة الدراسات اللغوية العربية القديمة، وعدم وجود تباين وتضاد بينها وبين الدراسات اللغوية المعاصرة - إلا ما ندر-، مما يبعث في النفس الفخر والاعتزاز بالعقلية العربية، وما وصلت إليه في القرون الخالية من تقدم ورقي.

\* مفهوم الحرف يعادل مفهوم الفونيم عند المحدثين الذي هو عبارة عن تلوينات صوتية تتطوي جميعاً تحت مصطلح حرف نحو الألف بكل صوره (من تفخيم، وترقيق، وتوسّط، وإمالة).

\* إنّ الأصوات اللغوية يطرأ عليها في الأداء اللغوي تغيرات وتحولات عديدة، تحددها طبيعة الظروف المحيطة بالصوت من ناحية، وظروف الصوت نفسه من ناحية أخرى.

إنّ مفهوم ظاهرة المماثلة يتمثل في تفاعل وتأثر الأصوات المتجاورة المتقاربة بعضها ببعض داخل الكلمة الصوتية. ولذا فهي تعدّ من جملة الظواهر الموقعية التي تأتي في موقع محدد بعينه، وبئة مخصوصة مشروطة.

\* تحدث ظاهرة المماثلة على مستوى الصوامت - منفردة، وعلى مستوى الصوائت - منفردة - أيضاً كما تحدث على المستويين معاً.

\* إن في ظاهرة المماثلة ما يعدّ خرقاً للنظام اللغوي وخروجاً عليه، فهي تحدث حالة من عدم التحفّظ في الأداء اللغوي، والتكاسل في إعطاء كلّ حرف حقه ومستحقّه في المخرج والصفات، أمّا الجانب الدلالي فقد يلحقه تأثير بسبب هذه الظاهرة.

\* لظاهرة المماثلة صور متعددة أهمّها الإدغام، والإخفاء، الإبدال، والإشمام، والإقلاب، والإمالة، إلا أنّ الإدغام (التمائل التام) يعدّ أبرز مظاهرها، وأوضح صورها، وأقيس أشكالها في اللغة العربية.

\* تقوم ظاهرة المماثلة على مبدأ القوّة - في أغلب صورها وأمثلتها -.

\* يكثر في ظاهرة المماثلة وقوع التأثير من الصوت اللاحق على الصوت السابق، وذلك ما يعرف بالتمائل الرجعي (المدبر)، في حين يقل ويندر وقوعه من الصوت السابق على اللاحق، وهذا ما يعرف بالتمائل التقدمي (المقبل).

\* تهدف كل من ظاهرتي المماثلة والمخالفة إلى التخفيف على المتكلم، والانسجام بين أصوات اللغة.

\* تمثلّ القراءات القرآنية بجميع أقسامها، واللهجات العربية بمستوياتها كافة مصدراً ثراً، وصوراً صادقة لحدوث ظاهرتي المماثلة والمخالفة.

\* تأتي ظاهرتي المماثلة والمخالفة في أشكال شتى، وبدرجات متفاوتة، فهي تحدث بين الأصوات المتجاورة (المتلاصقة) التي لا يفصل بينها فاصل حركي أو حرفي - وهذا هو الاتجاه العام السائد فيها -، كما تحدث بين الأصوات غير المتجاورة.

\* لم يخص اللغويون والنحاة ظاهرة المخالفة بمصطلح مقيد لها بل جاءت تحت مسميات متباينة كالمغايرة وثقل التضعيف واستنقاله وكراهية اجتماع حرفين من جنس واحد وغيرها.

\* قد يبدل في التخالف حرف بحرف أنقل منه كراهة لاجتماع الأمثال.

تفسر وتعلل المخالفة بعض القواعد النحوية (نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة).

\* إنَّ الدِّراسة المستفيضة لظاهرة المماثلة والمخالفة من قبل علماء اللغة - القدامى والمحدثين - تتم عن وجود حقيقة جوهرية تتمثل في خضوع الفصحى لقوانين صوتية تحكم المنطوق دون المكتوب.

\* إنَّ القوانين الصوتية خاصة قانون الأقوى، وقانون الاقتصاد في الجهد يعملان جنباً إلى جنب في بعض الظواهر الصوتية، وأنَّ المماثلة والمخالفة بين الأصوات هما وليدا هذين القانونين.

\* يجب أن ندرك حقيقة جوهرية هي أن معالجة لغوبينا القدامى لظاهرة المماثلة والمخالفة لا تبعد كثيراً عن الدراسات التي قيّد بها اللسانيون المحدثون هاتين الظاهرتين، ويحق لنا أن نقول إنَّ أسلافنا سبقوا هؤلاء المحدثين في ابتكار نظرية التماثل والتخالف وكشف أسرار التفاعل بين الأصوات المتجاورة، فعلياً أن نستثمر هذه الجهود الرائدة، ونحسن توظيفها في ضوء المنهج اللساني الحديث.

## التوصيات ومقترحات البحث

- ١- يجب إحياء التراث الصوتي للأمة العربية على أسس منهجية قوية.
  - ٢- العناية الكافية بعلم الأصوات اللغوية وإنشاء المعامل الصوتية المتخصصة التي تعين الباحث على أداء علمه، وتسهيل مهمته بكل دقة واتقان.
  - ٣- يجب أن يكون القرآن الكريم هو الحاكم على القواعد الصوتية واللغوية بوجه عام.
  - ٤- ينبغي أن يستفاد من معطيات الدرس الصوتي في مجال الدراسات اللغوية عامة لا سيما في علم الصرف حيث تتناول ظواهر الإدغام والابدال معللة بمصوغاتها الصوتية.
  - ٥- ينبغي الإهتمام بالرموز الصوتية (الإشمام، الروم، ...) التي وضعها المتقدمون من علماء العربية كالخليل وسيبويه حتى يصبح لكل مصطلح صوتي منطوق صورة بصرية ولكل صوت مسموع علامة صوتية منظورة وليصبح للغة العربية من علامات التلوين البصرية ما يماثل عدد العلامات الصوتية السمعية.
- في الختام أسجد لله شكراً أن وفقني لإخراج هذه الرسالة المتواضعة في هذه الصورة فما كان من توفيقى فمن الله وحده وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان.
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان على يوم الدين وارضى عنا معهم بعفوك وتوفيقك وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الملاحق

## ملحق الجدول

جدول رقم (١) يبين مخارج الأصوات عند الخليل

ح، ح، ه، خ،	حلقى
ق، ك	لهوى
ج، ش، ض	شجرى
ص، س، ز	أسلى
ط، ت، د	نطعى
ظ، ذ، ث	لثوى
ر، ل، ن	ذلقى
ف، ب، م	شفوى
ي، و، ا، ء	هوائى

جدول رقم (٢) يبين مخارج الأصوات عند المحدثين

أصواته	المخرج
ب، م، و	شفوى
ف	شفوى أسنانى
ذ، ث، ظ	أسنانى
د، ت، ط، ز، س، ص، ض	أسنانى لثوى
ل، ر، ن	لثوى
ش، ج، ي	غارى "وسط الحنك"
ك	طبقي "أقصى الحنك"
ق	لهوى
خ، غ	حلقومى "لهوى"
ح، ع	حلقى
ء، ه	حنجرى

جدول رقم (٣) يوضح المقارنة بين سيويه والمحدثين لحالات فتح الحنجره

سيويه		المحدثون				حالات فتحة الحنجره ما بين الوترين الصوتيين
		هفنز وأتباعه		جونز وأتباعه		
مجهور	الصفه	مهموس	الصفه	لامجهور ولامهموس	الصفه	القفل التام
مجهور	الصفه	مجهور	الصفه	مجهور	الصفه	القفل الناقص
مهموس	الصفه	مهموس	الصفه	مهموس	الصفه	الفتح التام

جدول رقم (٤) يوضح المقارنة بين القدمات والمحدثين في بعض الصفات

المركب	المتوسطة		الرخوة		الشديدة	
	محدثو	قدمات	محدثو	قدمات	محدثو	قدمات
ج	ر	ا	ث	ث	ء	ء
	ل	ر	ح	ح	ب	ب
	م	ع	خ	خ	ت	ت
	ن	ل	ذ	ذ	د	ج
	و	م	ز	ز	ض	د
	ي	ن	س	س	ط	ط
		و	ش	ش	ق	ق
		ي	ص	ص	ك	ك
			ظ	ض		
			ع	ظ		
			غ	غ		
			فا	فا		
			ه	ه		

جدول رقم (٥) يوضح صور الإدغام عند اللغويين والنحاة

هـ	تَدَّغَمَ فِي: ح
ع	" " : ح - غ - خ
ح	" " : غ - خ
غ	" " : خ
خ	" " : غ
ق	" " : ك
ك	" " : ق
ج	" " : ش
ل	" " : ن - ر - ط - د - ت - ز - س - ص - ظ - ذ - ث - ض - ش
ن	" " : ل - ر - م - و - ي
ط	" " : د - ت - ز - س - ص - ظ - ذ - ث - ض - ج - ش
د	" " : ت - ط - ز - س - ص - ظ - ذ - ث - ض - ج - ش
ت	" " : ط - د - ز - س - ص - ظ - ذ - ث - ض - ج - ش
ز	" " : ص - س
س	" " : ص - ز
ص	" " : ز - س
ظ	" " : ذ - ث - ز - س - ص - ط - د - ت - ض - ج - ش
ذ	" " : ث - ظ - ز - س - ص - ط - د - ت - ض - ج - ش
ث	" " : ظ - ذ - ز - س - ص - ط - د - ت - ض - ج - ش
ب	" " : م - ف
و	" " : ي



جدول رقم (٦) يوضح صفات الضعف والقوى عند مكي

	صفات القوة							صفات الضعف							مجموع صفات القوة	مجموع صفات الضعف
	الجهير	الشدّة	الإطباق	الاستعلاء	التفخيم	الصغير	التفشي	التكرار	الاستطالة	الغنة	الهمس	الرخوّة	الخفاء			
و	x													١	-	
م	x								x					٢	-	
ب	x	x	x											٢	-	
ف							x			x	x			١	٢	
ث	x										x	x		١	٢	
ذ	x		x	x	x						x			٤	١	
ظ	x		x	x						x	x			٤	١	
من						x				x	x			١	٢	
ص	x		x	x	x					x	x			٤	٢	
ز	x					x					x			٢	١	
ت		x								x				١	١	
د	x	x												١	-	
ط	x	x	x	x	x									٢	-	
ر	x						x							٥	-	
ن	x								x					٢	-	
ل	x							x						٥	١	
ض	x		x	x	x			x						٥	١	
ى	x	x												٢	-	
ج	x	x								x	x			٢	-	
ش						x				x				١	٢	
ك		x								x				١	١	
ق	x	x		x										٣	-	
خ				x						x	x			١	٢	
غ	x			x										٢	١	
ح										x	x			-	٢	
ع	x													١	-	
هـ										x	x	x		-	٣	
ء	x	x												٢	-	

جدول رقم (٧) يوضح المقارنة بين علماء القراءات واللغويين في الإدغام

الإدغام عند اللغويين	صور الإدغام عند علماء القراءات
أولاً - الإدغام في منطقة الحلق	
هـ: تدغم في - ح	ع: تدغم في - غ
ع: " ح - خ - غ	ح: " - ع
ح: " غ - خ	غ: " - ق
غ: " خ	
خ: " - غ	
ثانياً - الإدغام في منطقة الفم	
ق: تدغم في - ك	ق: تدغم في - ك
ك: " ق	ك: " - ق
ج: " ش	ج: " ش - ض - ت - - ص
ل: " ن - ر - ط - د - ت - ز - ص -	ل: " ن - ر - ط - د - ت - ز - س - ص -
ظ - ذ - ث - ض - ش .	س - ص - ظ - ذ - ث - ض - ش
ن: " ل - ر - ي - م - و	ن: " ل - ر - ي - م - و
ط: " د - ت - ز - س - ص - ظ	ط: " ت
ذ - ث - ض - ش - ج	ر: " - ل
د: " ت - ط - ز - س - ص - ظ - ذ -	د: " ت - ز - س - ص - ظ - ذ -
ث - ض - ش - ج	ث - ض - ش - ج
ت: " ط - د - ز - س - ص - ظ - ذ -	ت: " ط - د - ز - س - ص - ظ -
ث - ض - ش - ج	ذ - ث - ض - ش - ج
ز: " س - ص	ش: " - س
س: " ص - ز	س: " - ز - ش
ص: " ز - س	ض: " ش - ج - ت - ط - ز - ذ - ظ
ظ: " ذ - ث - ز - س - ص - ط - د - ت	ظ: " ت
ذ: " ث - ظ - ز - س - ص - ط - د -	ذ: " ظ - ز - س - ص - د - ت - ج
ت - ض - ش - ج	ت - ض - ش - ج
ث: " ظ - ذ - ز - س - ص - ط - د -	ث: " ذ - ز - س - ت - ض - ش
ت - ض - ش - ج	
ثالثاً - الإدغام في منطقة الشفتين	
ب: " ف - م	ب: " ف - م
و: " ي	ف: " - ب

جدول رقم (٨) يوضح صفات الضعف والقوى عند علماء القراءات في القديم

والحديث

محمد مكي نصر	شهاب الدين القسطلاني	ابن الجزري	مكي بن أبي طالب القيسي	
الإطباق: الاستعلاء: التكرار: التفخيم: الاستطالة: القة: الإصمات <sup>(٢)</sup> : القلقلة: الانحراف: الجهر: الشدة	الإطباق: الاستعلاء: التفخيم: الصغير: التكرار: القلقلّة: الجرس: الهتف <sup>(١)</sup> : الجهر: الشدة	الإطباق: الاستعلاء: الصغير: الجهر: الشدة	الإطباق: الاستعلاء: التفخيم: الصغير: التكرار: التفخي: الاستطالة: القة: الجهر: الشدة	صفات القوة
الهمس: الرخاوة: البينية: الذلاقة: الاستفال: الانفتاح: اللين: الخفاء	الهمس: الرخاوة: الاستفال: الانفتاح: الترقيق	الهمس: الرخاوة: الخفاء	الهمس: الرخاوة: الخفاء	صفات الضعف

(١) الجرس: في اللغة الصوت، وتختص به الهمزة، لان الصوت يعلو بها عند النطق. والهتف: في اللغة الصوت الشديد، وتختص به الهمزة أيضاً -، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلي ظهور صوت قوي شديد . ينظر: الرعاية، ص ١٣٣، ١٣٧.

(٢) الإصمات: المنع، والحروف لمصمته هي التي مُنعت من أن تختص ببناء كلمة في لغة العرب، دون أن يكون معها غيرها من الحروف المذلفة. والحروف المصمته هي ما عدا الحروف المذلفة الستة (فرمن لب). ينظر: الرعاية، ص ١٣٥.



## ملحق

### تراجم القراء الذين نسبت إليهم القراءة

#### أبي بن كعب:

أبو المنذر أبي بن كعب الأنصاري المدني. أقرأ الأمة، وسيد القراء، قرأ القرآن على النبي ﷺ، وقرأ عليه النبي ﷺ بعض القرآن، للإرشاد والتعليم. قرأ عليه القرآن ابن عباس ؓ، وأبو هريرة ؓ، وعبد الله بن السائب، وغيرهم. اختلف في سنة وفاته، فقيل: قبل استشهاد عثمان ؓ وقيل: بعدها. (غاية النهاية ١ : ٣١).

#### الأعشى عن أبي بكر:

أبو يوسف يعقوب بن محمد بن خليفة الأعشى التميمي الكوفي. أخذ القراءة عرضاً عن أبي بكر شعبة، وهو من أجل أصحابه، توفي في حدود المائتين للهجرة. (غاية النهاية ٢ : ٣٩٠).

#### الأعمش:

أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، الإمام الجليل. أخذ القراءة عرضاً عن النخعي، وزيد بن حبيش، وعاصم، وغيرهم. أحد القراء الأربعة عشر. توفي سنة ثمان وأربعين ومائة (غاية النهاية ١ / ٣٥١).

#### البيزي:

أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة، أحد راويي ابن كثير. أستاذ، محقق، ضابط، متقن، مقرئ مكة، ومؤذن المسجد الحرام. توفي سنة خمسين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ١ : ١١٩).

#### ابن جبير (أحمد):

أبو جعفر أحمد بن جبير بن محمد الكوفي، نزيل انطاكية. من أئمة القراء، إمام جليل، ثقة، ضابط، أخذ القراءة عن الكسائي، وسليم، واليزيدي، وغيرهم. توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ١ : ٤٢).

## أبو جعفر:

يزيد بن القعقاع المخزومي المدني القارئ، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، كبير القدر، توفي سنة ثلاثين ومائة للهجرة، وقيل: غير ذلك (غاية النهاية ٢: ٣٨٢).

## حفص:

أبو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي البزاز، أخذ القراءة عرضا وتلقينا عن عاصم، وهو أحد راوييه، ثقة في القراءة، ثبت في ضبطها، توفي سنة ثمانين ومائة للهجرة، (غاية النهاية ١: ٢٥٤).

## حمزة:

أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات الكوفي، النيمي. أحد القراء السبعة. أخذ القراءة عرضا عن الأعمش، وطلحة بن مصرف، وغيرهما. توفي سنة ست وخمسين ومائة للهجرة (غاية النهاية ١: ٢٦١).

## خلاد:

أبو عيسى خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي، أحد راويي حمزة. أخذ القراءة عرضا عن سليم، وهو من أضبط أصحابه، وأجلهم. إمام في القراءة، ثقة، عارف، محقق، أستاذ، توفي سنة عشرين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ١: ٢٧٤).

## خلف:

أبو محمد خلف بن هشام البزار الأسدي البغدادي، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، إمام في القراءة، ثبت عن أهل الحديث. توفي سنة تسع وعشرين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ١: ٢٧٢).

## الدوري:

أبو عمر حفص بن عمر بن عبد العزيز الأزدي، البغدادي، الدوري، الضرير، أحد راويي أبي عمرو بن العلاء.

إمام القراءة، وشيخ الناس في زمانه، ثقة، ثبت، كبير، ضابط، أول من جمع القراءات، قراء بالسبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئا كثيرا، توفي سبة ست وأربعين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ١: ٢٥٥).

## ابن ذكوان:

عبد الله بن أحمد بن بشر بن ذكوان القرشي، لفهري، الدمشقي. أحد راويي ابن عامر الشامي، الإمام، الأستاذ، الشهير، الراوي، الثقة، شيخ القراءة بالشام، وإمام جامع دمشق، توفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ١: ٤٠٤).

## رويس:

محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤي البصري المعروف برويس، مقرئ، حاذق، ضابط، مشهور، أحد راويي يعقوب، وهو من أحذق أصحابه، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ٢: ٢٣٤).

## السلمي:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الضرير، مقرئ الكوفة، ولد في حياة النبي ﷺ، وإليه انتهت القراءة تجويداً، وضبطاً. أخذ القراءة عرضاً عن عثمان رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه، وابن مسعود رضي الله عنه، وزيد رضي الله عنه، وأبي، كان ثقة، كبير القدر، وحديثه مخرج في الكتب الستة، توفي سنة أربع وسبعين للهجرة، وقيل ثلاث وسبعين (غاية النهاية ١: ٤١٣).

## السوسي:

أبو شعيب صالح بن زياد بن عبد الله السوسي، أحد راويي أبي عمرو بن العلاء، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن اليزيدي، وهو من أجل أصحابه، مقرئ، ضابط، ثقة، توفي سنة إحدى وستين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ١: ٣٣٢).

## شعبة عن عاصم:

أبو بكر شعبة بن عياش بن سالم الخياط الأسدي، النهشلي، الكوفي، أحد راويي عاصم الكوفي، الإمام العلم، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة للهجرة، وقيل، سنة أربع وتسعين ومائة (غاية النهاية ١: ٣٢٥).

## طلحة بن مصرف:

أبو عبد الله طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب الهمداني، اليامي، الكوفي، تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه، أخذ القراءة عرضاً عن النخعي، والأعمش، وغيرهم، كانوا يسمونه سيد القراء، توفي سنة اثنتي عشرة ومائة للهجرة (غاية النهاية ١: ٣٤٣).

### عاصم بن بهدلة بن أبي النجود:

أبو بكر عاصم الأسدي الكوفي، أحد القراء السبعة، وشيخ الإقراء بالكوفة، جمع بين الفصاحة والإتقان، والتحرير والتجويد، كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، توفي سنة سبع وعشرين ومائة للهجرة، وقيل: غير ذلك (غاية النهاية ١: ٣٤٦).

### عاصم الجحدري:

ابن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة، وابن عباس، وقرأ - أيضاً - على نصر بن عاصم وغيره، في بعض قراءته مناكير لا يثبت سندها، والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءته على سلام، توفي سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة (غاية النهاية ١: ٣٤٩).

### ابن عامر:

عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي، أحد القراء السبعة، وإمام أهل الشام في القراءة، توفي سنة ثمان عشرة ومائة للهجرة (غاية النهاية ١: ٤٢٣).

### ابن عباس ؓ:

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، حفظ القرآن زمن النبي ﷺ ثم عرض القرآن كله على أبي، وزيد، توفي بالطائف وقد كُفَّ بصره سنة ثمان وستين للهجرة (غاية النهاية ١: ٤٢٥).

### العباس عن أبي عمرو:

أبو الفضل العباس بن الفضل بن عمرو بن عبيد الواقفي، الأنصاري، البصري، قاض الموصل، أستاذ، حاذق، ثقة، روى القراءة عن أبي عمرو عرضاً وسماعاً، وضبط عنه الإدغام، وجاء عن أبي عمرو قوله: لو لم يكن في أصحابي إلا عباس لكفاني، توفي سنة ست وثمانين ومائة للهجرة (غاية النهاية ١: ٣٥٣).

### عبد الله بن مسلم:

لعله عبد الله بن مسلم بن يسار، مولى طلحة بن عبيد الله التيمي (الطبقات الكبرى، لابن سعد ٧: ٢٣٩).

### عمان البتي:

لم أعثر له على ترجمة.. ولعل صحة الاسم عثمان القبطي المشهور بورش.



## أبو عمر بن العلاء:

زياد بن العلاء بن عمار التميمي، المازني، البصري، أحد القراء السبعة، أخذ عنه يونس بن حبيب، والرواية عنه في القراءة والنحو واللغة، ثقة، صادق، زاهد، توفي سنة أربع وخمسين ومائة للهجرة، وقيل: غير ذلك (غاية النهاية ١: ٢٨٨).

## قالون:

أبو موسى عيسى بن مينا بن وردان، مولى بني زهرة، قارئ المدينة، ونحوها. وسمي قالون لجودة قراءته، وهو أحد راويي نافع المدني. توفي سنة عشرين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ١: ٦١٥).

## قتادة:

ابن دعامة أبو الخطاب السدوسي البصري الأعمى المفسر، أحد الأئمة في حروف القرآن، روى القراءة عن أبي العالية، وأنس بن مالك، توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة (غاية النهاية ٢: ٦١٥).

## ابن كثير:

عبد الله بن كثير بن عمرو بن هرمز، أحد القراء السبعة. وإمام أهل مكة في القراءة. توفي سنة عشرين ومائة للهجرة (غاية النهاية ١: ٤٤٣).

## الكسائي:

أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي. انتهت إليه رئاسة الإقراء في الكوفة بعد حمزة الزيات، وهو أحد القراء السبعة، وإمام من أئمة النحو، أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات، وعليه اعتماده، كما أخذها عن غيره. توفي سنة تسع وثمانين ومائة للهجرة (غاية النهاية ١: ٥٣٥).

## ابن محيصن:

محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، أحد القراء الأربعة عشر، مقرئ أهل مكة مع ابن كثير، ثقة، روى له مسلم، عرض على مجاهد، ودرباس، وابن جبير، وفي قراءته مخالفة للمصحف، كان له اختيار في القراءة على مذهب العربية خرجت على إجماع أهل بلدة، فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثير. توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ٢: ١٦٧).

## المسيبي:

أبو محمد إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المسيبي المدني، إمام جليل، عالم بالحديث، قيّم في قراءة نافع، ضابط لها، محقق، فقيه، قرأ على نافع وغيره، وأخذ القراءة عنه ولده محمد، وخلف بن هشام، وابن جبير، وغيرهم. توفي سنة ست ومائتين للهجرة (غاية النهاية ١: ١٥٧).

## نافع:

أبو عبد الرحمن نافع بن أبي نعيم الليثي، أحد القراء السبعة، وقارئ أهل المدينة، ثقة، صالح، أخذ القراءة عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً خلق كثير. توفي سنة تسع وستين ومئة للهجرة، وقيل: غير ذلك (غاية النهاية ٢: ٣٢٠).

## أبي نشيط:

أبو جعفر محمد بن هارون الربيعي، الحربي، البغدادي، المروزي، المعروف بابن نشيط، مقرئ جليل، ضابط مشهور، أخذ القراءة عرضاً عن قالون، وروى القراءة عنه عرضاً أبو حسان أحمد بن محمد بن الأشعث، وعنه انتشرت روايته عنه أداءً عن قالون وهي الطريقة التي في جميع كتب القراءات. توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ٢: ٢٧٢).

## هشام:

أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة السلمي الدمشقي، أحد راويي ابن عامر الشامي. إمام أهل دمشق، وخطيبهم، ومحدثهم، ومقرئهم، ومفتيهم، وكان مشهوراً بالفصاحة، والعقل، والعلم، والرواية، والدراية، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، وقيل: ست وأربعين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ٢: ٣٥٤).

## ابن وثاب:

يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي، تابعي، ثقة، كبير، من العباد الأعلام، روى عن ابن عمر، وابن عباس، وكان مقرئ أهل الكوفة في زمانه، توفي سنة ثلاث ومائة للهجرة (غاية النهاية ٢: ٣٨٠).

يحيى بن عمارة بن أبي حسن الأنصاري، المازني، المدني سمع أبا سعيد الخدري، وغيره، وروى له البخاري ومسلم، جدّه أبو حسن، صحابي شهد العقبة وبدرا (تهذيب الأسماء واللغات للتّووي، القسم الأول ٢: ١٥٥).

### اليزيدي:

يحي بن المبارك بن المغيرة، أبو محمد العدوي البصري، نحوي مقرئ، ثقة، علامة كبير، أخذ القراءة عرضا عن أبي عمرو بن العلاء، وخلفه فيها، كما أخذ عن حمزه، توفي سنة اثنتين ومائتين للهجرة (غاية النهاية ٢: ٣٧٥).

### ابن اليزيدي:

أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحي بن المبارك اليزيدي البغدادي. ثقة، مشهور، أخذ القراءة عرضا وسماعا عن أبيه عن أبي عمرو، وهو من أجلّ الناقلين عنه (غاية النهاية ١: ٤٦٣).

### يعقوب:

ابن إسحاق بن زيد الحضرمي البصري. أحد القراء العشرة، وإمام أهل البصرة، ومقرئها، سمع الحروف من الكسائي، ومحمد بن رزيق الكوفي عن عاصم، وسمع عن حمزه حروفا، توفي سنة خمس ومائتين للهجرة (غاية النهاية ٢: ٣٨٦).

## الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأشعار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس محتويات البحث

## فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة		
رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٥٠	١	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾
٥١	٣-٤	﴿ الرَّحِيمِ * مَالِكِ ﴾
٢٣٢	٦	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾
٥٠	٧	﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ ﴾

## سورة البقرة

٢٧٢ ، ٥٢	٢	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾
٢٤٩	٦	﴿ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾
٢٤٩	٩	﴿ مَن يَقُولُ ﴾
٢٩٣	٢٠	﴿ بِالْكَافِرِينَ ﴾
٢٩٣	٢٢	﴿ شَاءَ ﴾
٢٨٠	٢٣	﴿ خَلَقَكُمْ ﴾
	٣٥	﴿ أَنبِئُهُمْ ﴾
٢٦٠	٤١	﴿ هُمْ فِيهَا ﴾
٢٥٥	٥٣	﴿ اتَّخَذْتُمْ ﴾
٢٥٣ ، ١٨٢	٧٢	﴿ فَادَارَأْنِمْ ﴾
٢٥٣	٧٤	﴿ يَشْفُقُ ﴾
٥١	٧٩	﴿ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾
٢٩٣	٩٤	﴿ الدَّارُ ﴾
٥٣	٩٤	﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾
٥٣	١٠٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
٢٥٧	١٢٥	﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ﴾
١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦	١٢٦	﴿ أَضْطَرُّهُ ﴾
٢٨٢	١٣٢	﴿ إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ ﴾
٢٨٣	١٣٨	﴿ وَوَحْنُ لَهُ ﴾
٢٢٧	١٤٩	﴿ خَرَجْتَ ﴾
٢٤٩	١٦٤	﴿ مِنْ مَّاءٍ ﴾

٢٥٥	١٦٦	﴿ إِذْ تَبَرَّآ ﴾
٢٤٥	١٧٣	﴿ اضْطَرَّ ﴾
٥١	١٩١	﴿ حَيْثُ نَقَفْتُمُوهُمْ ﴾
٢٩٤	١٩٦	﴿ الْهَدْيِ ﴾
١٧٦	١٩٨	﴿ أَفْضُنْتُمْ ﴾
٢٩٣	٢٠١	﴿ النَّارِ ﴾
٢٤٨	٢١١	﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ ﴾
٥٣	٢١٩	﴿ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ ﴾
٥٣	٢٢٥	﴿ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾
٥٣	٢٣٣	﴿ وَتَشَاوُرِ ﴾
٢٤٦	٢٣٧	﴿ فَرَضْتُمْ ﴾
٥٣	٢٣٧	﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ ﴾
١٦١	٢٣٩	﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ ﴾
٢٣٢	٢٤٥	﴿ وَيَبْسُطُ ﴾
٢٦٨	٢٤٧	﴿ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً ﴾
٢٤٤	٢٥٠	﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا ﴾
٢٧٦	٢٥١	﴿ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾
٥٣	٢٥٤	﴿ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ ﴾

### سورة آل عمران

٢٤٤	٨	﴿ لَا تَزُغْ قُلُوبَنَا ﴾
٢٨٨	١٤	﴿ وَالْحَرَبِ ذَلِكَ ﴾
٢٩٧	١٩	﴿ الْعِلْمِ بَعِيًّا ﴾
٢٦٢	٢٨	﴿ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾
٢٣٣ ، ١٤٥	٣١	﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾
٢٤٥	٣٣	﴿ اصْطَفَى ﴾
٣٠٩ ، ٣٠٨	٣٩	﴿ الْمِحْرَابِ ﴾
٢٦٦	٦٩	﴿ وَدَّتْ ﴾
٥٤	٧٩	﴿ النَّبُوءَةِ ﴾
١٩٢	٨١	﴿ وَأَخَذْتُمْ ﴾
	١٠٢	﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴾
٢٩١	١٠٨	﴿ يُرِيدُ ظُلْمًا ﴾
٢٨٥	١٢٩	﴿ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾

٢٦٩	١٤٥	﴿يُرِيدُ ثَوَابَ﴾
٢٩٠ ، ١٥٥	١٨٥	﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾
	٢٤٧	﴿بَسْطَةَ﴾

### سورة النساء

٣١٠	٣	﴿طَابَ﴾
٢٦٢	٤٠	﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾
٣٠٩	٤٣	﴿جَاءَ﴾
٢٨	٤٦	﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾
٢٥٧	٤٦	﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ﴾
٢٦٥	٥٦	﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾
٢٧٢	٦٤	﴿إِذْ ظَلَمُوا﴾
١٤٧	٧٤	﴿أَوْ يَغْلِبَ فَسَوْفَ﴾
٢٨٧	٩٧	﴿الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي﴾
١٨٩	١٢٨	﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾
٢٩١	١٣٤	﴿يُرِيدُ ثَوَابَ﴾

### سورة المائدة

٥٢	١٦	﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾
٢٩١ ، ٢٨٦	٣٩	﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾
٥٢	٣٩	﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾
٢٧٤	٤٢	﴿فَأَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾
٤٢	٦٠	﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾
٥٣	٧٣	﴿ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾
٢٩١	٩٧	﴿وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ﴾
٢٤٣	١١٢	﴿يَسْتَطِيعُ﴾
٢٩٩	١١٦	﴿مَا يَكُونُ لِي﴾

### سورة الأنعام

٢٩٨	٥٢	﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾
٢٩٧ ، ١٤٤	٥٣	﴿بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾
٥٣	٦٦	﴿الْحَقُّ قُلٌّ﴾
٣١٢	٧٦	﴿رَأَى﴾
٥٢	٩٠	﴿فَبِهَذَا هُمْ اقْتَدَاهُ﴾
٥٣	٩١	﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾

٢٦٧	١٢٥	﴿يَصَعَّدُ﴾
٢٦٧ ، ١٩٣	١٢٦	﴿يَذْكُرُونَ﴾

### سورة الأعراف

٥٥	٢٠	﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾
٢٧٢	٤٣	﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾
٢٤٥ ، ٢١٥ ، ١٤	٦٩	﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً﴾
٥١	١٠١	﴿رُسُلَهُمْ﴾
٢٨٧	١٢٠	﴿السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ﴾
	١٣١	﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى﴾
٥٣	١٥٠	﴿أَمَرَ رَبِّكُمْ﴾
٢٧٢	١٧٦	﴿يَلْهَثَ ذَلِكَ﴾
٥٣	١٧٦	﴿فَأَفْصُصِ الْقِصَصَ﴾
٢٦٨	١٧٩	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾
٢٦٦	١٨٩	﴿أَنْقَلْتِ دَعْوَا اللَّهِ﴾
٥٥	١٩٩	﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾
٥٦	٢٠٥	﴿بِالْغُدُرِّ وَالْأَصَالِ﴾

### سورة الأنفال

٣١١	١٧	﴿رَمَى﴾
٢٤٣	٣١	﴿أَسَاطِيرُ﴾
٥٤	٦١	﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

### سورة التوبة

٥٤	٣٣	﴿هُوَ الَّذِي﴾
٢٤٢	٣٥	﴿مَا كُنَزْتُمْ﴾
٢٦٧	٣٨	﴿أَتَأْقَلْتُمْ﴾
٥١	٩٩	﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ﴾
٢٦٥	١٣٤	﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتَ سُورَةً﴾
٣٠٩	١٣٤	﴿زَادَتْهُ﴾

### سورة يونس

٢٩٢	١١	﴿بِالْخَيْرِ لَفْظِي﴾
٢٩١	٢١	﴿بَعْدَ ضَرَاءٍ﴾
٢٩٢	٢٤	﴿الْأَرْضِ زُخْرِفَهَا﴾
٢٦٧ ، ١٩٣	٢٤	﴿وَأَزَيَّنْتَ﴾



٢٩٢	٤٤	﴿النَّاسَ شَيْئًا﴾
٢٩٦	٦٥	﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾
٣٥١	٨٩	﴿تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٥٢	١٠٩	﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾

### سورة هود

٢٤٦ ، ٢٤٢	٣١	﴿تَزِدِّي﴾
٢٧٣	٤٢	﴿ارْكَبْ مَعَنَا﴾
٥٣	٤٩	﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا﴾
٥٤	٥٢	﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾
٥٥	٦٦	﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾
٢٩٢ ، ١٤٥	٧٨	﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾
٢٨٨ ، ٢٨٧	١١٤	﴿الصَّلَاةَ طَرْفِي﴾

### سورة يوسف

٥١	٤	﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾
٢٨٣	٢٤	﴿بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾
٢٩١	٢٦	﴿وَشَهِدَ شَاهِدًا﴾
٢٦٩	٣٠	﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾
٥٥	٣٩	﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ﴾
٢٩٠	٧٢	﴿نَفَقْدُ صَوَاعٍ﴾
٢٩٥	٧٦	﴿وَفَوْقَ كُلِّ﴾
٢٤٣	٧٧	﴿يَسْرِقُ﴾
	٨٠	﴿مَا فَرَطْتُمْ﴾
	٨٣	﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾
	١٠٠	﴿تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾
٢٦٧	١٠٠	﴿قَدْ جَعَلَهَا﴾
٢٤٣	١٠٣	﴿حَرَصْتِ﴾

### سورة الرعد

	٤	﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾
٢٧٣	٥	﴿وَأَن تَعْجَبَ فَعَجَبٌ﴾
٢٦٣	١١	﴿مِنَ وَالٍ﴾
٢٩٢	٤٢	﴿الْكَفَّارُ لِمَنْ﴾

### سورة إبراهيم

٢٩٨	١	﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾
٢٩٨	٧	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾
٣٠٩	١٥	﴿خَابَ﴾
١	٢٣	﴿الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾

### سورة الحجر

٢٧١	٥٢	﴿إِذْ دَخَلُوا﴾
٢٩٤	٨٨	﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾

### سورة النحل

٢٤٧	٩	﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾
	٢٨	﴿الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي﴾
٥٥، ٥٣	٩٠	﴿وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ﴾
٢٩١	٩١	﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾
٢٩٧	١٢٥	﴿سَبِيلِ رَبِّكَ﴾

### سورة الإسراء

٢٦١	٢٤	﴿وَقُلْ رَبِّ﴾
٢٨٨	٢٦	﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى﴾
٢٩٣	٤٢	﴿الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾
١٧٠	٥١	﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾
٢٤٣	٥٨	﴿مَسْطُورًا﴾
٢٨٣	٦١	﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾
٢٨٩	٨٠	﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾
٢٦٥	٩٧	﴿حَبَّتْ زِدْنَاهُمْ﴾

### سورة الكهف

٢٩٦	١٩	﴿بِورْقِكُمْ﴾
١٨٥	٢٢	﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ﴾
٥٦	٢٨	﴿وَالْعَنَسِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾
٢٦١	٢٨	﴿أَغْفَلْنَا﴾
٥٣	٦٠	﴿لَا أُبْرِحُ حَتَّى﴾
٥٣	٦٠	﴿حَتَّى أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾
٢٩٢	٦١	﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ﴾
٥٢	٨٥	﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا﴾

### سورة مريم

٢٩٢	٤	﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾
٢٩٧	١٩	﴿رَسُولُ رَبِّكَ﴾
٢٨٨ ، ٢٨٣	٢٧	﴿جِئْتَ شَيْبًا﴾
٥٢	٣٨	﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾
٥٢	٩٨	﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ﴾

### سورة طه

٣١٣	١	﴿طه﴾
٥٢	١٢	﴿فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ﴾
٥٣	٦١	﴿قَالَ لَهُمْ﴾
٢٩٠	٦٩	﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾
٢٥٩	٩٦	﴿فَقَبِضْتُ﴾
	٩٦	﴿فَنَبَذْتُهَا﴾
٣٥٨	٩٧	﴿وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾

### سورة الأنبياء

٢٦٥	١١	﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾
٥١	٢٢	﴿إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾
٣١١	٣٦	﴿رَاكَ﴾

### سورة الحج

٢٨	١١	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾
----	----	--

٢٦٥	٤٠	﴿لَهَدَمْتَ صَوَامِعُ﴾
٢٨٦	٤٤	﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾
٥٤	٥٨	﴿لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾
٥٣	٧٢	﴿تَعْرِفُ فِي﴾

### سورة النور

٢٨٧	٤	﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾
٢٧١	١٢	﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾
	٢١	﴿مَا زَكَىٰ﴾
٢٩١	٣٥	﴿يَكَادُ زَيِّنُهَا﴾
٥٢	٣٦	﴿يُسَبِّحُ لَهُ﴾
٢٩١	٤٣	﴿يَكَادُ سَنَا﴾

٢٩٣	٦٢	﴿لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾
-----	----	-----------------------

### سورة الفرقان

٢٩٥	٢	﴿وَخَلَقَ كُلَّ﴾
٥٥	٤٩	﴿لِنَحْيِي بِهِ﴾
٢٩٦	٥٤	﴿رَبِّكَ قَدِيرًا﴾

### سورة الشعراء

٣١١	٦١	﴿تَرَاءَى الْجَمْعَانِ﴾
٢٩٨	١١١	﴿أَنْتُمْ لَكُمْ﴾
٢٦٩	١٣٦	﴿أَوْعَظْتَ﴾
١٩٢	١٣٦	﴿أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾

### سورة النمل

٢٨٨ ، ٥٥	١٦	﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ﴾
٢٦٤	٢٢	﴿أَحَطْتُ﴾
١٩٢	٢٢	﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾
٣١٢	٤٠	﴿رَأَاهُ﴾
٢٦٧	٤٧	﴿اطَّيَّرْنَا﴾
١٩٣	٤٧	﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ﴾
٢٩٣	٨٢	﴿الْأَرْضِ نَكَلَّمُهُمْ﴾

### سورة القصص

١١٨	٢٣	﴿حَتَّى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ﴾
٣٥٧	٨١	﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾
٢٤٣	٨٢	﴿يَبْسُطُ﴾

### سورة العنكبوت

١٤٤	٢١	﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾
٢٨٧	٥٧	﴿الْمَوْتِ ثُمَّ﴾

### سورة الروم

٢٦٨	٥٨	﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾
-----	----	----------------------

### سورة القمان

٢١٥	٢٠	﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾
-----	----	----------------------------------

٢٩٥	٢٨	﴿مَا خَلَقَكُمْ﴾
-----	----	------------------

سورة سبأ

٢٧٤ ، ١٤٧	٩	﴿نَحْسِفُ بِهِمْ﴾
٥٢	١٥	﴿لَسِيًّا﴾
٥٣	٢٣	﴿إِذَا فُرِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾

سورة فاطر

٢٩٣	١	﴿وَالأَرْضِ جَاعِلِ﴾
٢٤٥	٣٧	﴿يَصْطَرِخُونَ﴾

سورة يس

٢٤٤	٨	﴿الأَذْقَانِ﴾
٥٢	٣٧	﴿نَسْلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾
٢٧٤	٥٦	﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾
٢٥٧	٦٠	﴿أَعْهَدَ﴾
١٥٢	٦٠	﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾

سورة الصافات

٢٦٧ ، ١٩٣	٨	﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾
٢٦١	١٨	﴿قُلْ نَعَمْ﴾

سورة ص

٢٦٨	٢٤	﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾
-----	----	-------------------

سورة الزمر

٢٨٣	٦	﴿ظَلَمَاتٍ ثَلَاثِ﴾
٢٥٨	٦٢	﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
٥٣	٦٩	﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾
٢٨٧	٧٣	﴿الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾

سورة غافر

٢٨٧	١٥	﴿الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾
٥١	٥٠	﴿رُسُلَكُمْ﴾

سورة فصلت

١	٤٢	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾
---	----	---

سورة الشورى

٥٣	٢٨	﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾
----	----	-------------------------

سورة الزخرف

٢٩٠ ، ٢٥٧	٨٩	﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾
-----------	----	----------------------

سورة الأحقاف

٢٧١	٢٩	﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾
-----	----	--------------------

سورة الفتح

٢٨٨ ، ١٤٦	٢٩	﴿أَخْرَجَ شَطَأَهُ﴾
-----------	----	---------------------

سورة الحجرات

٥٦	١	﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ﴾
----	---	-------------------------

سورة ق

٢١٥	١٠	﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾
-----	----	--------------------------

٢٥٦	٤٠	﴿فَسَبَّحَهُ﴾
-----	----	---------------

سورة الذاريات

٢٦٦	١	﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾
-----	---	----------------------------

٢٩٨	٦	﴿الَّذِينَ لَوَّاعٌ﴾
-----	---	----------------------

٢٨٨	٢٤	﴿حَدِيثٌ ضَيْفٍ﴾
-----	----	------------------

٥٤	٥٨	﴿الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
----	----	-------------------------

سورة الطور

٢٤٣	٦	﴿الْمَسْجُورِ﴾
-----	---	----------------

سورة النجم

٢٤٢	١٦	﴿يَغْشَى﴾
-----	----	-----------

٢٨٨	٥٩	﴿الْحَدِيثِ تَعَجُّبُونَ﴾
-----	----	---------------------------

سورة القمر

٢٤٦ ، ١٩١	٤	﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾
-----------	---	------------------------

١٩١	١٥	﴿قَهْلٌ مِنْ مُدْكَرٍ﴾
-----	----	------------------------

٢٦٨	٣٨	﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ﴾
-----	----	------------------------

سورة الواقعة

٣٥٨	٦٥	﴿فَطَّلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾
-----	----	----------------------------

٥٢	٧٤	﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾
----	----	-----------------------------

سورة المجادلة

٢٦٨	١	﴿قَدْ سَمِعَ﴾
-----	---	---------------

سورة الممتحنة

٢٥٧	١٢	﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾
-----	----	------------------

سورة الجمعة

٢٥٨	١١	﴿وَتَزَكُّوكَ قَائِمًا﴾
-----	----	-------------------------

٥٥	١١	﴿مَنْ اللَّهُ وَمِنْ التَّجَارَةِ﴾
----	----	------------------------------------

سورة التحريم

٢٦٧	٤	﴿تَظَاهَرَا﴾
-----	---	--------------

٢٩٥	٥	﴿طَلَّقَنَّ﴾
-----	---	--------------

سورة الملك

٢٦٧	٥	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾
-----	---	----------------------

٢٩٠	٨	﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾
-----	---	---------------------

١٧٠	١٤	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾
-----	----	------------------------------

سورة الحاقة

٢٩٧	١٠	﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾
-----	----	---------------------

سورة المعارج

٢٨٨	٤-٣	﴿المَعَارِجِ * نَعْرُجُ﴾
-----	-----	--------------------------

سورة الجن

٢٩٢	٣	﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾
-----	---	--------------------------

سورة المزمل

٤٣	٤	﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾
----	---	-----------------------------------

٥٦	٢٠	﴿مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ﴾
----	----	--------------------------

سورة المدثر

٢٥٩	٥	﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾
-----	---	-------------------------

سورة القيامة

٢٣٥	٢٧	﴿مَنْ رَاقٍ﴾
-----	----	--------------

٣٥٠ ، ٣٣٦	٣٣	﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾
-----------	----	---

سورة المرسلات

٢٥٨	٢٠	﴿نَخْلُقْكُمْ﴾
٢٨٨	٣٠	﴿ثَلَاثِ شُعْبٍ﴾

سورة النازعات

٢٨٩	٢٩	﴿وَأُخْرِجَ ضَحَاَهَا﴾
-----	----	------------------------

سورة التكوير

٢٩٢	٧	﴿النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾
-----	---	------------------------

سورة الأنفطار

٢٩٥	٧	﴿خَلَقَكَ﴾
-----	---	------------

سورة المطففين

٢٣١	١٤	﴿بَلْ رَانَ﴾
٣٠٨ ، ٢٩٢	٢٢	﴿الْأَبْرَارِ لَفِي﴾
	٣٦	﴿هَلْ تُؤَبِّ﴾

سورة الطارق

٢٩٣	١٢	﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾
-----	----	-------------------------------

سورة الأعلى

٣٣٦	١٦	﴿بَلْ تُؤْتِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
-----	----	--

سورة الشمس

٣١٧	١٠	﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾
٢٦٥	١١	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾

سورة الضحى

٣١١	١	﴿وَالضُّحَى﴾
٣١١	٣	﴿قَلَى﴾

سورة الشرح

٢٩٣ ، ٢٥٩	٣	﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾
-----------	---	---------------------

سورة العلق

٢٤٣	١٩	﴿وَاسْجُدْ﴾
-----	----	-------------

سورة العاديات

٢٨٧	١	﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾
-----	---	---------------------------



٢٨٧	٣	﴿فَالْمَغِيرَاتِ صُبْحًا﴾
-----	---	---------------------------

سورة التكاثر

٥٥	٦	﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾
----	---	--------------------------

سورة الفيل

٢٩٦	١	﴿فَعَلَّ رَبُّكَ﴾
-----	---	-------------------

سورة الإخلاص

٦٦ ، ٥٤	٢-١	﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾
---------	-----	--

٦٦	٣	﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾
----	---	------------------------------

## فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	الحديث
٣٠ ، ٢٩	أما أني لا أقولُ الم ..... .
٤٤	ما أذن الله لشيء ما أذن لنبيِّ حسنٍ ..... .
٤٤	لو رأيتني وأنا أسمعُ لقراءتك البارحة ...
١٢٧	أيما رجلٍ من المسلمين سببته، أو لعنته ...
٢١٥	الجارُّ أحقُّ بصفبه ..... .
٣٠٣	أقرؤوا القرآن بلحون العرب....
٣٠٤ ، ٣٠٣	ف قيل له يارسول الله ﷺ تميل وليس ...

## فهرس الأشعار

رقم الصفحة	القائل	البحر	القافية
١٢٠	علقة بن التميمي	الطويل	وفي كل حيّ قد حبطاً بنعمة
١٥٤	مزاحم العقبلي	الطويل	فدع ذا ولكن هتعين متيماً
٣٣٥	من شواهد بن مالك ولم ينسب	الطويل	على أخوذيبن استقلت عشية
٢١٥	ورد في الممتع دون لمزنو	الرجز	يزيدُ زادُ الله في خيراته
٢٠٤	زعيب بن تيسير العنزى	الطويل	نظرتُ بأعلى السوق والباب دونه
٢٠٤	من شواهد ابن جني ولم ينسبه	الطويل	ودع ذا الهوى قبل القلى ترك ذي الهوى
١٨٤	الأخطل	البيسط	واذكر غداً عِدَاناً مُزَنَمَةً
١٧٧	ليبيد بن ربيعة	البيسط	النَّيبُ إنْ تُعْرُ مَنِّي رَمَّةً حَلَقَا
١٤٢	من شواهد الكتاب ولم ينسبه	الرجز	كأنها بعد كلال الزاجر
١٧٩	منظور بن مرثد الأسدي	الرجز	لما رأى أن لادعاه ولا شبع
١٥٤	طريف بن تميم العنبري	الطويل	تقول إذا استهلكتُ مالاً للذة
١٦٨	ابن مقبل	الكامل	فكأنما اغتَبَقَصَّ بَيرَ عَمَامَةٍ
٢٢٢	من شواهد بن جني وابن يعيش ولم ينسابه	المتقارب	رأى الأمر يُفْضِي إلى آخر
١٨٠	زهير بن أبي سلمى	البيسط	هو الجواد الذي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ
٢٢٠	من شواهد الأمنداد للقطرب وليم ينسبه	الخفيف	شَكَتِ البَرْدَ في الشِتَاءِ ففاننا
١٦٩	القناني	الرجز	نَّارَ فَضَجَّضَ جَّةَ رِكَائِبِهِ
١٨٤	الفرزدق	الطويل	ككسرى على عدانه أو كقيصراً
٢٢٤	من شواهد ابن جني ولم ينسبه	الطويل	وقال اضرب الساقين إمك هابل

## فهرس الأعلام

رقم الصفحة	الاسم
	ابن أبي سريح (أحمد)
	ابن الأثير
	ابن البناء
	ابن الحاجب
	ابن السراج
	ابن النحاس
	ابن بريدة
	ابن جزري
	ابن جني
	ابن حمدون
	ابن خالويه
	ابن خروف
	ابن دريد
	ابن ذكوان
	ابن سيده
	ابن سيناء
	ابن عباس
	ابن عصفور
	ابن كثير
	ابن كيسان
	ابن مالك
	ابن محيصن
	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>
	ابن مكي الصقلي
	ابن منظور

	ابن يعيش
	أبو الطيب اللغوي
	أبو العلاء المعري
	أبو جعفر الرواسي
	أبو حيان النحوي
	أبو عبد الرحمن اليزيدي
	أبو عثمان المازني
	أبو علي الفارسي
	أبو علي القالي
	أبو عمر وابن العلاء
	أبو موسى الأشعري <small>رحمته الله</small>
	أبي الأسود
	أبي بن كعب
	أحمد بن فارس
	أحمد علم الدين الجندي
	أحمد مختار
	الأخطل
	الأخفش
	الإستراباذي
	الأشموني
	الأعلم الشنتمري
	الأعمش
	الأنباري
	انطوان مالييه
	برافمان
	برجشتراسر
	بروستهان
	بروكلمان
	البيزي

	البطلبيوسي
	بلوم فيلد
	بن البادش
	تمام حسان
	الجاحظ
	جرامونت
	جريم
	جونز
	الحسن
	الحسن الأخفش
	حمزة
	خلاد
	خلف
	الخليل بن أحمد الفراهيدي
	د. إبراهيم أنيس
	الداني
	دانيال جونز
	الرازي
	رمضان عبد التواب
	روبرت روبنسون
	الزبيدي
	زغيب بن نسير العنبري
	الزمخشري
	السعران
	السعيدي
	سيبويه
	السيرافي
	السيوطي
	شاده

	شعبة
	الصاغاني
	الطيب البكوش
	عاصم
	العباس بن الفضل
	عبد الحميد الهادي إبراهيم
	عبد الصبور شاهين
	عبد العزيز مطر
	عبد القادر عبد الجليل
	عثمان بن عفان <small>رضي الله عنه</small>
	علقمة بن عبدة التميمي
	علي بعد الواحد وافي
	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>
	عمر بن ثابت الثماني
	غارديير
	الفارابي
	الفراء
	فرديناندي سوسير
	فنتلر
	فندريس
	فهمي حجازي
	قتادة
	القرطبي
	القشقلندي
	قطرب
	كانتينو
	الكسائي
	كمال بشر
	كولتس

	المبرد
	المجريطي
	مكي بن أبي طالب القيسي
	موريس فراعون
	النخعي
	هفند
	هورويتز
	واقد
	يحي بن ثاب الأسدي
	يحي بن عمارة
	اليزيدي
	يعقوب الحضرمي



## فهرس المصادر والمراجع

### المصادر والمراجع

#### أولاً: المصاحف

مصحف المدينة النبوية .

مصحف برواية الدوري عن أبي عمرو بن العلاء، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بجمهورية السودان الديمقراطية، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

#### ثانياً: المخطوطات

\*الإدغام الكبير، للداني - أبو عمرو عثمان بن سعيد (٤٤٤هـ)، مصورة معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية، عن مخطوط المتحف البريطاني.

\*ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان - أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (٧٤٥هـ)، مصورة مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة، برقم ٨٧ (نحو)، عن النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية، برقم ٨٢٨ (نحو).

\*إعراب القراءات الشواذ، للعسكري - أبو البقاء عبد الله بن حسين (٦١٦هـ).

\*شرح كتاب سيبويه، للسيرافي - أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان (٣٦٨هـ)، ميكروفيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة ، برقم ١١٥٧ (نحو)، عن دار المخطوطات بصنعاء.

#### ثالثاً: المطبوعات

(أ)

\*الإبدال، لأبي الطيب اللغوي - عبد الواحد بن علي الحلبي (٣٥١هـ)، حققه، وشرحه، ونشر حواشيه الأصلية، وأكمل نواقصه: عزّ الدين التتوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م (جزءان).

\*إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، للبناء الدمياطي - أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي الشافعي. (١١١٧هـ)، رواه وصححه وعلّق عليه: علي محمد الضبّاع، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي بمصر ١٣٥٩هـ.

\*الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ) ،  
الطبعة الرابعة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٩٨ هـ -  
١٩٧٨ م ، بهامشة إعجاز القرآن للباقلاني . (جزءان).

\*أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، للدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى،  
مكتبة الخانجي بالقاهرة.

\*أسباب حدوث الحروف، لابن سينا- أبو علي الحسين بن عبد الله (٤٢٨ هـ) نسخه  
وصححه ووقف على طبعه: محبّ الدين الخطيب، الطبعة الثانية، المطبعة السلفية، القاهرة،  
١٣٥٢ هـ .

\*أسرار العربية، لأبن الأنباري - أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أبي  
سعيد الأنباري. (٥٧٧ هـ) ، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي  
بدمشق ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.

\*الاشتقاق، لعبد الله أمين، الطبعة الأولى، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة  
١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م.

\*أصوات اللغة ،للدكتور عبد الرحمن أيوب، الطبعة الثانية، مطبعة الكيلاني، ١٩٦٨ م.  
\*الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية،  
القاهرة، ١٩٧١ م.

\*الأصول - دراسة ايستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي . النحو. فقه اللّغة -  
البلاغة -،للدكتور تمام حسان، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،  
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

\* الأصول في النحو، لابن السراج - أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي  
البغدادي (٣١٦ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة،  
بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

\* الأضداد، للأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشر (٢٢٨ هـ) تحقيق:  
محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠ م.

الأضداد، لقطرب أبو علي محمد ابن المستنير (٢٠٦ هـ)، تحقيق: حنا حداد، الطبعة  
الأولى، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.

الأضداد في كلام العرب، لأبي الطيّب اللّغوي، تحقيق: الدكتور عزّة حسن، مطبوعات  
المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م (جزءان).

- الأضداد في اللغة، لمحمد حسين ياسين، الطبعة الأولى، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- إعراب القرآن، للنحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (٣٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م (ثلاثة أجزاء).
- إعراب القرآن، المنسوب إلى الزجاج - أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل - (٣١١هـ تقريباً)، تحقيق ودراسة: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٦٣م (ثلاثة أجزاء).
- الأقتضاب في شرح أدب الكتاب، لأبن السيد البطليوسي - أبو محمد عبد الله بن محمد - (٥٢١هـ)، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا - والدكتور حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م (ثلاثة أجزاء).
- الإقناع في القراءات السبع، لأبن البانث - أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري (٥٤٠هـ)، حققه وقدم له: الدكتور عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة، ١٤٠٣هـ، (جزءان).
- الإمالة في القراءات واللهجات العربية، للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الطبعة الثالثة، دار الشروق، جدة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الأمثال، لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤هـ)، حققه وعلق عليه وقدم له، الدكتور عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة الملك عبد العزيز، بمكة المكرمة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، لأبي بكر الأنباري، تحقيق، محي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م (جزءان).
- (ب)
- البارع في اللغة، لأبي علي القالي - إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (٣٥٦هـ)، تحقيق: هاشم الطعان، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة، بغداد - دار الحضارة العربية، بيروت، ١٩٧٥م.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٨هـ.
- البرهان في وجوه البيان، لأبي وهب الكاتب - أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، تحقيق: الدكتور أحمد مطلوب - والدكتورة خديجة الحديثي، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي - السيد مرتضى الحسيني (١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من العلماء، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق الرافعي، ضبطه وصححه وحقق أصوله: محمد سعيد العريان، الطبعة الثالثة، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.
- تاريخ الأدب، لحفني ناصف، الطبعة الثالثة، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٣م.
- تاريخ القرآن، للدكتور عبد الصبور شاهين، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م.
- تاريخ اللغات السامية، للدكتور اسرائيل ولفنسون، الطبعة الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م.
- التبصرة في القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب حمّوش القيسي (٤٣٧هـ)، تحقيق: الدكتور المقرئ محمد غوث الندوي، الطبعة الثانية، الدار السلفية بالهند، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- التبصرة والتذكرة، للصيمري - أبو محمد عبد الله بن علي بن إسحاق - (من نحاة القرن الرابع الهجري)، تحقيق: الدكتور فتحي أحمد مصطفى، الطبعة الأولى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م (جزءان).
- التيبان في إعراب القرآن، للعكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، سنة الإيداع ١٩٧٦م (جزءان).
- تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، لأبن مكي الصّقلي - أبو حفص عمر بن خلف - (٥٠١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لأبن أبي الإصبع - أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله بن محمد المصري - (٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب شرح شواهد سيبويه للأعلم الشنتمري - يوسف بن سليمان بن عيسى (٤٧٦هـ) بهامش كتاب سيبويه - الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ١٣١٦هـ.

تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، لأبن مالك - أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي - (٦٧٢هـ)، حققه وقدم له: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

تصحيح الفصح، لأبن درستويه - أبو محمد عبد الله بن جعفر - (٣٤٧هـ)، تحقيق :- عبد الله الجبوري، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

التصريف الملوكي، لأبن جني - أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد سعيد بن مصطفى النعسان، علق عليه: أحمد الخاني، ومحي الدين الجراح، الطبعة الثانية، دار المعارف، دمشق، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، التطور اللغوي - مظاهره وعلله وقوانينه - للدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة - دار الرفاعي بالرياض، سنة الإيداع ١٩٨١م التطور النحوي للغة العربية، للمستشرق الألماني برجستراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة - دار الرفاعي بالرياض، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

#### تفسير الطبري

التكملة - وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي - لأبي علي الفارسي - الحسن بن أحمد بن عبد الغفار - (٣٧٧هـ)، تحقيق: الدكتور حسن شاذلي فرهود، الطبعة الأولى، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري، لأبن جني، حققه وقدم له: أحمد ناجي القيسي - وخديجة عبد الرزاق الحديثي - وأحمد مطلوب، راجعه: الدكتور مصطفى جواد، الطبعة الأولى، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨١هـ - ١٩٦٢م.

التمهيد في علم التجويد، لأبن الجزري، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م. تهذيب الألفاظ، للخطيب التبريزي، التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، عنى بتصحيحه: اوتوبرتزل، النشريات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، استانبول، مطبعة الدولة، ١٩٣٠م، أعادت طبعه بأوفست مكتبة المثني بغداد.

(ج)

الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، للقرطبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (عشرون جزءاً).

الجُمْل، للزجاجي - أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (٣٤٠هـ)، عني بنشره وتحقيقه وشرحه: ابن أبي شنب، الطبعة الثانية، مطبعة كلنسكسيك، باريس، ١٩٥٧م - ١٣٧٦هـ.  
جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري - الحسن بن عبد الله بن سهل - (بعد ١٣٩٥هـ)، حقه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد أبو الفضل إبراهيم - وعبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م (جزءان).

جمهرة اللغة، لابن دريد - أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري - (٣٢١هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٤٤هـ (أربعة أجزاء).

(ح)

حاشية ابن حمدون على شرح المكودي لألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون تاريخ، (جزءان).

حاشية الخصري على ابن عقيل، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (جزءان).

حاشية الشيخ يس على شرح التصريح - بهامش شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهري - دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، (جزءان).

الحجة في علل القراءات السبع، لأبي علي الفارسي، الجزء الأول، تحقيق: علي النجدي ناصف - والدكتور عبد الحليم النجار - والدكتور عبد الفتاح شلبي، مراجعة محمد علي النجار، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

الحجة في القراءات السبع، لأبن خالويه - أبو عبد الله الحسين بن أحمد - (٣٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، الطبعة الثانية، دار الشروق، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد زنجلة - (من رجال المئة الرابعة) حقه وعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(خ)

الخصائص، لأبن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثانية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م (ثلاثة أجزاء).

الخليل بن أحمد الفراهيدي - أعماله ومنهجه - لمهدي المخزومي، الطبعة الثانية، دار  
الرئد العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(د)

دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر، للدكتور علي حلمي  
موسى - والدكتور عبد الصبور شاهين، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٣م.

دراسة السمع والكلام، للدكتور سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.  
دراسة الصوت اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة،  
١٩٨١م.

دراسات في علم اللغة - القسم الأول - للدكتور كمال محمد بشر، الطبعة الثانية، دار  
المعارف بمصر، ١٩٧١م.

دراسات في علم اللغة - القسم الثاني - للدكتور كمال محمد بشر، الطبعة الثانية، دار  
المعارف بمصر، ١٩٧١م.

الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، للدكتور حسام سعيد النعيمي، منشورات وزارة  
الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.

دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي  
فرنسي - عربي: صالح القرمادي، نشرات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية  
والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.

ديوان الأدب - أول معجم عربي مرتب بحسب الأبنية - للفارابي - أبو إبراهيم إسحاق بن  
إبراهيم (٣٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: الدكتور إبراهيم أنيس، الهيئة  
العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (أربعة أجزاء).

ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلام الشنتمري، تحقيق: لطفي الصقال - ودية الخطيب، راجعه:  
الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي بطلب، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

(ذ)

ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة، وهي الظاء والضاد والذال والصاد والسين، لابن السّيد  
البطليوسي، تحقيق وتعليق: الدكتور حمزه عبد الله النشرتي، مكتبة المتنبّي، القاهرة،  
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

(ر)

رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري - أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي - (٤٤٩هـ)، تحقيق وشرح: الدكتورة بنت الشاطي، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور أحمد حسن فرحات، الطبعة الثانية، دار عمار، عمان - الأردن، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. (ز)

الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم الرازي - أحمد بن حمدون (٣٢٢هـ)، عارضه باصوله وعلق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني، الطبعة الثانية، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، القاهرة، ١٩٥٧م (جزءان). (س)

السبعة في القراءات، لأبن مجاهد - أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي (٣٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، تاريخ المقدمة وسنة الإيداع ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. سر صناعة الإعراب، لأبن جني، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن هنداي، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (جزءان).

سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي - أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد (٤٦٦هـ)، تحقيق: علي فوده، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م. (ش)

شرح أبيات سيبويه، لأبن السيرافي - أبو محمد يوسف بن أبي سعيد (٣٨٥هـ)، حققه وقدم له: الدكتور محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٦هـ، (جزءان).

شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهري - أبو الوليد زين الدين خالد بن عبد الله (٩٠٥هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، (جزءان). شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة: ثعلب - أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن يسار الشيباني (٢٩١هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له: الدكتور احسان عباس، وزارة الإرشاد والأبناء في الكويت، ١٩٦٢م.

شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الأسترابادي - محمد بن الحسن (٦٨٨هـ)، تحقيق: الأساتذة محمد نور الحسن، ومحمد محي الدين عبد الحميد، ومحمد الزفزاف، الطبعة الأولى، مطبعة حجازي بالقاهرة، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، (ثلاثة أجزاء ملحق بها جزء رابع خاص بشرح شواهد الشافية، للبغدادي).



شرح شواهد شافية ابن الحاجب، للبغدادي - عبد القادر بن عمر بن بايزيد بن الحاج أحمد (١٠٩٣هـ)، تحقيق: الأساتذة، محمد نور الحسن، ومحمد محي الدين عبد الحميد، ومحمد الزفزاف، الطبعة الأولى، مطبعة حجازي بالقاهرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٣٩م.

شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لأحمد بن محمد بن محمد بن علي بن الجزري (٨٥٩هـ)، حققه وضبطه وراجعته: الشيخ علي محمد الضبّاع، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

شرح عيون كتاب سيبويه، للمجريطي - أبو نصر هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي المجريطي القرطبي (٤٠١هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه، الطبعة الأولى، مطبعة حسان، القاهرة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

شرح المفصل، لأبن يعيش - أبو البقاء موقّق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (٦٤٣هـ)، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، بدون تاريخ، (عشرة أجزاء).

شرح الملوكي في التصريف، لأبن يعيش، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، المكتبة العربية، حلب، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

الشعر والشعراء، لابن قتيبة - أبو محمد عبد الله بن مسلم - (٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م (جزءان).

(ص)

الصاحبي، لابن فارس - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، سنة الإيداع ١٩٧٧م.

الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، للجوهري - إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - نسخة مصورة عن الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م (ستة أجزاء).

صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، ضبطه ورقمه، وذكر تكرار مواضعه، وشرح ألفاظه وجمله، وخرج أحاديثه في صحيح مسلم، ووضع فهارسه، الدكتور مصطفى ديب البغا، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق - بيروت، دار الإمام البخاري، دمشق - حلبوني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، (ستة أجزاء).

صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، وقف على طبعه، وتحقيق نصوصه، وتصحيحه، وترقيمه، وعدّ كتبه وأبوابه، وأحاديثه، وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي، مع زيادات عن أئمة اللغة: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، (خمسة أجزاء).

(ط)

طبقات فحول الشعراء، لأبن سلام الجمحي - أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله (٢٣١هـ)، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، تاريخ المقدمة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (جزءان).

(ع)

العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ليوهان فك، نقله إلى العربية وحققه وفهرس له: الدكتور عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م.  
العربية - دراسات في اللغة واللهجات والأساليب - ليوهان فك، مع تعليقات المستشرق الألماني شبيتالر، ترجمه وقدم له وعلق عليه وصنع فهرسه: الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بمصر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

العربية الفصحى - نحو بناء لغوي جديد - للأب هنري فليش اليسوعي، تعريب وتحقيق: الدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٦٦م، علم الأصوات، لبرتيل مالمبرج، تعريب ودراسة: الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٥م.

علم الصوتيات، للدكتور عبد الله ربيع محمود - والدكتور عبد العزيز أحمد علام، المكتبة التوفيقية، القاهرة، سنة الإيداع ١٩٧٩م .

علم اللغة، للدكتور علي عبد الواحد وافي، الطبعة السابعة، دار نهضة مصر، القاهرة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

علم اللغة العام، - الأصوات - للدكتور كمال محمد بشر الطبعة الرابعة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م.

علم اللغة العربية - مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية -، للدكتور محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت، تاريخ المقدمة ١٩٧٣م.

علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي - للدكتور محمود السعران، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢م.

العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن فرهود بن فهم بن عبد الله الأذني - ١٧٥هـ، الجزء الأول، تحقيق: الدكتور عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م.

العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي - والدكتور إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م (ثمانية أجزاء).

(غ)

غاية النهاية في طبقات القراء، لأبن الجزري، عني بنشره: ج. برجستراسر، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بمصر، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م (جزءان).

غيث النفع في القراءات السبع، للصفاقي - أبو الحسن علي النوري بن محمد (١١١٨هـ) - بهامش سراج القارئ المبتدئ وتذكار القارئ المنتهي - لأبن القاصح -، الطبعة الثالثة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

(ف)

فصول في فقه العربية، للدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، دار الحمامي للطباعة، القاهرة، ١٩٧٣م.

فقه اللغات السامية، لكارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

فقه اللغة، للدكتور علي عبد الواحد وافي، الطبعة الثامنة، دار النهضة، مصر - القاهرة. فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، لمحمد المبارك، الطبعة السادسة، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

في التطور اللغوي، للدكتور عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

في قضايا الأدب واللغة، تأليف: نخبة من أعضاء هيئة التدريس بقسم اللغة العربية بجامعة الكويت، إعداد وتقديم: الدكتور عبده بدوي، مؤسسة الصباح، الكويت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

في اللهجات العربية، للدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الثانية، لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٢م.

(ق)

القاموس المحيط، للفيروزبادي - مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ) الطبعة الثالثة، المطبعة المصرية، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م (أربعة أجزاء).

القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م.

(ك)

الكتاب لسبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م (خمس أجزاء)

كتاب سيبويه، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ١٣١٦هـ - بهامشه تقاريرت وزيد من شرح أبي سعيد السيرافي، وبه - أيضا - تحصيل عين الذهب "شرح شواهد سيبويه" - (جزءان).

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل، للزمخشري - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي (٥٣٨هـ)، الطبعة الأخيرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.  
الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: الدكتور محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م (جزءان).

(ل)

لسان العرب، لأبن منظور - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري (٧١١هـ)، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م (خمسة عشر جزءا).

لطائف الإشارات لفنون القراءات، للقسطلاني - أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري الشافعي (٩٢٣هـ)، تحقيق: الشيخ عامر السيد عثمان - والدكتور عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

لغات البشر - أصولها وطبيعتها وتطورها - لماريو باي، ترجمة الدكتور صلاح عربي، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، بالإشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة - نيويورك، ١٩٧٠م.

اللغة، ج. فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي - ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م.

لغة تميم - دراسة تاريخية وصفية - للدكتور ضاحي عبد الباقي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، بالقاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

اللغة العربية - معناها ومبناها - للدكتور تمام حسان، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩م.

اللغة والتطور، للدكتور عبد الرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٩م.

اللهجات العربية في التراث، للدكتور أحمد علم الدين الجندي، دار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨٣م (جزءان).

اللهجات في الكتاب لسيبويه - أصواتا وبنية - لصالحة راشد غنيم آل غنيم، الطبعة الأولى، مركز إحياء البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، لغالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٨ م.

(م)

مجمع الأمثال، للميداني - أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني (٥١٨ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، سنة الإيداع ١٩٧٧ م - ١٩٧٩ م (أربعة أجزاء).

المحاجة بالمسائل النحوية، للزمخشري، قدمت له وحققته وعلقت حواشيه: الدكتورة بهيجة باقر الحسني، مطبعة أسعد، بغداد.

ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب لسنة ١٩٧٢-١٩٧٣ م المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبن جني، تحقيق علي النجدي ناصف - والدكتور عبد الحليم النجار - والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٦ هـ (جزءان).

المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني، عني بتحقيقه: الدكتورة عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الإقليم السوري، دمشق، ١٣٧٩ هـ - ١٩٣٤ م.

مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لأبن خالويه، عني بنشره: ج. برجستراسر، المطبعة الرحمانية بمصر، ١٩٣٤ م.

المخصّص، لأبن سيده - الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ١٣١٦ هـ (سبعة عشر جزءاً).

مدخل إلى علم اللغة، للدكتور محمود فهمي حجازي، الطبعة الثانية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٨ م.

مدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، للدكتور رمضان عبد التواب، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي بالقاهرة - دار الرفاعي بالرياض، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى - وعلي محمد البجاوي - ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، (جزءان).

المساعد على تسهيل الفوائد، لأبن عقيل - بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي (٧٦٩هـ) تحقيق: الدكتور محمد كمال بركات، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م (أربعة أجزاء).

معاني القرآن، للفراء - أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي (٢٠٧هـ) الجزء الأول، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي - ومحمد علي النجار، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

المفصل في علم العربية، للزمخشري، الطبعة الأولى، مطبعة التقدم بمصر، ١٣٢٣هـ.

المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية "المعروف بالشواهد الكبرى" للعيني - أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد (٨٥٥هـ) - بهامش خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي - مكتبة المثني - بغداد، بدون تاريخ، طبعة جديدة بالأوفستين طبعة بولاق الأولى ١٢٩٩هـ (أربعة أجزاء).

مقاييس اللغة، لأبن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، ١٣٦٦هـ.

المقتضب، للمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمه، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٨٥هـ (أربعة أجزاء).

مقدمة كتاب المباني، لمؤلف مجهول - ضمن مقدمتان في علوم القرآن - نشرهما: الأستاذ المستشرق الدكتور آرثر جفري، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

المقرب، لأبن عصفور الإشبيلي - علي بن مؤمن بن محمد بن علي (٦٦٩هـ)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري - وعبد الله الجبوري، الطبعة الأولى مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م (جزءان).

المُتَنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط، لأبي عمرو الداني، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبة الترقى بدمشق، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

المُتَمَع في التصريف، لأبن عصفور، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، المكتبة العربية بحلب، ١٩٣٠هـ - ١٩٧٠م (جزءان).

مناهج البحث في اللغة، للدكتور تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م.

منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لأبن الجزري، تحقيق: الدكتور عبد الحي الفرماوي، الطبعة الأولى، مكتبة جمهورية مصر، القاهرة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

المنصف، لأبن جني - وهو شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني - تحقيق: إبراهيم مصطفى - وعبد الله أمين، الطبعة الأولى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م (ثلاثة أجزاء).

منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني - أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن (٦٨٤هـ)، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه، الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م .

المنهج الصوتي للبنية العربية - رؤية جديدة في الصرف العربي - للدكتور عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

موسيقى الشعر، للدكتور إبراهيم أنيس، دار القلم، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.  
الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، للمرزباني - أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٣٨٤هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ١٩٦٥م.

(ن)

النشر في القراءات العشر، لأبن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة: علي محمد الضبّاع، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، د (جزءان).  
النكت في تفسير كتاب سيبويه، للأعلم الشنتمري، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان ، الطبعة الأولى، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (جزءان).

النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبن الأثير - أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (٦٠٦هـ)، الطبعة الأولى، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاه، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م (خمسة أجزاء).

غاية القول المفيد في علم التجويد، لمحمد مكي نصر، مراجعة وتصحيح: الشيخ علي محمد الضبّاع، مطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر، ١٣٤٩هـ.

(هـ)

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون - وعبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م.  
الجزء السادس، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، (سبعة أجزاء).

(و)

الواضح في علم العربية، للزبيدي - أبو بكر محمد بن الحسن - (٣٧٩هـ)، تحقيق:  
الدكتور أمين علي السيد، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م.  
الوجيز في فقه اللغة، لمحمد الأنطاكي، الطبعة الثانية، مكتبة دار الشرق، بيروت، تاريخ  
المقدمة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.



## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
البسمة	أ.....
آية قرآنية	ب.....
الاهداء	ج.....
شكر وتقدير	د.....
المقدمة	١.....
أهمية البحث	٣.....
أسباب اختيار الموضوع	٣.....
منهج البحث	٣.....
تساؤلات البحث	٤.....
الدراسات السابقة	٥.....
هيكل البحث	٦.....
المدخل	٨.....
التغيرات الصوتية	٨.....
اللغة نظام متغير	٨.....
أنواع التغيرات الصوتية	٩.....
خصائص التغير الصوتي	٩.....
العوامل المتحكمة في التغيرات الصوتية	١١.....
ظاهرة اقتران الأصوات وتنافرها	١٥.....
وصف الجهاز الصوتي وكيفية الأداء النطقي	٢٠.....
الباب الأول: الاطار النظري	٢٥.....
الفصل الأول: في الحروف العربية	٢٦.....
المبحث الأول: الحروف العربية	٢٧.....
معاني الحروف	٢٧.....
بين الصوت والحرف	٢٩.....

أولاً: بين الصوت والحرف عند اللغويين القدماء .....	٢٩
ثانياً: بين الصوت والحرف عند اللغويين المحدثين .....	٣٠
الحروف العربيّة بين التوقيف والاصطلاح .....	٣٢
أشكال الحرف العربي وتشكيلاته .....	٣٥
المبحث الثاني: الحركات العربيّة .....	٣٩
الحركات ونظم الكتابة العربيّة .....	٤٠
علاقة الحركة بالحرف .....	٤٦
كيفية نطق الحركات .....	٤٨
الحركات العربيّة عند المحدثين .....	٥٤
تعريف الحركات العربيّة عند المحدثين .....	٥٥
مقاييس أصوات اللين .....	٥٦
وصف الحركات المعيارية الاساسية .....	٦٢
الحركات المعيارية الثواني .....	٦٤
الحركات العربية على ضوء الدرس الصوتي الحديث .....	٦٥
الفصل الثاني: تصنيف الأصوات في اللغة العربية .....	٦٩
المبحث الأول: الصوامت والصوائت الماهية والسمات .....	٧٠
تصنيف الأصوات إلى صوائت وصوامت .....	٧١
معايير التقسيم إلى صوامت وصوائت .....	٧٢
المبحث الثاني: اسس تصنيف الاصوات العربيّة الصامتة .....	٧٤
تصنيف الأصوات وفقاً لمخارجها .....	٧٥
تصنيف الأصوات العربية الصامتة وفقاً لوضعية الأوتار الصوتية .....	٨١
تصنيف الصوامت العربية وفقاً لمرور الهواء .....	٨٦
مقارنة بين القدماء والمحدثين في بعض صفات الحروف .....	٨٧
المبحث الثالث: الوصف الصوتي للصوامت العربيّة .....	٩٤
الأصوات الشفوية .....	٩٥
الصوت الشفوي الأسناناني .....	٩٦
الأصوات الأسنانانية أو ما بين الأسنانانية .....	٩٦
الأصوات الأسنانانية اللثويّة .....	٩٨

الأصوات الثنوية	١٠٠
الأصوات الغارية	١٠٢
الصوت الطبقي	١٠٣
الصوت اللهوي	١٠٣
الأصوات الحلقومية (اللهوية)	١٠٤
الأصوات الحلقية	١٠٥
الأصوات الحنجرية	١٠٦
الباب الثاني: التماثل عند علماء اللغة	١٠٨
الفصل الأول: التماثل عند سيبويه	١٠٩
المبحث الأول: التماثل بين الأصوات الصامتة في صورته الإبدالية	١١٠
توطئة	١١١
مضارعة حرف لحرف آخر لعلاقة صوتية بينهما	١١٢
مضارعة حرف لآخر من غير موضعه	١١٥
قلب السين صاداً في بعض اللغات	١١٧
التماثل الشاذ غير المطرد	١١٨
التماثل في صيغة افتعل ومشتقاتها	١١٩
الإقلاب	١٢٤
المبحث الثاني: الإدغام عند سيبويه	١٢٦
مفهوم الإدغام عند سيبويه	١٢٧
الإدغام في الحروف المتقاربة	١٣٢
القسم الأول: حروف لا تدغم في مقاربيها ولا يدغم مقاربيها فيها	١٣٦
القسم الثاني: حروف لا تدغم في المقاربة وتدغم المقاربة فيها	١٣٦
القسم الثالث: حروف مقاربة يدغم بعضها في بعض	١٤١
الإدغام في حروف الحلق	١٤١
الهاء مع الحاء	١٤١
العين مع الهاء	١٤٣
العين مع الحاء	١٤٥
الغين مع الخاء	١٤٧

١٥١.....	الإدغام في حروف الفم مما يلي الحلق.....
١٥١.....	القاف مع الكاف .....
١٥٢.....	الجيم مع الشين .....
١٥٢.....	اللام مع الراء .....
١٥٦.....	النون .....
١٥٦.....	إدغام النون .....
١٥٩.....	إخفاء النون .....
١٦١.....	الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا.....
١٦٣.....	الطاء .....
١٦٦.....	الذال .....
١٦٨.....	التاء .....
١٦٩.....	الزاي والسين والصاد .....
١٧١.....	الظاء .....
١٧٢.....	الذال .....
١٧٤.....	الثاء .....
١٧٥.....	الضاد والشين .....
١٧٦.....	الإدغام في الكلمة الواحدة .....
١٧٦.....	الإدغام في ذوات التاء .....
١٨٢.....	الإدغام الشاذ غير المطرد في الكلمة الواحدة.....
١٨٦.....	التصور العام للإدغام (التمائل التام) والإخفاء (التمائل الناقص) عند سيبويه.....
١٩١.....	النتائج العامة لدراسة سيبويه عند التماثل.....
١٩٦.....	الفصل الثاني: التماثل عند ابن جني .....
١٩٧.....	المبحث الأول: الإدغام الأصغر .....
١٩٨.....	الإدغام الأصغر .....
٢٠٠.....	الإبدال .....
٢٠٧.....	الإقلاب .....
٢٠٨.....	الإشمام .....
٢١٤.....	المبحث الثاني: الإدغام عند ابن جني.....

٢١٥.....	مفهوم الإدغام عند ابن جني
٢١٦.....	الإدغام الأكبر
٢١٨.....	الحروف التي تدغم عند ابن جني
٢١٩.....	الحروف التي يمتنع إدغامها
٢١٩.....	موقف ابن جني من القراءات القرآنية التي تظهر ما حقه الإدغام عند النحاة أو تدغم ما حقه الاظهار
٢٢٢.....	الإدغام الأكبر على ضوء ضعف الحرف وقوته
٢٢٤.....	نتائج دراسة ابن جني عن التماثل
٢٢٦.....	الباب الثالث: التماثل عند علماء القراءات
٢٢٨.....	الفصل الأول: التماثل عند مكي بن أبي طالب
٢٢٧.....	تمهيد
٢٢٨.....	المبحث الأول: الإبدال عند مكي بن أبي طالب
٢٢٩.....	توطئة
٢٢٩.....	صور الإبدال عند مكي
٢٣٢.....	إبدال تاء افتعل
٢٣٤.....	الإشمام الحرفي
٢٣٥.....	الإقلاب
٢٣٦.....	الإخفاء
٢٣٧.....	المبحث الثاني: الإدغام عند مكي بن أبي طالب
٢٣٨.....	مفهوم الإدغام عند مكي
٢٣٩.....	صور الإدغام عند مكي وعلاقته بقوة الحرف وضعفه
٢٤٢.....	الإدغام في منطقة الحلق
٢٤٥.....	الإدغام في منطقة الفم
٢٤٦.....	لام التعريف
٢٤٧.....	لام (هل) و(بل)
٢٤٨.....	اللام المفردة
٢٤٩.....	إدغام النون
٢٥١.....	إدغام تاء التأنيث

٢٥٣.....	إدغام دال (قد)
٢٥٦.....	إدغام ذال (إذ)
٢٥٨.....	إدغام الناء
٢٥٩.....	الإدغام في منطقة الشفتين مكي
٢٥٩.....	إدغام الباء في الميم والفاء
٢٦٠.....	إدغام الفاء في الباء
٢٦٠.....	النتائج الخاصة لدراسة مكي عن الإدغام
٢٦٢.....	النتائج العامة لدراسة مكي
٢٦٣.....	الفصل الثاني: التماثل عند ابن الجزري
٢٦٤.....	المبحث الأول: صور التماثل عند ابن الجزري
٢٦٥.....	ملاحم من صور التماثل عند ابن الجزري
٢٦٦.....	الإدغام (التماثل التام) عند ابن الجزري
٢٦٦.....	مفهوم الإدغام عند ابن الجزري
٢٦٧.....	أحكام الإدغام
٢٧٠.....	الإدغام الكبير في المتقاربين
٢٧١.....	إدغام الباء في الميم
٢٧٢.....	إدغام الباء في الفاء
٢٧٢.....	إدغام الناء
٢٧٣.....	إدغام الناء
٢٧٤.....	إدغام الجيم
٢٧٥.....	إدغام الحاء
٢٧٥.....	إدغام الدال
٢٧٧.....	إدغام الذال
٢٧٧.....	إدغام الراء
٢٧٧.....	إدغام السين
٢٧٨.....	إدغام الشين
٢٧٨.....	إدغام الضاد
٢٨٠.....	إدغام القاف

٢٨١.....	إدغام الكاف
٢٨١.....	إدغام اللام
٢٨٢.....	إدغام الميم
٢٨٢.....	إدغام النون
٢٨٤.....	النتائج الخاصة لدراسة ابن الجزري عن الإدغام
٢٨٦.....	المبحث الثاني: الظواهر الصوتية في الصوائت عند ابن الجزري
٢٨٧.....	الفتح والإمالة وما بين اللفظين
٢٨٧.....	الفتح
٢٨٧.....	الإمالة
٢٨٨.....	حكم الإمالة
٢٨٩.....	فائدة الإمالة
٢٩٠.....	موانع الإمالة
٢٩٢.....	أسباب الإمالة
٢٩٢.....	الإمالة بسبب الكسر
٢٩٤.....	الإمالة على الأصل
٢٩٥.....	الإمالة للإمالة
٢٩٦.....	إمالة هاء التأنيث في الوقف
٢٩٦.....	أسباب الإمالة فيما ذكرته كتب الاحتجاج
٢٩٨.....	المبحث الثالث: مقارنة بين علماء القراءات وعلماء اللغة
٢٩٩.....	المقارنة بين علماء اللغة والقراءات
٣٠٠.....	توزيع الصور التي انفرد بها علماء القراءات على المخارج الخاصة
٣٠١.....	المخارج المتحدة
٣٠١.....	المخارج غير المتجاورة
٣٠٢.....	نتائج المقارنة بين علماء اللغة والقراءات
٣٠٢.....	تقسيم صور الإدغام عند علماء القراءات
٣٠٣.....	نظريّة القوة والضعف في التماثل التام
٣٠٦.....	صور الإدغام مقرونا بكيفية الانتقال في ضوء قوة الصوت وضعفه
٣١٢.....	الباب الرابع: المخالفة الصوتية

٣١٣.....	الفصل الأول: المخالفة في التراث اللساني العربي
٣١٤.....	المبحث الأول: المخالفة الصوتية التعريف والدواعي
٣١٥.....	المخالفة التعريف والدواعي
٣١٦.....	العلة من حدوث المخالفة الصوتية
٣١٩.....	المبحث الثاني: مصطلحات المخالفة الصوتية في التراث العربي
٣٢٠.....	المخالفة عند اللغويين والنحاة العرب القدامى
٣٢٠.....	المخالفة عند الخليل بن أحمد الفراهيدي
٣٢١.....	المخالفة عند سيبويه
٣٢١.....	المخالفة عند المبرد
٣٢٢.....	المخالفة عند ابن جني
٣٢٤.....	الفصل الثاني: المخالفة الصوتية في درس الصوتي الحديث
٣٢٥.....	المبحث الأول: المخالفة عند اللغويين المحدثين
٣٢٦.....	المخالفة عند إبراهيم أنيس
٣٢٦.....	المخالفة عند أحمد مختار
٣٢٧.....	المخالفة عند رمضان عبد التواب
٣٢٧.....	المخالفة عند عبد العزيز مطر
٣٢٩.....	المخالفة عند محمود فهمي حجازي
٣٢٩.....	المخالفة عند الطيب البكوش
٣٣١.....	المبحث الثاني: أنواع المخالفة
٣٣٢.....	المخالفة التقديمية المتصلة
٣٣٣.....	المخالفة التقديمية المنفصلة
٣٣٦.....	المخالفة الرجعية المتصلة
٣٣٨.....	المخالفة الرجعية المنفصلة
٣٣٩.....	المخالفة المتباعدة
٣٤٠.....	المخالفة الكمية
٣٤١.....	المخالفة بالحذف
٣٤٢.....	النتائج العامة لظاهرة المخالفة
٣٤٣.....	الخاتمة